البدر الطالع

بمحاسن من بعد القرن السابع

تأليف

القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني

المتوفى سنة ١٢٥٠هـ

ويليه

الملحق التابع للبدر الطالع

جمعه سنة ١٣٤٨هـ بالقاهرة السيد الحافظ المؤرخ

محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة

الحسني اليمني الصنعاني

وضع حواشيه

خليل المنصور

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar al-Kotob al-Ilmiyah - Publishing House
P.o.box : 11-9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0029-7

EAN 9782745100290

No 00030

9 782745 100290

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين الرسول العربي محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم القيامة والدين.

وبعد: انطلاقًا من ضرورة الاهتمام بالماضي وبتراثه الذي يشكل أساسًا ومنطلقًا لكل تطور وتقدم، لأي شعب يريد النهوض والسير في ركب الحضارة الإنسانية التي لا تقتصر على تحقيق التقدم العملي، لأن الأمة لا يمكن أن تبني حضارتها إلا من خلال بناء الإنسان أولاً، الإنسان الذي يجب أن يتسلح بالمعرفة والعلم والإيمان، الإنسان الذي يجب أن يتحمل المسؤولية، الإنسان الذي يجب أن يتمتع بالوعي ويدرك أهمية التواصل الحضاري والإنساني.

من هنا جاء اهتمامنا بالماضي، برجاله وبما كتبوه وخاصة تلك الكتب التي أرخت لأحقاب معينة، حيث قدمت إلينا صورًا عن ذاك الماضي.

إننا نضع اليوم بين أيدي القارىء العربي كتابًا من تلك الكتب التراثية الهامة التي اهتمت بتأريخ العلماء والأعيان وأكابر تلك الفترة الزمنية، كتاب (البدر الطالع في أعلام القرن الثامن ومن بعدهم) لمؤلفه الإمام محمد الشوكاني الضنعاني.

يتألف الكتاب من جزأين يضم الأول تراجم لـ (٣٥٤) عالمًا من علماء العرب والإسلام.

ويشتمل القسم الثاني تراجم لـ (٢٤٢) عالم أيضًا من علماء وأكابر الزمن.

إن القيام بمثل ذاك العمل ليس بالأمر الهين أو السهل لأنه لم يقتصر على منطقة محددة معينة، ولا على عدد قليل من الأعلام، ولأنه لم يتحدث عن فترة زمنية قصيرة.

إنه اشتمل على تراجم لأعلام كثيرون في بقعة جغرافية واسعة وضمن فترة زمنية تتجاوز خمسمائة عام تقريبًا.

من هنا نقول أن من قام بهذا العمل الضخم ليس مؤرخًا عاديًا، إنه علم من أولئك الأعلام الذين يجب أن نهتم بهم وبما كتبوه، أولئك الذين كرّسوا جهدهم ووقتهم وجلّ تفكيرهم لهذا العمل وغيره.

وعلاوة على هذا الجهد الكبير، نجد أن الإمام محمد الشوكاني لم يقتصر جهده على هذا العمل، بل نجد أن له اهتمامات بشتى ميادين العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وأصنافها، ومؤلفاته خير شاهد. وما نجده في متن كتابنا يقدم لنا صورة عن جهده وعمله العظيم، فعلاوة على التراجم، نقل إلينا صوراً دقيقة عن واقع تلك المنطقة وحوادثها وشخصياتها إضافة إلى ما قدمه لنا من دراسات جغرافية للمواقع والمدن التي ذكرها.

تعريف بالمؤلف

أولاً ـ اسمه ونسبه:

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن، بن محمد بن صلاح، بن إبراهيم بن محمد بن العفيف، بن محمد بن رزق، ينتهي نسبه إلى خيشنة.

نسبا إلى زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان... الشوكاني نسبة إلى شوكان من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان التي كانت تسكن بالقرب من صنعاء.

ولادته ووفاته:

ولد الإمام محمد الشوكاني (المؤلف) وسط يوم الإثنين ٢٨/ ذي القعدة/ سنة ١١٧٣ هـ في هجرة شوكان (اليمنية). وتوفي في جمادى الآخرة سنة (١٢٥٠ هـ).

ثانياً ـ لمحة عن بيئته وحياته:

ينحدر الإمام محمد الشوكاني من أسرة عريقة، يشهد لها تاريخ اليمن بمكانتها المرموقة وبدورها الفعّال والإيجابي، وخاصة في مرحلة الاحتلال العثماني لليمن، حيث

حملت هذه الأسرة على عاتقها مهمة تشجيع الناس على الانضمام إلى صفوف المقاومة تحت لواء الأئمة في مواجهة الأتراك إضافة للمساعدات المادية التي كانت تجود بها وتقدّمها من مال ورجال.

علاوة على هذا الدور الهام، فقد تميّزت تلك الأسرة بمستوى ثقافي جيد، ساهم مساهمة فعالة في تطوير الحياة الفكرية في تلك المنطقة، من خلال العلماء الذين تخرجوا من تلك الأسرة، وما قدموه من مؤلفات غنية جدًا.

إذًا نقول: لقد توافرت للمؤلف البيئة المناسبة لتعلمه وإبداعه، ولبلوغه مكانة مرموقة شهد له الجميع بها. حيث كرس محمد الشوكاني جلّ وقته للمطالعة والكتابة والتأليف، لذلك نجده قد تميّز عن غيره من العلماء باهتماماته وبعطاءاته المتعددة والمتنوعة، ومن يطلع على مؤلفاته يجد أن الإمام المؤلف محمد الشوكاني قد تميّز بثلاثة أمور:

١ ـ التبحّر في العلوم على اختلاف أصنافها وأنواعها.

٢ ـ كثرة التلاميذ المدققين والمحققين للإمام.

٣ ـ كثرة التصانيف التي حررها وصنّفها (أمثال: الحصن الحصين/ حاشية شفاء الأورام/ الدرر البهية/ القول الصادق في إمامة الفاسق... وغيرها الكثير الكثير.

ومنها أيضاً موضوع كتابنا (البدر الطالع في أعلام القرن الثامن ومن بعدهم) هذا الكتاب الذي يؤكد ما ذكرناه عن الإمام وبما تميّز به عن غيره.

لقد كان الإمام محمد الشوكاني من الحفّاظ العاملين بسنّة رسول الله ﷺ ومن المدافعين عن الإسلام والسنّة في وجه كل البدع من أجل الحفاظ على الشريعة الغراء وخير ما يمكن أن أصف به مؤلفنا الكبير أن أعيد تدوين العبارات التي كتبها العلاّمة حسن البهكلي (المحقق العلاّمة، الإمام، سلطان العلماء، إمام الدنيا، خاتمة الحفّاظ بلا مراء الحجة النقّاد، عالي الإسناد، السابق في ميدان الاجتهاد، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمداركها ومقاصدها).

رحم الله الإمام محمد الشوكاني لما قدمه وساهم به في الحفاظ على الشريعة، وكل من ساهم بغاية الخير والفائدة والإصلاح.

بيروت ٦/ ١٢/ ١٩٩٦

خليل المنصور

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[خطبة الكتاب]

الحمدُ للّهِ الذي جَعلَ النظرَ في أخبارِ من غبَر، من أعظمِ العبر والصلاةُ والسلامُ على صفوةِ الصفوةِ من البشر، وعلى آلِهِ قرناء القرآن كما صحَّ بذلكَ الخبر، وعلى أصحابِهِ الذينَ أرغم الله بفضائلهمْ وفواضلهمْ أنف من كفر.

وبعد: فإنه لما شاعَ على ألسن جماعة من الرعاع، اختصاص سلف هذه الأمة، بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها. حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة، تعذّر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكانٍ من الجهالة لا يخفى على من له أدنى حظ من علم، وأنزر نصيب من عرفان، وأحقر حصة من فهم، لأنها قصر للتفضل الإلهي، والفيض الرباني على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر وأبناء دهر دون دهر بدون برهان ولا قرآن. على أن هذه المقالة المخذولة والحكاية المرذولة تستلزم خلو هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج الله ومترجم عن كتابه وسنّة رسوله ومبين لما شرعه لعباده، وذلك هو ضياع الشريعة بلا مرية، وذهاب الدين بلا شك وهو تعالى قد تكفل بحفظ دينه وليس المراد حفظه في بطون الصحف والدفاتر، بل إيجاد من يبينه للناس في كل وقت وعند كل حاجة.

حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا ليعلم صاحب تلك المقالة أن الله وله المنة قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور

المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب، وحلّ عن عنقه عرىٰ التقليد. وقد ضممت إلى العلماء من بلغني خبره من العباد والخلفاء والملوك والرؤساء والأدباء ولم أذكر منهم إلا من له جلالة قدر ونبالة ذكر وفخامة شأن دون من لم يكن كذلك.

فالحاصل أن المذكورين في هذا الكتاب هم أعيان الأعيان وأكابر أبناء الزمان من أهل القرن الثامن ومن بعدهم إلى الآن. وربما أذكر من أهل عصري ممن أخذت عنه أو أخذ عني، أو رافقني في الطلب أو كاتبني أو كاتبته، من لم يكن بالمحل المتقدم ذكره، لما جبل عليه الإنسان من محبة أبناء عصره ومصره. وربما أذكر من أهل عصري من لم يجرِ بيني وبينه شيء من ذلك. وقد استكثر المتأخرون من المشتغلين بأخبار الناس المؤلفين فيها من تسجيع الألفاظ والتأنق في تنقيحها وتهذيبها مع إهمال بيان الأحوال والمولد والوفاة. ومثل ذلك لا يعد من علم التاريخ، فإن مطمح نظر مؤلفه وقصارى مقصوده هو مراعاة الألفاظ وإبراز النكات البديعة وهذا علم آخر غير علم التاريخ، إنما يرغب إليه من أراد أن يتدرب في البلاغة، ويتخرج في فن الإنشاء. فربما ألجأتني الضرورة إلى نقل ترجمة بعض الأعيان من مثل تلك المؤلفات ولم أجد له ذكراً في غيرها فأذكره مهملاً عن ذكر المولد والوفاة منبهًا على عصره إجمالاً مبينًا لما أمكن بيانه من أحواله وهذا هو القليل النادر.

والمرجو من الله جل جلاله الإعانة على إتمام هذا الكتاب وبروزه في الخارج على ما دار في الخلد من التصور فيكون إن شاء الله من أنفس الكتب وأنفعها لطالب هذا الفن، ويصير من أمعن النظر في مطالعته بعد إمعانه في مطالعة تاريخ الإسلام والنبلاء وكامل ابن الأثير وتاريخ ابن خلكان محيطًا بأعيان أبناء الزمان من سلف هذه الأمة وخلفها وسميته البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. قال مؤلفه الحقير أسير التقصير محمد بن علي بن محمد الشوكاني غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه. وهذا أوان الشروع في المقصود بمعونة الملك المعبود.

وقد جعلته على حروف المعجم مقدمًا لمن قدمته حروف اسمه وإن كان غيره أقدم منه، مبتدئًا بقطب اليمن، وجنيد ذاك الزمن الناسك المتأله:

حرف الهمزة

١ - إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الكينعي: بلّ الله بوابل الرحمة ثراه، ولم أقف على تاريخ مولده بعد البحث عنه. وبنو الكينعي، عربٌ لهم رياسة، وكانوا يسكنون قرية من قرى اليمن، بينها وبين ذمار مقدار بريدٍ وبها مولده، وانتقل به أبوه إلى قرية معبر، وكان قريع أوانه وفريد زمانه في الإقبال على الله والاشتغال بالعبادة والمعاملة الربانية. وبيته معمورٌ بالعلمِ والزهدِ والصلاحِ. وقد ترجمه بعض معاصريه بمجلد ضخم، وقفت عليه في أيامٍ متقدمةٍ، وأطنبَ في ذكره جميعُ من له اشتغالٌ بهذا العلم منذ عصره إلى الآن.

فمنهم السَّيد العلاّمة الهادي بن إبراهيم الوزير، والسيد العلاّمة يحيى بن المهدي بن قاسم بن المطهر وغيرهما. وكان أحسنَ الناسِ وجهًا وأتمهم خلقة، قد غشيه نورُ الإيمان وسيماءُ الصالحين. وإذا خرجَ نهارًا ازدحمَ الناسُ على تقبيلِ يدِهِ، والتبرّك برؤيةِ وجههِ، وهو يكرهُ ذلكَ ويَنْفُر عَنْهُ، يَغضَبُ إذا مُدِحَ، ويَسْتَبْشِرُ إذا نُصِحَ. ارتحل بعد موت والدِهِ وهو في سن البلوغِ إلى صنعاء، ولازم ولي الله الزاهد العابد حاتم بن منصور الحملاني فقرأ عليه في الفقه، وقرأ في الفرائض على الشيخ الخضر بن سليمان الهرش وفي الجبر والمقابلة.

وفاق في جميع ذلك حتى أقرَّ له أقرانه. وقال عن نفسهِ: أنه يقتدر على تقدير ما في البركة الكبيرة من الماء بالأرطال، وكان يتكسب بالتجارة مع قنوع وعفاف واشتغال بأنواع العبادة، فجمع مالاً حلالاً عاد به على أهلهِ وإخوانِهِ ومن يقصده. وكرَّر السفرَ إلى مكةَ المشرّفةِ وهو يزداد في أوصاف الخير على اختلاف أنواعها، حتى خالط الخوف قلبه، وشغل بوظائف العبادة قالبه، واستوحش من كل معارفه، ومال إلى الانعزالِ عن

الناس، وانجمع عن المخالطة لهم، وعكف على معالجة قلبه عن مرض حب الدنيا، ولزم المحاسبة لنفسه عن كل جليل ودقيق، وصامَ الأبد إلا العيدين والتشريق، وأحيا ليلَهُ بالقيامِ لمناجاةِ ربه، وتناقلَ الناسُ عنه كلمات نافعة، هي الدواء المجرب لإصلاحِ القلوبِ القاسية كقوله: (ليس الزاهد من يملك شيئًا إنما الزاهد من لا يملك شيئًا)، وكقوله لبعض إخوانه: (يا أخي جدِّد السفينة فإن البحر عميق، وأكثر الزاد فإن الطريق بعيد، وأخلص العمل فإن الناقد بصير، وكقوله: (بالفقر والافتقار والذل والانكسار تحيي قلوب العارفين) ومن شعره الذي تحيا به القلوب قوله:

ببابكَ عبدٌ واقفٌ متضرّعٌ مقلٌ فقيرٌ سائلٌ متطلعُ
حزينٌ كئيبٌ من جلالكَ مطرِقٌ ذليلٌ عليلٌ قلبهُ منقطعُ

ومنها:

فؤادي محزونٌ ونومي مشرّدٌ ودمعي مسفوحٌ وقلبي مرَوّعُ

وكان مجاب الدعوة في كل ما يتوجه له. وله في ذلك حكايات وروايات. وكان إذا دعيَ إلى طعامٍ ليس من الحلالِ الخالص، يبست يده ولم يقدر على مدها إليه. وقد رآهُ بعض الصالحين بعد موته وهو في مكان أرفع من مكان إبراهيم بن أدهم، فقال: سبحان الله منزلة إبراهيم الكينعي أرفع من منزلة إبراهيم بن أدهم! فسمع قائلاً يقول: لولا أن منازل الأنبياء لا يحلُّ بها غيرهم لكان بها إبراهيم الكينعي.

وجاورَ في آخر عمره ثلاث سنين بالبيت الحرام، فوصل إلى جازان وكان قد انقطع عنهم المطر مدةً طويلةً فسألوه أن يدعو لهم بالمطر، فدعا لهم فحصل من المطر ما عم نفعه وبركته جميع تلك البلدان. ثم وصل إلى صعده، وكان بها موته رحمه الله في صبح نهار الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٩٣ ثلاث وتسعين وسبعمائة. ووهم الضمدي في كتابه (الوافي بوفيات الأعيان) فقال: إنه توفي في سنة ٧٨٤ أربع وثمانين وسبعمائة.

والصحيح ما ذكرناه. وقُبِرَ برأسِ الميدان غربي مدينة صعدة. وعُمِّرَ عليه مشهدٌ وهو مشهور يُزارُ في تلك الديار. وقد رثاه جماعة من الشعراء منهم السيد العلّامة الهادي إبراهيم بقصيدة طنانة مطلعها:

شَجَرُ السّلامةِ والكرامةِ أينعي للقاءِ سيّدنا الإمام الكينعي

والإحاطة ببعض البعض من مناقب هذا الإمام تقصر عنها ألسن الأقلام، فمن رام

الوقوف على ما يكون له من أعظم العبر، فلينظر في سيرته التي قدمت الإشارة إليها. وقد بسط فيها الكلام على أحواله ووظايف عباداته.

٢ ـ **إبراهيم بن أحمد اليافعي الصّنعاني المولد والدار والوفاة:** الشاعرُ المشهورُ المُجيدُ الفائق في جميعِ الأنواعِ. فمن شعره القصيدة التي مطلعها:

هـذا العـذيـبُ بـدا فقـلّ بشـراكـا   والزمْ إخائي لا عَدِمتَ أخاكا

ومن شعره القصيدة التي مطلعها:

أعيدوا على سمعي الحديثَ وكرروا   قديمَ اللقاءِ والوقتُ كالعيشِ أخضرُ

ومنها في الاستخدام:

وأصبوا إلى وادي العقيقِ وسفحهِ   علـى وجنتـيَّ مـن مقلتـيَّ يتحـدّرُ

وقبله في الاستخدام أيضًا:

أَمِيـلُ إلـى ذكـرِ الغضـا وأنثنـي   ونيـرانـهُ فـي مهجتـي تَتَسعَّـرُ

وما أحسن قوله فيها:

أَهيـمُ بـذكـر المنحنـا وسـويلـعٌ   وأَنشَـقُ أنفـاسَ الصبـاحيـن تعبـرُ
ومـا هِمـتُ فـي قـدٍ وجيـدٍ ومقلـةٍ   ولا شـاقنـي ثغـرٌ شنيـبٌ مُعطّـرُ

وهو موجودٌ في دولة الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب. وفي دولة من قبله من الخلفاء. ومات يوم السبت الثالث والعشرين في شهر رجب سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف. وقد بالغ في حقه صاحب نسمة السحر، وقدَّمه على شعراء عصره، فلم يصب فهو لم يرتقِ إلى منزلة رفيقه ومعاصره الشيخ إبراهيم الهندي الآتي ذكره ولا كاد. وبالجملة فهو منسجم الشعر قليل التّكلُّف.

٣ ـ **إبراهيم بن أَحْمَد خَان سلطان الروم:** استولىٰ على السلطنة في أيام أخيه السلطان مراد بن أحمد، وتم له الدست. وكان سبب ذلك أن السلطان مراد تجهّزَ بجيوشه إلى محاصرة بغداد. وقد كان استولى عليها الشاه سلطان العجم، وهي كانت من ممالك السلطان مراد. فلما بَلَغَهُ أنَّ أخاه السلطان إبراهيم قد استولىٰ على الدست مات كمدًا.

واستقرت قدم صاحب الترجمة في السلطنة. وكان قعوده على دستها في سنة١٠٥٠ خمسين وألف، وله جهادات وفتوحات مشهورة. واستمرَّ سلطانًا إلى أن مات في سنة

١٠٦٣ ثلاث وستين وألف. وصارت السلطنة إلى ولده محمّد بن إبراهيم وكان يومئذٍ في سن البلوغ وابتدأ سلطنته بمصاولةِ الإفرنجِ وغزوهم إلى ديارهم.

٤ ـ إبراهيم بن أحمد بن نَاصِر بن خَليفة بن فَرَج بن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن[١] : المقدسي الناصري الباعُوني الدمشقي الصالحي الشافعي. وباعون بالموحدة والمهملة المضمومة قرية من قرى حوران بالقرب من عجلون. والناصرة قرية من عمل صفد. ولد في ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة ٧٧٧ سبع وسبعين وسبعمائة بصفد.

ونشأ بها فحفظ القرآن تجويدًا على الشهاب حسن بن حسن الفرغني إمام جامعها. وحفظ بعض المنهاج. ثم انتقل منها قريبًا من سن البلوغ مع أبيه إلى الشام، فأخذ الفقه عن الشرف الغزي وغيره. ولازم النور الأنباري، حتى حمل عنه الكثير من الفقه والعربية واللغة، وبه انتفع في علوم الأدب وغيرها. ودخل مصر لعله قريبًا من سنة ٨٠٤ أربع وثمان مائة، فأخذ عن السراج البلقيني ولازمه سنة. وأخذ عن الكمال الدميري شيئًا من مصنفاته، ولازمه وسمع إذ ذاك على العراقي والهيثمي وتردّد بها إلى غير واحد من شيوخها.

ثم عاد إلى بلده، فأقام بها على أحسن حال وأجمل طريقة. وسمع على أبيه والجمال ابن الشرائحي والتقي صالح بن خليل بن سالم وعائشة ابنة عبد الهادي والشمس بن حطاب. وباشر نيابة الحكم عن أبيه والخطابة بجامع بني أمية، ومشيخة الشيوخ، ونظر الحرمين. ثم صُرِفَ وجُهِّزَ إليه القضاء حين استقرّ الكمال بن البارزي في كتابة سر الديار المصرية، فامتنع وصمم وراجعه النائب وغيره من أعيان الرؤساء، فما أذعن وتكرر خطبه لذلك مرة بعد أخرى إلى أن قيل له: فعين لنا من يصلح. فعين أخاه وولّيَ مشيخة الخانقاه الباسطية من صالحية دمشق.

وروي عنه حكاية عجيبة، وهي أنه دخل على واقفها قبل أن يجعلها مدرسة فأعجبته وقال في نفسه إنه لا يتهيأ له سكون مثلها إلا في الجنة. فلما انفصل عنه بعد السلام عليه لم يصل إلى بابها إلا وبعض جماعة صاحبها قد تبعه، وأخبر أنه تحدّث عقب خروجه بأنه سيجعلها مدرسة ويقرره في مشيختها. ثم جعلها كذلك وقرره فيها. وهو محمود المباشرة في جميع ما تولاه يصمم على الحق ولا يلتفت إلى رسائل الكبراء في شفاعات ونحوها.

وله مؤلفات منها (مختصر الصحاح للجوهري) وهو مختصر حسن وله ديوان

(١) ترجمته في الشذرات ٧/٢٠٩ و ٣١٠.

خطب ورسائل وديوان شعر ومؤلف سماه (الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن) أتى فيه بمقاطيع فائقة نحو مائة وخمسين مقطوعًا أودع كلاً منها معنى غريبًا غير الآخر مع كثرة ما قال الناس في ذلك. وله رسائل عاطلة عن النقط من عجائب الوضع في السلاسة والانسجام. وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بغير مدافع، كذا قال السخاوي في تاريخه وابن حجر في معجمه. وقال المقريزي: أنه مَهَرَ في عدةِ فنون سيما الأدب، فله النظم الجيد. وكان يحكى أن الزيني عبد الباسط قال له: إن مراسلاتك المسجعة إلينا تبلغ أربع مجلدات، وإذا كان هذا مقدار ما كتبه إلى فرد من أفراد الناس فما ظنك بمجموع ما كتبه؟ والحاصل أنه وقع الاتفاق من جميع من ترجمه على أنه لم يكن في عصره من يدانيه في النظم والنثر.

مات يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول سنة ٨٧٠ سبعين وثمان مائة. وصُلي عليه بالجامع المظفري، ودفن بالروضة من سفح قاسيون بوصية منه. ومن شعره:

سَـلِ اللّـهَ ربـكَ مـا عنـدهُ ... ولا تسـألِ النـاسَ مـا عنـدهـمْ
ولا تَبْتغـي مـن سـواهُ الغِنـا ... وكـن عبـدُه لا تكـنْ عبـدهـمْ

وله:

سئمتُ من الدنيا وصحبةِ أهلها ... وأصبحتُ مرتاحاً إلى نقلتي منها
وواللّـهِ مـا آسـى عليهـا وأننـي ... وإن رغِبتْ في صحبتي راغبٌ عنها

وله:

إذا استغنـى الصـديـقُ وصـا ... رَ ذا وصـلٍ وذا قطـعِ
ولـمْ يبـدِ احتفـالاً بـي ... ولـم يحـرصْ علـى نفعـي
فـأنـأى عنـهُ أستغنـي ... بجـاهِ الصبـرِ والقنـعِ
وأحسـبُ أنـهُ مـا مـرَّ ... فـي الـدنيـا علـى سمعـي

٥ ـ **إبراهيم بن حسن بن أحمد بن محمّد اليعمري زاهد العصر وناسك الدّهر**: ولد سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف، وتلى الكتاب العزيز على شيخ القرآن العظيم صالح الجرادي، وأخذ في الآلات على شيخنا السيّد العلاّمة عبد الله بن الحسن بن عليّ بن حسين بن علي بن المتوكل. وأخذ الفقه والفرائض على السيد عليّ بن حسن الصعدي، وأخذ في علم السنّة على السيد العلاّمة الحسين بن عبد الله الكبسي. وانتفعَ بعلمهِ فعمِلَ به وعكِفَ على العبادةِ وتحلّى بالزهدِ، وصارَ عابدَ العصرِ وزاهده، وانتهى إليه الورع

وحسن السمت والتواضع، والاشتغال بخاصة النفس، واتفق الناس على الثناء عليه والمدح لشمائله. فصار المشار إليه في هذا الباب، وانتفع الناس بصالح دعواته وقصدوه لذلك. وهو الآن حسنة الزمن وزينة اليمن مع المحافظة على الشرع والاقتداء برسول الله ﷺ، والاستكثار من النوافل والأوراد.

وكان جده أحمد على هذه الصفة، التي حفيده هذا عليها زاده الله مما أولاه ونفع به. ومات رحمه الله لعشرين خلت من شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٦ ـ **إبراهيم بن حَسَن بن شِهاب الدِّين الكّوراني[1] الشهرزوري الشّهراني الكردي**: الشّافعي الإمام الكبير المجتهد. ولد في سنة ١٠٢٥ خمس وعشرين وألف، ببلاد شهران من جبال الكرد، ونشأ في عفة طاهرة. فأخذ في بلاده العربية، والمنطق والحساب، والهيئة والهندسة وغير ذلك. وكان دأبه إذا عَرِضَتْ له مسألة في فن، أتقن ذلك الفن غاية الإتقان. ثم قَرَأَ في المعاني والبيان والأصول والفقه والتفسير. ثم سمع الحديث عن جماعةٍ في غير بلاده، كالشام ومصر والحجاز والحرمين. وقد ذكر مشايخه في الأمم وترجم لكل واحد منهم.

وله مصنفات كثيرة حتى قيل إنها تنيف على ثمانين. منها (إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف) و (إتحاف المنيب الأواه بفضل الجهر بذكر الله)، و (إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات)، و (لوامع اللآل في الأربعين العوال)، و (مسلك الإرشاد إلى الأحاديث الواردة في الجهاد)، و (إنباه الإنباه في إعراب لا إله إلا الله)، و (قصد السبيل) وغير ذلك.

وبَرعَ في جميعِ الفنون، وأقرأ باللغة العربية والفارسية والتركية، وسكن بعد ذلك مكة المشرفة. وانتفع به الناس ورحلوا إليه، وأخذوا عنه في كل فن، حتى مات في ثامن عشر شهر جمادى الأولى سنة ١١٠١ واحدة ومائة وألف. ودفن بعد المغرب ببقيع الغرقد. وأنا أروي عن يوسف بن محمد بن علاء الدين، عن أبيه عن جده عنه بالسماع من علاء الدين منه.

٧ ـ **إبراهيم بن خالد بن أحمد بن قاسم العلفي ثم الصّنعاني**: ولدَ على رأسِ القرن الحادي عشرَ تقريبًا، وقيل سنة ١١٠٦ ست ومائة وألف، أو في التي بعدها. ونشأ بصنعاء، فطلب علم الفروع وحققه، ثم طلب بقية علوم الاجتهاد، فشارك فيها مشاركة

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٣٥.

قوية واشتهر بصنعاء وبعد صيته، وقصده طلبة علم الفروع، فأخذوا عنه وتنافسوا في ذلك واستفادوا وصاروا أعيانًا. وكان يقصد بالفتاوىٰ من العامة والخاصة ويعارض باجتهاداته وصحيح أنظاره أنظار أكابر علماء عصره، كالسيد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير وغيره، وللناس بما يصدر عنه من الفتاوى اشتغال ورغبة عظيمة. وهي مجموعةٌ في مجلدٍ جمعها العلاّمة حامد بن حسن شاكر الآتي ذكره.

وشَرَعَ في جمع حاشية على الأزهار، ولم تكمل وهو ممن يضرب بزهده المثل. ومات ولم يتزوج وكان موته في وسط القرن الثاني عشر. وأرّخه بعضهم في ثامن عشر شعبان سنة ١١٥٦ ست وخمسين ومائة وألف.

ومن مشايخه السيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى الشامي والسيّد العلاَّمة محمَّد بن إسماعيل الأمير، والسيّد العلاَّمة محمّد بن زيد بن محمّد بن الحسن بن القَّاسِم. ومولده برداع ثم هاجر إلى ذمار، وارتحل بعد ذلك إلى صنعاء واستقر بها حتى مات.

٨ ـ **إبراهيم[١] بن شيخ الأمير صارم الدين بن السلطان شيخ[٢]**: الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ولد بالبلاد الشامية في أوائل القرن الثامن تقريبًا. وأمه أم ولد اسمها نور، ماتت قبل سلطنة أبيه، ذكره ابن خطيب الناصرية فقال: كان مع أبيه وهو صغيرٌ حينَ كان نائب حلب ثم قدمها معه في أيام سلطنته، ثم لما جرده أبوه في سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمان مائة، لفتح البلاد القرمانية ومعه عدة من المقدمين كططر وجقمق وغيرهما ففتحها وفتح غيرها، وأقام هنالك ثلاثة أشهر.

ثم عادَ إلى حلب في أثناء رجب، ونزل بقلعتها وأقام بها إلى العشر الأخيرة من شعبان إلى أن رُسِمَ له بالرجوعِ إلى الديار المصرية، فرجعَ بالعساكر في أواخرِ شعبان وبرز أبوه لملاقاته في سابع عشر رمضان وتيمن بطلعته. فلم يلبث أن مات في يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ ثلاث وعشرين وثمان مائة، مسمومًا وكان شابًا حسنًا شجاعًا، عنده حشمة وملوكية، كريمًا عاقلاً مائلاً إلى الخير والعدل، والعفة عن أموال الناس. ولما لقيه الأمراء سلّم عليهم وهو راكب وبمجرد أن عاينَ الناصر بن البارزي كاتب السرّ نزل عن فرسه وتعانقا لعلمه بتمكنه عند أبيه. ثم عاد الجميع في خدمته إلى منزله فلقوا السلطان هنالك، فنزلَ الأمراءُ القادمون صحبة الأمير إبراهيم ثم نزل هو وقبل الأرض، ثم قام ومشى حتى قبل ركاب أبيه فبكى لفرحته به. وبكى الناس لبكائه وكانت ساعة عظيمة.

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ١٥٩.

(٢) المقصود به: شيخ المحمودي الظاهري.

ثم سارا بموكبهما إلى خانقاه سرياقوسي وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشر. وركب السلطان من الليل فرمى الطير بالبركة واصطاد ودخل السلطان القاهرة من باب النصر. وقد احتفل الناس بالزينة لولده وهو بتشريفٍ هائلٍ وخلفه الأسرىٰ الذين جاء بهم وهم نحو المائتين في الأغلال وكان يومًا مشهودًا. ونزل إلى داره واستمر على حاله، فدس كاتب السر إلى أبيه في غضون ذلك من يخبره أنه صار يتوعد أباه بالقتل، وأنه يتمنى موته لكونه يحب بعض حظاياه، ولا يتمكن منها إلا خفية. وبرهن على ذلك بأمارات وعلامات، وأنه صمم على قتله بالسم أو غيره إن لم يمت عاجلاً من المرض؛ مع ما في نفسه من محبة الاستبداد وإنه يعد الأمراء بمواعيد. فحينئذ أَذِنَ السلطانُ لبعضِ خواصِّه أن يعطيه ما يكون سببًا لقتله من غير إسراع.

فدسوا إليه من سقاه من الماء الذي يُطفى فيه الحديد، فلما شربه أحس بالمغص في جوفه، فعالجه الأطباء مدةً ونَدِمَ السلطان على ما فرط منه وأمر الأطباء بالاجتهاد في علاجه فلازموه نصف شهر، إلى أن تراجعت إليه بعض الصحة وركب في محفةٍ وكادَ أَنْ يتعافى، فدسّوا عليه من سقاه ثانيًا من غير علم أبيه، فانتكسَ واستمر إلى خامس عشر جمادى الأولى(١). ونزل أبوه لعيادته ثم مات في التاريخ المتقدم. واشتد جزع أبيه عليه إلا أنه تجلد، وأسف الناس كافة على فقده وشاع بينهم أن أباه سمه، إلا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك. قال السخاوي: ولم يعش أبوه بعده سوى ستة أشهر وأيامًا، كدأب من قتل أباه أو ابنه على الملك، فتلك عادة مستقرة وطريقة مستقرأة، وكذا قال ابن حجر. وصارَ الذين حسَّنوا له ذلك الفعل يبالغون في ذكر معايبه وينسبونه إلى الإسراف على نفسه، والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرّض لحرم أبيه، وغير ذلك مما كان براء عن أكثره وعند الله يجتمع الخصوم. وخطب ابن خطيب الناصرية يوم موته وهو يوم الجمعة خطبةً حسنةً سبك فيها قوله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون» فأبكى السلطان ومن حضر.

وبعد موته وقع الخلل في دولة والده السلطان، ومات الساعون في هلاك ولده واحدًا بعد واحد، ولم يستكمل بعده ابن البارزي أربعة أشهر.

٩ ـ الشّيخ إبرَاهِيم بن صَالِـح الهندي ثم الصَّنعاني الشَّاعر المشهور(٢): كانَ أشعر أهلِ عصرهِ غير مدافع، وله ديوان شعر في مجلدٍ ضخمٍ رأيته في أيام قديمةٍ، فوجدت فيه

(١) في شذرات الذهب ٧/١٥٩: ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة.
(٢) انظر هدية العارفين ٥/٣٤.

ما هو في الطبقة العليا والمتوسطة والسافلة ولكن الجيد أغلب. وكان يتشبّه في مدحهِ وحماستهِ بأبي الطيب. ومن فائق مقطعاته قوله:

أشبـــه ثغـــره وانقـــات فيـــه ... وقـــد لانـــت لـــرقّتـــه القلـــوبُ

لآلٌ قـــد نبتـــن علـــى عقيـــقٍ ... وبينهمـــا زمـــردةٌ تـــذوبُ

ومن مقطعاته في مليح يسبح في ماء:

وأبيـــضُ عـــاينتـــهُ ســـابحـــاً ... فـــي لجـــةٍ للمـــاءِ زرقـــاءِ

فقلـــتُ هـــذا البـــدرُ فـــي لجـــةٍ ... أم ذا خيـــالُ الشمـــسِ فـــي المـــاءِ

وكان والده من جملة البانيان الواصلين إلى صنعاء. فأسلم على يد بعض آل الإمام، وحسن إسلامه.

ونشأ ولده هذا مشغوفًا بالأدب مولعًا بعالي الرتب. وأكثر مدائحه في الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، ومدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم وابنه علي بن المتوكل، ومحمد بن الحسن.

ولما صارت الخلافة إلى المهدي صاحب المواهب وفد إليه صاحب الترجمة وقد كان بلغه عنه شيء فقال له: بأيِّ شفيع جئت؟ فقال له: بهذا وأخرج المصحف من صدره فقال: قد قبلنا هذا الشفيع ولكن لا أراك بعد اليوم فتغيَّب عنه من ذلك اليوم، ولازم العبادة والتزهّد. وكان إذا قامَ إلى الصلاةِ اصفر لونه. وحج، وماتَ عقب عوده في سنة ١١٠٠ مائة وألف أو في التي قبلها.

١٠ ـ **السيّد إبراهيم بن عَبد القَادِر بن أَحْمَد بن عَبد القَادِر بن النَّاصِر بن عَبْد الرّب بن عليٍّ بن شمس الدِّين بن الإمام شرف الدين العلاَّمة ابن شيخنا الإمام:** الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ولد في ليلة ثامن عشر رمضان سنة ١١٦٩ تسع وستين ومائة وألف. وتخرَّجَ بشيخنا والده رحمه الله في النحو والصّرفِ والمنطقِ والمعاني والبيان، والأصول والعروض واللغة والحديثِ والتفسير. وبرع في جميع هذه المعارف، وصارَ الآن من أعيانِ علماء العصرِ المفيدين المجيدين. ارتحل مع والده من كوكبان إلى مدينة صنعاء. وما زال مكبًا على القراءة على والده، ورافقني في بعض ما سمعته منه. وبعد موت والده في تاريخه الآتي قصده الطلبة إلى منزلِه، وقرأوا عليه في فنون متعددة. وله رسائل ومسائل مفيدة مع تواضعٍ وحسن أخلاق، وكرم وعفاف، وشهامة نفس، وصلابة دين، وحسن محاضرة، وقوة عارضة وفصاحة ورجاحة، وقدرة على النظم والنثر. وسيلان ذهن جمَّل الله بوجوده ونفع بعلومه. وهو الآن في قيد الحياة ما بين الأربعين

والخمسين. وله تلامذة نبلاء فضلاء، تخرّجوا به ولزموا طريقته، فصاروا من أعيان العلماء. والمترجم له عافاه الله لا يتقيد بمذهبٍ، ولا يقلِّد في شيءٍ من أمور دينه، بل يعمل بنصوصِ الكتاب والسنّة، ويجتهد رأيه وهو أهل لذلك. وله معرفة بعلوم أخرى غير ما قدمنا ذكره، منها ما استفاد عن والده، ومنها ما عرفه بفاضل ذهنه وقويم فكره.

وتوفي رحمه الله في يوم الأربعاء لعله ثالث عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

١١ - **السيّد إبراهيم بن عَبْد الله بن إسماعِيل الحوثيِّ ثم الصَّنعاني**: ولد ثامن شهر شوال سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة وألفٍ. وقرأ على شيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني، وعلى السيّد العلاَّمة علي بن عبد الله الجلال، وعلى السيّد العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد. ولعله أخذ عن شيخنا الإمام السيّد عبد القادر بن أحمد في آخر مدته.

واستفاد صاحب الترجمة في عدة علوم، منها النحو والصرف، والمنطق والمعاني، والبيان والأصول، والحديث والتفسير. وبرع في هذه العلوم، وتاقت نفسه إلى مطالعة فنون من علم المعقول. فأدرك فيها إدراكًا جيدًا، لجودة فهمه وحسن تصوره. وهو الآن ملازم للسيّد العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر المذكور قبله، ولا يفارقه في غالبِ الأوقاتِ فيستفيدُ منه ويُفيد.

وبالجملة فهو من محاسن الزمن، ومن الضاربين بسهم وافر في كل فن. وهو الآن يشتغل بجمع تراجم علماء القرن الثاني عشر من أهل اليمن. وقد بعث إليَّ بعضها فرأيته قد جوّدَ غالبَ تلك التراجم وطولها. وهو كمشايخه في اجتهادِ رأيه والعمل بما يقتضيه الدليل. ثم مات رحمه الله في يوم الأحد ثامن شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

١٢ - **إبراهيم بن عُمَر بن حَسَن بن الرُباط**[١]: بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ابن علي بن أبي بكر البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق، الإمام الكبير برهان الدين.

ولد[٢] تقريبًا سنة ٨٠٩ تسع وثمان مائة، بقرية من عمل (البقاع) ونشأ بها ثم تحوَّل إلى دمشق ثم فارقها، ودخل بيت المقدس ثم القاهرة، وقرأ على التاج بن بهادر في الفقه والنحو، وعلى الجزري في القراآت جميعًا للعشرةِ إلى أثناء سورة البقرة. وأخذَ عن التقي

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٢) في الشذرات ٧/ ٣٣٩ ولد كما قال هو: في ليلة الأحد تاسع شعبان سنة ٨٢١.

الحصني، والتاج الغرابيلي، والعماد بن شرف، والشرف السبكي، والعلاء القلقشندي والقاياني، والحافظ ابن حجر وأبي الفضل المغربي. وبرعَ في جميع العلوم، وفاق الأقران. لا كما قال السخاوي: أنه ما بلغ رتبة العلماء، بل قصارىٰ أمره إدراجه في الفضلاء، وأنه ما علمه أَتقنُ فنًا قال: وتصانيفه شاهدة بما قلته ـ قلت بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعض بما يخالف الإنصاف لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم، وتارة على الدنيا.

وقد كان المترجم له منحرفًا عن السخاوي، والسخاوي منحرفًا عنه، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر، ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول. وكثيرًا ما يشكل عليَّ شيءٌ في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب.

وقد نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا الكتاب. وأنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل وترسلوا عليه وأغروا به الرؤساء. ورأيت له رسالة يجيب بها عنهم، وينقل الأدلة على جواز النقل من الكتابين وفيها ما يشفي. وقد حجّ ورابط وانجمع، فأخذ عنه الطلبة في فنونٍ، وصنَّف التصانيف. ولما تنكر له الناس وبالغوا في أذاه لمّ أطرافه وتوجه إلى دمشق. وقد كان بَلغَ جماعة من أهلِ العلمِ في التعرّض له بكل ما يكره إلى حد التكفير، حتى رتبوا عليه دعوى عند القاضي المالكي، أنه قال: إن بعض المغاربة سأله أن يفصل في تفسيره بين كلام الله وبين تفسيره بقوله: أي أو نحوها دفعًا لما لعله يُتَوَهمْ. وقد كان رام المالكي الحكم بكفره وإراقة دمه بهذه المقالة، حتى ترامى المترجم له على القاضي الزيني بن مزهر، فعذره وحكم بإسلامه. وقد امتحن الله أهل تلك الديار بقضاة من المالكية يتجرون على سفك الدماء بما لا يحل به أدنى تعزير، فأراقوا دماء جماعة من أهل العلم جهالة وضلالة وجرأة على الله، ومخالفة لشريعة رسول الله، وتلاعبًا بدينه، بمجرد نصوص فقهية واستنباطات فروعية ليس عليها أثارة من علم. فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

ولم يزل المترجم له رحمه الله يكابد الشدائد، ويناهد العظائم قبل رحلته من مصر، وبعد رحلته إلى دمشق حتى توفاه الله بعد أن تفتت كبده كما قيل، في ليلة السبت ثامن عشر رجب سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمان مائة. ودفن خارج دمشق من جهة قبر

عاتكة، وقد ترجم له السخاوي ترجمة مظلمة كلها سب وانتقاص، وطولها بالمثالب، بل ما زال يحط عليه في جميع كتابه المسمى بـ (الضوء اللامع) لأن المترجم له كتب لأهل عصره تراجم ونال من أعراض جماعة منهم، لا سيما الأكابر الذين أنكروا عليه، فكان السخاوي ينقل قوله في ترجمة أولئك الأكابر ويناقضه وينتقصه. ولشعراء عصره فيه أمداح وأهاجي:

وما زالت الأشراف تُهجىٰ وتُمدَحُ

وهو كثير النظم، جيد النثر في تراجمه ومراسلاته ومصنفاته، وهو ممن رثى نفسه في حياته فقال:

نعَمْ إنني عمّا قريب لميتٌ ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحدثانِ
كأنك بي أنعى عليك وعندها ... ترى خبراً صمّت له الأذنانِ
فلا حسدٌ يَبْقىٰ لديكَ ولا قلى ... فينطقُ في مدحي بأي معانِ
وتنظر أوصافي فتعلم أنها ... علت عن مدان في أعز مكانِ
ويمسي رجالاً قد تهدّم ركنَهُمْ ... فمَدْمَعهُمْ لي دائمَ الهملانِ
فكم من عزيزٍ بي يذل جماحه ... ويطمعُ فيه ذو شقا وهوانِ
فيا ربَّ من تفجأ بهول يوده ... ولو كنت موجوداً لديه دعاني
ويا ربَّ شخص قد دهته مصيبة ... لها القلب أمسى دائم الخفقانِ
فيطلبُ من يجلو صداها فلا يُرىٰ ... ولو كنت جلتها يدي ولساني
وكم ظالم نالته مني غضاضة ... لنصرة مظلومٍ ضعيفَ جَنَانِ
وكم خطةٍ سامت ذووها معرة ... أعيدت بضربٍ من يدي وطعانِ
فإن يرثني مَنْ كنتُ أَجْمَعُ شملَهُ ... بتشتيتِ شملي فالوفاءُ رثاني

ومن محاسنه التي جعلها السخاوي من جملة عيوبه ما نقله عنه أنه قال في وصف نفسه: أنه لا يخرج عن الكتاب والسنّة بل هو متطبع بطباع الصحابة انتهى. وهذه مَنْقَبة شَريفة ومَرْتَبة منيفة.

١٣ ـ السيّد إبراهيم بن القَاسم بن المؤيد بالله محمّد بن الإمام القَاسِم بن محمَّد العلاَّمة الحافظ المؤرخ: مصنّف (طبقات الزيدية) وهو كتاب لم يُؤَلَّفُ مثله في بابه جعله ثلاثة أقسام: (القسم الأول) في من روى عن أئمة الآل من الصحابة. و (القسم الثاني) فيمن بعدهم إلى رأس خمسمائة و (القسم الثالث) في أهل الخمسمائة ومن بعدهم إلى

أيامه. وذكر جماعة من أعيان القرن الثاني عشر. و (مات) فيه. ولم أقف له على ترجمة. وقد ذَكَرَ في الكتابِ المذكورِ مشايخه وما سمعه منهم. وكل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة جعلها على حروف المعجم.

١٤ ـ السيّد إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمّد: ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، وأخذ العلم عن والده، وعن شيخنا السيّد العلاَّمة (علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر) وغيرهما.

وجدَّ في ذلك حتى صار من أعيان الزمن ومحاسن بني الحسن. له مكارم وفضائل وحسن أخلاق. واشتغال بالعلوم والعبادات، والقيام بوظائف الطاعات، وقضاء حوائج المحتاجين، والسعي في صلاح المسلمين ما لا يقدر على القيام به غيره. وكم تصل إليَّ منه رسائل ونصائح فيما يتعلق بشأن الدولة. ويأخذ علَيّ أَنَّهُ لا يحل السكوت. وله رغبة في المباحثات العلمية شديدة. بحيث أنه لا يعرض البحث في مسألة من المسائل إلا وفحّص عنه وسأل وراجع. وكثيرًا ما تفد عليَّ منه سؤالات أجيب عنها برسائل، كما يحكي ذلك مجموع رسائلي. مع أنه، نفع الله به، إذ ذاك عالي السن، قد قارب السبعين، وأنا في نحو الثلاثين. وهذا أعظم دليل على تواضعه.

ثم ما زال هذا دأبه إلى الآن، وهو صديقي وحبيبي، يدعوني إلى بيته المرة، بعد المرة. وله في المكارم مسلك لا يقدر عليه غيره. وفي حسن الأخلاق، وتفويض الأمور إلى المهيمن الخلاق أمر عجيب. وقد أعانه الله على بر والده، والقيام بواجب حقه، والمشي على ما يريده.

وكان والده رحمه الله رئيس آل إسحاق، والمتولي لأمورهم، بعد أن دعا إلى نفسه وبايعه الناس قاطبة، ثم اختار الله له التخلص من ذلك، فما زال على رئاسة أهل بيته حتى مات.

ثم قام ولده هذا مقامه أيامًا، فلم تطب نفس أخيه الأكبر السيّد العلاَّمة أحمد بن محمد، فخرج من صنعاء مغاضبًا للإمام المهدي رحمه الله. وسيأتي شرح ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى. وحاصله أنه صارَ مكان والده، ورغب صاحبُ الترجمةِ عن الرئاسة الدنيوية فاستبدل بالخيل والخول[1] الزهد والتقشف، وترك زي أبناء جنسه من بيت الخلافة والمملكة، ومع هذا فله جلالة في القلوب، ونبالة في النفوس، وضخامة

(١) الخَوَلُ: الأتباع، والخدم، والعبيد.

زائدة عند جميع الناس. إذا مرَّ به راكبٌ من آلِ الإمامِ أو من أكابرِ الوزراءِ والأمراء، والقضاة ترجل له وسلم عليه. وما رأيت مولانا الخليفة يجلُّ أحدًا، كإجلاله له، وهو حقيق بذاك وهو الآن حيٌ ينتفع به الناس.

١٥ ـ إبراهيم[1] بن محمّد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان المقدسي ثم القاهريّ الشافعي أخو الكمال محمّد الآتي ذكره: وُلِدَ ليلةَ الثلاثاءِ ثامنَ عشرَ ذي القعدة سنة ٨٣٦[2] ست وثلاثين وثمان مائة ببيت المقدس ونشأ به. فحفظ القرآن وهو ابن سبع، وتلاه تجويدًا لابن كثير وأبي عمرو.

وأخذ عن (سراج الرومي) في العربية والأصول والمنطق. وعن (يعقوب الرومي) في العربية والمعاني والبيان، بل سمع عليهما كثيرًا من فقه الحنفيةِ، وسمع على (التقي القلقشندي المقدسي) و (الزين ماهر) وآخرين، وأجاز له خلقٌ، ثم لما قَدِمَ القاهرةَ قرأَ على الإمامين الأقصراني في شرح (العقائد) والجلال المحلي في شرحه لـ (جمع الجوامع) وقرأ على جماعةٍ كثيرةٍ في فنون متعددة. ثم حجَّ سنة ٨٥٣ ثلاث وخمسين وثمان مائة وقرأ في مكة على (التقي بن فهد) و (أبي الفتح المراغي) و (المحب الطبري) وجماعة. وبرعَ في الفنونِ وأذِن له غير واحد بالإقراء والإفتاء. وصنَّفَ التصانيفَ، منها (شرح الحاوي) في مجلد ضخمٍ، ومنها شرح (قواعد الإعراب) في نحو عشرة كراريس، وشرح العقائد لابن دقيق العيد، وشرح المنهاج الفرعي، ونظم النخبة، ومختصرات كثيرة، كتهذيب المنطق للتفتازاني، والورقات لإمام الحرمين، وشذور الذهب، وعقائد النسفي واختصر الرسالة القشيرية، وله مصنفات غير هذه. ودرس في عدة فنون. وأخذ عنه الطلبةُ، واستقرَّ في تدريس التفسير بجامع ابن طولون، وفي غيره من الجوامع والمدارس. وولي قضاء الشافعيةِ بالقاهرة في ذي الحجة سنة ٩٠٦ عوض عبد القادر بن النقيب. واستمرَّ إلى ثالث ربيع الأول سنة ٩١٠ عشر وتسعمائة، فعزل بقاضي الشام الشهابي. وصار رئيس مصر وعالمها وعليه المدار في الفتيا.

ومن صلابته في الدين أنه اتفق للقضاة محنة مع الأشرف المذكور بسبب إقرار الزانيين اللذين أراد الأشرف رجمهما قاصدًا لإحياء هذه السنة. فصمم صاحب الترجمة على عدم موافقته في ذلك. فعزل القضاة الأربعة وشنق الزانيين، فوقف صاحب الترجمة عليهما وقال أشهد بين يدي الله بظلمهما. وأن قاتلهما يقتل بهما، فبلغ الأشرف ذلك

(١) له ترجمة حسنة في الشذرات ٨/١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) في الشذرات ٨/١١٨: ولد بالقدس الشريف سنة ٨٣٣ هـ.

فعزله عن مشيخة مدرسته، ثم بلغه الله إلى أن كان قُتِلَ الملك في حياته وانقراض دولته، فرد إليه معلومهما من أول ولايته لهما. وعُدَّ ذلك من شهامته وكمال دينه، فعظم به عند الخاص والعام مع لزوم منزله وتردد الناس إليه للانتفاع به في العلوم الشرعية والعقلية، حتى (مات)[١] في يوم الجمعة ثاني شهر المحرم سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة. وصلى عليه الخليفة المتوكل على الله العباسي صاحب مصر عقب صلاة الجمعة، ودفن بتربته التي أعدها في ساباط. وله نظم فمنه من قصيدة:

دموعي قد نمتْ بسرِّ غرامي ... وباحَ بوجدي للوشاةِ سُقامي

فأضحىٰ حديثي بالصبابةِ مسندا ... بمرسل دمعي من جفونٍ دوامي

ومن أخرى:

ما خلتُ برقاً بأرجاءِ الشآم بدا ... إلا تنفّستُ من أشواقي الصَعَدَا

ولا شممتُ عبيراً من نسيمكم ... إلا قضيتُ بأن أقضي به كَمَدَا

١٦ ـ إبراهيم بن محمّد بن خليل البرهان الطّرابلسي الأصل، الشامي المولد والدار الشافعي[٢]: ولدَ في ثاني عشر[٣] رجب سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة بالجَلُوم بفتح الجيم وتشديد اللام المضمومة. وماتَ أبوه وهو صغيرٌ فكفلته أمه وانتقلت به إلى دمشق، فحفظ بها بعض القرآن، ثم رجعت به إلى (حلب) فنشأ بها وأدخلته مكتب الأيتام، فأكمل به حفظه وصلى به على العادة التراويح في رمضان. وتلا تجويدًا على الحسن السايس المصري، وعلى الشهاب ابن أبي الرضىٰ والحراني. وقرأ في الفقه على ابن العجمي، وجماعة كالبلقيني وابن الملقن، وفي اللغة على مجد الدين صاحب القاموس، وفي الحديث على الزين العراقي والبلقيني، وابن الملقن أيضًا، وجماعة كثيرة، وارتحل إلى مصر مرتين لقيَ بها جماعة من أعيان العلماء، وإلى دمشق وإسكندرية وبيت المقدس، وغزة والرملة، ونابلس وحماه وحمص، وطرابلس وبعلبك. وروي عنه أنه قال: مشايخي في الحديث نحو المائتين، ومن رويت عنه شيئًا من الشعر دون الحديث بضع وثلاثون، وفي العلوم غير الحديث نحو الثلاثين وقد جمع الكل النجم ابن فهد في مجلدٍ ضخمٍ، وكذلك الحافظُ ابن حجرٍ واستقرّ بحلبَ ولما هاجمها

(١) في شذرات الذهب ٨/ ١٢٠: توفي فجر الجمعة ليومين بقيا من المحرم سنة ٩٢٣ هـ ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ويلقب بالقوف. سبط ابن العجمي.

(٣) في الشذرات ٧/ ٢٣٧: ولد في ثاني عشري رجب سنة ٧٥٣ هـ.

تيمورلنك طلع بكتبه إلى القلعة، فلما دخلوا البلد وسلبوا الناس، كان فيمن سُلِبَ حتى لم يبقَ عليه شيء ثم أسروه وبقي معهم إلى أن رحلوا إلى دمشقَ فأُطلِقَ ورجع إلى بلده فلم يجد أحدًا من أهله وأولاده. قال: فبقيت قليلاً، ثم توجَّهت إلى القرىٰ التي حول حلب مع جماعة فلم أزل هنالك إلى أن رجع الطغاة جهة بلادهم فدخلت بيتي فعادت إليَّ أَمَتي نرجس، ولقيت زوجتي وأولادي منها. وصعدتُ حينئذٍ القلعةَ فوجدت أكثر كتبي فأخذتها ورجعت، وقد اجتهد المترجم له في الحديث اجتهادًا كبيرًا، وسمع العالي والنازل وقرأ البخاري أكثر من ستين مرة، ومسلمًا نحو العشرين.

واشتغل بالتصنيف، فكتب تعليقًا لطيفًا على سنن ابن ماجه، وشرحًا مختصرًا على البخاري سماه: (التلقيح لفهم قارىء الصحيح) وهو في أربعة مجلدات، و (المقتضى في ضبط ألفاظ الشفا) في مجلد، و (نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس) في مجلدين، و (التيسير على ألفية العراقي) وشرحها مع زيادة أبيات في الأصل غير مستغنى عنها، و (نهاية السؤل في رواة الستة الأصول)[١] في مجلد ضخم، و (الكشف الحثيث عمن رمىٰ بوضع الحديث) في مجلد لطيف، و (التبيين لأسماء المدلسين)[٢] في كراستين، و (تذكرة الطالب المعلم فيمن يقال أنه مخضرم) كذلك و (الاعتباط فيمن رمي بالاختلاط).

قال السخاوي: وكان إمامًا علاَّمة حافظًا خيِّرًا ديِّنًا ورعًا متواضعًا، وافرَ العقلِ، حسن الأخلاق، متخلقًا بجميل الصفات، جميل العشرة، محبًا للحديث وأهله، كثير النصح والمحبة لأصحابه، ساكنًا منجمعًا عن الناس، متعففًا عن التردد إلى بني الدنيا قانعًا باليسير، طارحًا للتكلف، رأسًا في العبادة والزهدِ والورع، مُدِيمَ الصيام والقيام، سهلاً في التحدث، كثير الإنصاف والبشر لمن يقصده للأخذ عنه خصوصًا الغرباء، مواظبًا على الاشتغال والإشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظًا لكتاب الله كثير التلاوة له، صبورًا على الإسماع ربما أسمعَ اليومَ الكاملَ من غير مللٍ ولا ضجر. عرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع، وأصرَّ على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحد من قاضييها الشافعي والحنفي من تلامذته.

واتفق أنه في بعض الأوقات حوصرت حلب فرأى بعض أهلها في المنام السراج

---

(١) كشف الظنون ١٩٨٨/٢.

(٢) في كشف الظنون: ٣٤٣/١ «التبيين في أسماء المدلسين» لسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١ هـ لخصه من كتاب المراسيل للعلائي، وزاد عليه.

البلقيني فقال له: ليس على أهل حلبَ بأس، ولكن رح إلى خادم السنّة إبراهيم المحدِّث وقل له: يقرأ عمدة الأحكام ليفرِّجَ عن المسلمين. فاستيقظ فأعلم الشيخ فبادر إلى قراءتها في جمعٍ من طلبة العلم وغيرهم، يوم الجمعة بكرة النهار، ودعا للمسلمين بالفرج. فاتفق أنّه في آخر ذلك النهار نصر الله أهل حلب. وقد حدّث بالكثير وأخذَ عنه الأئمةُ طبقةً بعد طبقة، وألحق الأصاغرَ بالأكابرِ، وصارَ شيخُ الحديثِ بالبلادِ الحلبيةِ بلا مدافع. وممن أخذَ عنه من الأكابرِ ابن خطيب الناصرية، والحافظ ابن حجر، وامتحنه فأدخل عليه شيخًا في حديث مسلسل رام بذلك اختباره هل يفطن أم لا. فتنبَّه البرهانُ لذلك وقال لبعض خواصه، إنَّ هذا الرجل يعني ابن حجر لم يلقني إلا وقد صرت نصف رجل. إشارة إلى أنه قد كان عرض له قبل ذلك الفالج وأنسي كل شيء حتى الفاتحة ثم عوفي وصار يتراجع إليه حفظه كالطفل شيئًا فشيئًا. ولما دخلَ التقي الحصني حلبَ بلغني أنه لم يتوجه لزيارته لكونه كان ينكر على لابسي الأثواب النفيسة وعلى المتقشفين. فما وَسِعَ المترجم له إلا المجيء إليه فوجدهُ نائمًا بالمدرسة الشرفية، فجلس حتى انتبه. ثم سلّم عليه فقال له: لعلك التقي الحصني. ثم سأله عن شيوخه فسماهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحط أنت عليه! فما وَسِعَ التقي إلا أن أخذ نعلهُ وانصرف ولم يجسر يرد عليه.

ولم يزل على جلالته وعلو مكانه حتى (مات) مطعونًا في يوم الإثنين سادس عشر[1] شوال سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمان مائة وهو يتلو، ولم يغب له عقل. ودفن بالجبيل عند أقاربه.

١٧ - إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن عليّ بن المرُتضىٰ الوزيري[2]: العلاّمة الكبير مصنِّف (الهداية والفصول اللؤلؤية) ولد تقريبًا سنة ٨٦٠ ستين وثمان مائة. وقرأ بصنعاءَ وصَعْدَةَ على جماعةٍ من الشيوخ في الأصول، والعربية، والفقه، والحديث والتفسير وسائر الفنون.

ومن مشايخه السيّد عليّ بن محمّد بن المرتضىٰ، والسيّد عبد الله بن يحيى بن المهدي، والإمام المتوكل على الله المطهر بن محمّد بن سليمان، والقاضي علي بن موسى الدوَّاري، والغزولي المصري الواصل إلى اليمن، وغير هؤلاء. وبرعَ في جميع الفنون وصار المَرْجِعَ في عصره والمشار إليه بالفضيلة. وله مصنفات أشهرها وأجلّها ما

(١) في الشذرات ٧/٢٣٨: توفي بحلب ضحىٰ يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ٨٤١ هـ.

(٢) ترجمته في هدية العارفين ٥/٢٥.

تقدّم. وله نظم رائق. فمنه قوله:

وإنّـي وحبّـي للنبـيّ وآلـهِ ... وما اشتملت مني عليه ضلـوعُ
وأن أفلت منهم شموسٌ طوالعٌ ... يكـونُ لها بَعدَ الأُفـولِ طلـوعُ

وقد ترجمه السَّخاوي في (الضوء اللامع) فلم يزد على أن قال: السيّد إبراهيم بن محمّد بن عبد الله الصَّنعاني الآتي أبوه وابنه علي؛ كهل فاضل من أدباء صنعاء الموجودين بها بعد السبعين وثمان مائة. أنشدني ولده المشار إليه عنه من قوله في أبيات:

ولا صدّ عني ماجدُ ذو حفيظةٍ ... ولا هجـرتنـي زينـبٌ وسعَـادُ
ولكـنّ شعـري مثلما قـالَ شـاعرٌ ... حكيـمٌ زهيـرُ دونـه وزيـادُ
إذا أنكـرتنـي بلـدةٌ أو نكـرتها ... خـرجتُ مع البازي عليّ سوادُ
أبـت لـي نفـسٌ حـرةٌ أن أهينها ... وقـد شـرّفتها طيبـةٌ ومعَـادُ
فليست على خسفٍ تُقيمُ ببلدةٍ ... ولا بـزمـامِ الاحتقـارِ تُقـادُ

انتهى ما ذكره السخاوي ولم يزد عليه. وقد وهم في قوله ولده علي فليس له ولدٌ اسمه علي بل أولاده هم أحمد ومحمد والهادي شيخ الإمام شرف الدين. وهذه الأبيات ليست له بل هي لجده الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضىٰ، وفي الأبيات خلط.

ولم يزل المترجم له على حاله الجميل، حتى (مات) قبل العشاء الأخيرة من ليلةِ الأحدِ ثاني شهر جمادىٰ الآخرة سنة ٩١٤ أربع عشرة وتسعمائة.

١٨ ـ **السيّد إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل الأمير**: سيأتي ذكره في ترجمة ولده السيّد علي بن إبراهيم.

١٩ ـ **إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن صلاح السحولي الشجري**: سيأتي ذكره في ترجمة ولده محمد.

ذكر من اسمه أحمد

٢٠ ـ **أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن مسلم بن كعب**(١): العلاّمة أبو جعفر الأندلسي، الحافظ النحوي، ولد سنة ٦٢٧ سبع وعشرين وستمائة. وتلى بالسبع على أبي الحسن السّاوي وسَمعَ منه ومن إسحاق بن إبراهيم الطَوسي بفتح الطاء، وإبراهيم بن محمد بن الكمال، والمؤرخ أحمد يوسف، وأبي الوليد

---

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ١٦.

إسماعيل بن يحيى الأزدي، وأبي الحسين بن السراج، ومحمّد بن أحمد بن خليل السلوي وغيرهم. وجمع وصنّف وحدّث بالكثير، وبه تخرّج العلاَّمة أبو حيّان وصار علاَّمة عصره في الحديث والقراءة، وله ذيل على تاريخ ابن بشكوال، وجمع كتابًا في التفسير سماه: (ملاك التأويل)[1] وقال أبو حيان: كان يحرر اللغة وكان أفصح عالم رأيته. وتفقه عليه خلق.

وقال غيره: إنه انفرد بالإفادة ونشر العلم، وحفظ الحديث، وتمييز صحيحه من سقيمه، وصنّف تاريخ علماء الأندلس. وله (كتاب الإعلام فيمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام) وما زال على حاله الجميل إلى أن (توفي) في سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة في ثاني عشر شهر ربيع الأول منها. ومن مناقبه أَنَّ الفازاري الساحر ادّعى النبوة، فقامَ عليه، فاستظهر عليه بتقربه إلى أميرها بالسحر وأوذيَ أبو جعفر، فتحول إلى غرناطة، فاتفق قدوم الفازاري رسولاً من أمير (مالقة). فاجتمع أبو جعفر بصاحب غرناطة، ووصف له حال الفازاري فأذن له إذا انصرف بجواب رسالته، أن يخرج إليه ببعض أهل البلد ويطالبه من نائب الشرع ففعل فثبت عليه الحد وحكم بقتله فضرب بالسيف فلم يؤثر فيه. فقال أبو جعفر جرّدوه، فجردوه فوجدوا جسده مكتوبًا فغسل، ثم وجد تحت لسانه حجرًا لطيفًا فنزعه فعمل فيه السيف فقتله.

قال بعض من ترجمه كان ثقة قائمًا بالمعروف، والنهي عن المنكر دامغًا لأهل البدع.

وله مع ملوكِ عصرهِ وقائعَ، وكان معظمًا عند الخاصة والعامة.

٢١ ـ أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني بن محمّد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف بن خالد الشّيخ شهاب الدّين الأذرعيّ[2]: ولد بأذرعات الشام في سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة. وسمع من الحجاري والمزي، وحضر عند الذهبي. وتفقه على ابن النقيب، ودخل القاهرة فأخذ عن جماعة منهم: الفخر المصري، ثم أُلزِمَ بالتَّوجهِ إلى حلب وناب عن قاضيها نجم الدين بن الصائغ. فلما مات ترك ذلك وأقبل على الاشتغال والأشغال.

وراسل السبكي بالمسائل الحلبيات، وهي في مجلد مشهور. واشتهرت فتاويه بالبلاد الحلبية، وكان سريع الكتابة منطرح النفس، صادق اللهجة، شديد الخوف من الله.

---

(١) كشف الظنون ٢/١٨١٣.

(٢) ترجمته في وفيات ابن رافع بالترجمة ٢٦٤.

وله مصنف سماه: (جمع التوسّط والفتح بين الروضة والشرح) في عشرين مجلدًا. وشرح المنهاج بشرح سماه (غنية المحتاج) وبآخر سماه (قوت المحتاج)[1] وفي كل منهما ما ليس في الآخر. وقَدِمَ القاهرة بعد موت الشيخ جمال الدين الأسنوي. وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة. وأخذ عنه بعض أهلها. ولما قدم دمشق أخذ عنه جماعة.

وحكى عن نفسه أنه كان يكتب في الليل كراسًا تصنيفًا، وفي النهار كراسًا تصنيفًا لا يقطع ذلك. ولو كان ذلك مع المواظبة لكانت تصانيفه كثيرة جدًا. وكان فقيه النفس، لطيف الذوق، كثير الإنشاد للشعر. وكان يقول الحق وينكر المنكر، ويخاطب نواب حلب بالغلظة، وكان محبًا للغرباء محسنًا إليهم، معتقدًا لأهل الخير. وقد ذكر عنه كرامات ومكاشفات. وبالغ ابن حبيب في الثناء عليه. ومن نظمه:

يا موجدي من العدمْ أَقِلْ فقدْ زلَّ القدَمْ
واغفرْ ذنوباً قد مضىٰ وقوعها من القِدَمْ
لا عذرَ في اكتسابها إلا الخضوعَ والنَّدَمْ
إن الجوَّاد شأنُهُ غفران زلات الخَدَمْ

مات رحمه الله في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٧٨٣ ثلاث وثمانين وسبعمائة.

٢٢ ـ السيّد أحمد بن أحمد الأنسي القهدة اليماني المعروف بالزنمة[2] الشاعر المشهور: نشأ بصنعاء ومدح الإمام المؤيد محمّد بن إسماعيل بن القاسم، وكان حاد الطبع، سريع الانحراف، فعامله المؤيد بالله بالحلم، ومدح المهدي صاحب المواهب محمّد بن أحمد، وجرت له معه خطوب كثيرة، فلحق بمكة ومدح أميرها الشريف أحمد بن غالب بقصيدة طنانة، حثه فيها على أخذ اليمن لما جبل عليه من القحة. وأولها:

عجْ بالكثيب وحيِّ الحي من كثبِ فثمَّ يُذهِبُ ما بالصبِ من وصبِ
وانزلْ بحيث ترى الآرام سانحةً بين الخميسين والهندية القضبِ

فأحسن الشريف نزله، واجتمع هنالك بجماعة من أدباء العصر من مكة ومصر والهند والشام ومنهم حفيد الخفاجي صاحب الريحانة، وابن معصوم، والسيّد حسين بن عبد القادر. فاجتمعوا في منزل الشريف فقال الخفاجي: ها نحن قد اجتمعنا هذا

(١) كشف الظنون ٢/١٣٦٢ وفيه «قوت المحتاج في شرح المنهاج».
(٢) ذكره صاحب التاج بالصفحة ص ٣٥٩.

الاجتماع، وهؤلاء أدباء اليمن المشهورون، وأدباء الهند، والشام، ومصر وأنا أعمل ذيل الريحانة فهلموا فلينظم كل واحد منا قصيدة نبوية هذه الليلة، ومن أحرز قصبات السبق حكمت بانحياز الأدب إلى قطره، فنظم كل واحد منهم قصيدة ونظم صاحب الترجمة قصيدته المشهورة:

ألا حيِّ ذاك الحي من ساكني صنعا فكم أحسنوا بالنازلين بهم صُنْعَا

فحكم الخفاجي له بالسبق فحسدوه وتعصبوا، ففارق مكة وعاد إلى حضرة المهدي صاحب المواهب تائبًا. ومدحه بغرر القصائد ونال منه دنيا عريضة.

ومن محاسن شعره ما راجع به بعض أصحابه قائلاً في مطلع قصيدته:

أعقـودُ نظمـكَ أم حُبـابِ الـراحِ قـد راحَ يجلـوها خضيـبُ الـراحِ

ومن قصائده الفائقة القصيدة التي مطلعها:

ألمت تهادي والمعنف قد أغفىٰ

والقصيدة التي مطلعها:

أفـي أوجِ المـواهـبِ أصفهـانُ أم التخـتُ الـرفيـعُ وشـاهجـانِ

مدح بها المهدي لما وصل إليه رسول ملك العجم. وجرت له وقائع مع المهدي تارة يغضب عليه، وتارة يرضى عنه إلى أن (توفي) في سنة ١١١٩ تسع عشرة ومائة وألف، بجزيرة (زيلع). وشعره تارة يكون في أعلى طبقة وتارة يكون سافلاً وربما وجد فيه لحن. ووالده شاعر مشهور مدح المتوكل على الله إسماعيل، وهو دون ولده هذا في الشعر.

٢٣ ـ **أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بُرَيْدَة**[١]: بموحدة وراء ودال مهملة ثم هاء مصغرًا الشهاب الابشيطي، ثم القاهري الأزهري الشافعي، نزيل طيبة وأحد السادات. ولد في سنة ٨٠٢ اثنتين وثمان مائة بإبْشيط بكسر الهمزة ثم موحدة ساكنة بعدها معجمة ثم تحتانية وطاء مهملة، قرية من قرى المحلة من الغربية ونشأ بها، فحفظ القرآن وكذا العمدة والتبريزي. وأخذ الفقه عن ابن الصواف، وابن حميد، وابن قطب الدين وتلى القرآن على الرمسيسي. ثم انتقل إلى القاهرة في سنة ٨٢٠ عشرين وثمانمائة، فقطن جامع الأزهر مدةً وأخذ بها الفقه عن البرهان البيجوري، والشمس

---

(١) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

البرماوي، والولي العراقي، وجماعة. وأخذ المنطق عن العز بن عبد السلام، والنحو عن الشهاب أحمد الصنهاجي، والشمس الشنطوفي، والمحلي، والمحب بن نصر الله، والشرف السبكي. وسمع الحديث عن جماعة، منهم الولي العراقي، والحافظ ابن حجر، وبرع في الفقه وأصوله والعربية، والفرائض، والحساب، والعروض، والمنطق، وغير ذلك.

وتصدر للإقراء فانتفع به جماعة كالبكري، والجوجري. وصنَّف تصانيفَ. منها: (ناسخ القرآن ومنسوخه) ونظم أبي شجاع، والناسخ والمنسوخ للبارزي، وشرح الرحبية، والمنهاج الآصلي، ومختصر ابن الحاجب، وتصريف ابن مالك، وايساغوجي والخزرجية، وغير ذلك. وعُرِفَ بالزهد والعبادة ومزيد التقشف، والإيثار، والانعزال، والإقبال على وظائف الخير مع قلة ذات يده، بحيث لم يكن في بيته شيء يفرشه لا حصير ولا غيره، بل ينام على باب هنالك، ثم حج في سنة ٧٥٧ سبع وخمسين وسبعمائة، وزار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانقطع بالمدينة المباركة وعظم انتفاع أهلها به وحفظوا من كراماته وبديع إشاراته ما يفوق الوصف. وكان ذلك كلمة إجماع وصار في غالب السنين يحج منها، بل جاور بمكة في سنة ٧٧١ إحدى وسبعين وسبعمائة، وامتنع من التحديث في المدينة النبوية أدبًا مع أبي الفرج المراغي فيما قيل. قال السخاوي: والظاهر أنه للأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

مات بعد عصر يوم الجمعة تاسع رمضان سنة ٧٨٣[1] ثلاث وثمانين وسبعمائة، ودفن بالبقيع بالقرب من قبر الإمام مالك ومن نظمه في السبع المنجيات:

المنجياتُ السبعُ منها الواقعة ... وقبلها ياسينُ تلك الجامعة

والخمسُ الانشراحُ والدخانُ ... والملكُ والبروجُ والإنسانْ

٢٤ ـ أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم شرف الدين[2]: التبريزي الكوراني القاهري، ثم الرومي الشافعي، عالم بلاد الروم. ولد في سنة ٨١٣ ثلاث عشرة وثمان مائة بقرية من كوران. وحفظ القرآن وتلى السبع على القزويني البغدادي، وقرأ عليه الكشَّاف وحاشيته للتفتازاني. وأخذ عنه النحو مع علميّ المعاني والبيان والعروض، وكذا اشتغل على غيره في العلوم. وتميَّز في الأصلين والمنطق وغيرها، ومهر في النحو والمعاني والبيان وغير ذلك من العقليات وشارك في الفقه. ثم

(١) في الضوء اللامع ٢٣٦/١: كانت وفاته الجمعة ٩ رمضان سنة ٨١١٣.

(٢) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٦٠ ـ وفي الشقائق النعمانية ص ٥١ ـ ٥٥.

تحوّل إلى حصن كيفا فأخذَ عن الجلالِ الحلواني في العربية. وجال في بغداد وديار بكر، وقَدِمَ دمشق في حدود الثلاثين. فلازم العلاء البخاري وانتفع به، وكان يرجح الجلال عليه. وكذا قدم مع الجلال بيت المقدس. وقرأ عليه في الكشَّاف.

ثم قدم القاهرة في حدود سنة خمس وثلاثين وهو فقير جدًا فأخذَ عن ابن حجرٍ في البخاري، وشرح الألفية للعراقي، ولازمه وغيره. وسمع صحيح مسلم عن ابن الزركشي، ولازم الشرواني كثيرًا وقرأ عليه صحيح مسلم والشاطبية. وأكبَّ على الاشتغال والأشغال بحيث قرأ على العلاء القلقشندي في الحاوي. ولازم حضور المجالس الكبار، كمجلس قراءة البخاري بحضرة السلطان وغيره. واتصل بالكمال البارزي فنوه به وبالزيني عبد الباسط وغيرهما من المباشرين والأمراء، بحيث اشتهر. وناظر الأماثل. وذكر بالطلاقة والبراعة، والجرأة الزائدة. فلما ولّي الظاهر جقمق وكان يصحبه تردّد إليه، فأكثر وصار أحد ندمائه وخواصه، فانثالت عليه الدنيا فتزوج مرة بعد أخرى لمزيد رغبته في النساء مع كونه مطلاقًا قال السخاوي: وظهر لما ترقَّع حاله ما كان كامنًا عليه من اعتقاد نفسه الذي جرّ إليه الطيش والخفة.

ولم يلبث أن وقع بينه وبين حميد الدين النعماني المنسوب إلى أبي حنيفة. والمحكي أنه من ذريته مباحث تسطًا فيها عليه وتشاتما بحيث تعدىٰ هذا إلى آبائه. ووصل علم ذلك إلى السلطان فأمر بالقبض عليه، وسجنه بالبرج. ثم ادّعى عليه عند قاضي الحنفية ابن الديري وأقيمت البينة بالشتم، وبكون المشتوم من ذرية الإمام أبي حنيفة وعزر بحضرة السلطان نحو ثمانين ضربة، وأمر بنفيه، وأخرج عن تدريس الفقه بالبرقوقية، فاستقر فيه الجلال المحلي (اهـ) قلت: وقد لطف الله بالمترجم له بمرافعته إلى حاكم حنفي، فلو روفع إلى مالكي لحكم بضرب عنقه. وقبّح الله هذه المجازفات والاستحلال للدماء والأعراض، بمجرد أشياء لم يوجب الله فيها إراقة دم، ولا هتك عرض. فإن ضرب هذا العالم الكبير نحو ثمانين جلدة ونفيه، وتمزيق عرضه، والوضع من شأنه بمجرد كونه شاتم من شاتمه ظلم بيِّن، وعسف ظاهر. ولا سيما إذا كان لا يدري بانتساب من ذكر إلى ذلك الإمام. لا جَرَمَ قد أبدله الله بسلطانٍ خيِّرٍ من سلطانه، وجيران أفضل من جيرانه، ورزق أوسع مما منعوه منه، وجاه أرفع مما حسدوه عليه، فإنه لما خرج توجه إلى مملكة الروم.

وما زال يترقىٰ بها حتى استقر في قضاء العسكر وغيره، وتحول حنفيًا، وعظم اختصاصه بملك الروم، ومدحه وغيره بقصائد طنانة، وحسنت حاله هنالك جدًا بحيث لم يصر عند (السلطان محمد مراد) أحظى منه. وانتقل من قضاء العسكر إلى منصب

الفتوى. وتردد إليه الأكابر وشرح (جمع الجوامع) وكثر تعقبه للمحلي وعمل تفسيرًا، وشرحًا على البخاري، وقصيدةٍ في علم العروض نحو ستمائة بيت. وأنشأ باسطنبول جامعًا ومدرسة سماها دار الحديث وانثالت عليه الدنيا. وعمَّر الدور وانتشر علمه، فأخذ عليه الأكابر، وحج في سنة ٨٦١ هـ إحدى وستين وثمانمائة. ولم يزل على جلالته حتى مات في أواخر سنة ٨٩٣ هـ ثلاث وتسعين وثمانمائة وصلى عليه السلطان فمن دونه ومن مطالع قصائده في مدح سلطانه:

هو الشمسُ إلا أنه الليثُ باسلاً هــو البحـرُ إلا أنــه مــالــكُ البـرِّ

وقد ترجمه صاحب (الشقائق النعمانية) ترجمة حافلة. وذكر فيها أن سلطان الروم السلطان محمد عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، وأنه أتاه مرة مرسوم من السلطان، فيه مخالفة للوجه الشرعي فمزقه. وأنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له، ولا يقبِّل يده بل يصافحه مصافحة. وأنه كان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه، وكان يقول له: مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط. وذكر له مناقب جمّة تدل على أنه من العلماء العاملين لا كما قال السخاوي.

٢٥ ـ أحمد بن أُويس بن الشَّيخ حَسَن بن الحُسين بن آقْبَغا بن أيلكان بن القان غيّاث الدِّين: صاحب بغداد وتبريز وسلطانهما. ملك بعد أبيه المتوفي بتبريز في سنة ٦٧٦ ست وسبعين وستمائة، فأقام إلى سنة ٦٩٥ خمس وتسعين وستمائة، ثم قدم حلب ومعه نحو أربعمائة فارس من أصحابه، جافلاً من تيمورلنك حين استيلائه على بغداد لائذًا بالطاهر برقوق. فأرسل الأمر بإكرامه. ثم استقدمه القاهرة وبالغ في إكرامه بحيث تلقاه. وأرسل له نحو عشرة آلاف دينار، ومائتي قطعة قماش، وعدة خيول وعشرين جارية ومثلها مماليك. وتزوج السلطان أختًا له، وأقام في ظله إلى أن سافر معه حين توجهه بالعساكر إلى جهة الشام وحلب.

فلما رجع عاد أحمد إلى بلاده، بعد أن ألبسه تشريفًا وتزايدت وجاهته وجلالته، فلم يلبث أن ساءت سيرته، وقتل جماعة فوثب عليه الباقون، وأخرجوه وكاتبوا نائب تيمورلنك بشيراز ليستلمها ففعل، وهرب هذا إلى قرا يوسف التركماني بالموصل. فسافر معه إلى بغداد فالتقى به أهلها فكسروه، وانهزما نحو الشام وقطعا الفرات ومعهما جمع كبير من عسكر بغداد والتركمان. ونزلا بالسّاجور قريبًا من حلب، فخرج إليهما نائب حلب وغيره من النواب فكانت وقعة فظيعة، انكسر فيها العسكر الحلبي وأسر نائب

(١) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

حماه. وتوجها نحو بلاد الروم، فلما كان قريبًا من بهسنى التقاه نائبها وجماعة فكسروه واستلبوا منه سيفًا يقال له (سيف الخلافة) وغير ذلك.

وعاد إلى بغداد فدخلها ومكث بها مدة حاكمًا، ثم جاء إليها التتار فخرج هاربًا بمفرده. وجاء إلى حلب في صفر سنة ٧٠٦ ست وسبعمائة، وهو بزي الفقراء فأقام بها مدةً، ثم رسم الناصر باعتقاله فاعتقل بها. ثم طلب إلى القاهرة فتوجه إليها، واعتقل في توجهه بقلعة دمشق، ثم أطلق بغير رضاء السلطان، وعاد إلى بغداد ودخلها بعد أن نزل التتار عنها بوفاة تيمورلنك. واستمر على عادته وتنازع هو وقرا يوسف، فكانت الكسرة عليه فأسره وقتله خنقًا في ليلة الأحد سلخ شهر ربيع الآخر سنة ٧١٣ ثلاث عشر وسبعمائة. وقد طوّل ابن حجر ترجمته في أنبائه، وقال أنه سار السيرة الحائرة وقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان.

قال وكان سفاكًا للدماء متجاهرًا بالقبائح وله مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقى وله شعر كثير بالعربية وغيرها وكتب الخط المنسوب، مع شجاعة ودهاء وحيل، ومحبة لأهل العلم. وقال ابن خطيب الناصرية كان مهيبًا له سطوةٌ على الرعية، فتاكًا منهمكًا على الشربِ واللذّات، له يد طولى في علم الموسيقى.

٢٦ ـ الإمام المهديّ أَحْمَد بن الحسن بن الإمام القَّاسِم بن محمَّد: سيأتي تمام نسبه في ترجمة والده. ولد رحمه الله سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف. ثم لما بلغ مبلغ الرجال، ظهرت منه شجاعة وبراعة وقوة جنان، وإقدام زائد، ووقع منه في أيام عمّه المؤيد بالله محمد بن القاسم بعد موت والده المجاهد الحسن بن الإمام بعض مخالفة. ثم عاد الأمر إلى الموافقة واستمر في أيام المؤيد إلى آخرها.

ثم في أيام عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. وجاهد في أيامه الجهادات المشهورة وأوقع بأهل البغي الوقعات المأثورة ودخل بالجيش، مرة بعد أخرى، إلى حضرموت، ودوّخ تلك الممالك، وأذعن له سلاطين يافع، بل وصلوا تحت ركابه إلى الإمام. ثم دخل الجوف مرة بعد مرة، وما زال في مجاهدة ومناصرة للحق ومدافعة للظلمة والبغاة، حتى مات عمه المتوكل على الله، فاجتمعت الكلمة من العلماء والرؤساء والسادة والأكابر عليه وبايعوه. ووقع من قاسم بن المؤيد بعض المخالفة ثم عاد الأمر إلى الموافقة.

وكانت بيعته عند موت الإمام المتوكل على الله في التاريخ الآتي في ترجمته.

واستمر كذلك مجاهدًا قائمًا بالدفع عن المسلمين إلى أن توفاه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف، وقبر بمشهده المشهور بالغراس. وما زال مقصودًا بالزيارة من كثير من الناس إلى هذا التاريخ. وهو من أعظم الأئمة المجاهدين الباذلين نفوسهم لدفع المعاندين. بلّ الله ثراه بوابل رضوانه.

٢٧ ـ السيّد أحْمد بن الحَسَن أحْمَد بن حَميد الدِّين بن المطهر بن الإمام شَرَفْ الدِّين: الشّاعر الأديب الصَّنعاني مؤلف (ترويح المشوق في تلويح البروق) ذكر فيه ما دار بينه وبين جماعة من أهل عصره. وقد ترجم له محمد أمين في نفحة الريحانة، وترجم له صاحب مطلع البدور.

ومن نظمه الفائق القصيدة التي أنشأها على روي قصيدة ابن مطروح:

بـأبـي وبـي طيـف طـرق ... عـذب اللمـا والمعتنـقُ

فقال صاحب الترجمة:

إيـاكَ مـن سـودِ الحـدْقِ ... فهـي التـي تكسـو القلـقُ
لا يخـدعنـك حسنهـا ... فـالأمـن يتبعـه الفـرقُ
واحـذر مـلاطفـة الغـوا ... نـي بـالتـذلـل والملـقُ
يـا أيهـا المـولـى الـذي ... أنـا مـن مـواليـه أرقُ

ثم أطال من هذا، وهو ليس بطائل. ومن شعره القصيدة التي مطلعها:

يـا رشـاء أشمـتَ بـي العـواذلا ... مـا لـك جـانبـت الـوفـاءَ عـادلا
مـا زلـت تـولينـي صـدوداً دائمـاً ... قـد نصبـتَ لـي هـدبـكَ الحبـائـلا
أوقعتنـي فيهـا فلمّـا وقعـت ... نفسـي مـا حصلـتُ منهـا طـائـلا

وهي قصيدة طويلة. ومن نظمه القصيدة التي مطلعها:

للّـهِ أيـام الغـزلْ ... مـا بيـن معتـرك المُقـلْ
أيـام ركضـي فـي ميـا ... ديـن المسـرة والجـذل

وهي قصيدة طويلة. ومن شعره الأبيات التي أولها:

سقـىٰ الأَثَـلُ كـل سحـاب مظلـه ... عليـه ولا بـرحـتْ مستهلـهُ

ومن شعره:

قَـدِمَ الـربيـعُ وخيـرُ مَقـدمِ ... والغيـثُ أثجـمَ ثـم أثجـمَ

ومقـــــدمُ الأنـــــواءُ لـــــو صلـــى الـــولـــي وراه سلّـــمَ
والجـــوُّ ينشـــر مطـــرفـــاً لـــك فـــاختـــي اللـــون معلّـــمَ
والسحـــــبُ مـــــدّ رواقَ ديـ ـبـــاجٍ بســـاحتنـــا وخيَّـــمَ
والـــروضُ نمقـــه الغمـــا مُ بحســـن صنعتِـــه ونمَّـــمَ
فبـــدا يـــروقُ النـــاظـــريـــنَ كـــأنـــهُ بـــردٌ مسهَّـــمَ

وهي أبيات جيدة وتوفي في سنة ١٠٨٠ ثمانين وألف.

٢٨ ـ **أحمد بن الحسَنْ المَعْرُوف بالجاربرّدي**[١]: نزيل تبريز. أحد العلماء المشهورين، أخذ عن الشيخ عمر بن نجم الدين. وعن نظام الدين الطوسي وغيرهما، وأخذ عنه جماعة، ولعل من جملة من أخذ عنه العضد شارح مختصر ابن الحاجب.

قال الأسنوي: كان عالمًا ديِّنًا وقورًا، مواظبًا على الاشتغال والتصنيف. وقال غيره: كان أحد الشيوخ بتلك الجهات. وله مصنفات، منها شرح منهاج البيضاوي، وشرح الحاوي الصغير، وشرح شافية ابن الحاجب، وله على الكشّاف حواش مفيدة. ومات سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة.

٢٩ ـ **الفقيه أَحْمَد بن حَسَنْ الزهيري**: أديبُ العصرِ وشاعره. ولد تقريبًا سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. وله في النظم اليد الطولى، وجميعه غرر والسافل منه قليل.

وقد وقفت على ديوانه في مجلد لطيف، وأكثره في مدح أهل كوكبان السيد أحمد بن محمد بن الحسين، وأخيه عبد القادر، وإبراهيم، وعيسى. وقليل منه في غير هؤلاء من أعيان كوكبان، كأولاد الأربعة الأخوة المذكورين. وله في مدحِ مولانا الإمام المهدي العباس بن الحُسَين رحمه الله قصائد. ومع طول باعه في الأدب له في الوعظ مسلك حسن، ويأتي فيه بالرقائق ويستطرد كثيرًا من الأشعار التي لها موقع في القلوب، ومطابقة في المقام، وكان يجتمع عليه بجامع صنعاء جم غفير. ولوعظه في القلوب قبول، وله معرفة تامة بعلم الآلة، والحديث والتفسير والأدب. وفيه ميل إلى الطريقة، وتشبه بأهلها. وله في حسن المحاضرة وحلاوة المفاكهة وملاحة النادرة، وإملاء غرائب الأخبار والأشعار، ما ليس لغيره، فهو لا يمل جليسه.

وقد وفد إليّ مرات متعددة، وجرىٰ بيني وبينه من المطارحات الأدبية والمسائل

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/١٤٧٨.

قال حاجي خليفة: العلاّمة فخر الدين أحمد بن حسن الجاربردي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ.

العلمية ما لا يأتي عليه الحصر. ولا أقدم عليه في جودة الشعر أحدًا ممن أدركته من أهل العصر. وشعره مشهور بأيدي الناس، ولهم إليه رغبة كاملة، وهو حقيق بذاك فإنه جامع بين الجزالة والجودة، وحسن السبك، وقوة المعاني، وكثيرًا ما يمشي في شعره على نمط العرب ويتشبه بهم، وينتحي طريقهم. من غرر شعره قصيدته التي يقول فيها:

بلوغُ المنىٰ وصل الأحبةِ فاعلمِ ... ولم تلتفتْ عن مغنمٍ خوفَ مَغْرَمِ
ومَنْ حاولَ الأمرَ المُحالَ بعزمِهِ ... ينلهُ ومَنْ يعجزْ عن الحَزْمِ يحرَمِ
معاهدُ أنسٍ مِنْ أراكة أسلمِ ... أصخت لها أذني فلم تتكلّمِ
دعتني فلبّاها فؤادي وأدمعٍ ... سقىٰ واديها مثل صوب مثجَّمِ
أُسائِلُها عن أهلها فتجيبني ... فأصغي ولكن الصدىٰ صوتُ أعجمِ
وما العزُّ إلا فوقَ كل مطهَّمٍ ... من الجردِ ما بين الخميسينِ أدهمِ
من الصّخرِ إلا أنهُ فوقَ أربُعٍ ... من الهَوَجِ قدْ شُدَّتْ بخلقٍ مطهَّمِ
إذا قِلتُ مِنْ حرِّ الهجيرِ بظلِّهِ ... فقلْ أنا ضاحٍ تحتَ ظلِّ المقلَمِ
وخيرُ النفوسِ السايلاتِ على القنا ... وخير المنايا تحت أزرق سلجمِ

ومن قصائده الطنانة القصيدة التي مطلعها:

وُعِدَتْ بوصلِ عميدها بشرٍ ... صدقت وما صدَقَ المنىٰ صبرُ

وكم له من قصائد فرائد. وهو الآن في الحياة إلا أنه قد ضعف عن الحركة بسبب فالج أصابه، ولعله قد جاوز السبعين. ومات يوم الأربعاء ثامن محرم سنة ١٢١٤ أربع عشرة ومائتين وألف بصنعاء.

٣٠ ـ أحمد بن حسين بن حَسَنْ بن عليّ بن يوسف بن عليّ بن أرسلان[(١)]: بالهمزة، وقد تحذف في الأكثر بل هو الذي عليه الألسنة، الشهاب أبو العباس الرملي الشافعي، نزيل بيت المقدس، ويعرف بابن رسلان.

ولد في سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة وقيل في سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة برملة[(٢)]، ونشأ بها لم يعلم له صبوة، فحفظ القرآن وله نحو عشر سنين، وكان في الابتداء يشتغل بالنحو واللغة، والشواهد والنظم. وقرأ الحاوي على القلقشندي وابن الهائم. وأخذ عنه الفرائض والحساب، وولي تدريس الخاصكية، ودرس بها مدة ثم

---

(١) ترجمته في الشذرات ٧/٢٤٨ و ٢٤٩ وفي التاج المكلل ص ٣٦١
(٢) المقصود بها: رملة فلسطين كما جاء في الشذرات ٧/٢٤٨.

تركها وأقبل على الله وعلى الاشتغال تبرعًا، وعلى التصوف. وجلس في الخلوة مدة لا يكلم أحدًا. وأخذ عن جماعة من أهل الطريقة، وسمع من جماعة في الحديث وغيره حتى صار إمامًا في الفقه وأصوله والعربية، مشاركًا في الحديث والتفسير والكلام وغير ذلك، مع حرصه على سائر أنواع الطاعات من صلاة وصيام، وتهجد ومرابطة بحيث لم تكن تخلو سنة من سنيه عن إقامة على جانب البحر، قائمًا بالدعاء إلى الله سرًا وجهرًا، آخذًا على أيدي الظلمة مؤثرًا محبة الخمول، والشغف بعدم الظهور، تاركًا لقبول ما يعرض عليه من الدنيا ووظائفها، حتى أن الأمير حسام الدين حسن جدد بالقدس مدرسة، وعرض عليه مشيختها وقرر له فيها كل يوم عشرة دراهم فضة فأبى، بل كان يمتنع من أخذ ما يرسل به هو وغيره إليه من المال ليفرقه على الفقراء، وربما أمر صاحبه بتعاطي تفرقته بنفسه. وله محافظة على الأذكار والأوراد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. معرضًا عن الدنيا وبنيها جملة. حتى أنه لما سافر الأشرف إلى آمد هرب من الرملة إلى القدس في ذهابه وإيابه لئلا يجتمع به. وما زال في ازدياد من الخير والعلم حتى صار المشار إليه بالزهد في تلك النواحي. وقُصِدَ للزيارة من سائر الآفاق، وكثرت تلامذته ومريدوه، وتهذب به جماعة وعادت على الناس بركته. قال السخاوي: وهو في الزهد والورع والتقشّف واتباع السنّة وصحة العقيدة كلمة إجماع، بحيث لا أعلم في وقته من يدانيه في ذلك، وانتشر ذكره، وبعد صيته، وشَهِدَ بخيره كل من رآه انتهى.

وقال ابن عذيبة: وكان شيخًا طويلاً تعلوه صفرة، حسن المأكل والملبس والملتقى.

له مكاشفات ودعوات مستجابات. ولما اجتمع مع العلاء البخاري الآتي ذكره إن شاء الله، وذلك في ضيافة عند ابن أبي الوفاء بالغ العلاء في تعظيمه بحيث أنه بعد الفراغ من الأكل بادر يصب الماء على يديه. ورام الشيخ فعل ذلك معه فما مكنه. وصرّح بأنه لم يرَ مثله. واجتمعا اجتماعًا آخر عند قدوم العلاء البخاري إلى القدس، فإنه اجتمع به ثلاث مرات. الأولى، جاء إليه مسلِّمًا وجلسا ساكتين، فقال له الشيخ ابن أبي الوفاء: يا سيدي هذا ابن رسلان. فقال أعرف، ثم قرأ الفاتحة وتفارقا. والثانية، أول يوم من رمضان اجتمعا وشرع العلاء يقرر أدلة ثبوت رؤية هلال رمضان بشاهد، ويذكر الخلاف في ذلك، وابن رسلان لا يزيد على قوله نعم وانصرفا. ثم إنّ العلاء في الليلة العاشرة سأل ابن أبي الوفاء في الفطر مع ابن رسلان فسأله فامتنع. فلم يزل يلح عليه حتى أجاب. فلما أفطر أحضر خادم العلاء الطشت والإبريق بين يدي العلاء فحمل العلاء الطشت بيديه معًا، ووضعه بين يدي ابن رسلان، وأخذ الإبريق من الخادم وصب عليه

حتى غسل، ولم يحلف عليه؛ حتى ولا تشوش، ولا توجه لفعل نظير ما فعله العلاء معه. غير أنه لما فرغ العلاء من الصب عليه دعا له بالمغفرة، فشرع يؤمِّنُ على دعائه ويبكي.

وله مصنفات. منها في التفسير قطع متفرقة، وشرحه لسنن أبي داود، وهو في أحد عشر مجلدًا. وشرع في شرح البخاري ووصل فيه إلى آخر الحج في ثلاثة مجلدات. وشرح جمع الجوامع في مجلد، ومنهاج البيضاوي في مجلدين، ومختصر ابن الحاجب، وله غير ذلك مما يكثر تعداده. وله نظم في أنواع من العلم كالمنظومة في الثلاث القراآت الزائدة على السبع، وفي الثلاث الزائدة على العشر. وما زال رحمه الله على وصفه الجميل، حتى مات[1] في يوم الأربعاء رابع عشر شعبان سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمان مائة. وحكى السخاوي في الضوء اللامع: أنه قيل لما ألحد سمعه الحفّار يقول، ربِّ أنزلني منزلاً مباركًا وأنت خير المنزلين. ورآه حسين الكردي أحد الصالحين بعد موته، فقال له ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: يا أحمد أعطيتك العلم فما عملت به! قال: علمته وعملت به. فقال: صدقت يا أحمد تمنَّ عليَّ. فقلت تغفر لمن صلىٰ عليَّ. فقال: قد غفرت لمن صلى عليك وحضر جنازتك. ولم يلبث الرائي أن مات.

٣١ ـ **أحمد بن الحُسَين الرُقَيْحي**: نسبة إلى الرُقيح بضم الراء وفتح القاف وسكون المثناة التحتية بعدها مهملة. وهو بلدة من أعمال يحصب؛ ثم الصنعاني الأديب صاحب المقطعات الفائقة الرائقة. وكان يتعيش بالصباغة، فلا تزال كفه سوداء كأكف الصباغين فعوتب على ذلك فقال:

المجدُ في العلمِ والكفِّ المسوَّدِ من ... فن الصِبَاغةِ لا في صُحْبَةِ الدولِ
فمـا سعيـتُ إلـى هـذا وذاك معـاً ... إلا لأجمـعَ بيـن العلـمِ والعمـلِ

ومن مقطعاته:

قد بلغتُ الكمالَ في كل معنىٰ ... ثـم تـرجـو أن تسلـمَ الحسَّـادا
أنـت أمـرضتهـم فـدعهـمْ فمـن حـ ... ـق لئيـم الطبـاع أن لا يعـادا

وله:

هـذه الأطمـاعُ رجـسٌ وبهـا ... سَـلْ إذا مـا شئـتَ أربـاب الـورعْ
فاصرفِ الراحات عن إمساكها ... إنمـا الـراحـةُ فـي تـركِ الطمـعْ

---

(١) في الشذرات ٧/ ٢٥٠: وتوفي بالقدس يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان عن إحدى وسبعين سنة.

ومن شعره:

أفدي الذي صلى بميدانه ثم تلا التسليمَ بالواجبِ
قلتُ وقد كلمني طَرْفَهُ لا يُتبَعُ المسنّون بالواجبِ

وله:

أراكَ جَهلتَ أصولَ الرجالِ فأنعمتَ يا عمرو في سكرِها
ولكن من بعد بالاختبار ستعرف ما الحلو من مرِّها
فسلْ عن معادِنها عارفا يبين لك الصُّفْر من تبْرِها
فإن الصداقة محتاجةٌ إلى عارفٍ بانتها أمرِها

وكانت وفاته آخر دولة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله.

٣٢ ـ أحمد بن حسين الوزَّان الصَّنعاني المولد والمنشأ: ولد سنة[١] وأخذ العلم عن مشائخ العصر، فبرعَ في العلوم الآلية، ثم اشتغل بالحديث فسمع الكثير منه. وهو قوي الحفظ، جيد الفهم، حسن التصور، سمع مني سنن الترمذي. وهو عند تحرير هذا يقرأ عليَّ في الكشّاف وحواشيه. وقد صار مدرِّسًا في العلومِ الآلية والكتب الحديثية. وهو من أفراد علماء العصرِ جمّله الله بوجوده. وله شعر في غاية الجودة يعجز عنه غالب أهل العصر مع طول نفس، وحسن انسجام، وقوة معان. ثم سمع عليَّ بعد هذا في الصحيحين، وسنن أبي داود، وفي كثير من مؤلفاتي، وفي الكشّاف والمطول، وغير ذلك. وهو إلى الآن مستمر على السماع عليَّ مع عناية قوية، وفهم صادق، وتصور تام. ومن مشايخه: شيخنا العلاَّمة القاسِم بن يحيىٰ الخولاني، والسيّد العلاَّمة عبد الله بن محمد الأمير وغيرهما من أعلام العصر.

٣٣ ـ أحمد بن الحُسَيْن بن محمّد بن الحسين بن عيسى بن محمّد بن أحمد بن مسلم الشهاب[٢]: المكّي الشافعي، المعروف بابن العُلَيْف. بضم العين المهملة تصغير علف.

ولد في جمادى الأولى سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمان مائة بمكة. ونشأ بها فحفظ القرآن والألفية النحوية، والأربعين النووية وعرضهما، وبعض المنهاج. وسمع بمكة على التقي ابن فهد، وولده النجم، والزين عبد الرحيم الأميوطي، وأبي الفضل

---

(١) لم يذكر المؤلف مولده ولا وفاته.

(٢) ترجمته فى النور السافر ص ١١٧ وفي الشذرات ٨/ ١٤١ و ١٤٢.

المرجاني، ويحيى العلمي. ولازم النور الفاكهاني في كثير من دروسه الفقهية والنحوية، وسمع بالقاهرة على الخضيري، والجوجري، وجماعة ودخلها مرارًا. وله نظم مقبول. ومنه هذه القصيدة الطنانة:

خذْ جانبَ العليا ودعْ ما ينزلِ　　فرضىٰ البريةِ غايةٌ لا تدركُ
واجعلْ سبيلَ الذلِّ عنكَ بمعزلٍ　　فالعزُّ أحسنُ ما بهِ يتمسكُ
وامنحْ مودتُكَ الكرامَ فربما　　عُزَّ الكريم وفاتَ ما يستدركُ
وإذا بَدَتْ لكَ من عدوٍ فرصةً　　فافتكْ فإن أخا العلا مَنْ يَفْتُكُ
ودعْ الأماني للغبي فإنما　　عقب المنىٰ للحرِّ داءٌ مُنهَكُ
من يقتضي سبباً بدونِ عزيمةٍ　　ضلّتْ مذاهبهُ وعزَّ المُدرَكُ
تَعِسَتْ مداراةُ العدوِّ فإنها　　داءٌ تحولُ به الجسومُ وتوعكُ
لا يدركُ الغاياتَ إلا مَنْ لَهُ　　في كلّ حيٍّ مِنْ عَداهُ مَنْسَكُ
ندبُ غريقٍ لا يرامُ مسرحب　　ضرب جزيل في الورىٰ محككُ
ذو هضبةٍ لا ترتقي وشكيمةٍ　　عزّتْ يدينُ له الألدَّ الأمحكُ
لا فائلٌ عند الحفيظةِ رأيهُ　　لكنْ بتجريبِ الزمانِ محنّكُ
واركب سَنَام العزِّ في طلبِ العلىٰ　　حتّام تسكنُ والنوىٰ تتحركُ
واستفرغ المجهودَ في تحصيل ما　　فيه النفوسُ تُكادُ حباً تَهلكُ
وإذا نبا بكَ منزلٌ فانبذْ به　　ودعِ المطيةَ تستقلُ وتبركُ
وارغبْ بنفسكَ إن ترىٰ في ساحةٍ　　يشقىٰ بها الحرُّ الكريمُ المرمَّكُ
وارحلْ عن الأوطانِ لا مستعظماً　　خطراً ولو عز المدىٰ والمسلكُ
فالحرُّ ينكر ضدَّ ما يعتاده　　ويميطُ ثوبَ الذلِ عنهُ ويبتكُ
وإذا تغشاهُ الهوانُ ببلدةٍ　　يأبىٰ الأذىٰ أو سيم خسفاً يفتكُ
ومتى تنكرتِ المعارفُ خِلتَهُ　　يثنىٰ العنان عن الديارِ ويعنكُ

ومنها:

بهراً لنفسٍ لا تكونُ عزيزةً　　ولها إلى طرقِ المعالي مسلكُ
ولواجد سبلَ الكرامِ ولم يزلْ　　يغضىٰ الجفونَ عن القذىٰ ويفتّكُ
تبّتْ يدُ الأيامِ تلقىٰ للفتىٰ　　سلماً وتسلبهُ غداً ما يملكُ
تُبكي اللبيبَ على تقاعسِ حظِّهِ　　حيناً وتطعمُه الرجا فيضحكُ

وهي قصيدة فريدة طويلة. وفي هذا المقدار دلالة على البقية. وله ردٌّ على

السيوطي في مصنَّفه الذي سماه (الكاوي لدماغ السخاوي) فأجاب عنه صاحب الترجمة بمؤلف سماه (الهاوي على الكاوي) وألّف لسلطان الروم (بايزيد عثمان) كتابًا سماه (الدر المنظوم) ومدحه، وغيره من أمرائه فرتب له خمسين دينارًا في كل سنة. فتجمل بها، ومدح صاحب مكة السيّد بركات بن محمد الحسني واقتصر على مدحه، فأتى به وقرر له مبلغًا، لبلاغته وحسن نظمه. قال الشيخ جار الله بن فهد: وصار متنبي زمانه والمشار إليه في نظمه، مع سكون وقلة حركة.

وبقي في مكة حتى مات في ضحى يوم الثلاثاء من ذي الحجة سنة ٩٢٦ ست وعشرين وتسعمائة.

٣٤ ـ أحمد بن رَجَبْ بن طَنْبَغا المجدّ بن الشِّهاب القَّاهريِّ الشافعيِّ[١]: ويعرف بابن المجدي نسبة لجده. ولد في العشر الأولى من ذي القعدة سنة ٧٦٧ سبع ستين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها فحفظ القرآن وبعض المنهاج، ثم جمع الحاوي، وألفية النحو وغير ذلك. وتفقه بالبلقيني، وابن الملقن، والكمال الدميري والشرف موسى بن البابا. وبه انتفع في الحاوي لمزيد تقدمه فيه، والشمس العراقي. وعنه أخذ الفرائض وغيرها، وكذا أخذ الفرائض والحساب عن التقي بن عز الدين الحنبلي، والعربية عن الشمس العجيمي، وجد في الطلب، واجتهد، وتقدَّم في الفنون مع ذكاء مفرط وأشير إليه بالتقدم، وصارَ رأسًا في أنواع الحساب، والهندسة، والهيئة، والفرائض وعلم الوقت بلا منازع، ولا مدافع. وانتفع به الأعيان ولازموه في فنونه وصنف التصانيف المفيدة. منها (إبراز لطائف الغوامض في إحراز صناعة الفرائض) وشرح الجعبرية والرسالة الكبرى، وهي ستون بابًا لشيخه المارواني، وشرح أيضًا تلخيص ابن البناء في الحساب. وهو عظيم الفائدة.

وله (إرشاد الحائر في العمل بربع الدوائر)[٢] و (القول المفيد في جامع الأصول والمواليد) و (المنهل العذب الزلال في معرفة حساب الهلال) و (الفصول في العمل بالمقنطرات) و (الرسالة في العمل بالجيب) و (الضوء اللائح في وضع الخطوط على الصفائح) ورسالة في (الربع المسير) وأخرى في (الربع الهلالي) وكراسة في (معرفة الأوساط) وأخرى في (استخراج التواريخ بعضها من بعض) وغير ذلك من التصانيف

(١) جاء في الشذرات ٧/ ٢٦٨: شهاب الدين أحمد بن رجب بن طيبغا الشهير بابن المجدي الشافعي الفرضي.

(٢) في كشف الظنون ١/ ٦٤: «إرشاد الحائر إلى معرفة وضع خطوط فضل الدائر» لابن المجدي.

المفيدة، كل ذلك مع التواضع والأمانة والسكون والسمت الحسن، وإيراد النكتة، والنادرة والطرف، والانجماع عن الناس، بمنزله المجاور للأزهر، والاستغناء عنهم بإقطاع بيده. وكان يبرُّ الطلبة والفقراء.

ودرَّس في المدرسة الجانبكية، ومما حكي عنه أنه صعد القلعة للاجتماع بالملك الأشرف في قضية ضاق بها صدره، فما تيسر ورجع وقد تزايد كربه فاتفق أنه دخل مدرسة قريبة من القلعة فتوضأ وصلى ركعتين ورفع رأسه فوجد بجانب محرابها مكتوبًا:

دعها سماويةً تجري على قدرٍ لا تعترضها بأمرٍ منك تنفسدُ

فاستبشرَ بذلك وآلى إن قضى أمره أن ينظمه في أبيات؛ فلم يشعر إلا وقد جاء قاصد السلطان يطلبه وحصل الغرض، فقال:

فقلتُ للقلبِ لما ضاقَ مضطرباً وخانني الصبرُ والتفريطُ والجَلَدُ
دعها سماوية تجري على قدرٍ لا تعترضها بأمرٍ منك تنفسدُ
فحفني بخفيَّ اللطف خالقنا نِعمَ الوكيلُ ونِعمَ العونُ والمددُ

وما زال مستمرًا على حاله الجميل، حتى مات ليلة السبت حادي عشر ذي القعدة سنة ٨٥٠ خمسين وثمان مائة. ولم يخلف بعده في فنونه مثله.

٣٥ ـ أحمد بن سَعْد الدّين بن الحُسَينِ بن محمّد بن عليٍّ بن غانِم بن يُوسف بن الهادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد بن عبد الحميد الأصغر ابن عَبْد الحَميدِ الأكبر: المسوّري الزيدي القاضي الفاصل، المترسل البليغ المنشىء العارف. شارك في الفنون وتميَّز في كثير منها وحرر رسائل وفتاوى، واتصل في أول عمره بالإمام القاسم بن محمد عليه السلام. وأخذ عنه وكتب لديه. وكان يؤثره، ثم اتصل بعد ذلك بولده الإمام المؤيد بالله فارتفعت درجته لديه، وصار أكثر الأمور منوطًا به، ولم يكن لغيره معه كلام. ثم اتصل بعد موت المؤيد بالله بأخيه الإمام المتوكل على الله وشارك في أمور، ونقص حظه قليلاً بسبب أنه بادر إلى مبايعة أحمد بن الإمام القاسم عند موت المؤيد. ثم لم تتم تلك البيعة وتم الأمر للمتوكل على الله.

وما زال على جلالته وفخامته حتى مات يوم الثلاثاء سادس عشر شهر محرم سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف. وقُبِرَ بجوار قبر الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد. وقد ترجمه تلميذه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور ترجمة نفيسة، وأطال الثناء عليه، ووصفه بأوصاف فخيمة وله شهرة كبيرة بالديار اليمنية إلى الآن.

ولعل ذلك بسبب متاخمته للأئمة، وارتفاع حظه في تلك الدولة ومشيه في جميع مباشرته على طريقة العلماء.

٣٦ ـ **أحمد بن صَالِح بن أبي الرّجال**[1]: وصالح هو ابن محمّد بن علي بن محمّد بن سليمان بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سرح بن يحيى بن عبد الرّحمٰن بن عبد الله بن أبي حفص عُمر بن الخطاب الخليفة الصحابي.

ولد في ليلة الجمعة من شهر شعبان سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف في جهات الأهنوم وأخذ عن جماعة من أعيان العلماء، منهم الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، والسيّد إبراهيم بن محمّد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، والسيّد عز الدّين بن دريب، والسيّد الرئيس محمّد بن الحسن بن الإمام القاسِم، والقاضي أحمد بن سعد الدين المذكور قبله، والقاضي إبراهيم بن يحيى السحولي وجماعة غير هؤلاء. وأجاز له جماعة وآخرون. وبرع في كثير من المعارف وهو صاحب (مطلع البدور ومجمع البحور). ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتابًا حافلاً. ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذلك الكتاب. لأن الزيدية مع كثرة فضلائهم، ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار، لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف رأسًا، وهذا ما توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم. والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف. والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها. وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سببًا لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم، وشاعرهم، وسائر أكابرهم. ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور. وإن ذكروا النادر منهم، ترجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة، عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكر مولد ولا وفاة، ولا شيوخ، ولا مسموعات. ولا مقروءات ولا أشعار ولا أخبار. لأن الذين ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هم معارفه وأهل بلده؛ فإذا أهملوه، أهمله غيرهم وجهلوا أمره. ومن هذه الحيثية تجدني في هذا الكتاب إذا ترجمت أحدًا منهم لم أدرِ ما أقولُ لأن أهل عصره أهملوه فلم يبقَ لدي من بعدهم إلا مجرد أنه فلان بن فلان. لا يدرى متى ولد، ولا في أي وقت مات، وما صنع في حياته.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ١٦٣.

فمن عرف ما ذكرناه علم أن المترجم له رحمه الله قد أجاد في ذلك الكتاب في كثير من التراجم. وكان صاحب الترجمة من العلماء المشاركين في فنون عدة وله أبحاث ورسائل وقفت عليها وهي نفيسة ممتعة. ونظمه ونثره في رتبة متوسطة. وتوفي ليلة الثلاثاء لعله خامس ربيع الأول سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف. ورثاه جماعة من الفضلاء بمراثٍ وقد ذكر في تاريخه شيئًا كثيرًا من شعره مفرقًا في تراجم شيوخه وغيرهم.

٣٧ ـ **القاضي أحمد بن صالح بن محمّد بن أحمد بن صَالِح (المذكور قبله المعروف بابن أبي الرّجال)**[١]: الصَّنعاني. ولد يوم السبت خامس شهر محرم سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء فقرأ على جماعة من أعيانها، منهم القاضي العلاَّمة أحمد بن زيد الهبل، والسيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير، والسيّد العلاّمة محسن بن إسماعيل الشامي، والسيّد عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن المهدي، والسيّد العلاَّمة إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي، والسيّد يوسف العجمي، والسيّد العلاَّمة محمد بن زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم. وبرع في جميع المعارف، وهو شيخ مشايخنا. وله يد طولى في النحو والصرف، والمعاني، والبيان والأصول، والتفسير، ومشاركة فيما عدا ذلك. وقد عكف عليه جماعة من الأعيان، وأخذوا عنه في فنون متعددة، وتخرجوا به، وصاروا أعيان عصرهم. فمنهم شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي رحمه الله، ومنهم شيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني، ومنهم شيخنا العلاَّمة عبد الله بن الحسن بن علي الأبيض، ومنهم شيخنا العلاَّمة علي بن هادي عرهب، والسيّد العلاَّمة إسماعيل المفتي. وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وقد اتصل المترجم له بالإمام المهدي العباس بن الحسين رحمه الله، ليقرىء أولاده فيما يحتاجون إليه من العلم، ثم ارتفعت درجته عند الإمام. وكان يجالسه ويحادثه، ويأخذ عنه من فوائده. وأركبه الخيل واختصه، ورفع منزلته حتى كان تارة بمنزلة الوزير، وأخرى بمنزلة المشير ومع ذلك فلم ينقطع عن نشر العلم بحسب الطاقة.

ولم يزل على حاله الجميل حتى مات سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف. وله حواش على شرح الغاية والكشاف. وحواشيه مفيدة جدًّا، في غاية من الدقة والتحقيق. نقلها عنه شيخنا المغربي المتقدم في كتبه.

---

(١) انظر هدية العارفين ١٧٩/٥.

٣٨ ـ السيّد أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب الكوكباني ثم الصّنعاني[1]: أخذَ العلم عن السيّد العلاّمة إسحٰق بن إبراهيم بن المهدي. وبه تخرج وعليه عوَّل. وبرع في المعارف وجمع رسائل. منها رسالة في كون الفرجين من أعضاء الوضوء سماها (الرياض الندية). وقد أجبت عليه برسالة سميتها (الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية)[2]. ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير جمعها في مسائل ثمان. ومنها رسالة في تحريم المتعة. وحصل معه خفة في الدماغ، فكان يتردد ما بين صنعاء وشبام، ثم تراجع عقله، وتصوّف ومال إليه جماعة من الناس، وأخبروا عنه بمكاشفات وأحوال. وابتلى آخر المدة بذهاب بصره، ولعل موته على رأس القرن الثاني عشر أو قبله بقليل.

٣٩ ـ أَحْمَد بنَ عامِر الحدائي ثم الصّنعاني: أخذ علم الفقه، والفرائض بصنعاء عن جماعة من علمائها، وتصدَّر للتدريس في الفنين بجامع صنعاء. واستفاد عليه جماعة من الأعيان. وكان في لسانه ثقل لا يكاد يعرف عبارته ويفهمها إلا من مارس ذلك. وكان زاهدًا، متقللاً من الدنيا مواظبًا على الطاعات، آمرًا بالمعروف؛ ناهيًا عن المنكر. يغضب إذا بلغه ما يخالف الشرع. وفيه سلامة صدر زائدة.

قرأت عليه في الأزهار وشرحه مرتين، وفي الفرائض وشرحها للناظري مرات. وكان مواظبًا على التدريس. لا يمنعه منه مانع. فإنه يقع المطر العظيم الذي يمنع من خروج من هو في سن الشباب فلا يكون ذلك عذرًا لدى صاحب الترجمة. لرغبته في الخير وحرصه على إفادة الطلبة. ولقد استمر انصباب المطر في بعض السنين من قبل الفجر إلى قريب وقت الظهر وكان معنا درس عليه وقت الشروق فما تركت الذهاب إلى الجامع، لعلمي بأن مثل ذلك لا يمنعه مع علو سنه. فانتظرت له في المكان المعد للدرس فلم يأتِ هو ولا أحد من الطلبة، وهم كثيرون فجاء اليوم الثاني وقال لي: هل أتيت إلى هنا؟ قلت: نعم قال: لو علمت أنك أتيت ما اختلفت. ثم تأسَّف كثيرًا على فوت الدرس وما زال كذلك حتى مات في شهر رجب أو شعبان سنة ١١٩٧ سبع وتسعين ومائة وألف، ولعله قد جاوز السبعين.

ورثيته بأبيات غابت عني، وذكرت فيها تاريخ موته وهو (حط بجنات الخلود أحمد) رحمه الله وإياي.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ١٦٥.

(٢) في كشف الظنون ٢/ ١٠٨٣: ذكر حاجي خليفة «الصوارم الهندية» ولم يشر إلى المؤلف.

٤٠ ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تيمية[1]: الحرَّاني الدمشقي الحنبلي تقي الدِّين أبو العباس شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق.

ولد[2] سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة. وتحوّل به أبوه من حرّان سنة ٦٦٧ سبع وستين وستمائة، فسمع من ابن عبد الدايم، والقاسم الأربلي، والمسلم ابن علان، وابن أبي نمر، والفخر ومن آخرين.

قال ابن حجر في الدرر: وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود وحصل الأجزاء. ونظر في الرجال والعلل. وتفقه، وتمهّر، وتقدّم، وصنّف، ودرّس، وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبًا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف انتهى.

وأقول: أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله! وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما. قال الذهبي ما ملخصه: (كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف التي يوردها منه. ولا أشد استحضارًا للمتون وعزوها منه. وكانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره. فيه هذا؛ مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة، والفراغ عن ملاذ النفس. ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد، بل أكثر. وكان قوالاً بالحق، لا تأخذه بالله لومة لائم) ثم قال: (ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه. ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه. وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وكان أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب. شعره إلى شحمة أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوريّ الصوت، فصيحًا سريع القراءة. تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم) قال: ولم أرَ مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه.

وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية؛ فإنه كان مع سعة علمه، وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشرًا من البشر، تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم، تُزرع له عداوة في النفوس. ولولا ذلك لكان كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير. ولكن ينقمون عليه أخلاقًا وأفعالاً. وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك. قال وكان

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٧/ ١٥ وفي الشذرات ٦/ ٨٠.
(٢) في الشذرات ٦/ ٨٠: ولد بحران يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول ٦٦١ هـ.

محافظًا على الصلاة والصوم، معظِّمًا للشرائع ظاهرًا وباطنًا، لا يؤتى من سوء فهم؛ فإنَّ له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم فإنه بحر زاخر ولا كان متلاعبًا بالدين ولا ينفرد بمسائل بالتّشهِّي ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة. فله أجر على خطئه وأجران على إصابته. انتهى. ومع هذا فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل. وامتحن مرة بعد أخرى في حياته.

وجرت فتن عديدة، والناس قسمان في شأنه فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم. وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد، ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه. وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنّة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة. ثم يكون أمره الأعلىٰ وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته. وأول ما أنكر عليه أهل عصره في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ أنكروا عليه شيئًا من مقالاته فقام عليه الفقهاء وبحثوا معه ومنع من الكلام. ثم طلب ثاني مرة في سنة ٧٠٥ إلى مصر فتعصب عليه بعض أركان الدولة. وهو(بيبرس الجاشنكير) وانتصر له ركن آخر وهو (الأمير سلار) ثم آل أمره أن حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة ٩[1] إلى الإسكندرية. ثم أفرج عنه وأعيد إلى القاهرة ثم أعيد إلى الإسكندرية. ثم حضر السلطان الناصر من الكرك فأطلقه، ووصل إلى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه المحنة أن مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما رفع إليه من أمور تنكر في ذلك، فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته، فأملى منها. ثم أحضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرأ منها. وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشرة وقرروا الصفي الهندي يبحث معه. ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني ثم انفصل الأمر على أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المعتقد فأشاع أتباعه أنه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحدًا من أتباع ابن تيمية إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزّره، وكذا فعل الحنفي باثنين منهم.

وفي ثاني عشر رجب قرأ المزي فصلاً من كتاب أفعال العباد للبخاري في الجامع فسمع بعض الشافعية فغضب، وقال: نحن المقصودون بهذا ورفعوه إلى القاضي الشافعي فأمر بحبسه. فبلغ ابن تيمية فتوجه إلى الحبس فأخرجه بيده، فبلغ القاضي، فطلع إلى

(١) المقصود سنة ٧٠٩ هـ.

القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب. فأمر النائب من ينادي أن من تكلم في العقائد فعل به كذا وقصد بذلك تسكين الفتنة.

ثم عقد له مجلس في سلخ شهر رجب، وجرى فيه من ابن الزملكاني، وابن الوكيل مباحثة. فقال ابن الزملكاني لابن الوكيل ما جرى على الشافعية قليل، حيث تكون أنت رئيسهم، فظن القاضي ابن صصرى أنه يعرض به فعزل نفسه.

ثم وصل بريد من عند السلطان إلى دمشق أن يرسلوا بصورة ما جرى في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب وأخبر أن بيبرس والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على ابن تيمية، وأن الأمر قد اشتد على الحنابلة حتى صفع بعضهم. ثم توجه القاضي ابن صصرى، وابن تيمية صحبة البريد إلى القاهرة، ومعهما جماعة فوصلا في العشر الأخيرة من رمضان. وعقد مجلس في ثاني عشرينه بعد صلاة الجمعة فادعىٰ على ابن تيمية عند المالكي، فقال هذا عدوي ولم يجب عن الدعوىٰ، فكرّر عليه فأصرَّ. فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحبس في برج. ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه. فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره. فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب. ولقد أحسن المترجم له رحمه الله بالتصميم على عدم الإجابة عند ذلك القاضي الجريء الجاهل الغبي، ولو وقعت منه الإجابة لم يبعد الحكم بإراقة دم هذا الإمام الذي سمح الزمان به، وهو بمثله بخيل. ولا سيما هذا القاضي من المالكية الذي يقال له ابن مخلوف، فإنه من شياطينهم المتجرئين على سفك دماء المسلمين بمجرد أكاذيبَ وكلماتٍ ليس المراد بها ما يحملونها عليه، وناهيك بقوله أن هذا الإمام قد استحق القتل وثبت لديه كفره ولا يساوي شعرة من شَعَرَاتِهِ بل لا يصلح لأن يكون شسعًا لنعله. وما زال هذا القاضي الشيطان يتطلب الفرص التي يتوصل بها إلى إراقة دم هذا الإمام، فحجبه الله عنه، وحال بينه وبينه والحمد لله رب العالمين. ثم بعد هذا نودي بدمشق أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلَّ دمهُ وماله، خصوصًا الحنابلة فنودي بذلك، وقرىء المرسوم. قرأه ابن الشّهاب محمود في الجامع. ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي، وكان من أعظم القائمين على المترجم له الشيخ نصر المنبجي لأنه كان بلغ ابن تيمية، أنه يتعصب لابن العربي، فكتب إليه كتابًا يعاتبه على ذلك فما أعجبه، لكونه بالغ في الحط على ابن العربي وكفَّرَهُ. فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري بيبرس الذي يفرط في محبة نصر وتعظيمه وقام القاضي المالكي المتقدم ذكره مع الشيخ نصر وبالغ في أذية الحنابلة، واتفق أن قاضي الحنابلة كان قليل البضاعة في العلم فبادر إلى إجابتهم في المعتقد واستكتبوا خطه بذلك. واتفق

أن قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الجريري انتصر لابن تيمية وكتب في حقه محضرًا بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطرًا، من جملتها أنه منذ ثلثمائة سنة ما رأى الناس مثله فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الجزري فعُزِل وقُرِّرَ عوضه شمس الدين الأذرعيّ، ثم لم يلبث الأذرعيّ أن عُزِلَ في السنة المقبلة. وتعصَّبَ سلاَّر لابن تيمية وأحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي، وتكلم معهم في إخراجه فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطًا. وأن يرجع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه مرات. فامتنع من الحضور إليهم، واستمر على ذلك ولم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن تشفع فيه مهنّا أمير آل فضل فأخرج في ربيع الأول في الثالث والعشرين منه. وأُحضِرَ إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري.

ثم اجتمع جماعة من الصوفية عند تاج الدين بن عطاء فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في حق مشايخ الطريقة، وأنه قال لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتضى الحال أن أمر بتسييره إلى الشام فتوجه على خيل البريد، وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشتغل بالمرض. وقد أشرف على الموت فبلغه سير ابن تيمية، فراسل النائب، فرده من نابلس، وادّعي عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني.

وقيل إن علاء الدين القونوي شهد عليه أيضًا، فاعتقل بسجن حارة الديلمة في ثامن عشر شوال، إلى سلخ شهر صفر سنة ٧٠٩ فنقل عنه أن جماعة يترددون إليه وأنه يتكلم عليهم في نحو ما تقدم، فأمر بنقله إلى الإسكندرية فنقل إليها في سلخ صفر. وكان سفره صحبة أمير مقدم ولم يمكِّن أحدًا من جهته من السفر معه. وحُبِسَ ببرج شرقي. ثم توجه إليه بعض أصحابه فلم يُمْنَعُوا منه، فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فسيحًا، فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه. فلم يزل إلى أن عاد الناصر إلى السلطنة، فشفع فيه عنده. فأمر بإحضاره فاجتمع به في ثامن عشر شوال سنة ٧٠٩ فأكرمه وجمع القضاة فأصلح بينه وبين القاضي المالكي. فاشترط المالكي أن لا يعود. فقال له السلطان قد تاب.

وسكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه صحبة الناصر إلى الشام بنية الغزو سنة ٧١٢ فوصل إلى دمشق. وكانت غيبته منها أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع كثير فرحًا بمقدمه. وكانت والدته إذ ذاك حية ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ٧١٩ بسبب

قوله أن الطلاق الثلاث من دون تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة.

ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة ٧٢٠ ثم حُبِسَ بالقلعة، ثم أُخرِجَ في عاشوراء سنة ٧٢١ ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان سنة ٧٢٢ بسبب مسألة الزيارة. واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين، لعشرين من شهر القعدة سنة ٧٣٨ بجامع دمشق. وصار يُضْرَبُ المثلُ بكثرة من حضر جنازته وأقل ما قيل في عددهم أنهم خمسون ألفًا. قال ابن فضل الله: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة ٧٠٠ حض أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والأمراء. ورتبوا له كل يوم دينارًا وطعامًا فلم يقبل ذلك. ثم قال: حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال: ما رأت عيناي مثل هذا الرجل! ومدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة منها:

لما أتانا تقي الدين لاحَ لنا داعٍ إلى الله فردٌ ماله وزرُ
على محياهُ سيماءُ الأولىٰ صحبوا خيرَ البريةِ نورٌ دونهُ القمرُ

قال: ثم دار بينهما كلام، فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه، فنافره أبو حيان وقطعه وصير ذلك ذنبًا لا يغفر. وسئل عن السبب فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه. فقال: ما كان سيبويه نبيّ النحو ولا كان معصومًا، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا، ما تفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته إياه. وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر. وقد ترجم له جماعة وبالغوا في الثناء عليه، ورثاه كثير من الشعراء، وقال جمال الدين السرمدي في أماليه: ومن عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة، فينقش في ذهنه، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه.

وحكى بعضهم عنه أنه قال: من سألني مستفيدًا حققت له. ومن سألني متعنتًا ناقصته. فلا يلبث أن ينقطع فأكفى مؤنته. وقد ترجم له الصفدي وسرد أسماء تصانيفه في ثلاثة أوراق كبار. ومن أنفعها كتابه في (إبطال الحيل) فإنه نفيس جدًا و (كتاب المنهاج في الرد على الروافض) في غاية الحسن لولا أنه بالغ في الدفع حتى وقعت له عبارات وألفاظ فيها بعض التحامل، وقد نسبه بعضهم إلى طلب الملك. لأنه كان يلهج بذكر (ابن تومرت) ونظرائه، فكان ذلك مولدًا لطول سجنه.

وله وقائع مشهورة. وكان إذا حوقق وألزم، يقول: لم أرد هذا وإنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيدًا ولعل ذلك ـ والله أعلم ـ أنه يصرح بالحق فتأباه الأذهان، وتنبوا عنه الطبائع لقصور الأفهام، فيحوله إلى احتمال آخر دفعًا للفتنة. وهكذا ينبغي للعالم الكامل، أن يفعل، يقول الحق كما يجب عليه ثم يدفع المفسدة بما يمكنه. وحكي عنه

أنه لما وصل إليه السؤال الذي وضعه السكاكيني على لسان يهودي وهو:

أيا علماءَ الدينِ ذميٌّ دينكمْ تحيَّر دلُّوه بأعظمِ حجةِ
إذا ما قضىٰ ربي بكفري بزعمكمْ ولم يرضِه مني فما وجهُ حيلتِي

إلى آخرها. فوقف ابن تيمية على هذه الأبيات، فثنى إحدى رجليه على الأخرى، وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتًا أولها:

سؤالكَ يا هذا سؤالَ معاندٍ مخاصمِ ربُّ العرش ربُّ البريةِ

وقال ابن سيِّد الناس اليعمري في ترجمة ابن تيمية: إنه برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم ترَ عين من رآه مثله؛ ولا رأت عينه مثل نفسه. وقال الذهبي مترجمًا له في بعض الإجازات: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبلغ في العلوم والتفسير وأفتى ودرّس، وهو دون العشرين وصنّف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة مشائخه. وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر. وقال: وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير. وقال: إنه لا يذكر مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل، صنَّف فيها واحتج لها بالكتاب والسنّة. وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم. ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذاك.

والظاهر أنه لو سَلَّمَ مما عُرِضَ له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكدرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره.

قال الصفدي: وكان كثيرًا ما ينشد:

تموتُ النفوسُ بأوصابها ولم يدر عوادها ما بها
وما أُنصِفتْ مهجةٌ تشتكي أذاها إلى غيرِ أربابها

ومما أنشد له على لسان الفقراء:

والله ما فقرنا اختيار وإنما فقرنا اضطرارُ
جماعةٌ كلنا كسالىٰ وأكلنا ما له عيارُ
تسمعُ منا إذا اجتمعنا حقيقة كلها فشارُ

٤١ ـ **أحْمَد بن عبد الرَّحِيم بن الحُسَين بن عَبْد الرحمٰن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم الولي بن الزين العراقي**[١]: الآتي أبوه إن شاء الله تعالى. ولد[٢] في سحر يوم

(١) ترجمته في الشذرات ٧/ ١٧٣.
(٢) في الشذرات: ولد في ذي الحجة سنة ٧٦٢ هـ.

الاثنين ثالث ذي الحجة سنة ٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة بالقاهرة. وأحضره والده على جماعة من الشيوخ، ورحل به إلى دمشق فأحضره بها على أعيان علمائها. ثم لما عاد من الرحلة إلى مصر اجتهد في استيفاء شيوخ الديار المصرية، وأخذ عمن دبّ ودرج. وكتب الطباق وضبط الأسماء، وتدرب بوالده في الحديث وفنونه، وكذا في غيره من فقه وأصول وعربية ومعان وبيان. وبرع في جميع ذلك، وشارك في غيرها من الفضائل. وأذن له غير واحد من شيوخه بالإفتاء، والتدريس. واستمر يترقّىٰ لمزيد ذكائه حتى ساد، وأبدا وأعاد، وظهرت نجابته ونباهته، واشتهر فضله، وبهر عقله مع حسن خَلقه وخُلقه وشرف نفسه، وتواضعه، وانجماعه وصيانته، وديانته وأمانته، وعفته، وضيق حاله، وكثرة عياله. ودرّس وهو شاب في حياة أبيه. وقال أبوه في دروسه:

دروسُ أحمدَ خيرٌ من دروسِ أبه وذاكَ عنـد أبيـهِ منتهـىٰ أربـه

ولما توجّه والده لقضاء المدينة وخطابتها، قام بجميع وظائفه إلا مشيخة دار الحديث فإنه انتزعها منه شيخه ابن الملقّن، فتحرك لمعارضته ثم سكنه بعض مشايخه فسكن. ثم أضيفت إليه جهات أبيه بعد موته فزادت رئاسته، وانتشرت في العلوم وجاهته، وأضيف إليه في بعض الأوقات قضاء منوف، وناب في القضاء عن العماد الكركي نحو عشرين سنة. ثم ترفع عن ذلك وفرغ نفسه للإفتاء والتدريس والتصنيف. إلى أن خطبه الظاهر ططر بغير سؤال، إلى قضاء الديار المصرية في منتصف شوال سنة ٨٢٤ هـ مع وجود السعاة فيه بالبذل. وذلك عقب موت الجلال البلقيني بأربعة أيام. فسار فيه أحسن سيرة بعفة ونزاهة، وحرمة وصرامة، وشهامة ومعرفة.

وكان يحضُّ أصحابه على الاهتمام بإجابة من يلتمس منهم الشفاعة عنده عملاً بالسنّة. وقام عليه جماعته حتى ألزموه بتفضيل الرفيع من الثياب. وقرروا له أن في ذلك قوة في الشرع وتعظيمًا للقائم به. وإلا فلم يكن عزمه التحول عن جنس لباسه من قبل. واستمر حتى صرف، لتصميمه على الحق، وعدم مداراته لأهل الدولة، في أمور لا يحتملونها حتى شق ذلك عليهم فتمالئوا عليه. وكانت مدة ولايته سنة دون شهرين، فتمالئت وتكدرت الخواطر الصافية لعزله، وتنغصت معيشته، ولكنه لزم طريقته في الإكباب على نشر العلم، وتصنيفه إلى أن مات قبل استكمال سنة من صرفه مبطونًا شهيدًا آخر يوم الخميس سابع عشر من شعبان سنة ٨٢٦[1] ست وعشرين وثمان مائة، ثم دفن إلى جنب والده بتربته.

---

(١) في كشف الظنون ١/ ٢٦٤: لأحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٠ هـ.

قال ابن حجر: ولما صرف من القضاء حصل له سوء مزاج، من كونه صرف ببعض تلامذته بل ببعض من لا يفهم عنه كما ينبغي. فكان يقول لو عزلت بغير فلان ما صعب عليَّ، وله مؤلفات منها (البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مُسَّ بضرب من التجريح) و (المستجاد في مهمات المتن والإسناد) و (تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل)[1] و (أخبار المدلِّسين) والذيل على الكاشف للذهبي. وأضاف إليه رجال مسند أحمد. و (الأطراف بأوهام الأطراف) للمزي وشرح السنن لأبي داود، كتب قطعة منه وعمل التعقيبات على الرافعي، كتب منه نحو ستة مجلدات. وشرح جمع الجوامع شرحًا مختصرًا. واختصر الكشاف مع تخريج أحاديثه وتتمات ونحوها. وله تذكرةً مفيدةً في عدة مجلدات. وأقرأ مصنفاته في حياته. وكان يُسَرُّ بذكره، وله نظم ونثر كثير.

٤٢ ـ **أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرِّج بن بَدْر بن عُثمَان بن كَامِل بن ثعلب الشِّهاب العامريّ الغزيّ ثم الدمشقي الشَّافعي**[2]: ولد[3] في ربيع الأول سنة ٧٧٠ سبعين وسبعمائة بغزة ونشأ بها، فحفظ القرآن والتنبيه، ثم في كبره الحاوي، وأخذ عن قاضيها العلاء علي بن خلف وسمع عليه الصحيح ثم تحوّل إلى دمشق بعد الثمانين وهو فاضل فقطنها وأخذ بها عن جماعة من أهلها. ورحل إلى القدس فأخذ عن التقي القلقشندي، وبرع في الفقه وأصوله وشارك في غيرهما، مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلقاته، وناب في الحكم عن الشمس الاحنائي، وعُين مرة للقضاء استقلالاً فلم يتم، ووليَ إفتاء دار العدل، والتدريس بعدة أماكن، وتصدّر للإقراء والإفتاء، واشتهر برئاسة الفتوى بدمشق، فلم يبقَ في أواخر عمره من يقاربه. وله تصانيف، منها: (شرح الحاوي الصغير) في أربع مجلدات و (شرح جمع الجوامع) و (شرح مختصر المهمات للأسنوي)[4] في خمسة أسفار.

وحجَّ من دمشق غير مرة، وجاور بمكة ثلاث سنين متفرقة وكانت وفاته بها مبطونًا في ظهر يوم الخميس سادس شوال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمان مائة وصلي عليه عند باب الكعبة، ودفن في المعلاة. قال ابن حجر في أنبائه: وبلغني أن صديقه النجم المرجاني رآه في النوم. فقال له ما فعل الله بك؟ فتلى عليه ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ [يٓس: ٢٦].

---

(١) كشف الظنون ١/ ٢٦٤.
(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٣) في الشذرات: ولد سنة بضع وستين وسبعمائة بغزة.
(٤) كشف الظنون ٢/ ١٩١٥.

٤٣ ـ السيّد أحمد بن عبد الرّحمٰن بن الحُسَينِ بن عزّ الدِّين بن الحَسَن الشَّامي: ولد تاسع شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٥ خمس وتسعين وألف وكان من أكابر علماء صنعاء. قرأ في فنون العلم على مشائخها، فبرع في الآلات والفقه والحديث. ثم إن المتوكل قاسم بن حسين أرسل له ورغّبه في أن يجعل بنظره من وصل من القاصدين من تهامة فأسعد وكان يرسل إليه بما يحتاجون إليه من نقد وكسوة. ثم بعد ذلك ولاه القضاء الأكبر بحضرته في صنعاء، فاستمر في ذلك إلى أن توفي المتوكل، ثم استمر على ذلك في أيام ولده المنصور حتى مات. ثم استمر في ذلك في أيام الإمام المهدي. وقد ارتفعت درجته في أيام المنصور ارتفاعًا زائدًا، حتى كان مقبول القول في الجليل والدقيق، وصار أمر القضاء في جميع جهات اليمن منوطًا به، وكان يصدع بالحق مع حسن صناعته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله شهرة كبيرة، وصولة عظيمة في مملكة اليمن، وكان يضرب بعقله ورصانته المثل. وإلى الآن كذلك، وله شغف بالعلم والتدريس. وله تلامذة منهم القاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن الآتي ذكره إن شاء الله. ومن حسن أخلاقه وقوة اصطباره واحتماله أنه سَمَّهُ رجل ظن أنه غير عليه بعض أمور دنياه، فاستمر الإسهال معه مقدار سنة، ولم يحدث بذلك أحدًا وكافأ الذي سَمَّهُ بإيصاله إلى مطلبه والقيام في قضاء غرضه. فللّه در هذه الأخلاق الشريفة.

وتوفي رحمه الله يوم الأحد السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٢ اثنتين وسبعين ومائة وألف.

٤٤ ـ أَحْمَدْ بن عَبْد الله الضَّمدي: ولد في سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريبًا. وقرأ ببلده على من بها من أهل العلم. ثم ارتحل إلى صنعاء فأخذ عن جماعة من أكابر علمائها كشيخنا السيّد الإمام عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلاّمة أحمد بن محمد قاطن، وشيخنا العلاَّمة قاسم بن يحيى الخولاني، وغيرهم وعاد إلى وطنه، وقد برع في الفقه والحديث والعربية.

ثم بعد وصوله إلى بلده عكف عليه الطلبة من أهلها ورغبوا فيه، وأخذوا عنه فنونًا من العلم وعظم شأنه هنالك، وصار المرجع إليه في التدريس والإفتاء في ضمد وغيرها كصبيا، وأبي عريش. ثم ارتحل إلى صنعاء رحلة أخرى فقرأ عليَّ في شرح الغاية، وسألني بمسائل عديدة أجبت عليها بجواب سميته: (العقد المنضد في جيد مسائل علامة ضمد). ثم عاد إلى بلاده، وهو الآن مستمر على حاله الجميل في نشر العلم والفتوى والزهد والاشتغال بخاصة النفس. ثم مات رحمه الله في سنة ١٢٢٢ اثنتين وعشرين ومائتين وألف تقريبًا.

٤٥ ـ مولانا الإمام المتوكِّل على الله أَحْمَد بن الإمام المنصُور بالله عليٍّ بن الإمام المَهْدي العبّاس[١]: ابن الإمام المنصور بن الحسين بن الإمام المتوكِّل القَاسِم بن حسين بن أحمد بن حسن بن القاسم. وسيأتي تمام نسبه في ترجمة جده الحسن بن القاسم.

مولده حفظه الله حسبما أخبرني به في أول شهر محرم سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف. وهو أكبر أولاد أبيه. ولما صارت الخلافة إلى أبيه جعل إليه بعد مضي نحو نصف سنة إمارة الأجناد، وولاية صنعاء وما إليها، فباشر ذلك بحرمة وافرة ومهابة ونجابة وحسن سياسة، وبعثه والده لحرب من يناوؤه غير مرة فظفر، وانتصر. وهو ميمون النقيبة، ما باشر حربًا من الحروب إلا وكان الغلب له. وله في ذلك مواقف لا يتسع المقام لبسطها، منها حرب (حده) بينه وبين بكيل، لما خرج بهم سيدي علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي. ومنها خروجه بجنده إلى بني الحارث لما أفسدوا فاستولى على جميعهم. ومنها حرب الروضة لما خرج أهلها عن الطاعة بسبب تغرير جماعة من السادة الكباسية وآل أبي طالب عليهم، وعاضدهم على ذلك سيدي أحمد بن عبد الله بن المهدي، فاستولى عليهم مولانا المتوكل على الله في أيام والده رحمه الله.

وما زال في خلافة والده جميعها يسوس أمر الناس وينوب عن أبيه في كثير من الأمور، ويفاوضه الوزراء في غالب ما تدعو إليه الحاجة، حتى ولّيَ الوزارة الفقيه حسنٍ بن حسن عثمان بعد والده فلم يسلك مسلك الوزراء، بل ما زال يواحش بين الإمام المنصور بالله رحمه الله وولده. وتزايد الأمر مع سوء تدبير الوزير المذكور وضعف رأيه حتى كادت الدولة أن تذهب، وتقاصر ظلها وهلكت الرعايا وانقطعت الطرق ومات كثير من أهل صنعاء جوعًا بسبب حصارها، فعند ذلك وقع من مولانا المتوكل على الله ما سيأتي في ترجمة والده رحمه الله.

وكانت البيعة له في الليلة التي مات فيها والده وهي ليلة خامس عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف. وكنت أول من بايعه، وتوليت قبض البيعة له من أخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم، وأعيان العلماء والرؤساء وكان تحرير هذه الترجمة في اليوم الثاني من بيعته. وتولى وزارته الفقيه علي بن إسماعيل فارع. وشاركه في بعض الأعمال القاضي حسن بن علي عبد الواسع. ثم توفي رحمه الله ليلة الأربعاء

---

(١) ذكره صاحب التاج المكلل ص ٤٠٠.

لعله سابع عشر شهر شوال سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف. وقام بعده ولده عبد الله وتلقب بالمهدي، وكنت المتولي لأخذ البيعة له بعد مبايعتي له، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٤٦ ـ أحمد بن عليٍّ بن عبد القادر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن تميم بن عبد الصّمد بن أبي الحسن بن عبد الصّمد بن تميم(١): التقي أبو العباس الحسيني العبيدي البعلي الأصل القاهري. ويعرف بابن المقريزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة. قال السخاوي: كان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه. بعد الستين يعني وسبعمائة وقال ابن حجر: إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ٦٦ ست وستين بالقاهرة، ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جماعة من الشيوخ كالآمدي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي. وحج فسمع بمكة من علمائها وسمع في الشام من جماعة واشتغل كثيرًا، وطاف على الشيوخ ولقي الكبار، وجالس الأئمة، وتفقّه حنفيًّا على مذهب جده لأمه، ثم تحول شافعيًا. قال السخاوي: ولكن كان مائلاً إلى الظاهر. وكذا قال ابن حجر إنه أحب الحديث فواظب عليه حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم. انتهى.

ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل، وقال النظم والنثر، وناب في الحكم وكتب التوقيع، وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة، والخطابة بجامع عمرو، والإمامة بجامع الحاكم وقراءة الحديث بالمؤيدة وحمدت سيرته في مباشراته كلها، وكان قد اتصل بالظاهر برقوق، ودخل دمشق مع ولده الناصر وعرض عليه قضاءها مرارًا فأبى وصحب (بشيك الدوادار) وقتًا ونالته منه دنيا، وحج غير مرة، وجاور، وكذا دخل دمشق مرارًا وتولىٰ بها تداريس ثم أعرض عن جميع ذلك، وأقام ببلده عاكفًا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف كـ (الخطط والآثار للقاهرة)(٢) وهو من أحسن الكتب وأنفعها وفيه عجائب ومواعظ وكان فيه ينشر محاسن العبيدية ويفخم شأنهم ويشيد بذكر مناقبهم وكنت قبل أن أعرف انتسابه إليهم أعجب من ذلك كونه على غير مذهبهم فلما وقفت على نسبه علمت أنه استروح إلى ذكر مناقب سلفه. قال السخاوي: إن المترجم له ظفر بمسودة للأوحدي في خطط القاهرة وآثارها فأخذها وزاد فيها زوائد غير طائلة ونسبها لنفسه. انتهى. والرجل غير مدفوع عن فضل لا سيما في التاريخ وما يتعلق به والله أعلم. ومن مؤلفاته: (درر العقود الفريدة، في

(١) ترجمته في الشذرات ٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
(٢) كشف الظنون ١/ ٧١٦.

تراجم الأعيان المفيدة) ذكر فيه من عاصره. (وإمتاع الأسماع، بما للرسول من الأبناء والحفدة والمتاع) و (عقد جواهر الأسفاط، في ملوك مصر والفسطاط) و (البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب) و (الإلمام فيما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) و (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة) و (معرفة ما يجب لأهل البيت النبوي على من عداهم) و (إيقاظ الحنفاء، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) و (السلوك، بمعرفة دول الملوك) و (التاريخ الكبير) وهو في ستة عشر مجلدًا، وله مؤلفات غير هذه. وجد بخَطِّه أن تصانيفه زادت على مائتي مجلد، وأن كبار شيوخه بلغت ستمائة نفس.

وكان متبحّرًا في التاريخ على اختلاف أنواعه. ومؤلفاته تشهد له بذلك وإن جحده السخاوي فذلك دأبه في غالب أعيان معاصريه، وكان حسن الخبرة بالزايرجة، والأسطرلاب، والرمل، والميقات. قال ابن حجر في ترجمته: له النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصًا في تاريخ القاهرة فإنه أحيا معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مأثرها، وترجم أعيانها. قال: وكان حسن الصحبة، حلو المحاضرة. مات في عصر يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمان مائة بالقاهرة. ومن شعره:

سقى عهدَ دمياطَ وحيَّاه مِنْ عَهدِ ... فقد زادني ذكراهُ وجداً على وجدي
ولا زالتِ الأنواءُ يسقى سحابُها ... دياراً حكت من حسنها جنةُ الخلدِ

٤٧ ـ **أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمّام بن يوسف بن موسى بن تمّام بن حامد بن يحيى بن سليم السبكي**[١]: أبو حامد بهاء الدين. ولد بعد المغرب من ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧١٩ تسع عشرة وسبعمائة، وأحضر على الحجار في الخامسة وسمع علي الدبوسي، والبدر بن جماعة. وبدمشق علي ابن الجزري والمزي وغيرهما. قال الذهبي في المعجم المختص: الإمام العلاّمة المدرس. له فضائل وعلم جيد، وفيه أدب وتقوى. وساد وهو ابن عشرين سنة، وأسرع إليه الشيب فاتقى وهو في حدود العشرين. قال ابن حجر: وكانت له اليد الطولىٰ في علم اللسان، العربية والمعاني والبيان. وله (عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح) أبان عن سعة دائرة في الفن وله تعليق على الحاوي، وعمل قطعة على شرح المنهاج لأبيه. وكان أديبًا فاضلاً متعبدًا، كثير الصدقة والحج والمجاورة سريع الدمعة قائمًا مع أصحابه، ووليَ قضاء الشام عوضًا

(١) له ترجمة في وفيات ابن رافع بالترجمة ١٢٠ وفي ذيل العبر ص ٣٣٤.

عن أخيه في سنة (٧٦٢) فأقام سنة. ولم يصنع ذلك إلا حفظًا للوظيفة على أخيه ثم ولي قضاء العسكر وكان شرع في شرح مختصر ابن الحاجب فكتب منه قطعة لطيفة في مجلد. ولو أتمه لكان عشر مجلدات، أو أكثر.

وقال والده الشيخ تقي الدين لما درس ولده هذا:

دروسُ أحمدُ خيرٌ من دروسِ علي وذاكَ عِنـدَ علـيّ غـايـةُ الأمـلِ

وكان من رحّالي العالم وكان أبوه قاضي الشام فكثرت جهاته، واتسع ماله. لأنه ناب عن والده في جميع جهاته وضم إلى ذلك وظايف عدة، وكان إذا مات من له تدريس أو نحوه سعى فيه لنفسه. ومات مجاورًا بمكة ليلة الخميس السابع عشر من شهر رجب سنة ٧٦٣[١] ثلاث وستين وسبعمائة، وله أربع وخمسون سنة وبعض أشهر.

٤٨ ـ **السيّد أحمد بن عليِّ بن مُحسِن بن الإمام المتوكِّل على الله إسماعِيل بن القاسِم الصَّنعاني**: ولد تقريبًا سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف. واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الخمسين من عمره. ثم قرأ عليَّ في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والحديث، والتفسير وأدرك إدراكًا كاملاً لا سيما في العلوم الآلية. وفهمه جيد وفكره صحيح وتصوره حسن وإدراكه كامل.

وأكبَّ على الاشتغال عليَّ نحو عشر سنين مع جماعة من الطلبة ثم جرى بينه وبين بعضهم ما يجري بين أمثالهم من المنافسة فانزعج ومع كثرة تخيله ظن أنِّي مؤثر لمن نافسه عليه. فصار بعد ذلك يروي ما قد حفظه عني من اجتهاداتي الجارية على نمط الدليل التي يخالف ما عليه غالب من لا تمييز له.

وكان لديه كتاب لي عارية أحسنت إليه بعاريته فرأى فيه بخطي في مسألة الفرقة الناجية كلامًا مضمونه: أنهم ليسوا بعض هذه المذاهب الإسلامية على التعيين، بل هم من تمسك بالشريعة المطهرة واهتدى بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، على أيِّ مذهب كان وفي أيِّ عصرٍ وجد. ودفعت قول من قال أنهم فرقته كما وقع لكثير من المتعصبين، فأقام هذا القيامة وما زال يعرضه على كل من له اشتغال بالعلم فلم يوافقه أحد على ذلك فعاد يعرضه على المقصِّرين والعوام ويوهمهم بأوهام لا حقيقة لها فكادت تثور فتنة وقى الله شرها.

ثم طلبت منه إرجاع كتابي فما ساعد. كل هذا وله من الفهم والعرفان نصيب تام،

---

(١) في ذيل العبر ص ٣٣٤: توفي ليلة الخميس السابع من شهر رجب سنة ٧٧٣.

وهو لا يخفى عليه خطأ نفسه وبطلان ما زعمه، ولم يرع حق التعليم. وبعد ذلك ترك الاشتغال بالعلم ولم يبق عليه من رونقه شيء. ورام أن يعود للقراءة عليَّ، فما ساعدته وأرجع الكتاب المشار إليه بعد سنين ومدحني بأبيات وأظهر الندم على ما سلف منه عفى الله عنه. ومن جملة ما كتبه إليّ هذه القصيدة وفيها إشارة إلى ما قدمته:

يا قاضياً لفظُ ماضٍ إذْ تناولَهُ ... زهىٰ به كلُّ منقوصٍ من الكَلِمِ
ولمْ يزلْ كلُّ ممدودٍ يمدُّ إلىٰ ... ما نالَ عينيه من فخرٍ ومن كَرَمِ
وكل ما نالَ مقصورٌ عليهِ فيا ... ذا المدّ اقصرْ ولا تطمعْ ولا تَحمِ
فالاسمُ مرجعُ ما يحويه من شرفٍ ... إلى مسمّاهِ من نعتٍ ومن علمِ
قاضٍ ببهجتهِ الأيامَ مشرقةً ... كالشّمسِ لكِنَّ نورَ الشمسِ لم يَدُمِ
فالحمدُ للّهِ دنيانا ببهجتهِ ... إشراقُها غير مسلوخٍ عن الظلَمِ
قاضٍ إذا جئتَه يوماً لقيتَ به ... كلَّ الأفاضلِ من عَرَبٍ ومن عَجَمِ
يخشىٰ الخصومُ ارتعاداً من مهابتِهِ ... حتىٰ كأنّ بهمْ ضربٌ من اللممِ
لأن ما أضمروهُ في فراستهِ ... من حُسنِ إيمانه نارٌ على عَلَمِ
كمْ مِنْ ألدّ بلا ما زال ملتزماً ... من خوفهِ عادلاً عنها إلى نعَمِ
فالمبتغونَ لغيرِ الحقِّ في نقمٍ ... منهُ وكلُّ محقٍ منه في نِعَمِ
صَحَبْتُه زَمَن التدريسِ مقتطفاً ... من روضِ أملاه نورُ الحكم والحَكَمِ
فكانَ براً رؤوفاً بي ومغتفراً ... لزلتي لم يعاتبني ولم يَلَمِ
أراهُ إنْ طالَ قولي في بشاعته ... كأنهُ عن كلامي الغثِّ في صَمَمِ
وغبتُ عنه زماناً واتّصلتُ بهِ ... في رتبةٍ هو فيها صاحبُ العَلَمِ
قاضي قضاةَ أمير المؤمنينَ علىٰ ... يمينه قاعداً في الصدرِ لم يَقُمِ
فقامَ تعظيمُه في صدرِ كلِّ فتى ... مسلمٌ للأكفِّ الطّهرِ مُسْتَلَمِ
وشاعَ تعظيمُه في الناسِ ثم غدا ... عند الجنين كرأي العينِ في الرَحِمِ
ومثلَ ذاكَ أعاديّ تواترهُ ... فينا وفي الغيرِ من مستقبل الأمَمِ
فما تغيَّر شيءٌ كنتُ أعهدهُ ... قبل التصدّر في القاضي من الشيمِ
كأنه للندامىٰ من تواضعهِ ... على جلالتهِ من أصغرِ الخَدَمِ
فقامَ ذاكَ دليلاً أن همتَهُ ... من فوقِ ذاكَ الذي يعطي ذوو الهِمَمِ
ولو أحلَّ الفتى في الناس رتبتهُ ... دهراً لأصبحَ ربُّ السيفِ والقَلَمِ
مملَّكاً كلَّ إقليمٍ وناصيةٍ ... عمّالهُ في نواحي مصر والحرَمِ

يا مَنْ يَرىٰ أن نظمي قد قضيت به حقَّ المديحِ فقدْ أخطأتَ فاستقِمِ
ليست مبالغتي فيه مبالغةً ولا الغلو غلواً يا أخا الهِمَمِ
ولو أتيتُ بأنواعِ البديعِ لما قضيتُ حقاً وكان العجز ملتزمي

وهو الآن في قيد الحياة لعله قد صار في ستين سنة من عمره. وله إليَّ أشعار غير هذه، ومسائل سألني عنها وأجبته بأجوبة هي في مجموع جواباتي. ثم توفي رحمه الله لعله في سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٤٩ ـ أحمد بن عليٍّ بن محمّد بن أحمد طشِّي الصَّعدي: ثم الرداعي، ولد تقريبًا سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف وقرأ في ذمّار وغيرها، فصار عارفًا بالفقه والآلات، يفهم ذلك فهمًا جيدًا وله ذكاء عظيم، وفطنة باهرة، وقوة عارضة، وحسن محاضرة، ورقة طبع، وانسجام خلق عجيب، ويشعر شعرًا حسنًا. سمع مني مدة إقامتي في مدينة (ذي جبلة) عند قدومي إليها مع مولانا المتوكل على الله في سنة ١٢٢٦ في صحيح مسلم، وسمع في غيره وكان يحضر للقراءة عند إقامتي هنالك وهو الآن مقيم بمدينة رداع.

٥٠ ـ أحمد بن لطف الباري بن أحمد بن عبد القَادِر الورد: خطيب صَنْعاء وابن خطيبها، ولد في شهر رمضان سنة ١١٩٢ اثنتين وتسعين ومائة وألف وولاه الإمام المنصور بالله علي بن العباس الخطابة مكان والده العلاَّمة التقي الفاضل الورع الزاهد المسند. وكان كل أحد من الناس لا يظن أنه يلحق به في الخطابة أحد.

فلما مات استشرف للخطابة جماعة وكان سن صاحب الترجمة إذ ذاك ثمان عشرة سنة فقام بالخطابة قيامًا لا يقوم به أحد. وفاق والده عن قرب وهو الآن مستمر على ذلك، وله شغلة بطلب العلم كبيرة مع ذهن وقاد وطبع منقاد، وفهم سليم، وفكر مستقيم، وقد صار معدودًا من العلماء مع حداثة سنه. قرأ عليَّ في شرح الجلال المعروف بضوء النهار. وفي شرح جمع الجوامع للمحلي وهو الآن مستمر على ذلك وعمره عند تحرير هذه الأحرف نحو العشرين سنة.

ومن أعلم مشايخه الذين تخرج بهم والده، ومنهم السيّد العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر والسيّد العلاَّمة محمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف. وبالجملة فهو من محاسن الزمن في غالب أوصافه بحيث يقصر عن حسن سمته، ورصانة عقله، وطهارة لسانه، وعفته ونزاهته كثير من أهل الأسنان العالية. ثم انجمع واعتزل الناس إما زهدًا أو فرارًا من الخطبة كما يفعله كثير من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين. وأنه حدث في

مزاجه سوداء أوجبت له الاستيحاش من الناس، وقام مقامه أخوه العلاّمة محمد بن لطف الباري، وهو تلوه في الفضائل. وله قراءة عليَّ في أمهات الحديث وسمع مني بعضًا من تفسيري، وقرأ على أخي يحيى في الأصول وغيرها، صار ثابت القدم في الخطابة بحيث إنه يفوق كثيرًا من الخطباء، مع حسن أداء، وفصاحة لسان، وثبات جنان، وحسن أخلاق وعمل بما في السنّة المطهرة، وبالجملة فهو من محاسن العصر.

٥١ ـ أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكِنَاني العَسْقلاني[١]: القاهريّ الشافعي المعروف بـ (ابن حجر)[٢] وهو لقب لبعض آبائه، الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة ولد في ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر، ونشأ بها يتيمًا في كنف أحد أوصيائه، فحفظ القرآن وهو ابن تسع. ثم حفظ العمدة وألفية الحديث للعراقي، والحاوي الصغير، ومختصر ابن الحاجب في الأصول والملحة. وبحث في ذلك على الشيوخ وتفقه بالبلقيني والبرماوي وابن الملقن والعز بن جماعة. وعليه أخذ غالب العلوم الآلية والأصولية كالمنهاج وجمع الجوامع وشرح المختصر والمطول. ثم حبب الله إليه فن الحديث فأقبل عليه بكليته. وطلبه من سنة ٧٩٣ وما بعدها فعكف على الزين العراقي، وحمل عنه جملة نافعة من علم الحديث سندًا ومتنًا وعللاً واصطلاحًا.

وارتحل إلى بلاد الشام والحجاز، واليمن ومكة وما بين هذه النواحي. وأكثر جدًا من المسموع والشيوخ وسمع العالي والنازل. واجتمع له من ذلك ما لم يجتمع لغيره وأدرك من الشيوخ جماعة كل واحد رأس في فنه الذي اشتهر به. فالتنوخي في معرفة القراآت، والعراقي في الحديث، والبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، وابن الملقن في كثرة التصانيف، والمجد صاحب القاموس في حفظ اللغة، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة بحيث كان يقول: أنا أقرأ في خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصري أسمائها. ثم تصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعةً وإقراءً وتصنيفًا وإفتاءً وتفرّد بذلك، وشهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق، حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع. ورحل الطلبة إليه من الأقطار وطارت مؤلفاته في حياته وانتشرت في البلاد، وتكاتبت الملوك من قطر إلى قطر في شأنها، وهي كثيرة جدًا منها ما كمل ومنها ما لم يكمل. وقد عددها السخاوي في الضوء اللامع وكذلك عدد مصنفاته في الأربعينات، والمعاجم وتخريج الشيوخ والأطراف، والطرق، والشروح، وعلوم

---

(١) ترجمته في ذيل العبر ص ٣٨٥ والشذرات ٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) نسبة إلى آل حجر قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس، الشذرات ٧/ ٢٧٠.

الحديث، وفنونه ورجاله في أوراق من ترجمته، ونقل عنه أنه قال: لست راضيًا عن شيءٍ من تصانيفي لأني عملتها في ابتداء الأمر. ثم لم يتهيأ لي من يحرّرها معي سوى (شرح البخاري ومقدمته) و (المشتبه)[1] و (التهذيب) و (لسان الميزان) وروى عنه في موضع آخر. أنه أثنى على شرح البخاري والتعليق والنخبة ولا ريب أن أجلَّ مصنّفاته (فتح الباري) وكان شروعه في تصنيفه سنة ٨١٧ على طريق الاملاء. ثم صار يكتب من خطه، يداوله بين الطلبة شيئًا فشيئًا.

والاجتماع في يوم من الأسبوع للمقابلة والمباحثة إلى أن انتهى في أول يوم من رجب سنة ٨٤٢ سوى ما ألحق فيه بعد ذلك، وجاء بخطه في ثلاثة عشرة سفرًا، وبيض في عشرة وعشرين وثلاثين، وأقل وأكثر. وقد سبقه إلى هذه التسمية شيخه صاحب القاموس فإنه وجد له في أسماء مصنفاته أن من جملتها فتح الباري في شرح صحيح البخاري وأنه كمل ربعه في عشرين مجلدًا وله مؤلفات في الفقه وأصوله، والعروض، والآداب سردها السخاوي، وقال بعد ذلك أنها تهادت تصانيفه الملوك بسؤال علمائهم لهم في ذلك، حتى ورد كتاب في سنة ٨٣٣ من شاه رخ بن تيمور ملك الشرق، يستدعي من السلطان الأشرف برسباي هدايا من جملتها (فتح الباري). فجهّز له صاحب الترجمة ثلاث مجلدات من أوائله. ثم أعاد الطلب في سنة ٨٣٩ ولم يتفق أن الكتاب قد كمل فأرسل إليه أيضًا قطعة أخرى. ثم في زمن الظاهر جقمق جهزت له نسخة كاملة، وكذا وقع لسلطان الغرب أبي فارس عبد العزيز الحفصي، فإنه أرسل يستدعيه فجهّز له ما كمل من الكتاب وكان يجهّز لكتبة الشرح ولجماعة مجلس الإملاء ذهبًا يفرق عليهم هذا ومصنفه حي رحمه الله، ولما كمل شرح البخاري تصنيفًا، وقراءة عمل مصنِّفه رحمه الله وليمة عظيمة بالمكان الذي بناه المؤيد خارج القاهرة في يوم السبت ثامن شعبان سنة ٨٤٢ وقرأ المجلس الأخير هنالك جلس المصنِّف على الكرسي.

قال تلميذه السخاوي: وكان يومًا مشهودًا لم يعهد أهل العصر مثله بمحضر من العلماء والقضاة والرؤساء والفضلاء. وقال الشعراء في ذلك فأكثروا وفرق عليهم الذهب وكان المستغرق في الوليمة المذكورة نحو خمسمائة دينار. ووقعت في ذلك اليوم مطارحة أدبية. فمنها أن المقام الناصري قال للمصنف: يا مولانا شيخ الإسلام هذا يوم طيب فلعل أن تنعشونا فيه ببيت من مفرداتكم لعل أن نمشي خلفكم فيه؟ فقال المترجم له: أخشى إن ابتدأت أن لا يكون موافقًا لما وقع في خاطرك، والأحسن أن تبتدأ أنت

(١) في كشف الظنون ٢/١٦٩١: قال حاجي خليفة: وصنف ابن حجر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.

فقال الناصري:

هويتها بيضاءَ رعبوبةً قد شغفت قلبي خود رداح

فقال صاحب الترجمة:

سألتها الوصلَ فَضَنَّتْ به إنَّ قليلاً في الملاحِ السماحِ

فقال علي الدوساني:

قد جرحت قلبي لما رنَتْ عيونَها السودَ المراضِ الصحاحِ

فهمهم الشرف الطنوني ولم يمكنه أن يقول شيئًا، فقال صاحب الترجمة:

ما للطنوني غدا حائرا

فقال الناصري لعلي المتقدم: أجزه. فقال: وحياة أبيك، السلاَّري والفرس فقال: هما لك من غير مهملة وتراخ. فقال:

وخرب البيت وخلى وراح

وكان للمترجم له يد طولى في الشعر قد أورد منه جماعة من الأدباء المصنفين أشياء حسنة جدًا، كابن حجة في شرح البديعية، وغيره وهم معترفون بعلو درجته في ذلك. ومما أحفظه الآن حال تحرير هذه الكلمات قوله:

بندُهُ الأزرقُ لمَّا شنَّده مَنْ قَدْ سباني

جدولٌ فوقَ كثيبِ دارَ يسقي غصنَ بانِ

وهذا غاية في الحسن لا يلحق وأورد له السخاوي في الضوء اللامع قوله:

خليلي ولّى العمرُ منا ولم نتبْ وننوي فِعالَ الصالحاتِ ولكنَّا

فحتىٰ متىٰ نبني البيوتَ مشيدةً وأعمارُنا منا تُهَدُّ ما تُبنىٰ

وقد كان رحمه الله مصمِّمًا على عدم الدخول في القضاء ثم قُدِّر أن المؤيد ولاه الحكم في بعض القضايا. ثم عرض عليه الاستقلال به وألزم من أحبائه بقبوله فقبل واستقر في المحرم سنة ٨٢٧ بعد أن كان عُرِضَ عليه قبل ذلك وهو يأبىٰ. وتزايد ندمه على القبول لعدم فرق أرباب الدولة بين العلماء وغيرهم، ومبالغتهم في اللوم لرد إشاراتهم وإن لم تكن على وفق الحق، واحتياجه لمداراة كبيرهم وصغيرهم بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بما يرومونه. وصرّح بأنه جنىٰ على نفسه وبذلك لم يلبث أن صُرِفَ. ثم أُعِيدَ ولا زال كذلك إلى أن أخلص في الإقلاع عنه عقب صَرْفِهِ في جمادى

الاخرة سنة ٨٥٢ وجميع مدد قضائه إحدى وعشرون سنة، وزهد في القضاء زهدًا كبيرًا لكثرة ما توالى عليه من المحن والأنكاد بسببه. وصرّح بأنه لم يبق في بدنه شعرة تقبل اسمه. وقد درّس بمواطن متعددة واشتهر ذكره وبَعُدَ صيته وارتحل إليه العلماء وتبجح الأعيان بلقائه والأخذ عنه. وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة وألحق الأصاغر بالأكابر، وامتدحه الكبار وتبجح فحول الشعراء بمطارحته. واستمر على طريقته حتى مات[1] في أواخر ذي الحجة سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمان مائة. وكان له مشهد لم يُرَ مثله مَنْ حضره مِنَ الشيوخ فضلاً عمن دونهم. وشهده أمير المؤمنين والسلطان فمن دونهما وقدم الخليفة للصلاة عليه ودفن تجاه تربة الديلمي بالقرافة وتزاحم الأمراء والكبراء على حمل نعشه.

٥٢ ـ **أحمد بن علي بن هادي النهمي ثم الصَّنعاني**: ولد سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف ونشأ بصنعاء، واتصل بالإمام المهدي العباس بن الحسين قبل أن يلي الخلافة. وبعد أن وليَ الخلافة جعله الوزير الأعظم واستمر وزيرًا حتى مات.

وكان صادق اللهجة كثير البر والإحسان ملازمًا للطاعات والجماعات مقبلاً على أهل العلم والفضل كثير السعي فيما فيه صلاح المسلمين، لا رغبة له في الشر ولا يجلبه إلى أحد. وأحبه الإمام المهدي محبة شديدة وكان يعول عليه في جميع الأمور ولم يكن كثير المال مع كونه قد وليَ الوزارة زيادة على خمس وعشرين سنة. لأنه كان لا يأخذ إلا على وجه يأمن من عاقبته ولو فعل كما يفعل غيره لترك من المال ما لم يسمع بمثله في وزراء الخلفاء باليمن ومات ليلة الإثنين ثاني وعشرين ربيع الآخر سنة ١١٨٦ ست وثمانين ومائة وألف.

٥٣ ـ **أحمد بن عماد بن يوسف بن عَبد النبيِّ الشِّهاب أبو العباس الأَقْفَهْسي ثم القاهريّ**[2]: الشافعي ويُعرفُ بابن العمادِ قرأ على الأسنوي والبلقيني والباجي وآخرين ومهر وتقدم في الفقه وكتب على مهمات الأسنوي كتابًا سماه (التعقبات على المهمات)[3] وشرح المنهاج عدة شروح وله مؤلف في أحكام المأموم والإمام وآخر في موقف الإمام والمأموم وله منظومات منها منظومة فيما يحل ويحرم من الحيوان تزيد على أربع مائة بيت، و (التبيان في آداب حملة القرآن) تزيد على ست مائة بيت وفي العقائد

---

(١) في الشذرات ٧/ ٢٧٣: توفي ليلة السبت ثامن عشري ذي الحجة ودفن بالرميلة.

(٢) ترجمته في الشذرات ٧/ ٧٣.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٩١٥.

في جميع ما يرجع إلى الدولة، ولم يكن السلطان يكتب علامته على شيء حتى يرى خطه فيه، كذا ترجم له ابن حجر في الدرر ولم يذكر وفاته.

٥٥ ـ أحمد بن محمّد بن أحمد بن جاد الله مشحم الصّعدي ثم الصَّنْعاني: ولد سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء وقرأ على شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي في الفقه، وعلى غيره في العربية واشتغل بالحديث وكتب بخطه الحسن كتبًا. ولما مات والده وكان قاضيًا ولاه الإمام المهدي العباس بن الحسين القضاء بصنعاء من جملة قضاتها وجعل له مقررًا، فباشر ذلك مباشرة حسنة، بعفة ونزاهة وديانة وأمانة وسكينة ووقار، فما زالت درجته ترتفع فيه. ولما مات الإمام المهدي وقام مقامه مولانا الإمام المنصور بالله خليفة العصر، عظّمه وركن عليه في أمور جليلة.

وهو الآن من أعيان القضاة ونبلائهم وكل ما تولاه وحكم به انشرحت الخواطر وطابت به النفوس وهو مستمر على حاله الجميل مقبل على شأنه وله ولد علاّمة هو محمد بن أحمد. سيأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٥٦ ـ أحمَد بن محمّد بن أحْمَد بن مطهر القابليِّ: نسبة إلى جماعةٍ معروفةٍ يسكنون بالقربِ من حصن شبّام حراز المعروف بالحرازي، شيخ شيوخ الفروع بلا مدافع، ولد حسبما كتبه إليَّ بخطه في يوم الأضحىٰ من شهر الحجة سنة ١١٥٨ ثمان وخمسين ومائة وألف بذمار. ثم نشأ بها وقرأ على العلاَّمة عبد القادر بن حسين الشويطر، وعلى السيّد العلاَّمة الحسين بن يحيى الديلمي. وبرز في الفقه والفرائض وارتحل في أول شبابه إلى مدينة صنعاء فاتصل بجماعة من أكابر أهلها كالقاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن، والقاضي العلاَّمة إسماعيل بن يحيى الصديق ثم أقرأ الطلبة في جامع صنعاء في شرح الأزهار لابن مفتاح وفيما عليه من الحواشي الواسعة، وفي بيان ابن مظفر وفي شرح الناظري على الفرائض. وعكف عليه الطلبة وانتفعوا به وتنافسوا في الأخذ عنه وصار تلامذته شيوخًا ومفتيين وحكامًا. وله عافاه الله قدرة على حسن التعبير وجودة التصوير مع فصاحة لسان ورجاحة عقل وجمال صورة ووفور حظ عند جميع الخلق، لا ترد له شفاعة ولا يكسر له جاه. وقد خطب للأعمال الكبيرة فقبل منها ما فيه السلامة في دينه ودنياه وأرجع ما عداه واجتمع له من ذلك دنيا عريضة صانه الله بها عن الوقوع فيما لا يشتهى من التورطات.

وقد باشر قسمة تركة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، وتركة الإمام المهدي لدين الله العباس ابن الحسين فأحسن العمل في التركتين جميعًا مع كثرة الورثة ذكورًا وإناثًا.

وقد صار مولانا خليفة العصر حفظه الله يعتمد عليه في كثير من الأعمال ولو رغب في القضاء لكان أهلاً له. وقد اعتمد الناس عليه في الفتوى وقصدوه بالمشكلات من كل مكان وتفرد في معرفة الفقه ولم يبق له الآن فيه نظير لا في صنعاء ولا في ذمار فإن شيخه العلاَّمة الحسين بن يحيى المتقدم ذكره هو الآن حيّ ولكنه لا يبلغ رتبته في خصوص هذا الفن وإن كان له فنون أخرى. وقد لازمته في الفروع نحو ثلاث عشرة سنة، وانتفعت به وتخرجت عليه وقرأت عليه في الأزهار وشرحه وحواشيه ثلاث دفعات؛ الدفعتين الأوليين اقتصرنا على ما تدعو إليه الحاجة، والدفعة الثالثة استكملنا الدقيق والجليل من ذلك مع بحث وتحقيق. ثم قرأت عليه الفرائض للعصيفري وشرحها للناظري وما عليه من الحواشي، وقرأت عليه بيان ابن مظفر وحواشيه. وكانت هذه القراءة قراءة بحث وإتقان وتحرير وتقرير. وهو الآن حفظه الله حي ينتفع الناس به في القراءة والفتوى وقضاء أغراضهم والقيام بما توجه إليه من الأعمال. وأحواله جميلة وغالب حركاته جليلة عافاه الله ونفع بعلومه. ومات رحمه الله في شهر شوال سنة ١٢٢٧ سبع وعشرين ومائتين وألف.

٥٧ ـ **السيّد أحمد بن محمّد بن إسحٰق بن المهدي أحمد بن الحَسَن بن الإمام القاسِم**: ولد في سابع وعشرين شهر شعبان سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء وقرأ على علمائها في علم الآلة والأصول والحديث والتفسير فبرعَ في جميع هذه المعارف وكان له عناية بتصحيح النسخ والكتب على هوامشها وتوضيح غامضها وعكف عليه الطلبة أيامًا متداولة. ومن جملة تلامذته شيخنا العلاَّمة علي بن إبراهيم بن عامر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وله رئاسة عظيمة وجلالة فخيمة وهو المتولي لأمور آل إسحٰق بعد موت والده، وقد كان تولاها صنوه العلاَّمة إبراهيم فتعقب ذلك خروج صاحب الترجمة من صنعاء مغاضباً للإمام المهدي العباس بن الحسين ثم جرت خطوب كثيرة وآل الأمر أنه صولح على أن يعود ويكون له ما كان لوالده ويقوم هو مقامه فوصل إلى صنعاء واستمر على ذلك إلى وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف. وبالجملة فهو من أكابر العلماء المحققين وأفاضل السادة القادة المشهورين، وقام ولده العلاّمة الأديب الرئيس علي بن أحمد مقامه في جميع ما كان إليه وستأتي له ترجمة مستقلة.

٥٨ ـ **أحمد بن محمَّد المشهور بابن مَعْصُوم الحسيني الحجازي المولد**[1]: ذكره

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٧٦٣.

كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالاً فأكثر. وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل، ثم صارت تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك. ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصار من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل رطل إلى إثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالاً يقتنى لوجود الخلل في قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة. انتهى.

٦٠ ـ أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزّين أحمد بن الجمال محمّد بن الصفيّ محمّد بن المَجد حُسَين بن التَّاج علي[١]: القسطلاني الأصل المصري الشّافعي؛ ويعرف بالقسطلاني. ولد في ثاني عشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمان مائة، بمصر، ونشأ بها فحفظ القرآن والشاطبيتين ونصف الطيبة الجزرية والوردية في النحو وتلى بالسبع على السراج عمر بن قاسم الأنصاري الساوي، وبالثلاث إلى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ [الفرقان: ٢١] على الزين عبد الغني الهيثمي وبالسبع ثم بالعشر في ختمتين على الشهاب بن أسد. وأخذ القراآت عن جماعة أيضًا وأخذ الفقه عن الفخر المقسي تقسيمًا والشهاب العيادي. وقرأ ربع العبادات من المنهاج، ومن البيع وغيره من البهجة على الشمس اليامي، وقطعة من الحاوي على البرهان ومن أول حاشية الجلال البكري على المنهاج إلى أثناء النكاح بفوات في أثنائها على مؤلفها. وسمع مواضع في شرح الألفية وسمع على المليوني والرضي الأوحاقي والسخاوي وسمع صحيح البخاري بتمامه في خمسة مجالس على الشاوي وقرأ في الفنون على جماعة. ثم حجّ غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين ثم جاور مجاورة أخرى سنة أربع وتسعين وسمع بها عن جماعة وجلس للوعظ بالجامع العمري وكان يجتمع عنده جمع جم ثم جلس بمصر شاهدًا رفيقًا لبعض الفضلاء. وبعده انجمع وكتب بخطه لنفسه أشياء بل جمع في القراآت (العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية)[٢] في التجويد و (الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز)[٣] وشرحًا على (الشاطبية) وصل فيه إلى الإدغام الصغير زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره وكتب على الطيبة قطعة مزجًا وعلى البردة مزجًا أيضًا سماه (مشارق الأنوار المضية في مدح خير البرية)[٤] و (تحفة السامع القاري بختم صحيح البخاري) ومن مؤلفاته المشهورة شرح البخاري المسمى

---

(١) ترجمته في النور السافر ص ١٠٦ وفي الشذرات ٨/ ١٢١ ـ ١٢٢.
(٢) كشف الظنون ٢/ ١٧٩٩.
(٣) كشف الظنون ٢/ ١٥١٩.
(٤) كشف الظنون ٢/ ١٦٨٨.

(إرشاد الساري على صحيح البخاري) في أربع مجلدات، وشرح صحيح مسلم مثله ولم يكمل و (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)[١] وكان متعففًا جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، شجي الصوت مشارك في الفضائل متواضع متودد لطيف العشرة سريع الحركة. كثرت أسقامه واشتهر بالصلاح والتعفف على طريق أهل الفلاح (قال الشيخ جار الله ابن فهد) ولما اجتمعت به في الرحلة الأولى أجازني بمؤلفاته ومروياته وفي الرحلة الثانية عظّمني واعترف لي بمعرفة فني وتأدب معي ولم يجلس على مرتبته بحضرتي فالله يزيد في إكرامه ويبلغه غاية مرامه. قال ثم بلغني في رحلتي إلى الشام أنه مات في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة وصلي عليه بعد الجمعة بالجامع الأزهر ودفن بالمدرسة جوار منزله تغمده الله برحمته.

٦١ ـ أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد الحِيمي الكوكباني: الخطيب البليغ الشاعر. نشأ بكوكبان وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء ذكرهم في كتابه المسمى (طيب السمر) وهو كتاب حافل ترجم فيه لجماعة من الأعيان تراجم مسجعة كما هو صنع غالب المؤرخين المتأخرين. ومن مصنفاته شرح قصيدة محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين سماه (الأصداف المشحونة باللئالي المكنونة) وهو شرح مفيد طالعته فرأيته فائقًا في بابه، وله شرح على (رسالة الواثق) المشهورة سلك فيها مسلك الصفدي في شرح لامية العجم. وله مؤلفات أدبية تزيد على الأربعين وهو مجيد في كل ما يصنفه ومن شعره الأبيات التي مطلعها:

لَعِبَ النسيمُ بغصنٍ قد أَهْيَفَ ... لا بلّ من داءِ السقامِ ولا شفىٰ

ومن شعره:

نسيمُ الروض عن وبلٍ بليلٍ ... تنفّسَ لابسًا بُرْدَ الأصيلِ
ووافى راويًا خبرًا صحيحًا ... من الأنباء عن جسمٍ عليلِ
لقدْ سهرتْ عيوني حينَ وافا ... لذكرىٰ من يعدّوا خيرَ جيلِ
فما اكتحلتْ بنومٍ قطّ إلا ... بميلٍ في المسافةِ بعدَ ميلِ

وله نظم كثير ونثر واسع، وكله في رتبة متوسطة وهو طويل النفس في جميع ما يأتي به توفي سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف.

٦٢ ـ أحمد بن محمد الحجازي الينبعي الأصل الصنعاني المولد والوفاة: الشّاعر

---

(١) كشف الظنون ٢/١٨٩٦.

مناقبه ومناقب شيخه وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية فبالغ في ذلك وكان يتكلم على الناس وله في ذلك تصانيف (قال الذهبي) كانت له خلال عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقي لما رجع من مصر معظمًا لوعظه وإشارته، وكان يتكلم بالجامع الأزهر يمزج كلام القوم بآثار عن السلف وفنون من العلم. فكثر أتباعه وكان عليه سيماء الخير ويقال أن ثلاثة قصدوا مجلسه فقال أحدهم: لو سلمت من العائلة لتجردت وقال الآخر: أنا أصلّي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة فقال الثالث: إن صلاتي ما ترضيني فكيف ترضي ربي. فلمّا حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه ومن الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه. ومن جملة من أخذ عنه الشيخ تقي الدين السبكي وقال الكمال جعفر سمع من الأبرقوهي وقرأ النحو على المحيى وشارك في الفقه والأدب وصحب المرسي فتكلم على الناس فسارعت إليه العامة وكثير من المتفقهة وكثر أتباعه (قال أبو حيان) وقال الكمال ابن المكين: حكى له المراكشي قال كنت أصحب فقيرًا فحضر إليه الخليلي الوزير يزوره فقال له: جاءني ابن عطاء الله فقال لي: الليلة ترىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فاجعل بشارتي أن توليني الخطابة بالإسكندرية. فمضت الليلة وما رأيت شيئًا، وقد عزمت على ضربه فلم يزل الفقير يتلطف به حتى عفا عنه.

وإذا صحَّ هذا فهو محتال وليس من الرجال، وهو صاحب الحكم المشهورة الآن بحكم ابن عطاء الله التي يلهج كثير من متصوفة زمننا بحفظ كلمات منها. ومات في نصف جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ تسع وسبعمائة.

٦٦ ـ **أحمد بن محمّد بن عثمان الأزديّ العدوي أبو العباس بن البنّاء**[١]: أخذ عن قاضي الجماعة محمد بن علي المراكشي، وأبي عبد الله محمد بن أبي البركات أبي العباس أحمد بن محمد المدعو ابن أبي عطاء، وأبي الحسين ابن أبي عبد الرحمٰن وغيرهم.

وكان فاضلاً عاقلاً نبيهًا انتفع به جماعة في التعليم. وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح إلى قريب الزوال مدة، إلى أن كان في سنة ٦٩٩ فخرج إلى صلاة الجمعة في يوم ريح وغبار فتأذى بذلك وأصابه يبس في دماغه وكان له مدة لا يأكل ما فيه روح فبدت منه أحوال لم تعهد وهيئات عجيبة، وصار يكاشف كل من دخل عليه ويخبره بما هو عليه فأمر الشيخ أبو زيد عبد الرحمٰن بن عبد الكريم الأغماتي أهله أن يحجبوه. فأقام سنة ثم

(١) انظر شذرات الذهب ٦/ ٥٤.

صح وخرج إلى الناس وصار يذكر ما جرى له من ذلك وفيه عجائب. منها أنه رأى صورًا علوية وجوههم مضيئة تكلموا بعلوم جمة تتعلق بمعاني القرآن بأساليب بديعة قال ثم هجم عليَّ جماعة في صور مفزعة فذكر كلامًا طويلاً. وله مصنفات منها (التلخيص في الحساب)[1] في سفر، وكتاب في الأوقاف، وكتاب في الأنواء وغير ذلك واستمر ببلده يفيد الناس إلى أن مات سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعمائة.

٦٧ ـ **أحمد بن محمّد بن حجر الوائلي السعدي الهيثمي**[2]: المصري ثم المكي، ولد سنة ٩٠٩ تسع وتسعمائة ونشأ ببلده وحفظ القرآن. ثم انتقل إلى مصر فحفظ مختصرات وقرأ على الشيخ عمارة المصري والرملي وأبي الحسن البكري وغيرهم. وبرع في جميع العلوم خصوصًا فقه الشافعي وصنّف التصانيف الحسنة. ثم انتقل من مصر إلى مكة المشرفة وسبب انتقاله أنه اختصر الروض للمقري وشرع في شرحه فأخذه بعض الحساد وفتته وأعدمه فعظم عليه الأمر واشتد حزنه وانتقل إلى مكة وصنّف بها الكتب المفيدة، منها (الإمداد) و (فتح الجواد) شرحًا على (الإرشاد) الأول بسيط، والثاني مختصر و (تحفة المحتاج شرح المنهاج) و (الصواعق المحرقة) و (شرح الهمزية) و (شرح العباب) وكان زاهدًا متقللاً على طريقة السلف آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر واستمر على ذلك حتى مات في سنة ٩٧٣ ثلاث وسبعين وتسعمائة.

٦٨ ـ **أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد بن عرب شاه**[3]: الدمشقي الأصل، الرومي الحنفي. ويعرف بالعجمي وبابن عرب شاه وهو الأكثر. وليس هو بقريب لداود وصالح ابني محمّد بن عرب شاه الهمذانيين الأصل، الدمشقيين الحنفيين. ولد[4] في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بدمشق، ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقري. ثم تحول في سنة ثلاث وثمان مائة في زمن الفتنة مع أخوته وأمهم وابن أخته عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن حولان إلى سمرقند. ثم بمفرده إلى بلاد الخطا وأقام ببلاد ما وراء النهر مديمًا للاشتغال والأخذ عن من هناك من الأستاذين فكان منهم السيّد محمد الجرجاني، وابن الجزري وهما نزيلا سمرقند وعصام الدين بن العلاّمة عبد الملك وجماعة. ولقي بسمرقند الشيخ العريان

---

(١) كشف الظنون ١/ ٤٧٢.

(٢) ترجمته في الضوء اللامع ١/ ٢٦٩.

(٣) ترجمته في الشذرات ٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١. وذكره صاحب التاج ص ٣٢٦.

(٤) في الشذرات ٧/ ٢٨٣: نقلاً عن كتابته: . . . وأما مولدي فداخل دمشق ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٩٠ هـ.

فتعجب البرهان من سعة دائرته واطلاعه ثم قال له: أنا والله ما عرفتك إلا الآن. فقال له: والله وإلى الآن ما عرفتني! وطالت المكتبة بينهما على هذا المنوال حتى اجتمع من ذلك مجلد.

٦٩ ـ أحمَدْ بن محمّد بن عَبْد الهادي بن صَالِـح بن عبد الله بن أحمد قَاطِن[١]: الحبابي ثم الثلائي ثم الكوكباني ثم الصَّنعاني. كان مولده ليلة أربع عشرة محرم سنة ١١١٨ ثمان عشرة ومائة وألف.

قرأ في مدينة شبام وحصن كوكبان وتكسب بالتجارة في مبادىء عمره بشبام، مع اشتغاله بالعلم وإكبابه على الفنون. ثم أخذ في صنعاء عن السيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى الشامي، والسيّد العلاَّمة صلاح بن الحسين الأخفش، والسيّد العلاَّمة أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وطالت ملازمته للثالث وقرأ عليه في عدة فنون وبقي في بيته سنين. فعاونه عند الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن حسين بن الإمام المهدي. وكان السيّد المذكور إذ ذاك متوليًا للقضاء الأكبر بصنعاء. فولى صاحب الترجمة القضاء وجعله من جملة حكامها فاتفقت حادثة كان بسببها عزل صاحب الترجمة، مع أن الحق معه ثم لما كانت خلافة الإمام المهدي لدين الله العباس بن الحسين ولاه القضاء بمدينة ثلاء. ثم جعل إليه ولاية الأوقاف ثم بعد ذلك اعتقله وحصلت له محن، وخرب بيته في ثلاء بسبب أن السيّد العلاَّمة قاسم بن محمد الكبسي احتسب عليه إذ ذاك أنه عمره فوق مقبرة. ثم عوضه الله فملكه الإمام المهدي دارًا عظيمةً بصنعاء. وبها أولاده الآن وسائر أهله ثم بعد اعتقاله حجَّ وبعد أيام ولاه الإمام المهدي القضاء الأكبر بمدينة صنعاء واستمر أيامًا وحمدت مباشرته مع اشتهاره بالعفة والنزاهة وعدم المحاباة في شيء من الأمور لا لصغير ولا لكبير.

وكان يكثر الحط والإنكار على بعض المتعلقين بأعمال الإمام المهدي كالفقيه علي الجرافي ومن يشابهه، فما زالوا بالإمام المهدي حتى اعتقله قبل موته بنحو عام. ثم استمر محبوسًا إلى أيام مولانا الإمام المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله فأفرج عنه فخرج إلى بيته. وقد ثقل سمعه وضعفت قوته لعلو سنه ومع ذلك فما زال يُقرىء من يطلب القراءة عليه. وكان له شغف بالعلم وله عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها.

وله شيوخ عدة وقد اختصر (الإصابة) وكتب مجلدًا يشتمل على أسانيد الكتب

---

(١) ذكره صاحب التاج المكلل ص ٣٦٤.

العلمية إلى مصنفيها. وترجم جماعة من رجال الإسناد وهو في حكم المعجم، وله كتاب آخر ذكر فيه تراجم لأهل عصره. وكان له عناية كاملة بعلم السنة ويد قوية في حفظها وهو عامل باجتهاد نفسه لا يقلد أحدًا.

واستمر مشتغلاً بنشر العلم مجتهدًا في الطاعات حتى توفاه الله في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف. وله أولاد، أعلمهم عبد الحميد بن أحمد، وله عرفان كامل في علوم الاجتهاد مع سمت ووفور عقل وجودة فهم وقوة إدراك وهو على طريقة والده في العمل بالأدلة ومولده حسبما ذكر لي بخطه سابع عشر شهر جمادىٰ الأولى سنة ١١٧٥ خمس وسبعين ومائة وألف. وهو الآن مكب على طلب العلوم مشتغل بالنظر في أمر معاشه ومعاده، مقبل على شأنه قد شغلته نفسه عن غيره ومن شعر والده المترجم له حسبما رأيت ذلك بخطه منسوبًا إليه:

يا سارياً لسرىٰ الحسنِ كم أسرتْ ... عيونه من كميٍّ حارَ في حَوْرِهِ

نوافثُ السحرِ منها قيَّدتهُ ضحًى ... واللّـهُ أعلـمُ مـا كـان انتهـى خبـرهِ

فاعقلْ قلوصكَ واعقلْ من سريتَ له ... فإنه الشّمسُ تعشو العين من نظرهِ

٧٠ ـ أحمد بن محمّد بن علي بن مربع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة[١]: ولد سنة ٦٤٥ خمس وأربعين وستمائة. وأخذ عن الضّياء جعفر بن الشَّيخ عبد الرحيم، والسديد الأرمي، وابن بنت الأعز، وابن دقيق العيد وغيرهم. واشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل وكان إذا أطلق الفقيه انصرف إليه بغير مشارك، مع مشاركته في العربية والأصول ودرس بالمعزية[٢] وأفتى، وعمل (الكفاية في شرح التنبيه) ففاق الشروح ثم شرع في شرح الوسيط فعمل به في أول الربيع الثاني إلى آخر الكتاب، وشرع في الربع الأول إلى أثناء الصلاة ومات فأكمله غيره. وله تصانيف لطاف، ووليَ حسبة مصر وناب في الحكم ثم عزل نفسه وحج سنة ٧٠٧ وكان حَسَن الشكل فصيحًا ذكيًا محسنًا إلى الطلبة كثير السعي في قضاء حوائجهم. وكان قد نُدب لمناظرة ابن تيمية.

وسئل ابن تيمية عنه بعد ذلك. فقال: رأيت شيخًا يتقاطر فقه الشافعية من لحيته. هكذا ذكر ابن حجر في الدرر. ونَدب صاحب الترجمة لمناظرة ابن تيمية لا يفعله إلا من لا يفهم ولا يدري بمقادير العلماء، فابن تيمية هو ذلك الإمام المتبحر في جميع المعارف

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٥٥.
(٢) انظر خطط المقريزي ٢/ ٣٦٤.

الأساس) و (شرح التهذيب للتفتازاني)[١] وكتب تعاليق على (المفصل) و (الفصول اللؤلؤية) و (أوائل المنهاج) وشرح بعضًا من (البحر الزخار)[٢] وكان أحد أمراء الجيوش في أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

وله في ذلك مقامات مشهورة وتوفي في يوم الخميس تاسع شهر رجب سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف.

٧٣ ـ السيّد أحمد بن محمّد الشَّرفيّ[٣]: العلاّمة المؤرّخ مصنّف (اللئالىء المضية) جعلها شرحًا لقصيدة السيّد صارم الدين إبراهيم بن محمد التي عارض بها البسّامة، وهو شرح حافل في ثلاث مجلدات. وتوفي في شهر الحجة سنة ١٠٥٥ خمس وخمسين وألف سنة ومن مصنفاته: (شرح الأساس) و (شرح الأزهار) في أربعة مجلدات.

وله أشعار، وأخبار، وجهاد، واجتهاد ومولده سنة ٩٧٥ خمس وسبعين وتسعمائة.

ومن جملة مشايخه الإمام القاسم بن محمد وله تلامذة جهابذة.

٧٤ ـ أحمد بن محمّد بن محمّد بن حسن بن عليّ بن يحيى بن محمّد بن خلف الله بن خليفة التقي أبو العباس الهيمي الداري[٤]: القسنطيني الأصل، السكندري المولد القاهري المنشأ، المالكي ثم الحنفي، ويعرف بالشُمنيّ، بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة، نسبة إلى مزرعة ببعض بلاد المغرب أو إلى قرية. ولد في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٨٠١ إحدى وثمان مائة بإسكندرية. وقدم القاهرة مع أبيه فأسمعه عن ابن الكويك والجمال الحنبلي والولي العراقي وجماعة. وأجاز له آخرون وقرأ في الأصلين، والنحو، والمعاني والبيان، والمنطق وغيرها. ومن جملة مشايخه العلاء البخاري والصيرامي. وتحول حنيفًا في سنة ٨٣٤ وبرع في جميع المعارف وصنّف حاشية المغني لخّصها من حاشية الدماميني وكذلك (مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء)[٥] وشرحًا متوسطًا للنقاية في فقه الحنفية.

وقرأ ذلك مرارًا وتنافس الناس في تحصيل الحاشية وتوسل بعض المغاربة

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ٥١٥.

(٢) في كشف الظنون ١/ ٢٤٤ «البحر الزاخر في الفروع» على مذهب الزيدية.

(٣) انظر هدية العارفين ٥/ ١٠٠.

(٤) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣١٣.

(٥) كشف الظنون ٢/ ١٠٥٤.

بسلطانهم عند من ارتحل إليه وكتبها في أعاربها كذا قال السخاوي: وقد رأيت حاشيته على المغني وحضرت عند قراءة الطلبة عليّ في الأصل فما وجدتها مما يرغب فيه لا بكثرة فوائد ولا بتوضيح خفي ولا بمباحثه مع المصنف بل غايتها نقول من كلام الدماميني وإني لأعجب من تنافس الناس في مثلها وكذلك حاشية الشفاء فإنها في نحو أربع كراريس وفيها تفسير ألفاظ غريبة من اللغة يقوم بذلك أدنى الطلبة إذا حضر لديه القاموس فضلاً عن غيره، وقد انتفع الناس بصاحب الترجمة في فنون متعددة، وقرأ عليه طبقة بعد طبقة وأخذوا عنه علومًا جمة، لا سيما الكتب الكبيرة الدقيقة كالكشاف والبيضاوي وشرح المواقف وشرح المقاصد والعضد والرضي والمطوّل.

وانفرد بتقرير جميع ذلك من دون ملاحظة للحواشي. وقد انتفع به جماعة من الأكابر كالأسيوطي والسخاوي وغيرهما، وكان إمامًا متفننًا متين الديانة زاهدًا عفيفًا متواضعًا حسن الصفات قوي الإدراك. ورسم له السلطان بفرس يركبها فركبها قليلاً ثم عجز ونزل عنها وتركها. فقالوا له: إذا لم تركبها فانتفع بثمنها. ولم ينفك الفضلاء عن ملازمته والأكابر عن الأخذ عنه، وكان لا يكتب على الفتاوىٰ ولا يجيب ما فيه شهرة من الأمور. بل غالب ما يهواه الانجماع والخمول.

وقد كان عرض عليه القضاء وجاءه كاتب السر وأخبره أنه إن لم يجب نزل السلطان إليه. فصمم وقال الاختفاء ممكن، فقال له فبما تجيب إذا سألك الله عن امتناعك مع تعيّنه عليك. فقال: يفتح الله حينئذ بالجواب. ولم يكن يحابي في الدين أحدًا. التمس منه بعض الشباب من ذوي البيوت أن يأذن له بالتدريس بعد أن أهدى إليه شيئًا، فبادر إلى رد الهدية وامتنع من الإذن.

وقد تزاحم الناس عليه في آخر أيامه وصار شيخ الفنون بلا مدافع. وجميع الأعيان من جميع المذاهب تلامذته ومات[1] في سابع عشر ذي الحجة سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمانمائة ولم يخلف بعده في مجموعه مثله وخلف ألف دينار وذكرين وأنثى من جارية.

٧٥ ـ أحمد بن مُصطَفى بن خَليل الرّومي الحنفي المعروف بطاشكبري[2]: ولد ليلة الرابع عشرة من شهر ربيع الأول سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة وقرأ على جماعة من علماء الروم في عدة فنون وتولى القضاء بمدينة بروسا إحدى مدائن الروم، ثم بالقسطنطينية وهو مصنِّف (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) وقد ترجم لنفسه في آخرها

---

(١) في الشذرات ٧/ ٣١٤: توفي قرب العشاء ليلة الأحد سابع عشري ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ.

(٢) ترجمته فى الشقائق النعمانية حيث ترجم لنفسه فيها.

وصولحت جميع تلك الجهات ودخلت تحت طاعته، فلما علم المنصور وأمراؤه بذلك خافوا منه على صعده. فراسلوا السيّد علي بن أبي الفضائل بأنهم لا يريدون إلا الحق وأنهم مع اختلاف الكلمة يخافون على البلاد من سلطان اليمن وعرفوه أنه يسترجع الإمام.

فوصلت إليه كتب السيّد يستنهضه ويحرج عليه بأنه لا يجوز التأخر ساعة واحدة فرجع فلم يقع الوفاء بما وعده المنصور فأقام الإمام في رصَابه ثم خرج جيش من صنعاء من جيش المنصور على غرة. فلم يشعر الإمام إلا وقد أحاطوا به فلما علم أنه لا طاقة له بهم وقع الصلح على سلامة من معه من العلماء وسائر أصحابه، ويخرج هو إليهم يذهبون به معهم.

فلما صار في جامع معبر نقضوا عهدهم وقتلوا من كان في الدار وكان في المقتولين ثمانية من الفقهاء، وسلم منهم جماعة فأسروا معه ودخلوا بهم ذمّار دخلة منكرة ثم قيدوه وقيدوا معه السيّد علي بن الهادي بن المهدي، والفقيه سليمان وغيرهم بقيود ثقيلة وأطلقوا بقية الفقهاء. ثم ساروا إلى صنعاء فلما قربوا منها أحاط بهم السفهاء يؤذونهم بالكلام وهم في المحمل. فقال الفقيه سليمان ادعِ عليهم فرفع سجاف المحمل وسلم عليهم فلما رأوه كفوا عن الأذية ودعوا الله أن ينفعهم به.

ثم سجن بقصر صنعاء من سنة ٧٩٤ إلى سنة ٨٠١ وفي الحبس صنف الأزهار ثم خرج بعناية من الذين وضعوا لحفظه وكان خروجه بين المغرب والعشاء وسار إلى هجرة العين. ثم طلع في جوف الليل إلى حصن ثلا وطلب الناس منه إظهار الأمر الذي كان عليه فرجح التأخير حتى يختبرهم ثم بعد ذلك تقدّم على صعدة مع علي بن المؤيد وقد دعا في أيامه حبسه فافتتحا صعدة. ثم قدَّم المنصور بعض أمرائه ثم تلاشئ الأمر وتثبط الناس عن نصرته فأراح قلبه عن التعلق بهذا الأمر وعكف على التصنيف وأكب على العلم حتى توفاه الله تعالى في شهر القعدة سنة ٨٤٠ أربعين وثمان مائة بالطاعون الكبير الذي مات منه أكثر الأعيان وقبره بظفير حجه مشهور مزور.

ومات المنصور علي بن صلاح في هذه السنة في شهر محرم منها.

٧٨ ـ أحمَد بن يحيى حَابِس الصَّعدي اليَماني أحد مَشاهِير عُلماء الزيدية: وله مشائخ كبراء، منهم الإمام القاسم بن مُحمَّد. وبرع في علوم عدة وصنّف تصانيف منها: شرح (تكملة الأحكام) وشرح الشافية لابن الحاجب ولم يكمل وشرح الكافل و (تكميل شرح الأزهار) و (المقصد الحسن) وجميع تصانيفه مقبولة.

وله شرح على الثلاثين مسألة في أصول الدين. وتولى القضاء بصعدة واستمر فيه حتى مات في ليلة الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف.

٧٩ ـ **أحمد المَكَرّ بفتح الميم والكاف وتشديد الراء المهملة**: رجل من أهل اليمن الأسفل رأيته في سنة ١٢١٥ وقد صار في سن عالية. أخبرني أنه في مائة وأربع وعشرين سنة ونصف سنة ومع هذا فهو صحيح العقل والحواس مستقيم القامة حسن العبارة.

وله تعلق بالتصوف تام ورأيته كثير المكاشفة ثم بعد هذه السن تزوج وولد له كما أخبرني عن نفسه في سنة ١٢١٦ وأخبرني غيره، ورأيت رجلاً آخر على رأس القرن الثاني عشر يذكر أنه قد صار في مائة سنة وسبع وعشرين سنة ونصف سنة، ويذكر أنه من بني الهبل فصدقوه في علو سنه. وهذا العمر خارج عن العادة المعروفة في هذه الأزمنة مع كون كل واحد من الرجلين صحيح الحواس قوي البدن، ومما يحسن ذكره هنا أن رجلاً يقال له حسين عامر الداغية من بلاد الحدا بلغ في العمر إلى نحو تسعين سنة، ثم ظهر برأسه قرنان كقرون المعز فوق أذنيه وانعطفا على أذنيه وشاعت الأخبار بذلك إلى أن بلغت إلينا إلى مدينة صنعاء وكان المخبرون ثقات من أهل العلم ثم لما بلغ الخبر خليفة العصر حفظه الله أرسل رسولاً يأتي به وكان ذلك باطلاعي فرجعت جوابات من شيخ ذلك المحل وهو رجل يقال له سعد مفتاح أن صاحب القرون موجود لديهم بيقين ولكنه قطعهما لما تأذى بهما ورأيت الجوابات ثم تواترت القضية تواترًا لم يبقَ فيه شك وذلك في سنة ١٢١٥.

ومن الغرائب الحادثة في هذا العام أن امرأة قد كانت قريب البلوغ فخرج لها في فرجها ذكر وصارت رجلاً بعد أن كانت امرأة وقد أخبرني بذلك السيّد العلاّمة محمد بن يحيى الكيسي وقال إن فرجها كان ثقبًا صغيرًا وأنه أمرها بعد ظهور الذكر أن تلبس لبس الرجال فلبسته وهي الآن كذلك.

٨٠ ـ **السيّد أحْمد بن يُوسُف بن الحسين بن الحَسَن بن الإمام القاسِمْ**: المحقق العلاّمة المحدث البارع في علم السنة المشهور بحفظها وحفظ رجالها. حتى لقب الحديث لغلبته عليه. كان عارفًا بفنون الآلة جميعًا وله يد طولى في علم الأدب وقصائد طنانة وله تخريج لمجموع الإمام زيد بن علي نفيس يدل على طول باعه في علم الرواية.

وكان مشهورًا بدماثة الأخلاق والتواضع والاحتمال والصبر وسكون الطبع والوقار. وله في ذلك أحوال عجيبة حتى كان إذا تركه أهله من طعامه وشرابه أو شيء مما يحتاج إليه لا يطلب ذلك منهم ولا يظهر عليه غضب بل يحتمل كل شيء. وهذا في خواص

وهو مع حداثة سنه يسابق في فهمه وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٨٣ ـ **إسحاق بن محمد العبدي الصعدي اليماني**[١]: ولد تقريبًا في وسط القرن الحادي عشر وقرأ على شيوخ عصره في جميع الفنون وبرع وفاق الأقران وصار منفردًا في جميع علومه. وله شيوخ أجلاء منهم القاضي صالح بن مهدي المقبلي الآتي ذكره واتصل بالإمام المهدي صاحب المواهب فعظَّمه وصار من جملة وزرائه بعد أن كان في غاية الفقر ونهاية المكابدة للحاجة.

ثم جرى بينه وبينه شيء فارتحل المذكور إلى بلاد الهند وأكرمه سلطانها إكرامًا عظيمًا وطوف تلك البلاد وتردد في الجهات واتصل بالعلماء والملوك وغيرهم. وظفر بكتب واسعة وتبحر في المعارف ودرّس وصنّف. فمن مصنّفاته الحافلة المفيدة المؤلف الذي سماه (الاحتراس) مجيبًا على الكردي مؤلف النبراس الذي اعترض به على مؤلف الإمام القاسم بن محمد المسمى بالأساس.

ولقد أتى صاحب الترجمة في مؤلفه هذا بما يفوق الوصف من التحقيقات الباهرة. وضايق الكردي مع تبحره في العلوم مضايقة شديدة وكان يبين مواضع نقل الكردي ثم ينقل بقية الكلام الذي تركه في المنقول منه كالمواقف والمقاصد وشرح التجريد ونحو ذلك. وكثيرًا ما يجد في الكلام ما يدفع ما أورده الكردي ثم بعد ذلك يتكلم بكلام لا يعرف قدره إلا من تبحر في علوم العقل والنقل، ولقد سلك مسالك في هذا الكتاب يبعد الوصول إليها من كثير من المحققين. وله أشعار رائقة ورسائل فائقة وترسلات بليغة. وخطه في الطبقة العليا من الحسن. وحاصله أن مثله في مجموعه قليل النظير وتوفي في سنة ١١١٥ خمس عشرة ومائة وألف بأبي عريش وقبر هنالك. ومن نظمه:

قفْ بالرسومِ العافياتِ نادباً ... وأدِّ من حق البكاءِ واجِبا
ونادِ وصلَ الغانياتِ نادماً ... يا آيباً أنْ لا يكونَ آيِبا
فلا تُلاَمُ إنْ وقفتَ شاكياً ... وإنْ وَقَفْتَ الدمعَ فيها ساكِبا
معاهدٌ عهدتُها ملاعباً ... فقد غدتْ برغمِنَا متاعِبا
ما زلتَ في شرعِ الغرام قاضياً ... لكنّه غدا عليّ قاضبا
ولم تكنْ عزائمي نوائباً ... وكم وقفتْ في النوىٰ نوائبا
فما لمخضوبِ البنان معرِضاً ... عن وصلِ مسلوبِ الجنانِ جانبا

---

(١) ترجمته في هدية العارفين ٥/ ٢٠١.

ومن شعره أيضًا قوله:

أَمـرُّ بـدارهـا فـأطـوفُ سبعـاً ... وألثـمُ ركنهـا مـن بعـد لمـسِ
فسمـونـي بعبـد الـدارِ جهـلاً ... ومـا علمـوا بـأنـي عبـد شمـسِ

٨٤ ـ السيّد إسحاق بن يوسُف بن المتوكِّل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمّد[1]: ولد حسبما وجد بخطه في سنة ١١١١ إحدى عشرة ومائة وألف. وهو إمام الآداب، والفائق في كل باب، على ذوي الألباب. قرأ في الآلات ولم تطل أيام طلبه بل هو بالنسبة إلى أيام طلب غيره من الطلبة لا تعد، ولكنه نال بقوة فكرته الصادقة، وجودة ذهنه الفائقة ما لا يناله غيره من أهل الاشتغال الطويل.

ثم قرأ بعد ذلك في علم الحديث على السيّد العلاَّمة محمد بن إسماعيل الأمير وكان يتعجب من ذكائه، وله مصنفات منها (تفريج الكروب) في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وهو كتاب نفيس وله رسائل كالرسالة التي سماها (الوجه الحسن المذهب للحزن) وفيها من البلاغة وحسن المسلك ما يشهد له بالتفرد ومضمونها الإنكار على من عادى علم السنة من الفقهاء الزيدية، وعلى من عادى علم الفقه من أهل السنة وكان يميل إلى الإنصاف ولكنه لا يظهر ذلك لشدة الجامدين من الفقهاء على من أنصف ولم يتعصّب للمذهب. وهو الذي أورد السؤال واستشكاله بقوله في أوله:

أيهـا الأعـلامُ مـن ساداتِنَـا ... ومصـابيـحُ ديـاجـي المشكـلِ
خبـرُونـا هـل لنـا مـن مـذهـبٍ ... يُقتفىٰ في القـولِ أو فـي العمـلِ
أم تُـرِكْنَـا همـلاً نـرعـىٰ بـلا ... سـائـمٍ نقفـوه نهـج السبـلِ
فـإذا قلنـا ليحيـىٰ قيـل لا ... ههنـا الحـقُ لـزيـدِ بـن علـي
وإذا قلنـا لـزيـدٍ حكمـوا ... أنَّ يحيـى قـولـه النـصَّ الجلـي
وإذا قلنـا لهـذا ولـدا ... فهـمُ خيـرَ جميـعِ الملـلِ
أو سـواهـمُ مـن بنـي فـاطمـةٍ ... أمنـاء الـوحـي بعـد الـرسـلِ
قـرروا المـذهـب قـولاً خـارجـاً ... عـن نصـوصِ الآل فـابحـث وسـلِ
إنْ يكـن مجتهـداً قـرره ... كـان تقليـداً لـه كـالأُولِ
إنْ يكـنْ قـرره مـن دونـه ... فقـد انسـدَّ طـريـقُ الجـدلِ
ثـم مَـنْ نـاظـر أو جـادلَ أو ... رامَ كشفـاً لقـذًى لـم ينجـلِ
قـدحـوا فـي دينـه واتخـذوا ... عـرضـه مـرمـىٰ سهـام المنصـلِ

---
(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٠٢.

٨٦ ـ **إسْماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد**[١]: الهاشمي العقيلي ثم الزبيدي الشافعي. ولد سنة ٧٢٢ اثنتين وعشرين وسبعمائة، وكان له أحوال ومقامات ولأهل زبيد فيه اعتقاد كبير وكان يلازم قراءة سورة يس ويأمر بها ويزعم أن قراءتها لقضاء كل حاجة وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه وكان الأمر كذلك.

وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد وكان منزلهُ ملجأً لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات. فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسماع واللهو، وأهل الحاجات لوجاهته فإنه تتلمذ له أحمد بن الرداد ومحمد المزجاجي فجالسا السلطان وكان مغريٌ بالسماع والرقص داعيًا إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص تنقص منزلته عنده واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق بسببه. وفيه يقول بعض الأدباء وكان منحرفًا عنه ومعتقدًا لصلاح صالح المصري:

صالحٌ المصريُّ قالوا صالحٌ ... ولعمري أنهُ للمنتَخَبْ
كانَ ظني أنَّه من فتيةٍ ... كلهُم إنْ تَمْتَحنهُم تخْتلبْ
رهطُ إسماعيل قطاعُ الطر ... يقِ إلى الله وأربابُ الريبْ
سُفَلٌ حمقىٰ رعاعٌ غاغةٌ ... أكلبٌ فيهم على الدنيا كلبْ

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيّرهم عما هم فيه لميل السلطان إليه. وبالغ في تعظيمه الخزرجي في تاريخه وقال: كان في أول أمره معلم أولاد ثم اشتغل بالنسك والعبادة، وصحب الشيوخ، ففتح عليه وتسلّك على يديه الجم الغفير، وبَعُدَ صيته وانتشرت كراماته وارتفعت مكانته عند الخاص والعام، وبالغ الأشرف إسماعيل بن العباس في امتثال أوامره. مات في نصف شهر رجب سنة ٨٠٦ ست وثمان مائة.

٨٧ ـ **السيّد إسماعيل بن أحمد الكبّسي**: وُلِدَ تقريبًا بعد سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، وهو أحد علماء صنعاء المعاصرين، له عرفان بالنحو والصرف والمعاني والبيان والفقه وإلمام بالأصول لا سيما أصول الدين. وهو بمكان من الزهد والعفة والانجماع عن بني الدنيا والقنوع بما يصل إليه وإن كان يسيرًا. وله عناية بقول الحق والمناصحة لأهل الولايات.

وأكثر ما يكتب إليَّ في ذلك من كلماته المقبولة، وله شعر جيّد فمن شعره ما كتبه

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

إليَّ يعاتبني لما شددت على جماعة من القضاة الذين يأخذون الأجرة من الناس وكان فيهم ثلاثة حكام من الكباسية ومن جملة أبياته قوله:

عــزُّ الأنــام محمّــدٌ فهــو الــذي ... طابتْ عناصرهُ وأكرمَ مَنْ سَئلْ
الحبــرُ والبحــرُ الخضَّــمُ وحــاكــمُ ... الإسلام عالمُنا وملجأ مَنْ وجَلْ
يــا مــن عــلا كيــوان إنَّ زمــاننــا ... أرسىٰ على الآلِ الوبالَ فهلْ جَهلْ

وهي أبيات طويلة مذكورة في غير هذا الموضع وله إليّ سؤالات وكان ساكنًا في الروضة، فأرسلها إلي مع شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي رحمه الله فأجبت عليها بجواب طويل وأرسلتها إليه مع شيخنا المذكور وهو الآن يقرأ عليه في فنون متعددة وللناس إليه رغبة لزهده وورعه.

٨٨ ـ **السيّد إسْماعيل بن أحمد الكبسي المُلقب مُغلِس**: ولد سنة[١] وقرأ على جماعة من أهل العلم كالسيّد العلاَّمة علي بن عبد الله الجلال، وشيخنا العلاَّمة أحمد بن محمد الحرازي وغيرهما من مشايخ صنعاء، وهو الآن من المدرسين في جامع صنعاء في الفقه والآلات.

وله معرفة تامة وفطرة سليمة وفاهمة قوية. وهو الآن يقرأ عليَّ من جملة الطلبة في شرح العضد على مختصر المنتهى وحواشيه، وهو كثير الطاعة قليل الفضول، كثير الإقبال، على شأنه صليب الديانة تعتريه حدة لا سيما إذا شاهد شيئًا من المنكرات كثَّر الله أمثاله.

وقد خرج من صنعاء في أواخر سنة ٢١ إلى حصن الظفير هو وجماعة، ودعا إلى نفسه وبث دعوته إلى الأقطار وجرت أمور طويلة، وبعد ذلك ترك الدعوة واستقر هنالك.

٨٩ ـ **إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم**[٢]: ابن علي بن عطيّة بن علي الشرف الشرجي[٣] اليماني الشافعي المعروف بالمقرىء الزبيدي ولد[٤] سنة ٧٥٤ أربع وخمسين وسبعمائة، وتفقه بالجمال الراعي وقرأ العربية على محمد بن زكريا، وعبد اللطيف الشرجي وغيرهما وقرأ في عدة فنون وبرز في جميعها وفاق أهل عصره وطال صيته واشتهر ذكره ومهر في صناعة النظم والنثر وجاء بما لا يقدر عليه غيره وأقبل عليه ملوك اليمن، وصار له حظ عظيم عند الخاص والعام.

---

(١) بياض بالأصل.
(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٣) في الشذرات ٧/ ٢٢٠ الشاوري.
(٤) في الشذرات ٧/ ٢٢٠: ولد سنة خمس وستين وسبعمائة بأبيات حسين.

النوع البديعي وله مسائل وفضائل. وعمل مرة ما يتفرع من الخلاف في مسألة الماء المشمس فبلغت آلافًا. قال وله خصوصية بالسلطان. وولِيَ عدة ولايات دون قدره. وله تصانيف وحذق تام، ونظر مليح ما رأيت باليمن أذكى منه انتهى.

والحاصل أنه إمام في الفقه والعربية والمنطق والأصول وذو يد طولىٰ في الأدب نظمًا ونثرًا، ومتفرد بالذكاء وقوة الفهم وجودة الفكر وله في هذا الشأن عجائب وغرائب لا يقدر عليها غيره. ولم يبلغ رتبته في الذكاء واستخراج الدقائق أحد من أبناء عصره، بل ولا من غيرهم. سمع بعض الناس يذكر بيتيّ الحريري في المقامات اللذين قال أنه قد أمن أن يعززا بثالث وهما:

سَمٌّ سِمةٌ تُحمَدُ آثارها   فاشكرْ لمن أعطىٰ ولو سمسمهْ
والمكر مهما اسْطعتَ لا تأتِه   لتقتفي السؤددَ والمَكْرُمَهْ

فقال إن تعزيزهما بثالث غير ممتنع فجحد ذلك البعض وطال بينهما النزاع فرجع إلى بيته وعمل على هذا النمط توفية خمسين بيتًا وأرسل بها إلى من جادله وقال قد صارا خمسين. وأول أبياته:

مِنْ كلِّ مهدي ودعا أحمدا   أُجيبُ ما أسعَدَ من كلَّمهْ

وقد كان بعض المتأخرين ممن عاصره قبل عصر صاحب الترجمة قد عزز بيتي الحريري بثالث وهو:

والمسْ لمهوي الضيفِ خيرَ القِرَى   وسلِّم المسلِّم والمسلِّمَهْ

ومع كونه بهذه المنزلة من الذكاء كان غاية في النسيان حتى قيل أنه لا يذكر ما كان في أول يومه. ومن أعجب ما يحكى في نسيانه أنه نسي مرة ألف دينار ثم وقع عليها بعد مدة اتفاقًا فتذكر ذلك مع عدم توسعه في الدنيا بل مع مزيد حاجته إلى ما هو أقل من ذلك. وكان ينكر نحلة ابن عربي وأتباعه وبينه وبين متبعيه معارك. وله في ذلك رسالتان وقصائد كثيرة مات[1] في سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمان مائة. وترجمته تحتمل كراريس.

٩٠ ـ **السيّد إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن:** ابن الإمام القاسم بن محمد شيخنا العلاّمة المدرس. ولد تقريبًا بعد سنة ١١٢٠ عشرين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء وأخذ عن أكابر علمائها ثم انتفع به الطلبة في العربية واشتهر على الألسن أنه من افتتح طلبه عليه في علم العربية استفاد.

(١) في الشذرات ٧/ ٢٢٢: توفي بزبيد يوم الأحد آخر صفر سنة ٨٣٧.

وكنت من جملة من افتتح عليه في العربية فقرأت عليه ملحة الإعراب للحريري، وشرحها المعروف بشرح بحرق. وكان له بي عناية كاملة وله مشاركة قوية في علم الصرف والمعاني، والبيان والأصول. ومن بركته المجربة أني تصدّرت للتدريس في الملحة وشرحها قبل الفراغ من قراءتها عليه وكان رحمه الله يواظب على التدريس مع ضعفه وعلو سنه وكنت أراه يأتي الجامع المقدّس في أيام الشتاء وشدة البرد فيقعد للتدريس وقد أثر فيه البرد مع الحركة تأثيرًا قويًا.

واستمر رحمه الله على ذلك حتى توفاه الله تعالى يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة ١٢٠٦ ست ومائتين وألف.

٩١ ـ السيّد إسماعيل بن الحسَن الشّامي: مولده سنة ١١٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف. وله شغلة بالزهد والورع والاشتغال بخاصة نفسه. واتصل بالسيّد علي بن محمد بن عامر أيام توليته للأوقاف فكان ينوب عنه في كثير من الأعمال ثم استقر بعد مدة في وقف مدينة ثلا ثم استقر بعد ذلك في ولاية وقف صنعاء وهو الآن مستمر على ذلك.

وبيني وبينه مودة صادقة ومحبة خالصة، ولنا اجتماعات نفيسة وهو كثير التواضع حسن الأخلاق عالي الهمة كثير المروءة كثير البر والإحسان لا برح في حماية الملك الديان.

وله يد في المعارف العلمية وعمل بما يقتضيه الدليل وإنصاف في جميع مسائل الخلاف. وتوفي رحمه الله في شهر شعبان سنة ١٢٣٤ أربع وثلاثين ومائتين وألف.

٩٢ ـ الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسِمْ بن محمّد[١]: رضي الله عنهما. وسيأتي تمام نسبه في ترجمة أخيه الحسن إن شاء الله ولد في نصف شعبان سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف في شهارة ونشأ بها، وكان كامل الخلق معتدل القامة أسمر اللون عظيم اللحية أشعر الذراعين قوي الحركة كثير التبسّم حسن الخلق.

قرأ على جماعة من أعيان علماء عصره في الفقه وسائر الفنون فبرع في الفقه وفاق على علماء عصره في ذلك، وأقرّ له الكبير منهم والصغير، ورجعوا إليه في المعضلات وشارك في بقية الفنون مشاركة قوية.

وكان يقرىء فيها أعيان علماء عصره وصنّف مصنّفات: منها (العقيدة الصحيحة)

(١) انظر هدية العارفين ٥/٢١٨.

وشرحها (المسائل المرتضاة إلى جميع القضاة) وحاشية على منهاج الإمام المهدي في الأصول بلغ فيها إلى بعضه. ورسالة في الطلاق للثلاث. وفي المحايرة في إبطال الدور، وفي الخلع، وفيما وقع إهداره في أيام البغاة، وفيما يؤخذ من الجبايات وكان واسع الحلم، قوي الصبر، شديد الاغضاء. ولما اشتهرت فضائله وتمت مناقبه دعا إلى نفسه بعد موت أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في يوم الأحد سلخ رجب سنة ١٠٥٤ أربع وخمسين وألف. وقد كان تقدمه صنوه أحمد بن القاسم ودعا إلى نفسه لأنه كان عند المؤيد بالله في شهارة. فقوى عزمه على الدعوة القاضي أحمد بن سعد الدين المتقدم ذكره فدعا. وتأخرت دعوة المتوكل لأنه كان عند موت أخيه في ضوران وبين المحلين مسافة.

ولم يعدّ دعوة أخيه أحمد مانعة من دعوته لكونه لم يكن جامعًا لشروط الإمامة المعتبرة في مذهبهما التي منها الاجتهاد ولم يكن أحمد بهذه المنزلة في العلم. ولما ظهرت دعوة المتوكل على الله تلقاها الناس بالقبول ودخلوا تحت طاعته. وقد كان أيضًا دعا ابن أخيه محمّد بن الحسن بن القاسم في اليمن ولكنه لما بلغته دعوة عمه إسماعيل تُرِكَ. ودعا في الشام (بلاد صعدة) السيد إبراهيم بن الإمام عز الدين بن الحسن واستمر أحمد بن القاسم على دعوته، وبعث العساكر إلى الجهات المتفرقة لحفظ الأطراف من غير إيذان بحرب، ولكنه ما زال أمره يتناقص ولا سيما بعد مبايعة السيِّدين الأعظمين محمّد بن الحسن بن القاسم وأخيه أحمد بن الحسن للمتوكل على الله فإنه ضعف جانب أحمد غاية الضعف ولم يتقاعد عن القيام بالدعوة وتجهيز الجيوش.

ووقعت حروب قتل فيها جماعة قليلة ثم ارتحل أحمد إلى عمران ثم إلى ثلا وأحيط به فيها، فجرى الصلح على أن يقع الاجتماع بين الأخوين ومن غلب الآخر في العلم استقلّ بالإمامة فظهر فضل صاحب الترجمة فبايعه أخوه أحمد ثم بايعه الناس الذين معه وسكنت الأمور. وأما السيّد إبراهيم فما زال أمره يضطرب فتارة يبايع وتارة يظهر بقاءه على دعوته وتكرر منه ذلك ولم يكن معه ما يعول به من جندٍ ولا أتباعٍ وصارت اليمن جميعها تحت طاعة صاحب الترجمة، وصفا له الوقت وقهر الأضداد ولم يبقَ له مخالف. وكان أكبر رؤساء دولته ابن أخيه محمّد بن الحسن بن القاسم فإنه كان يقبض حواصل أحسن البلاد. ثم بعده أحمد بن الحسن بن القاسم وكان مجاهدًا ويبعث به الإمام إلى الأقطار النائية للغزو فيظفر ويعود وقد دوخ ما بعثه إليه، كما فعل لما بعثه المتوكل إلى يافع فإنه استولىٰ عليها جميعًا وقهر سلاطينها وفتح حصونها ودخلوا تحت طاعته.

وكذلك فعل مرة بعد مرة ثم وجهه إلى عدن، ولحج، وأبين ففعل فيها كما فعل في يافع وكذلك توجه إلى حضرموت فافتتحها بعد فراغه من افتتاح يافع وأذعنت هذه البلاد كلها بالطاعة لصاحب الترجمة ولم يرَ الناس أحسن من دولته في الأمن والدعة والخصب والبركة.

وما زالت الرعايا معه في نعمة والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات. وكثرت أموال الرعايا وكل أحد آمن على ما في يده لعلمه بأن الإمام سيمنعه عدله عن أن يتعرض لشيء من ماله وغير الإمام تمنعه هيبة الإمام عن الإقدام إلى شيء من الحرام، وقد كان الناس حديثي عهد بجور الأتراك قد نهكتهم الحرب الواقعة بينهم وبينهم على طول أيامها. قال السيّد عامر بن محمّد بن عبد الله بن عامر الشهيد في (بغية المريد) أن الإمام المترجم له مات ومعه من أنواع الطيب ما قيمته مائة ألف أوقية فضة، وذكر أنه خلَّفَ من النقد والعروض ما لا يأتي عليه الحصر، وخلف من الطعام ثلاث مائة ألف قدح صنعاني.

هذا معنى ما ذكره. والإمام ما زال يتنقل من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد وصحبته أكابر العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه ما يريدون وهو يبذل لهم ذلك ويفيض عليهم من بيوت الأموال ما يحتاجون إليه وكان الغالب بقاؤه في ضوران وما زال على هذا الحال الجميل والعيش الحسن.

وقد دخل تحت طاعته السلاطين من يافع وحضرموت وعدن وظفار وغير هذه الديار، فمنهم من وفَدَ راغبًا، ومنهم من وفد راهبًا، ومنهم من وصل أسيرًا، وجيوش الإمام تقاتل في الأطراف دائمًا ومن جملة من والى الإمام وبايعه الشريف صاحب مكة. واستمر على حاله الجميل حتى توفي في ليلة الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة ١٠٨٧ سبع وثمانين وألف وله جوابات مسائل سأله بها علماء عصره وهي كثيرة جدًا متفرقة بأيدي الناس لو جمعت لجاءت مجلدًا. وللناس عليها اعتماد كبير لا سيما الحكام.

٩٣ ـ السيّد إسماعيل بن علي بن حسن بن أحمد بن حميد الدين بن مطهر بن الإمام شرف الدين: ولد في سنة ١١٣٣ ثلاث وثلاثين وماية وألف، بصنعاء ونشأ بها فقرأ على جماعة من أعيانها، منهم السيّد العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير والسيّد يوسف العجمي وجماعة آخرين في علم العربية وغيره، ودرس وأفاد وهو من السادة القادة النجباء الكملاء والعقلاء، وفيه مروءة وفتوة وحسن أخلاق وملاحة محاضرة وجودة بادرة وحفظ الأخبار النادرة والأشعار الرائقة.

وقد مال إليه مولانا الإمام المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله فصار يدعوه إلى مقامه في كثير من الأوقات ويجالسه وكثيرًا ما يقع الاجتماع بيني وبينه هنالك. أما في يوم الجمعة للحضور عند الخليفة حفظه الله للعشاء والقهوة. فعلى سبيل الاستمرار ويجري بيننا هنالك من المذاكرات الأدبية والعلمية ما تَشْنَفُ الأسماع وهو يورد ما يطابق المقام ويوافق مقتضىٰ الحال ويبحث معي في كثير من المعاني الدقيقة والطرائق الرقيقة والأخبار الرشيقة. وفيه من سمو الهمة وعزة النفس ما لا يقدر عليه غيره لا سيما في مثل هذه المواطن التي يظهر فيها جواهر الرجال. فإني لم أسمع منه على طول مدة اجتماعي به هنالك كلمة مؤذنة بالخضوع لمطلب من مطالب الدنيا لا تصريحًا ولا تلويحًا، بل يستطرد في كلامه قصصًا ووقائع فيها مواعظ، لها وقع في القلوب قاصدًا بذلك التعرض للثواب الأخروي، وقد صارَ حال تحرير هذه الأحرف وهو سنة ١٢١٣ في ثمانين سنة. وله نشاط تام إلى الحركة وركوب الخيل التي يهاب ركوبها أكثر الشباب.

فإن مولانا حفظه الله يركبه على خيله المعدة لركوبه عليها في كثير من الحالات ولم ينقص شيء من حواسه الظاهرة والباطنة إلا مجرد ثقل يسير في سمعه، وهو مواظب على الطاعات يعين الضعفاء بما يقدر عليه من ملكه أو بالشفاعة. ثم مات رحمه الله في شهر شوال سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف.

وولده علي له شغلة بالعلم كبيرة وعناية تامة، قرأ في الآلات على أعيان علماء العصر ورافقني في قراءة الكشاف والعضد والمطول وحواشي هذه الكتب على شيخنا العلاّمة الحسن بن إسماعيل المغربي وهو الآن مكب على الطلب ملازم لمعالي الرتب.

وله قراءة على السيّد العلاّمة شرف الدين بن إسماعيل بن محمّد بن إسحاق. وربما قرأ عليه بعض الطلبة في الآلات. وله من حسن الأخلاق ولطافة الطبع وبشاشة الوجه للخاص والعام ما لا يقدر عليه غيره. وهو حال تحرير هذا مناهز للخمسين وأخبر لي أن مولده في سنة ١١٦٦ ست وستين وماية وألف. وولده (حسن بن علي بن إسماعيل) قد صار من الطلبة المستفيدين، له اشتغال بالفقه وعلم العربية وسائر العلوم وهو كأبيه وجده في حسن الأخلاق واللطافة والظرافة ومات رحمه الله في سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف قبل موت جده بأشهر وهو في عنفوان شبابه.

٩٤ ـ إسماعيل بن علي بن محمود بن محمّد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب[١]: الملك المؤيّد صاحب حماه ولد[٢] سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة وأمره الناصر فخدمه

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ٩ الترجمة ٤٠٨٥، وفي شذرات الذهب ٩٨/٦ ـ ٩٩.

(٢) في الشذرات: كان مولده في جمادى الأولى سنة ٦٧٢ هـ.

لما كان بالكرك فبالغ. فلما عاد الناصر إلى السلطنة وعده بسلطنة حماه ثم سلطنه بها، يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغير ذلك ولا يؤمر ولا ينهى. أركبه الناصر شعار المملكة والسلطنة ومشى في خدمته أكابر أمراء الناصر فمن بعدهم واستقر بحماه ثم قدم إلى مصر على السلطان الناصر في سنة ٧١٦ فبالغ السلطان في إكرامه.

ثم قدم مرة أخرى فحج مع السلطان سنة ٧١٩ فلما عاد عظم في عين السلطان لما رآه من آدابه وفضائله وألبسه بعد العود شعار السلطنة وبين يديه جميع خواص الناصر وسائر الناس. ومشى السلحدار بالسلاح والدويدار الكبيرة بالدواة والغاشية والعصايب وجميع دست السلطان بين يديه. وكان جملة ما وصل إلى أهل الدولة بسببه في هذا اليوم مائة وثلاثين تشريفًا منها ثلاثة عشر أطلس.

وكان يزور السلطان في كل سنة غالبًا ومعه الهدايا والتحف وأمر السلطان جميع النواب أن يكتبوا إليه يقبل الأرض وهذا لفظ يختص بالسلطان الأعظم وكان الناصر نفسه يكتب إليه ذلك وكان جوادًا شجاعًا عالمًا بفنون عدة لا سيما الأدب فله فيه يد طولى، نظم الحاوي في الفقه وصنف تاريخه المشهور ونظم الشعر والموشحات وكان له معرفة بعلم الهيئة (قال ابن حجر) في الدرر الكامنة، ولا أعرف في أحد من الملوك من المدايح ما لابن نباتة والشهاب محمود وغيرهما فيه إلا (سيف الدولة) وقد مدح الناس غيرهما من الملوك لكن اجتمع لهذين من الكثرة والإجادة من الفحول ما لم يتفق لغيرهما، وكان يحب أهل العلم ويقربهم.

وكان لابن نباتة عليه راتب في كل سنة يصل إليه سوى ما يتحفه به إذا قدم عليه وكان الناصر يكتب إليه (أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي) وهذا وهو نائب من نوابه. وكان نائب الناصر في الشام وهو أكبر النواب يكتب إلى صاحب الترجمة يقبل الأرض وأما غير نائب الشام فيكتب إليه يقبل الأرض وينهى واستمر على حاله الجميل حتى مات[1] في شهر محرم سنة ٧٣٢ ومن نظمه:

أَحسِنْ به طرفاً أفوتُ به القضا ... إن رمتـه فـي مطلـب أو مهـربِ
مثلَ الغزالةِ ما بدت في مشرقٍ ... إلا بـدتْ أنـوارهـا فـي المغـربِ

٩٥ ـ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الأصل الدمشقي الشافعي[2]: ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة ٧٠١[3] ثم انتقل إلى دمشق سنة ست وسبعمائة

(١) في الشذرات ٦/٩٩: مات فجأة عن ستين سنة إلا ثلاثة أشهر وأيامًا.
(٢) ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢٣٣ وفي الشذرات ٦/٢٣١.
(٣) في الشذرات ٦/٢٣١: كانت ولادته سنة سبعمائة.

وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري وغيره. وسمع من القاسم بن عساكر والمزي وغيرهما وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل.

ومن جملة مشايخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ولازمه وأحبه حبّا عظيمًا كما ذكر معنى هذا ابن حجر في الدرر. وأفتى ودرّس. وله تصانيف مفيدة منها التفسير المشهور وهو في مجلدات وقد جمع فيه فأوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار. وتكلّم بأحسن كلام وأنفسه وهو من أحسن التفاسير إنْ لم يكن أحسنها.

ومن مصنفاته كتاب (التكميل في معرفة الثقاة والضعفاء والمجاهيل) في خمسة مجلدات و (كتاب البداية والنهاية) في أربعة وخمسين جزء و (كتاب الهدى والسنن، في أحاديث المسانيد والسنن) جمع فيه بين مسند الإمام أحمد، والبزار، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة. وله التاريخ المشهور وقد انتفع الناس بمصنفاته ولا سيما التفسير مات في شعبان سنة ٧٧٤[١].

٩٦ ـ السيّد إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسَن بن الإمام القاسم بن محمّد[٢]: ولد سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف. ونشأ بمدينة صنعاء وقرأ على والده، وعلى السيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير، وبرع في العلوم لا سيما الأصول وشرح (منظومة الكافل) في الأصول لشيخه السيّد محمّد الأمير شرحًا حافلاً في مجلدين جاء فيه بما في المطولات من الفوائد. وكان من جملة من خرج مع والده أيام وقوع المنازعة بينه وبين الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن الإمام المهدي. واعتقله المنصور ثم أفرج عنه الإمام المهدي العباس بن الحسين وله نظم فائق، فمنه:

طـالَ النـوىٰ شهـراً فشهـراً ... حتـى قطعـتَ الـدّهـرَ هجـرا
هجـراً طـويـلاً لـم أَطْـقْ ... لِـزمـانـهِ عـدّاً وحصـرا
يـا هنـدُ رقـي للـذي ... أَضْـرَمـتِ فـي أحشـاهِ جمـرا

وهي أبيات طويلة ومنه:

لا وخمـرٌ فـي الشفـات ... أسكـرتْ بـالـرَشَفـاتِ
ولآلٌ مـنْ ثغـورِ ... فـي عقيـقٍ مـن شفـاتِ
وغصـونٌ مـن قـدودِ ... بنهـودٍ مُثمـرَاتِ
وريـاضٌ فـي خـدودِ ... زاهيـاتٍ نـاعمـاتِ

(١) في الشذرات ٦/ ٢٣٢: ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.
(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٢١.

وهي أبيات من قصيدة كتب بها إلى السيّد العلاَّمة إسحاق بن يوسف وأجابه بأبيات أولها:

اسمعـــوا عَـــنْ زفـــراتـــي فهـــيَ فـــي الحـــبِّ رواتـــي

ولصاحب الترجمة رسائل نفيسة وأبحاث شريفة وقفنا على بعضها عند ولده السيّد العلاَّمة شرف الدين بن إسماعيل وستأتي ترجمته.

وكان صاحب الترجمة رئيسًا كبيرًا وعالمًا شهيرًا وأشعاره كثيرة في غاية الرقة والانسجام. وله ماجريات لا يتسع لها المقام ومات في شهر ذي القعدة سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف.

٩٧ ـ السيّد إسماعيل بن محمّد بن الحسَنْ بن الإمام القَاسِمْ بن محمّد[1]: الرّئيس المشهور المؤرخ الأديب مؤلف (سمط اللآل في شعراء الآل) وهو كتاب ترجم فيه لكل من شَعِرَ من العلوية ولم يحط بمشاهيرهم فضلاً عن أهل الخمول منهم ولكن في الجملة كتاب مفيد قيل إنه أنكر عليه الإمام المتوكل على الله إكثاره من الشعر فجمع هذا الكتاب وجعله كالرد عليه، ومن شعره:

غطـــىٰ علـــى خـــدِّه بِكـــمْ فـــأشبَـــه الـــوردَ فـــي الكمـــايـــمِ
وقـــالَ لـــي نـــاطقـــاً بصـــوتٍ كـــأنَّـــه ســـاجـــعُ الحمـــايـــمِ
أخشـــىٰ مـــن العيـــنِ قلـــتُ مهـــلاَ عينـــاكِ يـــا منيتـــي تمـــايـــمِ

وشعره كثيرٌ غالبه الجودة، ومدحه كثير من الشعراء ومات سنة ١١١١ إحدى عشرة ومائة وألف ببيت الفقيه الزيدية.

٩٨ ـ السيّد إسماعيل بن هادي المفتي الصنعاني: أخذ العلم عن العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال مرافقًا لشيخنا العلاَّمة الحسَنْ بن إسماعيل المغربي، وأخذ العلم أيضًا عن جماعة من أعيان عصره، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير. وأخذ عنه جماعة من علماء العصر، وكان يدرس في جميع الفنون بمسجد الفليحي بصنعاء وهو قرين شيخنا المغربي في الطلب والتدريس، وما زال على ذلك حتى توفي في شهر رجب سنة ١١٩٨ ثمان وتسعين ومائة وألف، ورثاه تلميذه السيّد العلاَّمة محمّد بن محمّد بن أحمد بن الحسن بن علي بن المتوكل على الله إسماعيل

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/٢١٨.

بقصيدة فائقة مطلعها:

يــا لــهُ فــادحٌ ألــمْ وخطــبٌ منــه كــادت شــمُّ الجبــالِ تَمــورُ

٩٩ ـ إسماعيل بن يحيىٰ بن حسَنْ الصديق الصعدي ثم الذمّاري ثم الصنعاني[1]: ولد بعد سنة ١١٣٠ بذمار وطلب العلم هنالك فقرأ الفقه على الحسن بن أحمد الشبيبي فبرع فيه وصار محققًا للأزهار وشرحه ولبيان ابن مظفر وكان والده قاضيًا في حبيش، ثم تولى هذا القضاء في أيام صغره بذمار من جملة حكام السبيل، ثم وليَ قضاء حبيش مكان والده في حياته ثم عزل فعاد إلى صنعاء وقرأ على جماعة من العلماء كالفقيه العلاّمة إبراهيم خالد، وقرأ أيضًا على السيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير في الحديث وشارك في غير الفقه مشاركة لطيفة ثم جعله الإمام المهدي العباس بن الحسين من جملة حكّامه بصنعاء وعظمه وأجلَّه ورُكن عليه في أمور كثيرة، منها تركة والده فإنه جعلها بنظره وكان له أبهة عظيمة وجلالة في الصدور وتبحُّر في الفقه وتقعر في العبارات مع سكينةٍ ووقار ومحافظة على ناموس القضاء وملازمة لما يجلب الهيبة والعظمة في صدور العامة، من لبس الثياب الفاخرة وعدم التزيد في الكلام وترك ما لا ينهض به من الأمور، مخافة أن يعجز عنه بعد ظهوره فيكون عليه في ذلك وصمة كما كان يقع بينه وبين الحاكم الأكبر العلاّمة يحيى بن صالح السحولي فإنهما قد يتعارضان في أمر فيدع صاحب الترجمة التصميم على ما يظهر له مخافة أن يتم غير كلامه. وكان إذا وفد عليه من له خبرة بعلم الفقه أورد عليه مسائل قد حفظها من علم الأصول والتفسير والحديث وإذا وفد عليه من يعرف علوم الاجتهاد أو بعضها أورد عليه مسائل من دقائق الفقه فيظن الفقيه أنه مبرز في غير الفقه، ويظن غيره العكس من ذلك فتولد له من هذا عظمة في الصدور كبيرة، وكان كثيرًا ما يستخرج رايات شريفة إمامية لجماعة من أهل العلم الذين يلازمون حضرته بأنهم يقضون بين الناس ويقبضون منهم أجرتهم التي يستحقونها، ومن كان بهذه المثابة من القضاة فهو الذي يقال له حاكم السبيل في العرف، أي لا تقرير له من بيت المال فكان مثل هذا أيضًا من موجبات تعظيمه، والحاصل أنه كان صدرًا من الصدور عظيم الهمة، شريف النفس، كبير القدر، نافذ الكلمة له دنيا واسعة وأملاك جليلة أصلها من فضلات رزقه عند توليته قضاء حبيش فإنه كان يشتري بما فضل له أرضًا للزرع، ثم تكاثرت تلك الأرض، وكان يكتسب بما فضل من غلاتها ثم تضاعفت غاية المضاعفة وصار من المشهورين بكثرة الأملاك، وكان يجعل ضيافات عظيمة ويجمع فيها الأعيان والأكابر.

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

وقد دعاني في أيام طلبي للعلم إلى بيته مرات ويظهر من التعظيم والإجلال ما لا يوصف، وآخر ذلك قبيل موته بنحو نصف سنة. فإنه أضافني منفردًا وقد كان اشتغل جماعة في تلك الأيام بالحط عليّ بما يقتضيه اجتهادي في كثير من المسائل كما هو دأب اليمن وأهله بل دأب جميع المقصرين مع من يمشي مع الدليل من العلماء، فقال لي رحمه الله ما مضمونه إن في التظهر بذلك فتنة وذكر لي قضايا جرت مع السيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير شاهدها وعرفها وما زال يضرب لي الأمثال بكلام رصين وخطاب متين من جملته أن السيّد محمّد الأمير قد عرفت ما ناله من الناس من الأذىٰ بالقول والفعل، ومع ذلك فمعه الوزير فلان والأمير فلان وفلان وفلان يقومون بنصره ويدفعون عنه ما يكره، وأنت يا ولدي: قد انقبضت عن الناس وعكفت على العلم وانجمعت عن الأكابر، ثم إن السيّد محمّد قد كان عند مخالفته للناس في سن عالية في أواخر عمره، وأنت في عنفوان الشباب فقد لا تحتمل الناس منك ما كانوا يحتملون منه وأطالَ معي في هذا الشأن رحمه الله وما زال على حاله الجميل، حتى مات في ليلة الأربعاء تاسع شهر صفر سنة ١٢٠٩ تسع ومائتين وألف.

وله شرح على مقدمة بيان ابن مظفر وشرع في شرح (المسائل المرتضاة) للإمام المتوكل على الله ولم يكمل ورسالة في البسملة.

وولده (يوسف بن إسماعيل) أصلح أولاده بعده جعل الخليفة مولانا المنصور بالله حفظه الله إليه ما كان إلى والده من القضاء وغيره وهو الآن قائم بذلك أتمّ قيام على طريقة حسنة مع عفةٍ ونزاهةٍ، وله قراءة عليَّ في أوائل بيان ابن مظفر.

١٠٠ ـ **أمير كاتب بن أمير عمر ابن العميد ابن الأتقاني الحنفي**[١]: ولد[٢] في شوال سنة ٦٩٥ خمس وتسعين وستمائة، واشتغل ببلاده ومهر وتقدم، وقدم دمشق في سنة ٧٢٠ ودرس وناظر، وظهرت فضائله، ودخل مصر ثم رجع فدخل بغداد ووليَ قضاءها، ثم قدم دمشق نائبًا في سنة ٧٤٧ وولي بها تدريس دار الحديث الظاهرية بعد وفاة الذهبي.

وتكلَّم في رفع اليدين عند الركوع والرفع وادّعىٰ بطلان صلاة من فعل ذلك وصنف فيه مصنفًا رد عليه السبكي وفارق دمشق ودخل الديار المصرية سنة ٧٥١ فأقبل عليه بعض أمرائها وعظّمه وجعله شيخًا لمدرسة بناها ونظّم في ذلك قصيدة مدحه بها. وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٧٥٧ وكان معاديًا للشافعية كثير الحط على علمائهم وفيه تيه

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٨٥.

(٢) في الشذرات ٦/ ١٨٥: ولد بإتقان في ليلة السبت تاسع عشر شوال سنة ٦٨٥ هـ.

زائد وكبر شديد وبأو عظيم، وتعصب لنفسه جدًا قال في بعض مصنفاته ما لفظه: لو كان الأسلاف في الحياة لقال أبو حنيفة اجتهدت، ولقال أبو يوسف نار البيان أوقدت، ولقال محمد أحسنت واستمر هكذا حتى سرد غالب أعيان الحنفية وشرح الهداية شرحًا حافلاً وادّعى أن بينه وبين الزمخشري رجلين فقط، وأنكر عليه ذلك.

ومات في حادي عشر شوال سنة ٧٥٨ ثمان وخمسين وسبعمائة.

١٠١ ـ **السيّد أمير الدِّين بن عبد الله بن نَهْشَل**: ابن المطهَّر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدِّين بن محمّد بن إبراهيم بن الإمام المطهَّر بن يحيىٰ هو أحد علماء الزيدية المشاهير قرأ على الإمام شرف الدين وأخذ عنه جماعة منهم الإمام القَاسِم بن مُحمَّد وكان ساكنًا بهجرة حوث ومات بها في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف.

١٠٢ ـ **أيمن بن محمّد بن محمّد**[1]: بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد أربعة عشر أبًا في نسق واحد.

قال ابن حجر في الدرر: لم يوجد له نظير في ذلك إن كان ثابتًا. ولد بتونس ثم قدم القاهرة وكان كثير الهجاء والوقيعة.

ثم قدم المدينة النبوية فجاور بها وتاب والتزم أن يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة إلى أن يموت فوفىٰ بذلك. وأراد الرحلة عن المدينة فذكر أنه رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: يا أبا البركات كيف ترضى بفراقنا! فترك الرحيل وأقام بالمدينة إلى أن مات، وسمى نفسه عاشق النبي. وذكر أن صاحب تونس بعث إليه يطلب منه العود إلى بلده ويرغبه فيه فأجاب أني لو أعطيت ملك المغرب والمشرق لم أرغب عن جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر أنه رأى النبي ﷺ وأطعمه ثلاث لقمات قال: وقال لي كلامًا لا أقوله لأحد، غير أنَّ في آخره واعلم أنِّي عنك راض فعمل قصيدة منها:

فَررتُ من الدنيا إلى ساكنِ الحِمىٰ ... فَـرارَ محـبٍّ عـائـذٍ بحبيبـه
لجـأتُ إلـى هـذا الجنـابِ وإنمـا ... لجأتُ إلى سامي العمادِ رحيبه

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ١٠ بالترجمة ٤٤٧٦ وفي التاج المكلل ص ٣٦٥.

قال ابن فضل الله وذكر أبو البركات أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشد بين يديه هذا البيت:

لـــولاكَ لـــم أدرِ الهـــوىٰ   لـــولاكَ لـــم أدرِ الطـــريـــقْ

مات في سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة.

حرف الباء الموحدة

١٠٣ ـ بايزيد خان بن مراد بن أورخان ابن عثمان الغازي سلطان الروم وما إليها[١]: ولد سنة ٧٤٨ ثمان وأربعين وسبعمائة، وجلس على التخت سنة ٧٩٢ وفتح كثيرًا من بلاد النصارى وقلاعهم واستولى على من كان بالروم من ملوك الطوائف وخرج عليه تيمورلنك إلى بلاده وكان قد لقيه بجيش الروم وفيهم طائفة من التتار فخدع[٢] تيمور من كان مع صاحب الترجمة من التتار فمالوا إليه فقاتل هو ومن معه قتالاً شديدًا. وكان شجاعًا فما زال يضرب بسيفه حتى كاد يصل إلى تيمور فرموا عليه بساطًا وأمسكوه وحبسوه فمات كمدًا في الأسر سنة ٨٠٥ خمس وثمان مائة.

١٠٤ ـ بايزيد خان بن محمّد بن مراد بن محمّد بن بايزيد[٣]: المذكور قبله ولد سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة وجلس على التخت بعد والده سنة ٨٨٦ وعظمت سلطنته وافتتح عدة قلاع للنصارى وخرج عليه أخوه جم فانهزم من صاحب الترجمة لما وقع المصاف، وفرّ إلى بلاد النصارى فأرسل إليه حلاقًا معه سم فما زال يتقرب إلى جم حتى اتصل به وحلق له بسكين مسمومة وهرب فسرى السم ومات.

وكان السلطان بايزيد سلطانًا مجاهدًا مثاغرًا مرابطًا محبًا لأهل العلم محسنًا إليهم ومات[٤] سنة ٩١٨ ثمان عشرة وتسعمائة. وفي أيامه ظهر شاه إسماعيل الآتي ذكره. وكان الحوب بينه وبين السلطان سليم ابن صاحب الترجمة كما سيأتي تحقيقه بعد أن

---

(١) له ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ٧/ ٤٧.

(٢) انظر تفاصيل الخبر في النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩.

(٣) له ترجمة حسنة في شذرات الذهب ٨/ ٨٦ ـ ٨٧.

(٤) في شذرات الذهب ٧/ ٨٧ ـ مات يوم الأحد ثامن عشري ربيع الأول سنة ٩١٨.

غلب سليم على السلطنة وأخذها من والده كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

١٠٥ ـ برسباي الدقماقي الظّاهري البرقوقي الملك الأشرف[١]: اشتراه برقوق ثم أعتقه، واستمر في خدمة ابنه الناصر، ثم صار مع المؤيد بعد قتل الناصر وحضر معه إلى مصر فولاه نيابة طرابلس، ثم غضب عليه فاعتقله. فلما دخل ططر الشام بعد المؤيد استصحبه إلى القاهرة وقرره دوادارًا كبيرًا فلما استقر ابنه الصّالح محمّد كان نائبًا عنه في التكلم مدة أشهر إلى أن أجمع الرأي على خلعه وسلطنة صاحب الترجمة وذلك في ثامن ربيع الآخر سنة ٨٢٥ وأذعن الأمراء والنواب لذلك وساسَ الملك ونالته السعادة ودانت له البلاد وأهلها. وفتحت في أيامه بلاد كثيرة من غير قتال واستمر إلى أن مات في عصر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمان مائة. وعهد إلى ابنه العزيز بالسلطنة، وأن يكون الأتابك جقمق نظام المملكة، وكثر تزاحم الناس عليه.

وكانت أيامه هدوءًا وسكونًا ولكنه كان موصوفًا بالشحّ والبخل والطمع مع الجبن والخور وكثرة التلون وسرعة الحركة، والتقلب في الأمور. وشمل بلاد مصر، والشام الخراب وقلت الأموال بها وافتقر الناس وساءت سيرة الحكام والولاة مع بلوغ آماله ونيل أغراضه، وقهر أعاديه وقتلهم بيد غيره. وله مآثر في أرض مصر عظيمة منها المدرسة المنسوبة إليه. ومدحه بعض العلماء بتوسيعه على الطلبة فوق ما كان يفعله من قبله فقال السبب إنَّ من تقدم من الفقهاء لم يكونوا يوافقون الملوك على أغراضهم فلم يسمحوا لهم بكثير أمر.

وأما فقهاء زماننا فهم لأجل كونهم في قبضتنا وطوع أمرنا نسمح لهم بهذا النزر اليسير. قال السخاوي: وهذا كان إذ ذاك وإلا فالآن مع موافقتهم لهم في إشاراتهم فضلاً عن عباراتهم لا يعطونهم شيئًا بل يتلفتون لما بأيديهم ويحسدونهم على اليسير. انتهى.

١٠٦ ـ برقوق الملك الظّاهر أبو سعيد الجركسي[٢]: واسمه الطنبغا ولكنه سمي بذلك الاسم لنتوء في عينيه كأنهما البرقوق. كان مملوكًا لرجل يقال له الخواجة عثمان ثم ملّكه الأشرف شعبان فلما قتل ترقىٰ إلى أن صار أميرَ أربعين، ثم ما زال يترقىٰ حتى قبض على بعض الأمراء الكبار وتولى التدبير للدولة مكانه. ثم حصل التنافس بينه وبين أمير يقال له بركة ووقع بينهما حرب وكان الغلب لبرقوق، فقبض على بركة وسجنه ثم ما زال يعمل في توليه للسلطنة استقلالاً. وخلع مخدومه الصالح حاجي إلى أن استقل في

(١) ترجمته في الشذرات ٧/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٦.

رمضان سنة ٧٨٤ فجلس على التخت ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء فمن دونهم. وخلعوا الصالح بن الأشرف وأدخلوه إلى دور أهله بالقلعة. فلما كان بعد ذلك بمدة خرج جماعة من الأمراء على برقوق فبرز إليهم فتسلل من معه وخذلوه فتغيب حينئذ واختفى في دار بقرب المدرسة الشيخونية ظاهر القاهرة. ثم إن الأمراء أعادوا الصالح إلى المملكة ولقب بالمنصور وصار يلبغا الناصري أتابكًا له.

وأراد منطاش قتل برقوق فلم يوافقه الناصري بل شيَّعه إلى الكرك وسجنه بها. ثم بعد ذلك ثار منطاش على الناصري فحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه بالاسكندرية واستقل منطاش بالتدبير وكان أهوج فلم ينتظم له أمر. وانتقضت عليه الأطراف فجمع العساكر وخرج إلى جهة الشام فاتفق خروج برقوق من الكرك وانضم إليه جمع قليل فالتقوا بمنطاش فانكسر إلى جهة الشام فاستولى الظاهر برقوق على جميع الأثقال وفيهم الخليفة والقضاة وأتباعهم فساقهم إلى القاهرة واستقرت قدمه في الملك، وأعاد الصالح بن الأشرف إلى مكانه الذي كان فيه.

كل ذلك في أوائل سنة ٧٩٢. ثم جمع العساكر وتوجه إلى الشام لمحاربة منطاش فحصرها وهرع إليه الأمراء وتعصب الشاميون لمنطاش فما أفاد بل انهزم منطاش بعد أن دامت الحرب بينهما مدة. وثبت[١] برقوق في الملك إلى أن مات سنة ٨٠١ إحدى وثمان مائة. وعهد بالسلطنة لولده فرج وله يومئذ تسع سنين واستحلف القاضي الشافعي فحلف له وكذلك الخليفة وجميع الأمراء.

وكانت مدة استقلال برقوق بالمملكة من غير مشارك تسع عشرة سنة.

ومن آثاره المدرسة التي عمرها بين القصرين. وكان شجاعًا ذكيًا خبيرًا بالأمور حازمًا مهابًا. فإن تيمورلنك لم يقدر على التقدم على مصر في سلطنته لما بلغه عنه من الحزم والعزم والشدة والقوة.

ولما بلغه موت برقوق أعطى من بشره مبلغًا من المال كثيرًا وحصل معه الطمع في أخذ مصر فدفع الله عنها كما سيأتي بيان ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى. وكان برقوق أول من أخذ البذل على الولايات حتى وظيفة القضاء وسائر الوظائف الدينية وهو أول ملوك الجراكسة في مصر.

١٠٧ ـ أبو بكر بن أَحْمد بن محمّد بن عمر بن ذؤيب شرف المعروف بابن قاضي

---

(١) في النجوم الزاهرة ١٣/٣: حكم برقوق مصر حتى نصف شوال سنة ٨٠١ هـ حيث مات.

شهبة الدمشقي الشافعي[١]: ولد سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة، وأخذ العلم عن جماعة كالسراج البلقيني وطبقته. وله مصنفات منها: الذيل على تاريخ ابن حجر. وطبقات الشافعية. وشرح المنهاج إلى الخلع في أربع مجلدات. وشرح التنبيه. وله التاريخ الكبير. من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٧٩٢. وله ذيل على تاريخ الذهبي في ثمان مجلدات ومات عاشر[٢] ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمان مائة.

١٠٨ ـ أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي الإزراري المعروف بابن حِجة[٣]: قال السَّخاوي: بكسر الحاء المهملة وولد تقريبًا سنة ٧٦٧[٤] سبع وستين وسبعمائة بحماه ونشأ بها وأخذ فنونًا من العلم ومعاني الأدب وارتحل إلى الشام ومصر. ومدح الأكابر ثم عاد إلى بلاده ودخل القاهرة في الأيام المؤيدية فعظم أمره وتولىٰ كتابة الإنشاء ثم توقف أمره فعاد إلى بلاده فأقام بها ملازمًا للعلم والأدب إلى أن مات.

وله يد طولى في النظم والنثر مع زهو وإعجاب وقد يأتي في نظمه بما هو حسن وبما هو في غاية الركة والتكلف، ومع ذلك فيفضله على ما هو من أشعار غيره في السماء وهو في الأرض كما يفعل ذلك في شرح بديعته المشهورة بأيدي الناس وهو من أحسن تصانيفه. ومنها (بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام) و (أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين)[٥] و (بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد)[٦] في مجلدين و (بروق الغيث) على الغيث الذي انسجم و (كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) و (قهوة الانشاء) في مجلدين جمع فيه ما أنشأه عن الملوك و (تأهل الغريب) في أربع مجلدات وغير ذلك من المصنفات وشعره كثير. وبسبب عجبه وتيهه هجاه كثير من معاصريه بمقاطيع مقذعة وزاد في التحامل عليه النواجي الآتي ذكره إن شاء الله حتى صنَّف كتابًا سماه (الحجة في سرقات ابن حجة) رأيته في مجلد لطيف تكلف فيه غاية التكلف وشعره مشهور قد ذكر منه في شرح بديعته كثيرًا.

وذكر أيضًا فيه بعضًا من نثره وهو أحسن من نظمه ومات[٧] في العشر الأواخر من شعبان سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمان مائة.

---

(١) ترجمته في الدارس ١/٤٦ وفي شذرات الذهب ٧/٢٦٩.

(٢) في الشذرات ٧/٢٦٩: توفي بدمشق فجأة يوم الخميس ١١ ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ.

(٣) ترجمته في شذرات الذهب ٧/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٤) في الشذرات ٧/٢١٩: ولد بحماه سنة ٧٧٧ هـ.

(٥) كشف الظنون ١/.

(٦) كشف الظنون ١/.

(٧) في الشذرات ٧/٢٢٠: توفي بحماه في خامس عشري شعبان سنة ٨٣٧ هـ.

١٠٩ ـ **أبو بكر بن علي الحدّاد الزبيدي الحنفي**[(١)]: قرأ على والده، وعلى علي بن نوح، وعلى علي بن عمر العلوي وبرع في أنواع من العلم، واشتهر ذكره وطار صيته.

وصنّف مصنّفات في فقه الحنفية منها شرحان لمختصر القدوري صغير وكبير[(٢)]. وجمع تفسيرًا حسنًا هو الآن مشهور عند الناس يسمونه تفسير الحدّاد وله مصنفات كثيرة تبلغ عشرين مجلدًا ومات سنة ٨٠٠ ثمان مائة بمدينة زبيد. وله زهد وورع وعفة وعبادة.

١١٠ ـ **السيّد أبو بكر بن محمّد بن عبد المؤمن بن حَريز**[(٣)]: بمهملتين وآخره زاي العلوي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي المعروف بالتقي الحصني[(٤)] ولد سنة ٧٥٢ اثنتين وخمسين وسبعمائة. وأخذ العلم عن جماعة من أهل عصره وبرع، وقصده الطلبة وصنّف التصانيف كشرح التنبيه في خمس مجلدات، وشرح المنهاج، وشرح صحيح مسلم في ثلاث مجلدات.

وشرح أربعين النووي في مجلد، وشرح مختصر أبي شجاع في مجلد. وشرح الأسماء الحسنىٰ في مجلد، وتلخيص مهمات الأسنوي في مجلدين، وقواعد الفقه في مجلدين. وله في التصوف مصنّفات.

ومات[(٥)] ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ تسع وعشرين وثمان مائة.

١١١ ـ **بِيبَرسْ العثمَاني الجّاشنكّير المَلَك المظفّر**[(٦)]: كان من مماليك المنصور قلاون وترقى إلى أن جعله أمير طبلخانة وكان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفًا بالعقل التام والفقه. وهو من جملة الأمراء الذين تعصّبوا للناصر حتى أقاموه في السلطنة، وبعد استقراره صار صاحب الترجمة من أكابر أمرائه ووليَ الأستاذ دارية له. ثم قام بنصرة النَّاصِر مرةً أخرى وأعاده إلىٰ السلطنة وصار مدبرًا للمملكة هو وسلّار فكان هذا الأستاذدار، وسلار[(٧)] نائب السلطنة.

وعظم قدره ثم خرج للحج بعد سنة ٧٠١ وصحبه كثير من الأمراء وحج بالناس

---

(١) في كشف الظنون ٢/ ١٦٣١: أبو بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي.

(٢) في كشف الظنون ٢/ ١٦٣١: سمى شرحه «السراج».

(٣) ترجمته في الشذرات ٧/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٤) نسبة إلى الحصن قرية من قرى حوران. الشذرات ٧/ ١٨٨.

(٥) في الشذرات ٧/ ١٨٩: توفي بخلوته بجامع المزار بالشاغور بعد مغرب ليلة الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة.

(٦) ترجمته في الدرر ٢/ ٤٢ وفي الوافي بالوفيات ج ١٠ ترجمة رقم ٤٨٤٣.

(٧) انظر الفوات ٢/ ٨٦.

فصنع من المعروف شيئًا كثيرًا. ومن محاسنه أنه قلع المسمار الذي كان في وسط الكعبة وكان العوام يسمونه سرة الدنيا، وينبطح الواحد منهم على وجهه ويضع سرته مكشوفة عليه ويعتقد أن من فعل ذلك عُتِقَ من النار وكان بدعة شنيعة، وكذلك أزال الحلقة التي يسمونها العروة الوثقى.

وهو الذي كان السبب في القيام على النصارى واليهود حتى منعوا من ركوب الخيل والملابس الفاخرة. واستقر الحال على أن النصراني يلبس العمامة الزرقاء، واليهودي يلبس العمامة الصفراء في جميع الديار المصرية والشامية ولا يركب أحد منهم فرسًا ولا يتظاهر بملبوسٍ فاخرٍ ولا يضاهي المسلمين في شيء من ذلك. وصمَّم في ذلك بعد أن بذلوا أموالاً كثيرة فامتنع وضاق بهم الأمر جدًا حتى أسلم كثير منهم وهدمت في هذه الكائنة عدة كنايس. وأبطل عيد الشهيد وهو موسم من مواسم النصارى كانوا يخرجون إلى النيل فيلقون فيه أصبعًا لبعض من سلف منهم يزعمون أن النيل لا يزيد إلا إنْ وُضِعَ الأصبعُ فيه.

وكان يحصل في ذلك العيد من الفجور والفسق والمجاهرة بالمعاصي أمر عظيم. وكان صاحب الترجمة قد غلبَ هو وسلاَّر على سلطنة الناصر ولم يبق بيده إلا الاسم وكان يبالغ في التأدب مع رفيقه سلار فلما حجروا على الناصر التصرف في المملكة وصار معهما صورة بلا حقيقة، أظهر أنه يُريد الحجّ ثم خرج وعدل من الطريق إلى الكرك وأرسل إلى الأمراء بمصر بأنه قد ترك الملك فاضطرب الأمراء عند ذلك وشاوروا في من يستقر في السلطنة مكانه فحسن سلار لبيبرس أن يتسلطن فأجابه إلى ذلك بعد تمنع كبير وأفتاه جماعة من العلماء بجواز ذلك فتسلطن وتلقب بالمظفر وكتب عهده عن الخليفة وركب بالعمامة المدورة، والتقليد على رأس الوزير. وناب عنه سلّار على عادته وأطاعه أهل الشام وذلك كله في شهر شوال سنة ٧٠٨ ويقال أن التشاريف التي أعطاها الأمراء وغيرهم كانت ألف تشريف ومائتين وأبطل ضمان الخمر من طرابلس وكان ذلك من حسناته.

فلما كان وسط سنة ٧٠٩ خامر عليه جماعة من الأمراء وتوجهوا إلى الناصر فأخذوه من الكرك فتوجهوا معه إلى دمشق وساروا في عسكر كثير فلما تحقق حركة الناصر جرد إليه عسكرًا كثيرًا فخامروا وانهزموا ثم لم يرسل أحدًا إلا خامر عليه حتى صهره زوج ابنته.

وفي غضون ذلك زين بعض الفقهاء لبيبرس أن يجدد له الخليفة عهدًا بالسلطنة ففعل وقرأ ذلك وأرسل بنسخة إلى الأمراء الخارجين عليه. وكان أوله ﴿إنه من سليمان

وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فلما قرىء على كبيرهم قال: ولسليمان الريح. وأمر بقراءة هذا العهد على المنابر يوم الجمعة. فلما سمعه العامة صاحوا فمنهم من يقول نصر الله الناصر، ومنهم من يقول يا ناصر يا منصور.

واتفق أنه نُصب أميرًا في شهر رمضان ومروا به من وسط القاهرة عليه الزينة فكان العامة يقولون يا فرحةً لا تتم، وكان الأمر كذلك. ثم أشار عليه جماعة ممن تأخر معه أن يشهد عليه بالنزول عن السلطنة ويتوجه إلى أطفيح ويكاتب الناصر ويستعطفه من هنالك وينتظر جوابه ففعل وخرج عليهم القوم فسبّوه وشتموه ورجموه بالحجارة ففرّق فيهم دراهم فلم يرجعوا فسل مماليكه عليهم السيوف فرجعوا عنه فأقام بأطفيح يومًا ثم رحل طالبًا للصعيد فوصل إلى إخميم.

فقدم عليهم الأمان من الناصر وأنه أقطعه صيهون فقبل ذلك ورجع متوجهًا إلى غزة فلما وصل غزة وجد هناك نائب الشام وغيره فقضبوا عليه وسيَّروه إلى مصر فتلقاهم قاصد النَّاصر فقيده وأركبه بغلاً حتى قدم به إلى القلعة في ذي القعدة. فلما حضر بين يديه عاتبه وعدد عليه ذنوبًا فيقال أنه خنق بحضرته بوتر حتى مات، وقيل سقاه سمًا.

وكان موصوفًا بالخير والأمانة والتعفف، وكان قتله في شهر القعدة سنة ٧٠٩[1] وقد كان تعكست عليه الأمور وكل ما دبره عاد عليه بالخذلان.

---

(١) في الدرر ٢/ ٤٢: مات سنة ٧٠٤.

حرف التاء المثناء الفوقية

١١٢ ـ تنكز نائب الشام[١]: جُلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف ثم صارَ إلى الناصر فجعله أميرَ عشرة قبل أن يعزل نفسه ويفر إلى الكرك. ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الأقْرم وكان الأقرم إذ ذاك نائب الشام، ففي بعض الأوقات اتّهمه الأقرم بأن معه كتبًا إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكىٰ عليه ما لاقاه من الإهانة، فقال له: إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام عوضه.

فلما عاد إلى الملك جهزه لنيابة الشام في ربيع الآخر سنة ٧١٢ وأرسل معه من يعرفه بما يحتاج إليه فباشر ذلك، وتمكَّن وسلك سبيل الحرمة والناموس البالغ، وفتح الله على يديه ملطية في سنة ٧١٥ هـ وذلك أنه استأذن السلطان في ذلك فأذن له فأظهر أنه يريد التوجه إلى محل آخر فخرج وخرجت العساكر معه وهو في دست السلطانة بالعصايب والكوسات ومعه القضاة. فلما وصل إلى حلب جرد عسكرًا إلى مطلية ثم توجّه في أثره فنازلها إلى أن فتحها. ورحل بأسرىٰ وغنائم ومال كثير فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب، قال الصفدي: سار السِّيرة الحسنة العادلة بحيث لم يكن له همة في مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا منكح بل في الفكرة في تأمين الرعايا فأمنت السبل في أيامه ورخصت الأسعار.

ولم يكن أحد في ولايته يتمكن من ظلم أحد ولو كان كافرًا. ثم إن الناصر بالغ في تعظيمه وتقدَّم أمره إلى جميع النواب بالبلاد الشامية أن يكاتبوا تنكز بجميع ما كانوا يكاتبون به السلطان وزاد في الترقي حتى كان الناصر لا يفعل شيئًا إلا بعد مشاورته ولم

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ١٠ الترجمة ٤٩٢٦.

يكتب هو إلى السلطان في شيء فيرده فيه إلا نادرًا، ولم يتفق في طول ولايته أنه وليَ أميرًا ولا نائبًا ولا قاضيًا ولا وزيرًا ولا كاتبًا إلى غير ذلك من جليل الوظائف وحقيرها برشوة ولا طلب مكافأة. بل ربما كان يدفع إليه المال الجزيل لأجل ذلك فيرده ويمقت صاحبه.

وكان يتردد إلى القاهرة بإذن السلطان فيبالغ في إكرامه واحترامه حتى قال: النشو مرة إنَّ الذي خص تنكر في سنة ٧٣٣ خاصة مبلغ ألف ألف وخمسين ألف خارجًا عن الخيل والسروج. وكان قد سمع الحديث من عيسى المطعم، وأبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم، وابن الشحنة وغيرهم ولما حج قرأ عليه بعض المحدثين بالمدينة الشريفة ثلاثيات البخاري. ومن مبالغة السلطان في تعظيمه أنه روىٰ عنه الأمير سيف الدين أنه قال له مرة: لي مدة طويلة أطلب من الناس شيئًا لا يفهمونه مني؟ وهو أني لا أقضي لأحد حاجة إلا على لسان (تنكز) ودعا له بطول العمر.

قال: فنقلت ذلك إلى تنكر فقال: بل أموت أنا في حياة السلطان. قال: فبلغت السلطان ذلك فقال: لا قل له أنت إذا عشت بعدي نفعتني في أولادي وأهلي، وأنت إذا مت قبلي إيش أعمل أنا مع أولادك أكثر مما عملت معهم في حياتك، ولتنكز مآثر في دمشق مساجد ومدارس ورباطات. وحجَّ في سنة ٧٢١ ويقال أنه قدم القاهرة بعد حجه فأمر السلطان الأمراء يهادونه وكانت جملة ما قدم إليه ثمانين ألف دينار. وكان الناس في ولايته آمنين على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأولادهم، وكان يتوجه في كل سنة إلى الصيد ويصيد أيامًا وكان مثابرًا على الحقِّ ونصر الشرع. إلا أنه كان كثير التخيل سريع الغضب شديد الحدة ولا يقدر أحد على مراجعته مهابة له وإذا بطش بطش بطشة الجبارين، وإذا غضب على أحد لا يزال ذلك المغضوب عليه في انعكاس وخمول إلى أن يموت غالبًا.

وكان يقول أي لذة لحاكم إذا كانت رعاياه يدعون عليه؟ وما كان يخلو ليله من قيام ودعاء. وكان يعظم أهل العلم وإذا كان عنده أحد منهم لم يسند ظهره بل يقبل إليه بوجهه ويؤنسه بالقول والفعل وكان سليم الباطن ليس عنده دهاء ولا مكر ولا يصبر على الأذىٰ لا يداري أحدًا من الأمراء.

وقدم إلى مصر في سنة ٧٣٨ فخرج السلطان لملاقاته فلما رآه ترجل له فترجل جميع من معه من الأمراء فألقى تنكز نفسه من فوق الفرس إلى الأرض وأسرع وهو يقبل الأرض حتى انكب على قدمي السلطان فقبلهما فأمسك رأسه بيده وأمره بالركوب. وقدم

في سنة ٧٣٩ فكانت قيمة تقادمه للسلطان والأمراء مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار. وبالغ السلطان في إكرامه حتى أخرج له نساءه فقبلن يده. وله محاسن منها أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يصرف لأحد جامكية حتى يلم شعثها فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة. وأمر بكسح الأوساخ التي في مقاسم المياه التي تتخلل الدور، وفتح منافذها وكانت انسدت فكان الوباء يحصل بدمشق كثيرًا بسبب العفونات فلما صلح ذلك زال ما كان يعتادهم كل سنة من كثرة الأمراض فكثر الدعاء له. وأجرى العين إلى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلاً وأقاموا في عملها سنة وأكثر من فكاك الأسرى وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم. وجمع الكلاب فألقاها في الخندق، واستراح الناس من أذاها.

ولما انتهى حظه وبلغ الغاية في هذه الدنيا أشهر في الناس أنه عزم على التوجه إلى بلاد التتار حتى بلغ ذلك السلطان وتغير عليه وتنكَّر لتنكز وجهز العساكر لإمساكه مع جماعة من الأمراء وليس عنده خبر، فلما بلغه الخبر بوصول الجند والأمراء لإمساكه بهت لذلك وقال ما العمل قالوا تستسلم فاستسلم وجهز سيفه إلى السلطان. وذلك في ذي الحجة سنة ٧٤٠ وتأسف أهل دمشق عليه ثم بعد القبض عليه أحيط بموجوده ووجد له ما يجاوز الوصف فمن الذهب العين ثلاث مائة وثلاثون ألف دينار، ومن الدراهم ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم، وأما الجواهر والحوايص والأقمشة والخيول ونحو ذلك فشيء كثير جدًا. ثم لما دخل القاهرة أمر السلطان جميع المماليك والأمراء أن يقعدوا له بالطرقات من حد باب القلعة، وأن لا يقوم له أحد. وفي بعض الأوقات قال له السلطان: أنظر من يكون وصيك. فقال له: خدمتك ونصحتك فلم تترك لي صديقًا. وأمر بتجهيزه إلى الاسكندرية فلم يزل في الاعتقال دون شهر ثم مات في أوائل سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة.

قال الذهبي في أواخر كتابه (سير النبلاء) كان ذا سطوة رهيبة وزعامة وإقدام على الدماء وله نفس سبعية وفيه عتو وحرص مع ديانة في الجملة وكان فيه حدة وقلة رأفة وكان لا يفكر في عاقبة ولا رأي له ولا دهاء إلى آخر كلامه وتعقبه الحافظ صلاح الدين الغلائي فقال لقد بالغ المصنِّف وتجاوز الحد في ترجمة تنكز وأين مثله وأعرض عن محاسنه الطافحة من العدل وقمع الظلمة وكف الأذى عن الناس ومحبة إيصال الحق إلى مستحقه وتولية الوظايف أهلها وحسبك أن المصنِّف يعني الذهبي كان فقيرًا، فلما خلت دار الحديث الأشرفية وتربة أم الصالح ولى (تنكز) المزي والذهبي بغير سؤال منهما ولا ببذل لأنه أعلم بحالهما واستحقاقهما. ثم ولي الذهبي دار الحديث الظاهرية ثم النفيسية

ثم دار الحديث التنكرية. ثم قال الغلائي ذنب تنكز أنه كان يحط كثيرًا على ابن تيمية وفي هذه الإشارة كفاية انتهى وهو يشير بهذا إلى أن الذهبي تحيز إلى الحنابلة.

١١٣ ـ تيمورلنك بن طرغاي السلطان الأعظم الطاغية الكبرى[١]: الأعرج وهو اللِّنك في لغتهم. كان ابتداء ملكه أنها لما انقرضت دولة بني جنكيزخان وتلاشت في جميع النواحي ظهر هذا بتركستان وسمرقند وتغلب على ملكهم محمود بعد أن كان أتابكه وتزوج أمه فاستبد عليه وكان في عصره أمير بخارى، يعرف بحسن من أكابر المغل، وآخر بخوارزم يعرف بالحاج حسن الصوفي، وهو من كبار التتر فنبذ إليهم تيمور بالعهد، وزحف إلى بخارىٰ فملكها من يد الأمير حسن، ثم زحف إلى خوارزم، وتحرش بها وهلك الحاج حسن في خلال ذلك، ووليَ أخوه يوسف فملكها تيمور من يده وخربها في حصار طويل، ثم كلف بعمارتها وتشييد ما خرب منها، وانتظم له ملك ما وراء النهر ونزل إلى بخارى، ثم انتقل إلى سمرقند، ثم زحف إلى خراسان وطال تحرشه بها وحروبه لصاحبها شاه ولي إلى أن ملكها عليه سنة ٧٨٤ ونجا شاه ولي إلى تبريز، وبها أحمد بن أويس صاحب العراق، وآذربيجان إلى أن زحف عليهم تيمور سنة ٧٨٨ فهلك شاه ولي في حروبه عليها، وملكها تيمور ثم زحف إلى إصبهان فأطاعوه طاعة ممرضة، وخالفه في قومه كبير من أهل نسبه يعرف بقمر الدين فكرّ راجعًا وحاربه إلى أن محىٰ أثره واشتغل بسلطان المغل وزاحم طقتمش مرارًا حتى أوهن أمره، ثم رجع إلى إصبهان سنة ٧٩٤، ثم زحف إلى بغداد سنة ٧٩٥ ففرَّ منها أحمد بن أويس المتغلب عليها بعد بني هولاكو، واستولى عليها تيمور ونهبها.

وبلغه حركة طقتمش في جميع المغل فأحجم وتأخر إلى قلاع الأكراد وأطراف بلاد الروم، وأناخ على قراباغ ورجع طقتمش ثم سار إليه تيمور أول سنة ٧٩٩ وغلبه على ملكه وأخرجه من سائر أعماله فلحق ببلغار، ورجع سائر المغل الذين كانوا معه إلى تيمور فأضحت أمم المغل والتتر كلها في جملته، وصاروا تحت لوائه والملك للّه.

فلما بلغه موت الظاهر برقوق فرح وأعطى من بشره بذلك خمسة عشرة ألف دينار وتهيأ للمسير إلى بلاد الشام فجاء إلى بغداد فأخذها ثانيًا، فإنها كانت استرجعت نائبه ثم قصد (سيواس) في آخر سنة (٨٠٢) فحاصرها مدة ولم يأخذها ثم إلى (عين تاب) فأجفل أهل القرىٰ بين يديه وأهل البلاد الحلبية واجتمع عساكر المماليك الشامية بحلب، ووصل

---

(١) انظر التاج المكلل ص ٣٦٦ ـ والمنجد في الأعلام وفي الشذرات ٧/٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧.

تيمور مرج دابق وجهز رسولاً إلى حلب، فأمر (سدون) نائب حلب بقتله ثم نزل في يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة ٨٠٣ على حلب ونازلها وحاصرها فخرج النواب بالعسكر إلى ظاهرها من جهة الشمال، وتقاتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة، فلما كان يوم السبت حادي عشر الشهر ركب تيمور في جمع وحشدوا الفيلة تقاد بين يديه، وهي في ما قيل ثمانية وثلاثون، وكان معه جمع لا يحصيه إلا الله من ترك وتركمان وعجم وأكراد وتتار، وزحف على حلب فانهزم المسلمون من بين أيديهم وجعلوا يلقون أنفسهم من الأسوار والخنادق والتتار في أثرهم يقتلونهم، ويأسرونهم، إلى أن دخلوا حلب عنوة بالسيف فلجأت النساء والأطفال إلى الجوامع والمساجد فلم يفد ذلك شيئًا.

واستمر القتل والأسر في أهل حلب فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال. وقتل خلق كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل وعلى الطرقات وأحرقوا المدينة. ثم في يوم الثلاثاء تسلَّم قلعتها بالأمان وصعد إليها في اليوم الذي يليه وجلس في أبوابها وطلب القضاة والعلماء للسلام عليه فامتثلوا أمره وجاؤوا إليه ليلة الخميس فلم يكرمهم وجعل يتعنتهم بالسؤال. وكان آخر ما سألهم عنه أن قال ما تقولون في معاوية ويزيد هل يجوز لعنهما أم لا؟ وعن قتال علي ومعاوية. فأجابه القاضي علم الدين القفصي المالكي بأن عليًا اجتهد فأصاب فله أجران ومعاوية اجتهد فأخطأ فله أجر فتغيظ من ذلك.

ثم أجاب الشرف أبو البركات الأنصاري الشافعي بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي، فقال تيمور: ما حد الصحابي؟ فأجاب القاضي شرف الدين: أنه كل من رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال تيمور فاليهود والنصارىٰ رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجاب بأن ذلك بشرط كون الرائي مسلمًا. وأجاب القاضي شرف الدين المذكور أنه رأى في حاشية على بعض الكتب أنه يجوز لعن يزيد فتغيظ لذلك. ولا عتب عليه إذا تغيَّظ فالتعويل في مثل هذا الموقف العظيم في مناظرة هذا الطاغية الكبير في ذلك الأمر الذي ما زالت المراجعة به بين أهل العلم في قديم الزمان وحديثه على حاشية وجدها على بعض الكتب مما يوجب الغيظ سواء كان محقًا أو مبطلاً. وقد سألهم في هذا الموقف أو في موقف آخر بمسألة عجيبة، فقال ما مضمونه: أنه قد قتل منا ومنكم من قتل، فمن في الجنة ومن في النار هل قتلانا أو قتلاكم؟ فقال بعض العلماء الحاضرين وهو ابن الشحنة كما سيأتي إن شاء الله: هذا سؤال قد سُئِل عنه رسول الله ﷺ فاستنكر تيمور ذلك وقال كيف قلت، قال ثبت في الحديث الصحيح أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله: الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى موضعه. فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة» أو كما قال. فلما

سمع تيمور هذا الجواب أعجبه وأطربه. ولله در هذا المجيب فلقد وفقه الله في هذا الجواب وهكذا فلتكن جوابات العلماء لا كما قاله القاضي شرف الدين أنه رأى في حاشية.

ثم إن تيمور توجه إلى قاعة السلطان الكائنة بقلعة حلب وأمر بطلب دراهم ممن بالقلعة من الحلبيين فكتب أسماء الناس وقبض عليهم وعوقبوا بأنواع من العذاب بحيث لم يسلم من العقوبة إلا القليل ونهبوا القلعة وأخذوا من الأموال والأقمشة ما أذهل التتار ولم يظفروا في مملكة بمثله.

ثم رحل يوم السبت مستهل ربيع الآخر إلى جهة دمشق وترك بحلب طائفة من التتار بالقلعة وبالمدينة فوصل إلى دمشق وقد كان وصل إليها الناصر فرج بعساكر الديار المصرية لدفع التتار وحصل بينهم قتال أيامًا.

ثم إنه وقع الاختلاف بين العسكر المصري وداخلهم الفشل، فانكسروا وولوا راجعين إلى جهة مصر واقتفى التتار آثارهم يسلبون من قدروا عليه أو لحقوه ورجع السلطان إلى مصر، فأخذ تيمور دمشق وفعل بأهلها أعظم من فعله بحلب فقصد من بالقلعة أن يمتنعوا منه فأمر بالأخشاب والتراب والحجارة، وبنىٰ برجين قبالة القلعة فأذعنوا حينئذ ونزلوا فتسلمها ونهب المدينة وخربها خرابًا فاحشًا لم يسمع بمثله ولم يصل التتار أيام هولاكو إلى قريب مما فعل بها التتار أيام تيمور واستمر بدمشق إلى شعبان. ثم رجع إلى ناحية حلب قاصدًا بلاده. ولما وصل إلى بلاده استقر إلى السنة الثانية، ثم قصد بلاد الروم، فجمع سلطانها بايزيد عسكره، وتقدم كل من الفريقين إلى الآخر فحصلت مقتلة عظيمة انكسر فيها صاحب الروم وأسر وتفرق شمل عسكره فأخذ تيمور ما يلي أطراف الشام من بلادهم وأخذ برصا وهي كرسي مملكة الروم. ثم رجع إلى بلاده ومعه أبو يزيد صاحب الروم معتقلاً فتوفي في اعتقاله من تلك السنة، ثم دخل تيمور بلاد الهند ونازل مملكة المسلمين حتى غلب عليها، والحاصل أنه دوّخ الممالك واستولى على غالب البلاد الإسلامية بل والعجم وجميع ما وراء النهر والشام والعراق والروم والهند وما بين هذه الممالك.

ومن أحب الاطلاع على ما وقع له من الملاحم وكيف صنع بالبلاد والعباد فعليه بالكتاب المؤلف في سيرته وهو مجلد لطيف وقد قدمنا الإشارة إليه عند ترجمة مؤلفه (ابن عرب شاه) وقد وصف فيه من عجائب تيمور وغرائبه ما ينبهر له كل من وقف عليه ويعرف مقدار هذا الملك الذي لم يأتِ قبله ولا بعده مثله، فإن جنكزخان ملك التتار وإن

كان قد أهلك من العباد والبلاد زيادة على ما أهلك هذا إلا أن ذاك لم يباشر ما باشره هذا ولا بعضه، ولا كان جميع ما فعله في حياته بل الغالب بعد موته في سلطنة أولاده وأحفاده. وأما هذا الطاغية فهو المباشر لكل فتوحاته المدبر لجميع معاركه ولقد كان من أعاجيب الزمن في حركاته وسكناته وكان شيخًا طويلاً مهولاً طويل اللحية حسن الوجه أعرج شديد العرج سلبت رجله أوائل أمره، ومع ذلك يصلي من قيام مهابًا بطلاً شجاعًا جبارًا ظلومًا سفاكًا للدماء مقدامًا على ذلك. أفنى في مدة سلطنته من الأمم ما لا يحصيهم إلا الله، وخرب بلدانًا كثيرة تفوق الحصر وكان جهير الصوت يسلك الجد مع القريب والبعيد ولا يحب المزاح ويحب الشطرنج وله فيه يد طولى ومهارة زائدة وزاد فيه جملاً وبغلاً وجعل رقعته عشرة في أحد عشر بحيث لم يكن يلاعبه فيه إلا أفراد ويقرب العلماء والصلحاء والشجعان والأشراف وينزلهم منازلهم ولكن من خالف أمره أدنى مخالفة استباح دمه، فكانت هيبته لا تدانىٰ بهذا السبب وما أخرب البلاد إلا بذلك فإنه كان من أطاعه من أول وهلة أَمِنَ ومَنْ خالفه أدنىٰ مخالفة هلك وله فكر صائب ومكايد في الحرب عجيبة وفراسة قلَّ أن تخطأ ومعرفة بالتواريخ لإدمانه على سماعها وعدم خلو مجلسه عن قراءة شيء منها سفرًا وحضرًا وكان مغرى بمن له معرفة بصناعة ما إذا كان حاذقًا فيها مع كونه أميًا لا يحسن الكتابة ولا القراءة، وله حذق باللغة الفارسية والتركية والمغلية ويعتمد قواعد جنكزخان ويجعلها أصلاً ولذلك أفنى العالم مع تظهره بالإسلام وشعائره. وكان له جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم يملكها فكانوا ينهو إليه الحوادث الكائنة على جليتها ويكاتبونه بجميع ما يروم فلا يتوجه إلى جهة إلا وهو على بصيرة من أهلها، وبلغ من دهائه أنه كان إذا أراد قصد جهة جمع أكابر الدولة وتشاوروا إلى أن يقع الرأي على التوجه في الوقت الفلاني إلى الجهة الفلانية، فيكاتب جواسيس تلك الجهات أهلها فيأخذون الحذر ويأمن غيرهم فإذا ضرب النفير وأصبحوا سائرين ذات الشمال عرَّج بهم ذات اليمين فيدهم الجهة التي يريد وأهلها غافلون.

مات وهو متوجه لأخذ بلاد الخطا بسبب ثلوج تنزلت مع شدة برد وكان لا يسافر في أيام الشتاء فلما أراد الله هلاكه قوي عزمه على هذا السفر وكان موته[1] يوم الأربعاء سابع عشر شهر شعبان سنة ٨٠٧ سبع وثمان مائة. ولم يكن معه من بنيه وأحفاده سوى حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور فاتفق رأيهم على استقرار خليل المذكور في السلطنة

(١) في الشذرات ٧/ ٦٧: هلك يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان سنة ٨٠٧.
وفي النجوم الزاهرة ١٣/ ١٦٠: مات تيمور ليلة الأربعاء تاسع عشر شعبان سنة ٨٠٨ هـ. وهو نازل بضواحي أترار «فاراب».

مع كون أبيه وعمه موجودين وبذل لهم أموالاً عظيمة ورجع إلى بلاده سمرقند فإنها كانت كرسي مملكة تيمور فلما قرب منها تلقاه من بها وعليهم ثياب الحداد وهم يبكون وجثة تيمور في تابوت أبنوس وجميع الملوك والأمراء مشاة مكشوفة رؤوسهم وعليهم ثياب الحداد حتى دفنوه وأقاموا عليه العزاء أيامًا. قال السخاوي: ولعله قارب الثمانين فإنه قال للقاضي شرف الدين الأنصاري وغيره كم سنكم؟ فقال له الشرف: سني الآن سبع وخمسون سنة وأجاب غيره بنحو ذلك فقال: أنا أصلح أن أكون والدكم، وكانت له همة عظيمة لم يبلغ إلى سموها همة ملك من الملوك من جميع الطوائف فإنه ما زال يفتح البلاد ويقهر الملوك ويستولي على الأقاليم منذ قيامه في بلاده واستيلائه على مملكة أرضه إلى أن مات.

وناهيك أنه مات في الغزو ولم يصده عن ذلك كثرة ما قد صار بيده من الممالك ولا كفاه ما قد استولى عليه من الأراضي التي كانت قائمة بعدة ملوك هم تحت ركابه ومن جملة خدمه، ولله الأمر وهو الملك حقًا. وكان مغرىً بغزو المسلمين دون الكفار وصنع كذلك في بلاد الروم والهند. وأنشأ بظاهر سمرقند عدة بساتين وقصور عجيبة فكانت من أعظم النزه، وبنى عدة قصبات سماها بأسماء البلاد الكبار كحمص ودمشق، وبغداد، وشيراز.

وكان يجمع العلماء ويأمرهم بالمناظرة في مقامه ويسائلهم ويتعنتهم. وبالجملة فكان من الغرائب البارزة إلى العالم الدالة على القدرة الإلهية وأنه يسلط من يشاء على من يشاء وكان له من الأولاد عند موته مير شاهان، وشاه رخ ومن الزوجات ثلاث ومن السراري شيء كثير وترجمته تحتمل كراريس فمن رام الاطلاع على أحواله فليرجع إلى كتاب سيرته الذي قدمنا الإشارة إليه.

حرف الثاء المثلثة

١١٤ ـ ثابت بن محمّد بن ثابت الطرابلسي أمير طرابلس الغرب: وليَ الإمرة بعد أبيه، وكان شابًا غرًّا فاحتال عليه الإفرنج بأن قدم منهم طائفة في عدة مراكب في صورة التجار وهم مقاتلة فراسلوا من في البلد من الفرنج وأطلعوهم على سرهم وأرسلوا من عندهم ترجمانًا مجربًا فرأى في البلاد غلاءً لقلة الحب عندهم إذ ذاك. فتمت له الحيلة وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التي مع جند البلد ويجعلها عنده في القلعة لتطمئن إليه تجار الإفرنج وينزلوا من مراكبهم ويبيعوا ما معهم من البضائع، وذكر له أن الخمس الذي يخصه من البضائع يجتمع منه مال كثير وينتفع الناس بما معهم من المأكولات ففعل.

فلما بلغ الفرنج ذلك أنزلوا من مركبهم بعض البضائع التي معهم وكان معهم عدة أعدال من التين ففرح أهل البلد وسارعوا إلى شراها منهم فلما اطمئنوا إليهم هجموا على البلد بالليل دفعة واحدة وأهلها غافلون فقتلوا فيهم كيف شاؤوا وحاصروا القلعة فهرب ثابت متدليًا بعمامته من القصر، ففطن به بعض العرب ممن يعاديه فقتله واستولى الفرنج على البلد وكان ذلك في سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة.

١١٥ ـ ثُقْبَة بن رميثة بن محمّد بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني الشريف أمير مكة: أخو عجلان تأمَّرا جميعًا بعد موت والدهما مدة ثم اختلفا، واستقل عجلان ثم قدم ثقبة بن رميثة إلى مصر في رمضان سنة ٧٤٦ ومعه هدية جليلة وقدم مرة أخرى سنة ٧٥٦ وقدم هدية جليلة وطلب أن يكون أخوه عجلان مستقلاً فأجيب وخلع عليه فاستمر الأخوان مختلفين، وتأذى الحاج بسببهما ثم جهَّز إليهما عسكرًا فقبض على ثقبة في موسم سنة ٧٥٤ فسجن بمصر، ثم أطلق في سنة ٧٥٦ بشفاعة فياض بن مهنا، ثم هرب

ثقبة من مصر وتبعه العسكر فلم يدركوه، واستمر خارج مكة إلى موسم سنة ٧٦١ فهجم مكة بعد توجه الحاج، وفعل بها أفعالاً قبيحة ونهب خيول الأمراء الذين من جهة المصريين واستولىٰ علىٰ ما في بيوتهم ووقع بين الطائفتين مقتلة عظيمة في الحرم حتى انكسر الأتراك، فقتل أكثرهم وباعوا من أُسِرَ منهم بأبخس ثمن، وأسر أمير الترك فأجارته امرأة من القتل فعذب بأنواع العذاب، ثم أطلقه ثقبة بشفاعة القاضي تقي الدين الحراري على شريطة أن يخرج من مكة فخرج إلى البقيع فلحقوا الركب المصري فسافروا معهم، واستقل بعد ذلك بمكة، فأدركه الموت في أواخر رمضان سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة.

حرف الجيم

١١٦ ـ **جَعْفَر بن تغلب بن جعفر**[١] **بن كمال الدّين أبو الفَضْل الأدفُويي**[٢]: الأديب الفقيه الشافعي ولد[٣] بعد سنة ٦٨٠ ثمانين وستمائة. قال الشيخ تقي الدين السبكي كان يسمى وعد الله. قال الصفدي: اشتغل في بلاده فمهر في الفنون ولازم ابن دقيق العيد وغيره وتأدب بجماعة منهم أبو حيان وحمل عنه كثيرًا، وكان يقيم في بستان ببلده.

وصنَّف (الاتباع في أحكام السماع) و (الطالع السعيد، في تاريخ الصعيد) و (البدر السافر في تحفة المسافر) وكل مجاميعه جيدة وكانت له خبرة بالموسيقى وله النظم والنثر الحسن. فمنه:

إنّ الدروسَ بمصرِنا في عَصْرِنا ... طَبعتْ على غَلَطٍ وفَرْطِ عيّاطِ
ومباحثٌ لا تنتهي لنهايةٍ ... جدلاً ونقلِ ظاهرِ الأغلاطِ
ومدرسٌ يبدي مباحثَ كلّها ... نشأت عن التخليطِ والأخلاطِ
ومحدثٌ قَدْ صارَ غايةُ علمَهُ ... أجزاءَ يرويها عن الدمياطي
وفلانةٌ تروي حديثاً غالياً ... وفلانٌ يروي ذاكَ عن أَسْبَاطِ
والفرقُ بين عَزيزَهمْ وغَريرَهمْ ... وأفصحَ عَن الخيَّاطِ والحنَّاطِ
والفاضلُ النحريرُ فيهمْ دَأْبَهُ ... قولَ (أرسطاطليس) أو بُقْرَاطِ
وعلومُ دينِ اللّهِ نادتْ جهرةً ... هذا زمانٌ فيه طَيَّ بسَاطي

---

(١) له ترجمة في وفيات ابن رافع وبالترجمة ٤٨٠ وترجمته أيضًا في شذرات الذهب ٦/١٥٣.

(٢) في الشذرات ٦/١٥٣ نسبة إلى دافو بلد بصعيد مصر.

(٣) في الشذرات ٦/١٥٣: ولد في شعبان سنة ٦٨٥ وقيل ٦٧٥ هـ.

وكان عالمًا فاضلاً متقللاً من الدنيا ومع ذلك لا يخلو من المآكل الطيبة مات[١] في أول سنة ٧٤٨ ثمان وأربعين وسبعمائة.

١١٧ ـ **السيّد جعفر بن مطهر بن محمّد الجرموزي**[٢]: الرئيس الكاتب الشاعر، ولاه المتوكل على الله إسماعيل بلاد العدين وبعد ذلك صار كاتبًا مع السيّد عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم لما استولى على بلاد العدين وغيرها، وكان صاحب الترجمة متشبهًا بالصاحب بن عباد وأبي إسحاق الصابي مكثرًا من ذكرهما حتى في شعره وما أحسن قوله في ذلك بعد الترشيح الفائق:

تعانقت أغصانُ بانِ النقا فشابهتْ أعطافَ أحبابي
ومذ صبا قلبي صبا صاحبي آه على الصاحب والصابي

وقوله في المجون وأجاد:

تشابَه ذقني حين شبت وبغلتي فكلتاهما في اللون أشيبَ أشهبُ
فواللّهِ ما أدري علامَ أتيتكمْ على لحيتي أم بغلتي كنت أركبُ

وكانت وفاته في حدود سنة ١٠٩٦ ست وتسعين وألف بالعدين ووالده هو الجامع لسيرة الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد السيرة الحافلة المشهورة وكان له في حرب الأتراك عناية كلية وولاه الإمام المتوكل على الله إسماعيل عتمة.

١١٨ ـ **جقمق الظّاهر أبو سعيد الجركسي**[٣]: جلبه إلى مصر الخواجا، وهو صغير ثم اشتراه منه العلاء بن الأتابك ثم أعتقه وكلمه الظاهر في أنْ يعطيه إياه فسلمه إليه من غير أن يعلمه بعتقه فدمغه الظاهر لأخيه إينال، ثم صار في الدولة الناصرية أمير عشرة، ثم صار في أيام المؤيد أمير طبلخاناه، ثم جعله خازن دارًا، ثم صار بعد المؤيد أحد المقدمين، ثم استقرَّ في الحجوبية الكبرىٰ أيام الأشرف برسباي، ثم نقله في سنة ٨٢٦ إلى الأتابكية، واستمر فيها إلى أن مات الأشرف بعد أن أوصاه على ولده المستقر بعده في السلطنة الملقَّب بالعزيز، فصارت أمور السلطنة كلها معقودة بصاحب الترجمة، والعزيز إنما هو معه صورة ثم خلعه بعد أيام يسيرة وتسلطن في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة ٨٤٢ ثم اتفق في أوائل سلطنته بعض الكدر إلى أن صفا له الوقت. وقد كان أخبره شخص في سنة ٨٠٤ أنه سيكون صاحب الترجمة سلطانًا وهو في ذلك الوقت

(١) في شذرات الذهب ٦/ ١٥٣: توفي في صفر بمصر في سنة ٧٤٨ ودفن في مقابر الصوفية.
(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٩٦.
(٣) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٢٩١.

غير منظور بذاك بل مظهر للوله والتغفيل عن أحوال الناس وتعاطي الأسباب المقللة للهيبة.

وكذا بشر به قديمًا جماعة من الصالحين واستمرّ في السلطنة وثبت قدمه. وكان ملكًا عادلاً كثير الصلاة والصوم والعبادة، عفيفًا عن المنكرات والقاذورات لا يضبط عنه في ذلك زلة ولا تحفظ له هفوة، متقشفًا بحيث لم يمشِ على سنن الملوك في كثير من ملبسه وهيئته وجلوسه وحركاته وأفعاله متواضعًا، يقوم للفقهاء والصالحين إذا دخلوا عليه ويبالغ في تقريبهم منه ولا يرتفع في المجلس بحضرتهم وله إلمام بالعلم واستحضار لبعض المسائل لكثرة تردد العلماء إليه في حال أمرته ورغبته في الاستفادة منهم، وله كرم زائد بحيث ينسب إلى التبذير فإنه قد يعطي بعض أهل العلم ألف دينار فصاعدًا، وله عناية في إزالة كثير من المنكرات، وإن كانت من شعار السلطنة، وكان كثير الإحسان إلى الأيتام، بحيث كان يرسل من يحضرهم إلى حضرته فيمسح رؤوسهم ويعطي كل واحد منهم، وأصلح كثيرًا من المصالح العامة كالقناطر والجوامع والمدارس وقرر لأهل الحرمين رواتب في كل سنة خصوصًا الفقراء منهم يحمل إليهم من مائة دينار وأقل وأكثر وكثر الدعاء له بذلك. وهادن ملوك الأطراف، وهاداهم وتردد إليهم لا عن عجز أو ضعف قوة، بل كان يقول: كل ما أفعله مع الملوك لا يفي بنعل الخيل لو أردت المسير إليهم، كل ذلك والأقدار تساعده والسعادة تعاضده مع حدة تعتريه في بعض الأحوال وسرعة بطش وبادرة مفرطة والكمال لله. وبالجملة فهو من محاسن الملوك في غالب أوصافه، وقد كان كثير التعظيم لأهل العلم، وله معرفة بمقاديرهم حتى كان يتأسف على فقد الحافظ ابن حجر ويسميه أمير المؤمنين. وهو ممن ظهرت سعادته في مماليكه بحيث تسلطن جماعة منهم، ولم يزل على ملكه إلى أن ابتدأ به المرض وصار يظهر التجلّد لا يمتنع من الكتابة حتى غلب عليه الحال، فعجز وانحط ولزم الفراش نحو شهر حتى مات[1] بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء ثالث شهر صفر سنة ٨٥٧ سبع وخمسين وثمان مائة.

وعهد لولده المنصور بالسلطنة وقد كان سنه عند موته زيادة على ثمانين سنة، ورآه بعض الصلحاء بعد موته فقال له: ما فعل الله بك فقال: والله لقد أعطانا الملك من قبل أن نرد عليه فقال له: ما هو الملك الذي أعطاك إياه؟ قال الجنة ثم قال وجاء جماعة بعدنا ليس لهم فيها وقت ولا مكان.

---

(١) في شذرات الذهب ٧/ ٢٩١: مات ليلة الثلاثاء ثالث صفر بعد خلعه لنفسه باثني عشر يومًا، وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر.

١١٩ ـ جلال[١] **بن أحمد بن يوسف التبريزي**[٢] **المعروف بالتبَّاني**: بمثناة ثم موحدة ثقيلة نسبة إلى التبّانة ظاهر القاهرة. قدم القاهرة قبل سنة ٧٥٠ وأخذ عن جماعة من أهلها في فنون عديدة وبرع في الجميع مع الدين والخير، وصنَّف عدة تصانيف منها: المنظومة في الفقه وشرحها في أربع مجلدات، وشرح المشارق والمنار والتلخيص، واختصر شرح مغلطاي على البخاري، وله مصنَّف في منع تعدد الجمع، وآخر في أن الإيمان يزيد وينقص. وكان محبًا للحديث حسن الاعتقاد شديدًا على الاتحادية والمبتدعة وانتهت إليه رياسة الحنيفة وعرض عليه القضاء غير مرة فأصرَّ علىٰ الامتناع وقال هذا أمر يحتاج إلى دراية ومعرفة اصطلاح ولا يكفي فيه مجرد الاتساع في العلم.

ومات في ثالث[٣] رجب سنة ٧٩٣ ثلاث وتسعين وسبعمائة بالقاهرة عن بضع وستين سنة.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/٣٢٧ ـ ٣٢٨، وفي التاج ص ٣٧٠.

(٢) في الشذرات ٦/٣٢٧: جلال بن أحمد بن يوسف بن طوع رسلان الثِّيْري.

(٣) في الشذرات ٦/٣٢٨: مات في ثالث عشر رجب سنة ٧٩٣.

حرف الحاء المهملة

١٢٠ ـ حاجي بن الأشرَف شعبان بن حسين بن الناصر محمّد بن قلاون[١]: استقرَّ في السلطنة بعد أخيه المنصور علي بن الأشرف وهو ابن زيادة على عشر سنين، ولقب بالصالح، ثم عزل بعد سنة ونصف بأتابكه الظاهر برقوق المتقدم ذكره في شهر رمضان سنة ٧٨٤، وأمره بالإقامة في داره بقلعة الجبل جريًا على عادة بني الملوك، فاستمر إلى أن خلع برقوق وسجن بقلعة الكرك فأعيد ثانيًا إلى السلطنة ولقب بالمنصور، فأقام دوره تسعة أشهر وعاد برقوق إلى السلطنة وخلعه في صفر سنة ٧٩٢. واستمر المنصور ملازمًا لداره إلى أن مات في تسع عشرة شوال سنة ٨١٤ أربع عشرة وثمان مائة، بعد أن تعطلت حركة يديه ورجليه منذ سنين. ودفن بتربة جدته.

قال العيني: كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه لغلبة السوداء عليه وكان مشتغلاً باللهو والسكر وقد جاوز الأربعين من عمره.

١٢١ ـ حاجي بن محمّد بن قلاون الملك المظفر سيف الدين بن الناصر بن المنصور[٢]: ولد سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة. فلما كان في آخر سلطنة أخيه الكامل شعبان قبض عليه وسجنه هو وأخوه حسين والد الأشرف شعبان وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤٧ فاتفق أن دولته زالت بقيام الأمراء عليه في يوم الاثنين أول جمادى الآخرة من تلك السنة فأمسك وسجن حيث كان حاجي ونقل حاجي إلى تخت السلطنة فمدوا له السماط الذي أعد للكامل وأدخلوا للكامل السماط الذي أعد لحاجي، وأحيط

---

(١) انظر المنجد في الأعلام.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

بمال الكامل وخواصه وصودروا واتفق رخص الأسعار أول ما ولي المظفر ففرح الناس به لكنه أقبل على اللهو والشغف بالنساء، حتى وصلت قيمة [عصبة][١] حظيته المسماة (إنفاق) مائة ألف دينار، وصار يحضر الأوباش يلعبون بالمصارعة بين يديه.

وكان جلوسه على التخت في مستهل جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ فبقي سنة وأربعة أشهر وخلع في ثاني عشر شهر رمضان سنة ٧٤٨ وكان قد قتل جماعة من أكابر الأمراء فنفرت عنه القلوب واستوحش منه بقية الأمراء، وكان كثير اللعب بالحمام، فلامه على ذلك بعض أكابر أمرائه فقال له: اذبحها فذبح الأمير منها طيرين فطار عقل السلطان وقال لخواصه: إذا دخل إليَّ فبضعوه بالسيوف فبلغه ذلك فأخذ حذره منه. ثم اجتمع الأمراء إلى قبة النصر فبلغ ذلك المظفَّر فخرج في من بقي معه فلما تراءى الجمعان حمل عليه أميران طعنه أحدهما، وضربه الآخر فقتلاه[٢]، ثم قرروا[٣] أخاه الناصر حسن في السلطنة.

١٢٢ ـ **حَامِد بن حسَنْ شَاكِرْ الصّنعاني**[٤]: نشأ بصنعاء وأخذ عن جماعة من أكابر العلماء، كالسيّد العلاَّمة صلاح بن الحسين الأخفش، والسيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى الشامي، والسيّد العلاَّمة أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وغيرهم وأكبَّ على علم الحديث غاية الإكباب حتى فاق فيه وشارك في سائرِ الفنون مشاركة قوية وانتفع به الناس في الوعظ.

وكان له في الجامع حلقة كبيرة يحضرون عليه لسماع وعظه، ولوعظه وقع في القلوب لما هو عليه من الزهد والتقشف، وعدمِ الاشتغال بالدنيا. وقد أخبرني جماعة ممن أخذ عنه أنه كان فقيرًا قانعًا يلبس الثياب الخشنة ويباشر شراء حاجاته بنفسه، ويتواضع في جميع أموره. وكتبه مضبوطة غاية الضبط ولا يضبط إلا عن بصيرة، حتى صارت مرجعًا بعد موته. وله مؤلفات دالة على سعة حفظه للحديث وإتقانه لهذا العلم رأيت منها (الأنموذج اللطيف في حديث أمر معاذ بالتخفيف) وله شرح لعدة الحصن الحصين ليس على نمط الشروح بل يكتب أحاديث ولا يشتغل بالكلام على أحاديث العدة لا تخريجًا ولا تفسيرًا وقفت عليه بعد شرحي للعدة وجمع حاشية على ضوء النهار للعلاّمة الجلال وصار تارةً يرجح ما في ضوء النهار وتارة يرجح ما في حاشيته منحة

---

(١) التكملة من الشذرات ٦/ ١٥٢.

(٢) في الشذرات ٦/ ١٥٢: قتل في ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٨ هـ.

(٣) في الشذرات ٦/ ١٥٣: ثم قررا أخاه الناصر حسن مكانه في رابع عشر شعبان.

(٤) انظر هدية العارفين ٦/ ٤٦٣.

الغفّار للعلاّمة السيّد محمّد الأمير ولكنه ليس بمتقن لعلم الأصول وسائر العلوم التي يحتاج إليها من حرر المسائل. وأما بالنسبة إلى ما يرجع إلى متون الأحاديث والكلام على أسانيدها فهو قليل النظير وقد أكثر من التعقبات في تلك الحاشية لما في حاشية الأمير.

وله رسائل ومسائل مات رحمه الله فجأة في بضع وسبعين بعد المائة والألف. وسمعت من يروي عن السيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير أنه قال لما بلغه أن صاحب الترجمة يجمع حاشية على الكشاف، إن على الكشاف حاشية السعد، وحاشية صاحب الترجمة ينبغي أن يقال لها حاشية الشقب، والشقب في لسان أهل اليمن عبارة عن مقابل السعد وهو النحس.

وكان السيّد المذكور يتحامل عليه لما بلغه أنه يتعقَّب حاشيته المتقدم ذكرها. روى لي ذلك من عرف الرجلين رحمهما الله تعالى وإيانا.

١٢٣ ـ الحَسَنْ بن أَحْمد بن صلاح اليوسفي الجمالي اليماني المعروف بالحيمي[١]: أحد أعيان دولة الإمام المؤيد بالله بن القاسم، وأخيه الإمام المتوكل على الله من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء، وكان يقوم بالأمور العظيمة المتعلقة بالدولة، ثم يشتغل بالعلم درسًا وتدريسًا وكان يوجهه الإمام المتوكل على الله في المهمات لفصاحته ورجاحة عقله وقوة تدبيره.

فمن جمل ما بعثه إليه من المهمات إرساله إلى حضرموت لما وقع الاختلاف بين السلاطين آل كثير فقام بالأمر أتمّ قيام، وصلحت الأمور بحميد رأيه وجميل عنايته ووجهه أيضًا إلى سلطان الحبشة لما وصلت إليه منه كتب تتضمن رغوبه في الإسلام، ويطلب وصول جماعة من آل الإمام إليه ليُسلِمَ على أيديهم فتوجه في نحو خمسين رجلاً. وركب من بندر المخا، ثم توجّه من هنالك ولاقىٰ مشاقًا عظيمة، واستمر في الطريق سفرًا وإقامة نحو تسعة أشهر فوصل إلى سلطان الحبشة في يوم عيد للنصارى فدخل على السلطان لابسًا شعار الإسلام من الثياب البيض وكان السلطان غير مريد لما أظهره في كتبه من الرغوب في الإسلام بل معظم قصده المراسلة كما يفعله الملوك وأنه يريد إصلاح الطريق.

فلما استقر صاحب الترجمة في مدينة السلطان أضافه وأكرم أصحابه وأراد أن يخلع عليه خلعة حرير خالص وسوارين من الذهب فقال له: هذا لا يحلّ في شريعتنا. وكان

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٩٤.

لصاحب الترجمة في تلك البلاد صولة عظيمة حتى كان أصحابه يبطشون بالنصارى إذا تعرضوا لهم ويضربونهم. وشاع عند الحبشة أن العرب الذين هم أصحاب المترجم له يأكلون الناس فزادت مهابتهم في صدورهم.

وكان أعظم معين لهم على ذلك البنادق فإنه لا يعرفها أهل الحبشة إذ ذاك ولولا هي ما قدروا على مرور الطريق فإنهم كانوا ينصبون عليهم كالجراد فيرمونهم بالبنادق فيقتلون منهم وينهزمون ويفزعون لأصواتها وتأثيرها. ثم لما أيس صاحب الترجمة من إسلام السلطان طالبه بالإذن له بالرجوع إلى ديار الإسلام فتثاقل عنه ثم بعد حين أذن له وكان لا يصحى من شرب الخمر فعين له وقتًا يصل إليه للوداع وترك شرب الخمر في ذلك اليوم وجمع وزراءه وأمراءه وأعيان دولته، فأمر صاحب الترجمة أصحابه أن يرموا بالبنادق عند وصولهم إلى باب السلطان كما يفعله أهل اليمن ويسمون ذلك تعشيرة فلما سمع السلطان أصوات البنادق هرب من أيوانه وهرب الوزراء وسائر أصحاب السلطان فدخل صاحب الترجمة الدار، ثم بعد ذلك عاد السلطان إلى مكانه وأخذ في أهبة توجيهه إلى بلاد الإسلام.

وكان جملة بقائه لديه ثلاث سنين ورجع إلى حضرة الإمام سالمًا وهذه الرحلة مشتملة على عجائب وغرائب قد جمعها صاحب الترجمة في كراريس هي بأيدي الناس ومن شعره أيام إقامته بالحبشة هذه الأبيات:

على كلِّ سعيٍ في الصّلاحِ ثوابُ ... وكلُّ اجتهادٌ في الرشَادِ صوابُ
وليسَ على الإنسانِ إدراكُ غايةً ... ودونَ مَداها للعيونِ حِجَابُ
ولو عَلِمَ الساعونَ غايةَ أمرِهم ... لمَا كانَ شخصٌ بالشرورِ يُصابُ
فقلْ لأميرِ المؤمنينَ لقَدْ دعا ... وحقٌ له بَعدَ الدُّعاءِ يُجَابُ
ولكنْ دعا قوماً يظنّونَ أنّهمْ ... رموا غرضاً في دينِهِمْ فأَصابوا

وهي أبياتٌ طويلة جيدة وله أشعارٌ أيام إقامته هنالك وشعره جيد مات في شهر ذي الحجة سنة ١٠٧٠ سبعين وألف.

١٢٤ ـ السيّد الحسَنْ بن أَحْمد بن محمّد بن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن الجلاّل[١]: ابن صلاح بن محمّد بن الحَسَن بن المهدي بن علي بن المُحسِنْ بن يحيى بن يحيىٰ النّاصِر بن الحَسَن بن عبد الله بن محمّد بن المختار لدين الله القَاسِم بن النّاصِر بن الهادي يحيىٰ بن الحُسَين بن القَاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧١.

الحَسَن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالجلال العلاَّمة الكبير.

ولد في شهر رجب سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف، بهجرة رُغَافة بضم الراء المهملة بعدها معجمة وبعد الألف فاء، قرية ما بين الحجاز وصعدة ونشأ بها، ثم رحل إلى صعدة وأخذ عن علمائها ثم رحل إلى شهارة وأخذ عن أهلها ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن أكابر علمائها وما حواليها من الجهات.

ومن جملة مشايخه القاضي عبد الرحمٰن الحيمي والعلاَّمة الحسين بن القاسم بن محمد والعلاَّمة محمد عز الدين المفتي وسائر أعيان القرن الحادي عشر، وبرع في جميع العلوم العقلية والنقلية وصنَّف التصانيف الجليلة فمنها (ضوء النهار) جعله شرحًا للأزهار[1] للإمام المهدي وحرر اجتهاداته على مقتضىٰ الدليل ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو خلافه وهو شرح لم تشرح الأزهار بمثله بل لا نظير له في الكتب المدونة في الفقه.

وفيه ما هو مقبول وما هو غير مقبول وهذا شأن البشر وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم، وما أظن سبب كثرة الوهم في ذلك الكتاب إلا أن هذا السيّد كالبحر الزخار وذهنه كشعلة نار فيبادر إلى تحريم ما يظهر له واثقًا بكثرة علمه وسعة دائرته وقوة ذهنه. ولا أقول كما قال السيّد العلاَّمة صلاح بن الحسين الأخْفش في وصفه لبعض مصنفات صاحب الترجمة: إنه عظام لا لحم عليها، بل أقول: هو بحر عجاج متلاطم الأمواج، وله في أصول الدين (شرح الفصول) و (شرح مختصر المنتهى) وفي المنطق (شرح التهذيب) وفي أصول الدين (عصام المتورعين) وغير ذلك من المؤلفات في غالب الفنون وله حاشية كمَّل بها حاشية السعد على الكشاف، وحاشية على (شرح القلائد) مجموعات مفيدة، ورسائل عديدة وله القصيدة التي سماها (فيض شعاع) أولها:

الـدِّيـنُ ديـنُ محمّـدٍ وصِحَـابـهِ ... يـا هـائمـاً بقيـاسـهِ وكتَـابـهِ

وشرحها شرحًا نفيسًا فيه فوائد جمة ولي كثير من المناقشات في ترجيحاته التي يحررها في مؤلفاته ولكن مع اعترافي بعظيم قدره وطول باعه وتبريزه في جميع أنواع المعارف.

وكان له مع أبناء دهره قلاقل وزلازل كما جرت به عادة أهل القطر اليمني من وضع جانب أكابر علمائهم المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال. وقد كان الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم المتقدم ذكره يجلّه غاية الإجلال، ولا يعرف أهل

(١) كشف الظنون ١/ ٧٣.

الفضل إلا أهله واستوطن الجراف ومات فيه، وقبره هنالك، وكان موته ليلة الأحد لثمانٍ بقين من ربيع الآخر سنة ١٠٨٤ أربع وثمانين وألف. وكان جيد النظم وما أحسن قوله في القصيدة التي تقدمت الإشارة إليها مخاطبًا لرسول الله ﷺ:

وقلْ ابنكَ الحسنُ الجلالُ مباينٌ مِن قَدْ غلا في الدِّين من تلعابهِ
لا عاجزاً عن مثلِ أقوالِ الورىٰ أو هـائبـاً مـن علمهـمْ لصعَـابـهِ
فـالمشكـلاتُ شـواهـدٌ لـي أنني أشـرقـتُ كـلَّ محقـقٍ بلعـابـهِ
لـولا محبـةُ قـدوتـي بمحمـدٍ زَاحمـت رسطـاليسَ فـي أبـوابـهِ

ومنه:

وشـادنٌ يَغـرَق أَهـلُ الهـوىٰ فـي حسنـهِ فـابـكِ علـى واردهِ
مـذ لاحَ فـي الخـدِّ أخـو أمّـه عـاينـتُ تصحيـفَ أخـي والـدهِ

وله مضمنًا مع حسن التصرف:

رفعـتُ عمـامتـي فـرأتْ بـرأسـي شيبـاً اشتعـلا
فعـادتْ بعـدُ تَنْكُـرنـي فقلـتُ لهـا أنـا ابـن جـلا

١٢٥ ـ السيّد الحسَنْ بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسَن بن الإمام القاسم بن محمّد[1]: ولد سنة ١٠٩٣ ثلاث وتسعين وألف، ونشأ بصنعاء، فقرأ على السيّد العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير وغيره، وفاق في غالب العلوم وصنَّف تصانيف منها: (منظومة الهدي النبوي) لابن القيم.

ثم شرحها شرحًا نفيسًا ومنها رسائل نفيسة في علوم عدة وكان أحد الرؤساء مع أخيه السيّد العلاّمة محمد بن إسحاق الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ثم اعتقله الإمام المنصور الحسين بن القاسم وكان قد اعتقله الإمام المتوكل على الله القاسم بن حسين وله أشعار فائقة منها وهو بالسجن:

وعدتُ أسيرَ الوجدِ ظبيةَ حاجرٍ بالطيفِ يطرقُ في الظلامِ محاجري

وهي أبيات جيدة وله قصيدة أخرى مطلعها:

يـا صـاحبـي مـا لنسيـمِ نجـدِ قـد عطَّـرتْ سـوحـي بعـرفِ النـد

مدحَ بها شيخه العلاّمة محمّد بن إسماعيل الأمير وله شعر كثير سائر مجموع عند

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٩٧.

أهله وكل أهل هذا البيت الشريف علماء شعراء لا يخلو عن ذلك إلا النادر.

وصاحب الترجمة من أكابرهم وأفاضلهم الجامعين بين العلم والأدب والرياسة ومكارم الأخلاق، وجميع صفات الكمال ومات في سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف.

١٢٦ ـ **حسَنْ بن أَحْمد بن يوسف الرباعي الصنعاني**: ولد تقريبًا على رأسِ القرن الثاني عشر، وقرأ على جماعة من شيوخ العصر كالسيّد العلاَّمة الحسن بن يحيى الكبسي والقاضي العلاَّمة محمّد بن أحمد السودي وغيرهما.

واستفاد في جميع العلوم الآلية وفي علم السنة المطهَّرة وله فهم صادق وإدراك قوي وتصور صحيح وإنصاف وعمل بما تقتضيه الأدلة وله قراءة عليَّ في علم المعاني والبيان وفي علم التفسير وفي الصحيحين والسنن وفي مؤلفاتي وهو الآن من أعيان أهل العرفان ومحاسن حملة العلم بمدينة صنعاء وقد تقدمت ترجمة والده.

١٢٧ ـ **الحسَنْ بن إسماعيل بن الحسين بن محمد المغربي**[1]: نسبة إلى مغارب صنعاء ثم الصنعاني حفيد شارح بلوغ المرام الآتي ذكره هو شيخ شيوخ العصر ولد بعد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف ونشأ بصنعاء كسلفه وقرأ على جماعة من أعيان علماء صنعاء منهم العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والعلاَّمة محسن بن إسماعيل الشامي وغير واحد في عدة فنون كالنحو والصرف، والمنطق والمعاني، والبيان والحديث والتفسير والفقه، وانتفع به الطلبة في جميع هذه الفنون وأخذ عنه أعيان العلماء وتخرجوا به وصاروا مبرزين في حياته، وكان رحمه الله زاهدًا ورعًا عفيفًا متواضعًا متقشفًا لا يعد نفسه في العلماء ولا يرى له حقًا على تلامذته فضلاً عن غيرهم ولا يتصنّع في ملبوس بل يقتصر على عمامة صغيرة وقميص وسراويل وثوب يضعه على جنبيه وتارة يجعل إزارًا مكان الثوب ويقضي حاجته من الأسواق بنفسه ويباشر دقيقها وجليلها ويحمل على ظهره ما يحتاج إلى الحمل منها ويقود دابته ويسقيها بنفسه. ولا يتصدر لما يتصدر له من هو معدود من صغار تلامذته من تحرير الفتاوى ومماراة أهل العلم بل جُلّ مقصوده الاشتغال بخاصة نفسه ونشر العلم بإلقائه إلى أهله والقيام بما لا بد منه من المعيشة يكتفي بما يحصل له من مستغلاته التي ورثها عن سلفه الصالح مع حقارتها.

وخطب للقضاء في أيام شبابه فلم يساعد بل صمم على الامتناع بعد أن رغَّبهُ شيخه أحمد بن صالح المتقدم ذكره. والحاصل أنه من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت الله عز وجل وكل شؤونه جارية على نمط السلف الصالح، وكان إذا سأله سائل أحاله في

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧١.

الجواب على أحد تلامذته، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبال سواء كان المسؤول عنه خفيًا أو جليًا لأنه جُبِل على التواضع، ومع هذا ففي تلامذته القاعدين بين يديه نحو عشرة مجتهدين والبعض منهم يصنِّفُ في أنواع العلوم إذ ذاك وهو لا يزداد إلا تواضعًا. قرأت عليه رحمه الله في المطوَّل وحواشيه والعضد وحواشيه من أولهما إلى آخرهما والكشاف وبعض حواشيه من أوله إلى آخره إلا فوتًا يسيرًا وبعض الرسالة الشمسية وشرحها للقطب وحاشيتها للشريف وبعض تنقيح الأنظار في علوم الحديث وقطعة من صحيح مسلم وقطعة من شرحه للنووي، وجميع سنن أبي داود ومختصر المنذري عليها، وبعض شرح ابن رسلان والخطابي لها، وشرح بلوغ المرام لجده إلا قليلاً من أوائله واستمر على حاله الجميل لا يزداد إلا تواضعًا وتصاغرًا وتحقيرًا لنفسه وهكذا فليصنع من أراد الوصول إلى ثمرة العلم والبلوغ إلى فائدته الأخروية وكان رحمه الله يقبل عليَّ إقبالاً زائدًا ويعينني على الطلب بكتبه وهو من جملة من أرشدني إلى شرح المنتقى، وشرعت في حياته بل شرحت أكثره وأتممته بعد موته، وكان كثيرًا ما يتحدث في غيبتي أنه يخشىٰ عليَّ من عوارض العلم الموجبة للاشتغال عنه فما أصدق حدسه وأوقع فراسته، فإني ابتليت بالقضاء بعد موته بدون سنة وانتقلت روحه الطاهرة إلى جوار الله في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين ذي الحجة سنة ١٢٠٨ ثمان ومائتين وألف ورثيته بقصيدة أولها:

كـذا فَلْيكـنْ رزءُ العـلا والعـوالـمَ ومَنْ مثلِ ذا ينهَدُّ ركن المعالم

ورثيته أيضًا بأبيات أخرى أولها:

جَفْنُ المعارفِ من فِراقِكَ سافحٌ والعذبُ منها بعد بُعْدِكَ مَالِـحُ

١٢٧ ـ السيّد الحسَنْ بن الحُسَينِ بن الإمام القاسم بن محمّد[١]: الصَّنعاني المولد والوفاة والدار العلاَّمة المبرِّز في عدة فنون لا سيما علم المعقول، فهو فيه فريد عصره وله تصنيف في المنطق جعله حاشية على شرح العلاَّمة الجلال في التهذيب وتلامذته جماعة نبلاء كانوا يقصدونه للقراءة عليه إلى منزله وله أشعار حسان منها القصيدة التي مطلعها:

لجمالِ ذاتكَ في الوجودِ تطلعي ولنيلِ وصلكَ في الحياةِ تطمُّعي
ولوجهكَ الزاهي بحسنِ جماله حجّـي وتطـوافـي بـذاكَ المـربـعِ

وله يد في علم التصوف قوية وكذلك في علم الأسماء. وقد أثنى عليه صاحب

(١) انظر هدية العارفين ٥/٢٩٦.

(نسمة السحر) وذكر له مؤلفات وقال أنه كتب له بخطه أنه ولد بضوران سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف وذكر له شعرًا كتبه إليه، مطلعه:

تَرنَّم حادي الشوقِ فهو مزمزمٌ فـرعيًـا لحـادٍ بـالهـوىٰ يتـرنَّـمُ

وذكر ما يدل على أن صاحب الترجمة وقف على نسمة السحر وقرضها وقد بلغ عمره ثمانين سنة ولم يذكر وفاته.

١٢٨ ـ السيّد الحسَنْ بن زَيْد بن الحُسَيْن الشَّامي[١]: قرأ بصنعاء على أعيان علمائها كالسيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى الشامي وطبقته، وبرع في علم الحديث وشارك في غيره من الفنون مشاركة قوية ونشر العلم، وأتعب نفسه في الإرشاد إلى الحق من العمل بالدليل، وأقبل عليه الخاص والعام، وأخذوا عنه وتخلقوا بأخلاقه، ومشوا على طريقته وكان لا يملّ من ذلك في جميع الأوقات. فظهرت بركته وعمَّ النفعُ به فإنه سكن في صنعاء، فصار له أتباع لا يعملون إلا بالأدلة، ثم سكن في هجرة سناع فصار أهلها جميعًا مشتغلين بالطاعة مواظبين على الجمعة والجماعة وكذلك سكن في ذهبان وصار أهله كذلك.

وله في حسن التعليم طريقة لا يقدر عليها غيره وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي العباس بن الحسين وعند وزيره أحمد بن علي النهمي فنفع به جماعة من المحاويج وصار يبذل جاهه لهم فيجلب إليهم خيرًا كثيرًا ولا يأخذ لنفسه شيئًا مع كونه فقيرًا وكان هذا دأبه طول حياته، ولا مطمع له في مواصلة أرباب الدولة إلا ذلك. وله في الزهد والتقشُّف وكثرة العبادة وظائف لا يقدر عليها غيره مع قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترسلات في ذلك على الإمام فمن دونه والإرشاد إلى الرفق بالرعية، ولقد كان خيرًا كله ولم أعرفه ولكنه أخبرني بأخباره كل من يعرفه وما زال مستمرًا على ذلك حتى مات في سنة ١١٩٦ ست وتسعين ومائة وألف في جمادى الأولى منها.

١٢٩ ـ الحسَنْ بن علي بن جَابرِ الهبل اليماني الشاعر المُفلِقْ[٢]: الفائِق المكثِر المجيد. ولد سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف وله شعر يكاد يسيل رقة ولطافة، وجودة سبك وحسن معاني، وغالبه الجودة. وله ديوان شعر موجود بأيدي الناس ومنه:

أتـــرىٰ يسلـــو الهـــوىٰ ولـــهُ عِنـــدَ سكّـــانِ الحمـــىٰ ولـــهُ

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٢.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٩٤.

مُغـرَمٌ فـي قلبـهِ حـزنُ فصـل الهجـران مَجْمَلـهُ
عَظِمَـتْ أسقـامَـهُ فغـدا لا يـراهُ مَـن تـأمَّلـهُ
لـو رأىٰ مـن ظـلٍ يعـذلـهُ وجـه مـن فـي الحـبِّ أنحَلَـهُ
قـالَ أمـا فيـكَ لا حـرجٌ إنْ قضـىٰ وجـداً يحـقّ لـهُ

وله:

يـا قليـلَ الحفـظِ للـذِمَـمِ أيُّ شـرعٍ حَـلَّ فيـهِ دمـي
هَـلْ لِمَـنْ أتلفـتَ مُهْجَتَـهُ يـا شقيـقَ الـرّوحِ مـن حكـمِ

وله:

لا ذقـتَ حـرَّ صبـابتـي وكفيـتَ مـا ألقـى بِهَـا
فـالنـارُ مـن أسمـائِهـا والمـوتُ مـن ألقـابِهـا

وله القصيدة الطنّانة التي مطلعها:

لـو كـانَ يعلـمُ أنَّهـ الأحـداقُ يـومَ النقـا مـا خَـاطَـرَ المشتـاقُ
جَهلَ الهوىٰ حتى غدا في أسره والحـبُ مـا لأسيـرهِ إطـلاقُ

وكلها غرر لولا ما كدرها به من ثلب الأعراض المصونة أعراض خير القرون. ولما ارتفعت درجته عند الإمام المهدي أحمد بن الحسن وكان كالوزيرِ له قبل الخلافة وتصدىٰ للقعود في دستها. توفي في شهر صفر سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف، فيكون عمره إحدى وثلاثين سنة ولو طال عمر هذا الشاب الظريف ولم يشب صافي شعره بذلك المشرب السخيف لكان أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الإطلاق. وأصله من قرية بني الهبل وهي هجرة من هُجَرِ خولان، ومحله ومحلي واحد ليس بينهما مسافة بل بينهما من القرب بحيث يسمع كل واحد ممن فيهما كلام الآخر، وقد بالغ صاحب نسمة السحر في حقه فقال: إنه لم يوجد باليمن أشعر منه من أول الإسلام، وهذا معلوم البطلان فالصواب ما قلته سابقًا.

١٣٠ ـ الحسَنْ بن عليٍّ بن الحسَنْ بن عليّ بن عبد الله بن عبد الرّحمٰن بن صالح بن محمّد بن صالح بن محمّد بن يحيى بن محمّد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن حنش[١]: وبقية نسبه معروفة، فله سلف صالح فيهم العلماء والقضاة والصلحاء وبيتهم مشهور في الديار اليمنية ولد بشهارة في سنة ١١٥٣ ثلاث وخمسين ومائة وألف ورحل من وطنه

(١) انظر التاج المكلل ص ٣٧٣.

لطلب العلم إلى مدينة صنعاء فأخذ عن جماعة من أعيانها كالسيّد العلاَّمة محمّد بن إسماعيل الأمير في الحديث والقاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن. قرأ عليه في مغني اللبيب ورسالة الوضع للهروي وغيرهما والسيّد العلاَّمة إسحاق بن يوسف بن المتوكل قرأ عليه في المعالجة والقاضي العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال في العربية والقاضي حسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام. وشيخنا العلاَّمة علي بن إبراهيم بن عامر وقرأ عليه في غاية السؤل وشرحها وسيرة الشامي وشيخنا العلاَّمة الأكبر السيّد عبد القادر بن أحمد قرأ عليه في جامع الأصول لابن الأثير وغيره، وولده العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر قرأ عليه في الغاية وشرحها، وفي صحيح البخاري، وقرأ القراآت السبع على شيخها المتفرد بمعرفتها الفقيه علي اليدومي.

وأول من اتصل به عند وصوله إلى صنعاء الفقيه إسماعيل بن محمد حنش وقرأ عليه وأعانه على الطلب ووليَ في أوائل عمره أعمالاً من وقفٍ وغيره، ثم أمره مولانا الإمام المهدي أن يتصل بولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله ليقرأ عليه. فاتصل به وقرأ عليه ولازمه مدة. ثم لما مات الإمام المهدي وبويع مولانا الإمام المنصور بالله أناط بصاحب الترجمة أعمالاً وصيره أحد وزرائه المقربين عنده وجعل بنظره بعض البلاد اليمنية وبالغ في تعظيمه لكونه شيخه في العلم ولم يعامله معاملة سائر الوزراء وإذا ناب الدولة أمر يتعلق بالأمور الشرعية كان التعيل عليه في الغالب. وغالب ما يتحصل له ينفقه على العلماء ويواسي به الفضلاء والفقراء على وجه لا يحب أن يطلع عليه أحد وما زال هذا دأبه وديدنه من أول وزارته إلى حال تحرير هذا نحو ثلاث وعشرين سنة. وهو لا يزداد إلا خيرًا وإنفاقًا على من يستحق ذلك وهو في هذه الخصلة منقطع القرين، عديم النظير لا سيما في هذا العصر، فإنه قد يعطي بعض المحاويج الذين لا يتصلون به عطاء يجاوز الوصف في الكثرة، ويشتري البيوت ويهبها لمن لا بيت له ويعين من أراد أن يشتري بيتًا إذا كان مستحقًا بأكثر الثمن أو كله. وقد صنع هذا الصنع مع أناس كثيرين، وهو يكره ظهور ذلك، واطلاع الناس عليه وذلك دليل الخلوص.

وإني لأكثر التعجب من كثرة صدقاته التي منها ما يبلغ المائة القرش وفوقها ودونها. بل أخبرني بعض العلماء أنه اطلع على ما وهبه لبعض العلماء وكانت جملته ألف قرش دفعة واحدة، وأخبرني آخر أنه بلغ إعطاؤه لعالم آخر اثنتي عشرة مائة قرش دفعة واحدة، وناهيك بهذا فإن عطاء الملوك في عصرنا يتقاصر عنه. ويزداد التعجب من استمراره على ذلك كيف قدر على القيام به مع أن غيره ممن بنظره أعمال أكثر من أعماله ومدخولات أوفر من مدخولاته قد لا يقوم ما يتحصل له بما يستغرقه لخاصة نفسه وأهله

فضلاً عن غير ذلك. ثم أذكر قول الله تعالى ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ [سبأ: ٣٩] وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنفق ينفق عليك» فأعلم عند ذلك السبب، ومع هذا فهو في عيش فائق مترفه في ملبوسه ومأكوله ومسكنه ومركبه وجميع أحواله على حد يقصر عنه أمثاله قد جمع الله له من نعم الدنيا ما لا يدركه غيره وأعطاه من الكمالات ما لا يوجد مجتمعًا في سواه فإنه مع إحكامه لما يتعلق به من الأعمال الدولية معدود من العلماء مذكور في الفرسان مشهور بحسن الرماية جيد الخط قوي النثر حسن الأخلاق وكان بشوشًا متواضعًا سيوسًا جليًا، وقورًا ساكنًا عفيفًا مواظبًا على الجمعة والجماعة، كثير الأذكار محبًا للفقراء ولا سيما إذا كانوا من أهل بيت النبوة راغبًا في الخير كافًا لنفسه عن الشر معظمًا للشرع مجالسه مشتملة على المباحثات العلمية والمفاكهات الأدبية، مقربًا لأهل الفضل، مبعدًا لأهل البطالة حسن المحاضرة، قوي المباحثة جيد الفهم حسن الإدراك ينشط إذا سئل عن مسألة علمية ويبحث ويستخرج بدقيق ذهنه فرائد بديعة يعرف النحو والصرف، والمعاني والبيان، والأصول والقراآت والتفسير، ويعمل بجميع هذه الفنون، وله كمال الاشتغال والعناية بعلم الحديث والتفسير والعمل بما تقتضيه الأدلة ولا يبالي بما عدا ذلك، ولديه من الكتب النفيسة ما لا يوجد عند غيره وبيني وبينه من خالص الوداد ما لا أقدر على التعبير عن بعضه وما أعده إلا بمنزلة الوالد وهو ينزلني منزلة الولد، ويجلّني إجلال الوالد.

وقد اتفقت الألسن على الثناء عليه ونشر محاسنه مع أن الناس لا يرضون عن المتعلقين بأعمال الدولة ولكن رأوا فيه من المحاسن ما لا يمكن جحده والحاصل أنه للدولة جمال ولأهل العلم جلال وللفقراء ذخيرة أفضال طالت أيامه ومدت أعوامه.

وفي سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف حصل له نسيان وكثرة سهو فباشر ما بنظره من الأعمال بعض قرابته فلم يحسن المباشرة وما زال ذلك العارض يتزايد.

وفي سنة ثلاث وعشرين رجح رفع يده عن الأعمال التي كان يباشرها ثم أحاطت الديون بغالب ما يملكه بسبب مباشرة ذلك القريب ثم توفي[1] إلى رحمة الله يوم السبت خامس عشر شهر شعبان سنة ١٢٢٥ خمس وعشرين ومائتين وألف بصنعاء وقبر بمقبرتها.

١٣١ ـ الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيّدي[2]: رأيت سيرته في مجلد وصفه

---

(١) في التاج المكلل ص ٣٧٣: توفي في ١٥ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ.

(٢) انظر المنجد في الاعلام ص ٢٣٦.

مؤلفها بالتبحّر في علوم عديدة كالنحو والصرف، والمنطق والمعاني، والبيان والأصول والتفسير، والفقه والحديث. ورأيت له رسائل تدل على بلاغته وقوة تصرفه. دعا إلى نفسه سنة ٩٨٤ في نصف شهر رمضان منها، فاجتمعت إليه الزيدية وأجابوا دعوته وبايعوه في بلاد صعدة وخرج منها بجيش إلى الأهنوم واشتعلت الأرض نارًا بقيامه على الأتراك ودخل في طاعته بعض أولاد الإمام شرف الدين وأسر عبد الله بن المطهر وأودعه السجن، ثم توجه بجند واسع لأخذ بلاد همدان ففتح أكثرها وخرج الأتراك من صنعاء وأميرهم سنان فما زالت الحرب بينهما سجالاً.

وفي سنة ٩٩٣ افتتح سنان بلاد الأهنوم وانحصر الإمام الحسن في محل يقال له الصاب، ودعا إلى السلم فأجاب وخرج إلى يد سنان في نصف شهر رمضان منها، وهذا من غرائب الزمان كون قيامه في نصف شهر رمضان، وأسره في نصف شهر رمضان. ثم دخل به سنان إلى صنعاء فوصل به إلى الباشا حسن فسجنه وقد كان أسر أولاد المطهَّر بن شرف الدين الأربعة لطف وعلي يحيى وحفظه الله وغوث الدين وسجنهم مع الإمام وفي شهر شوال من هذه السنة أرسل الباشا بهم جميعًا إلى الروم وكان آخر العهد بهم.

وقد روي أنه مات الإمام الحسن في الروم محبوسًا في شهر شوال سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف سنة والله أعلم وله أخبار حسان استوفاها مؤلف سيرته فمن رام الاطلاع عليها فليقف على السيرة المذكورة ليعرف مقدار هذا الإمام وسعة دائرته في المعارف العلمية.

١٣٢ ـ الحَسَنْ بن عُمَرْ بن الحسَنْ بن حَبِيبْ بن عُمَر بن شريح بن عُمَر الملقب بدر الدين الدمشقي الحلبي[1]: ولد[2] سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة بشهر شعبان منها. ونشأ مغرمًا بعلم الأدب وأخذ عن جماعة من الأدباء منهم ابن نباتة وله مؤلف في الأدب سماه (نسيم الصبا) يشتمل على نفائس واستعمل مفاصل شفاء القاضي عياض فسبكها سجعًا، وألَّف (درة الأسلاك في دولة الأتراك) سجع كله يدل على مزيد اطلاعه وفصاحته وسمع الحديث على جماعة من أعيان علماء عصره.

قال ابن حجر وكان فاضلاً كيِّسًا صحيح النقل حدث عنه جماعة وكان يوقع عن القضاة وانقطع في آخر مدته بمنزله وله (تذكرة النبيه، في أيام المنصور وبنيه) سجعًا

---

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ٢٦٢.

(٢) في الشذرات ٦/ ٢٦٢: ولد بحلب سنة ٧١٠ هـ.

وباشر نيابة القضاء ونيابة كتابة السر مات[1] في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة ومن شعره:

ألحاظهُ شَهِدَتْ بأنِّي ظالمٌ ... وأتتْ بخَطٍّ عِذَارِهِ تذكارا

يا حاكم الحبِّ اتئد في قصتي ... فالخطُّ زورٌ والشهودُ سُكارىٰ

١٣٣ ـ السيّد الحسَنْ بن الإمام القاسِمْ بن محمّد بن علي بن محمّد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى: بن محمّد بن يوسف الأصغر الملقَّب الأشلّ ابن القَّاسِم ابن الإمام الداعي يُوسف الأكبر ابن الإمام المَنْصُور يحيىٰ ابن الإمام النَّاصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحُسَين بن القَاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسَن ابن الحسَن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه وعليهم ورحمته وبركاته. ولد بعد صلاة العشاء من ليلة الاثنين غرة شهر شعبان سنة ٩٩٦ ست وتسعين وتسعمائة، وقرأ على جماعة من الشيوخ وأدرك حصة نافعة من المعارف وفرَّغ نفسه للجهاد مع والده فنهض بما لا ينهض به غيره، ونال من الأتراك ما لم ينله أحد، وأوقع بهم وقعات متعددة حتى استأصلهم وأخرجهم من الديار اليمنية بعد أن حارب جماعة من كبرائهم كحيدر باشا، وقانصوه باشا وأخذ جميع ما بأيديهم من مدن اليمن.

ووقعاته وملاحمه لا يتسع لها هذا المختصر وقد سرد جميع ذلك الجرموزي في سيرته، وهي كتاب حافل. ولم يكن لأحد من العناية التامة بمجاهدة الأتراك ما كان له رحمه الله. وأسر في أيام والده وحبس بصنعاء وبقي أيامًا طائلة، ثم خرج خفية وهيأ الله له أسباب ذلك فلم يشعر به أحد وفيه من الشجاعة والإقدام في المعارك ما يبهر العقول فإنه وحده يقوم مقام الجيش الكثير، وقد أحاط به في قاع صنعاء أيام محاصرته لها جماعة من فرسان الأتراك المشهورين وهم عدد واسع يزيد خيلهم على الألف فضلاً عن سائر الجيش، ولم يكن عنده إذ ذاك إلا أخوه العلاَّمة الحسين الآتي ذكره، ونفر يسير فدار القتال عليه وعلى أخيه، وما زال يصاولهم طعنًا وضربًا ويجدل شجعانهم حتى خرج من بينهم سالمًا هو ومن معه من النفر اليسير، وكم أعدد من إقدامات هذا السيّد الذي تقصر الأقلام عن حصر بعض مناقبه وهو نظير المطهَّر ابن شرف الدين أو أرفع درجة منه في الشجاعة والرياسة وحسن التدبير، وقد بلغت جيوشه في بعض المواطن نحو ثمانين ألفًا، وله في الكرم يد طولى.

---

(١) في الشذرات ٦/ ٢٦٢: مات ضحى يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول بحلب سنة ٧٧٩.

قال السيد عامر بن محمد عبد الله بن عامر الشهيد في بغية المريد: أنه أعطى الشريف طاهر الإدريسي خمسة وعشرين ألف قرش من النقد ومن الجواهر والنفائس ما يخرج عن الفكر انتهى.

ثم بعد أن أجلى الأتراك من أرض اليمن جميعها اختط حصن الدامغ في حدود سنة ١٠٤٠. فعمره عمارة بليغة وأجرى فيه الأنهار وغرس في جوانبه الأشجار وشيَّد الديار حتى صار مدينة كبيرة واستقرَّ فيه حتى توفاه الله في وقت المغرب من ليلة الأحد ثالث شوال سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف في خلافة أخيه الإمام المؤيد بالله محمّد بن القاسم ورثاه شعراء عصره بمراثي جيدة منها قول بعضهم:

أدرى الذي يُنعَىٰ إلينا من نعىٰ ... لو كان يدري ما أشاد وأسمعا
أتراه يدري أنه ينعي إلى ... كل الأنام الدين والدنيا معا
وحياتهم ومعاشهمْ ورياشهمْ ... ونعيمهمْ هذه الخصالُ الأربعا

وكان موته في مدينة الحصين التي عمرها تحت حصنه المتقدم. وله نظم فمنه ما قاله في أيام اعتقاله يرغب والده في الصلح بأبيات أولها:

مولايَ إنَّ الصّلحَ أعذبُ موردا ... فاسلُكْ له جَدَداً سوياً أجردا

وهي أبيات مشهورة.

وكان يلازم في أسفاره وجهاداته القراءة على الشيوخ والمطالعة لكتب العلم. ولازم في آخر أيامه السيّد محمّد بن عز الدين المفتي فقرأ عليه في الأصول وغيرها، وقد جمع إلى شجاعته الباهرة الكرم الفائض حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، والحاصل أنه من أعظم سلاطين الجهاد وأساطين مصالح العباد.

١٣٤ ـ حسَنْ بن محمّد بن قلاون الصالحي الملك الناصر بن الناصر بن المنصور(١): ولد سنة ٧٣٥ خمس وثلاثين وسبعمائة وسمي أولاً قمارىٰ فلما جلس على التخت قال للنائب: يا أبي ما اسمي قمارى اسمي حسن. فقال: على خيرة الله واستقر اسمه حسنًا وولي السلطنة بعد أخيه المظفر سنة ٧٤٨ وقبض على حاشية أخيه وصودروا لتخليص الأموال فوجد لديهم من الجواهر ما قيمته مائة ألف دينار. فلما كان يوم السبت رابع عشر شوال سنة ٧٥١ قال الناصر لأهل المملكة إن كنت سلطانًا فاقبضوا هذا، فأمسك وأرسل إلى الإسكندرية ثم ما زالَ يقبض الأمراء واحدًا بعد واحد، فنفروا منه

---

(١) ترجمته في الدرر ٢/ ١٢٤ ـ وانظر ذيل العبر ص ٤٩.

وركبوا عليه في سابع عشر جمادىٰ الآخرة سنة ٧٥٢ وخلعوه وقرروا أخاه الصالح وأُعيد النَّاصرُ في شوال سنة ٧٥٥ واستبد بالمملكة وصفا له الوقت ولم يشاركه أحد في التدبير، فبالغ في أسباب الطمع واستحوذ على إهلاك بيت المال وأكثر من سفك الدماء، وشرع في عمارة المدرسة المعروفة بالرميلة وليس لها نظير بالديار المصرية، ومات ولم تكمل.

ثم عزم على قتل بعض أكابر أمرائه فاستعد له وتقاتلا فكانت الدائرة على النَّاصِر فانهزم ثم أمسك وقتل[1] في تاسع جمادى الأولى سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة وكان ذكيًا مفرطًا وله بعض اشتغال بالعلم.

١٣٥ ـ الحسَن بن محمّد شاه الفنّاري المعروف بالشلبي صاحب حاشية المطوّل[2]: قرأ على علماء الروم ثم ارتحل إلى مصر لقراءة مغني اللبيب على رجل مغربي، وكان علي الفنّاري قاضي السلطان محمد خان عم صاحب الترجمة فقال له: استأذن السلطان في عزمي على مصر لقراءة مغني اللبيب على شيخ مغربي هنالك ليس له نظير في معرفة هذا الكتاب فاستأذن المذكور السلطان فقال لعله قد اختل دماغه وكان منحرفًا عنه بسبب أنه صنّف حاشية التلويح باسم ابن السلطان وهو بايزيد بن محمّد فرحل إلى مصر وقرأ الكتاب المذكور قراءة متقنة، وكتب له المغربي في ظهر كتابه إجازة، ثم عاد إلى بلاد الروم وأرسل كتاب مغني اللبيب إلى السلطان محمد خان فلما نظر فيه زال عنه ما كان. فأعطاه مدرسة يدرس بها ثم في دولة السلطان بايزيد عيَّن له كل يوم ثمانين درهمًا، وله مصنفات منها حاشية المطوّل المتقدم ذكرها وهي حاشية مفيدة ومنها حاشية على شرح المواقف للشريف، وحاشية على التلويح وكلها مقبولة، وسمع في مصر صحيح البخاري على بعض تلامذة الحافظ ابن حجر ومات[3] في دولة السلطان بايزيد خان وكان جلوسه على تخت السلطنة سنة ٨٨٦.

١٣٦ ـ الحسَنْ بن قاسِم المجاهد القاضي العلاّمة الذكي: ولد تقريبًا سنة ١١٩٠ تسعين ومِائة وألف أو قبلها بيسير أو بعدها بيسير، ومسكنه هو وأهله في مدينة ذي جبلة انتقلوا إليها من مدينة ذمار وهو عارف بالفقه والفرائض والنحو والأصول وله مشاركة في علم الحديث وفهم جيد وذهنه صحيح قرأ علي عند وصولي مدينة جبلة مع مولانا الإمام المتوكل على الله في الحديث والأصول ولازمني مدة إقامتي في تلك المدينة من جملة من لازمني من أهلها للقراءة، وقد أجزت له أن يروي عني مروياتي وهو أهل لذلك لرغوبه

(١) في الدرر ٢/ ١٢٤: وقتل على يد يلبغا سنة ٧٦٢ هـ.

(٢) انظر هداية العارفين ٦/ ١٩٠.

(٣) في كشف الظنون ٢/ ١٨٩١ مات سنة ٨٨٦ هـ.

إلى العلم وإكبابه عليه وقد كتب بعض مؤلفاتي كالدرر، والدراري، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة؛ وحاشية شفاء الأوام والسيل الجرار وغير ذلك وله سماعات علي عند قدومه إلى صنعاء وقد قدم مرات وصار قاضيًا في مواضع ورسخت معرفته وعمل بالدليل.

١٣٧ ـ **الحسَنْ بن محمّد بن الحسَن بن سَابِق الدِّين بن عليٍّ بن أَحْمَد بن أسْعد بن أبي السّعُود بن يَعِيشْ المعروف بالنحوي**: الصَّنعاني الزيدي عالم الزيدية في زمانه وشيخ شيوخهم وناشر علومهم كان يحضر حلقة تدريسه زهاء ثمانين عالمًا، وله تحقيق وإتقان لا سيما لعلم الفقه يفوق الوصف.

وله مصنّفات منها في الفقه (كتاب التذكرة الفاخرة) أودعه من المسائل ما لا يحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير وهو كان مدرس الزيدية وعمدتهم حتى اختصره الإمام المهدي أحمد بن يحيى وجرّد منه (الأزهار) فمال الطلبة من حينئذ إلى هذا المختصر وله تفسير وله تعليق على (اللمع)، واختصر (الانتصار)[1] للإمام يحيى في مجلد وكان زاهدًا ورعًا متقشفًا متواضعًا ووليَ قضاء صنعاء وانتفع الناس به وكان يأكل من عمل يده، واستمر على حاله الجميل إلى أن مات في سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة، وقبر في عدني صنعاء قريب من باب اليمن وقبره مشهور مزور.

١٣٨ ـ **السيّد الحسَنْ بن مطهَّر بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن محمّد**[2]: ابن الداعي المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن يحيى المنصور بن أحمد الناصر بن يحيىٰ الهادي بن الحُسَين بن القاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم الحسني اليمني الجرموزي. ولد بعتمة سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف وقرأ على القاضي عبد الرحمٰن بن محمد الحيمي والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي والقاضي علي الطبري وغيرهم من علماء صنعاء وبرعَ في النحو والصرف، والمعاني والبيان، والمنطق والفقه، والحديث والتفسير، وله مؤلفات منها شرح (نهج البلاغة) و (نظم الكافل) وله شعر حسن فمنه في تشبيه الزنبق:

انظـرْ إلـى الـزنبـقِ الأنيـقِ وقَـدْ أبـدعَ فـي شكلـهِ وفـي نَمَطـه

---

(١) في كشف الظنون ١/ ١٧٢: الانتصار لقراء الأمصار لشمس الدين محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم النحوي.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٢٩٦.

كمثــلِ قنــديــلِ فضــةٍ غــرســتْ شمــوعٌ تبــر تضــيءُ فــي وسَطــه

وله أشعار رائقة واتصل بالمتوكل على الله إسماعيل وتنقل في الولايات فوليَ حراز ثم بندر المخا، ومدحه أعيان الشعراء في زمنه كالشيخ إبراهيم الهندي وغيره من شعراء اليمن وجماعة من شعراء البحرين وعمان وعظمت رياسته وطار صيته، ونال من العز ما لم يكن له في حساب ومات يوم الاثنين، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١١٠٠ إحدى عشر مِائة بصنعاء بعد أن تغيرت له الأحوال.

١٣٩ ـ **السيّد الحسَنْ بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن القاسِم الحمزي الكبسي ثم الصنعاني**: ولد بصفر سنة ١١٦٧ سبع وستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء فقرأ فيها على جماعة من العلماء. وأكثر انتفاعه على شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، فإنه لازمه في جميع الفنون فقرأ عليه النحو والصرف والمنطق، والمعاني والبيان، والحديث والتفسير، وبرع في جميع هذه الفنون وصارَ من أعيان علماء العصر المشار إليهم بالتحقيق والإتقان وهو جيد التحرير حسن المباحثة وله رسائل في مسائل متفرقة متقنة غاية الإتقان وقد رافقني في قراءة الكشاف على شيخنا المتقدم فكان يستخرج بفاضل ذهنه فوائد نفيسة وبعد موت شيخنا استقر المترجم له بهجرة الكبس، وعكف عليه طلبة العلم هنالك وما زال يرشدهم إلى المعارف العلمية ويدرس في كثير من الفنون وله شعر حسن ونثر جيد فمنه ما كتبه إلى من هنالك نظمًا ونثرًا وهذا لفظه:

سـلامٌ مـن اللّـهِ السـلامُ ورحمـةٌ عليكَ إمام العلمِ والدِّينِ والهدىٰ
يفوحانِ كالمسكِ الذكي بسوحكمْ دوامًا كما دامت معاليكَ سرمدًا
فيـا راكبـاً بَلِّـغْ سـلامـي ليشتفـي فـؤادي بـه إن مـا بلغـتَ محمَّـدا

من ضرب سرادقات مجده على هام الكواكب، وسبّح فلك فخره في بحار أعلى المراتب، وحازت جياد مساعيه قصبات الفضائل، في غاية المناقب، وتفردت أفكاره باستخراج دقائق العلوم بنظره الثاقب، ونشر أعلام الحق في قناة الاجتهاد في رأيه الصائب، العلاَّمة على الإطلاق في جميع مسارح المذاهب، عمدة الخاصة والعامة بالاتفاق، فالكل راغب وراهب:

العـزُّ مـولانـا الكـريـم محمَّـدٌ شيـخُ الشيـوخِ وفيصـلُ الحكَّـامَ
هـشْ إذا نـزَلَ الـوفـودُ ببـابـهِ سَهـلَ الحجـابِ مـؤدبَ الخـدّامَ
وإذا رأيــت شقيقــه وصــديقــه لـم تـدرِ أيهمـا أخـو الأرحـامَ
أبقــاه ربــي للعلــومِ ونشــرهــا يحيـي مـوات شـرائـع الإسـلامَ

وبعد هذا نثر طويل فأجبت بما لفظه:

السدة التي ضربت خيامها على هام السماك. والعقوة التي تتضاءل عند تعاظمها أعناق الأملاك. والحسنة التي صارت لمحاسن الدهر غرة. والمكرمة الكائنة في ذات المكارم طرة:

أعني به الحسنُ بن يحيى مَنْ غدا فـردُ الـزمـانِ وحبـرهُ المتبحـرا
السـابـقُ الأعـلام فهـو مقـدَّمُ يـومَ الـرهـانِ وغيـرهُ فيـه ورا

لا برح زينة للزمان ومنقبة يفتخر بها نوع الإنسان. وخصه الله بجزيل سلامه وجميل إكرامه وجليل إنعامه والله المسؤول أن يقيم به سوق المجد على ساق، ويجعله بفضائله وفواضله ماشيًا فوق الأعناق، وبعد هذا نثر طويل.

والمترجم له حال تحرير هذه الأحرف مستمر على حاله الجميل مشتغل بنشر العلم وأعمال الخير قد قنع من عيشه بالكفاف من غلات أموال يسيرة ورثها عن والده وكثيرًا ما يقع بيني وبينه مباحثات علمية وتحريرات لما يدور منها.

ولما مات أخوه العلاَّمة محمّد بن يحيى قام هذا مقامه في القضاء بالجهات الخولانية وما يتصل بها، وعظَّمه مولانا الإمام بما يليق بجلاله وقدره بعد أن عرفته حفظه الله بأن المذكور بالمحل العالي في العلم والعمل، وأخوه العلاَّمة محمّد بن يحيى ستأتي ترجمته إن شاء الله.

١٤٠ ـ **الحسَنْ بن يحييٰ سيلان السفياني ثم الصّعدي**: أحد العلماء المشاهير أخذ العلم عن القاضي صديق بن رسام والسيّد إبراهيم بن محمّد حورية، وبرع في عدة فنون، وله مؤلفات منها حاشية على (شرح غاية السؤال) للحسين بن القاسم وله حاشية على (شرح الآيات) للنجري وحاشية على (القلائد)[1] وحاشية على حاشية الشلبي على (المطول) اقتصر فيها على إيضاح ما أشكل من عبارات الشلبي ولم يزل مدرسًا بصعدة ونواحيها، حتى مات في شهر القعدة سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف.

١٤١ ـ **الحُسَين بن أحمَد بن الحُسَين بن أحمد بن علي بن محمّد بن سليمان بن صالح بن محمّد السياغي الحيمي ثم الصنعاني**: ولد سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف ونشأ بصنعاء فقرأ على أعيان علمائها وهو رفيقي في بعض مسموعاتي على شيوخي ورافقني في قراءة الخبيصي والرضي شرحيّ الكافية وشرح السعد المختصر على التلخيص وحاشية

(١) كشف الظنون ٢/ ١٣٥٤.

الشيخ لطف الله وشرح اليزدي على التهذيب وشرح الشافية للطف الله على شيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني رحمه الله ورافقني أيضًا في قراءة سنن أبي داود والعضد وحواشيه والمطول وحواشيه والكشَّاف وحواشيه على شيخنا العلاَّمة الحسَن بن إسماعيل المغربي وحضر معنا قليلاً على شيخنا السيّد الإمام عبد القادر بن أحمد في قراءة الحديث، وقراءة الفقه، كشرح الأزهار والبيان على والده، وقرأ مجموع الإمام زيد بن علي، على القاضي العلاَّمة يحيى بن صالح السحولي، وعلى آخرين وبَرَع في هذه المعارف كلها، وفاق وصار من أعيان علماء العصر المفيدين في عدة فنون وكتب الكثير بخطه الحسن الفائق.

وله إكباب على العلم واشتغال به عما سواه مع ذهن قوي وفهم صحيح وإدراك جيد وسمت حسن ورصانة عقل ومتانة دين. وغالب انتفاعه على الشيخين الأولين وقد قرأ عليهما غير ما تقدم ذكره كالصحيحين وشرح العمدة ووقفت على حاشية له نفيسة على شرح الجلال لآداب البحث، ورأيت له حلاً للغز السيّد العلاَّمة إسحاق بن يوسف المتقدم ذكره جعله شرحًا لأبيات اللغز وأجاد فيه كل الإجادة. وهو الآن يشرح مجموع الإمام زيد بن علي شرحًا حافلاً، وبيني وبينه مكاتبات ومشاعرات ومباحثات في عدة مسائل وله نظم جيد ونثر حسن وإذا حرر بحثًا في مسألة أتقنه غاية الإتقان وهو الآن مستمر على حاله الجميل في الاشتغال بالمعارف العلمية درسًا وتدريسًا.

ثم مات رحمه الله شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين وألف، وقبر بمقبرة صنعاء. ووالده من علماء الفقه المبرزين فيه وهو أحد الحكام بصنعاء الآن وتوفي في رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف وجد صاحب الترجمة هو من المتقنين في علم الفقه والفرائض أخذ عن أكابر علماء عصره وأخذ عنه الأكابر وتولى القضاء مدة طويلة حتى مات في شهر شوال سنة ١١٦٤.

١٤٢ ـ السيّد الحُسَين بن أحمد بن صَلاحْ بن أحمد بن الحُسَين بن علي المعروف بزَبارة: نسبة إلى موضع كما تقدم في ترجمة حفيده أحمد بن يوسف. ولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين وألف وأخذ عن العلاَّمة الحسين بن محمّد المغربي، وأخيه الحسن بن محمد، والعلاَّمة علي بن يحيى البرطي، وعن العلاَّمة السيّد زيد بن محمد، وسائر أعيان ذلك الزمان وبرع في جميع المعارف، وله عناية كاملة بأسانيد مسموعاته وغيرها وكان له بالسيّد يوسف بن المتوكل اتصال ومحبة، ومعاضدة وولاه الإمام المتوكل القاسِم بن الحُسَين القضاء بضوران، وكان يتخوف قبل ذلك من

المهدي صاحب المواهب بسبب صحبته ليوسف بن المتوكل إسماعيل وهو من أكابر العلماء وأنا أروي عن شيخنا العلاّمة عبد القادر بن أحمد عن يوسف ابن صاحب الترجمة عنه. وتوفي في سنة ١١٤١ وقيل سنة ١١٣٥ وقيل سنة ١١٣٦.

١٤٣ ـ **السيّد الحُسَين بن عَبْد الرّحمٰن بن محمّد بن علي الحسيني العلوي الشّافعي المعروف بالأهدل**[١]: ولد تقريبًا سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة. قرأ على الزيلعي وعلى الأزرق والرضي الطبري، ومحمد الموزعي، وابن الرداد والناشري، وبرع في عدة علوم وصنّف حاشية على البخاري انتقاها من شرح الكرماني مع زيادة سماها (مفتاح القاري لجامع البخاري) و (اللمعة المقنعة في ذكر الفرق المبتدعة) و (الرسائل المرضية في نصر مذهب الأشعرية وبيان فساد مذهب الحشوية) وشرح الأسماء الحسنى، ومؤلف في مروق ابن العربي وابن الفارض وأتباعهما و (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن)[٢] وله مصنفات غير هذه وهو شيخ عصره بلا مدافع دارت عليه الفتيا ورحل إليه الناس للتدريس، واستقر بأبيات حسين واشتهر ذكره وطار صيته ومات بها في صبح يوم الخميس تاسع شهر محرم سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمان مائة، ودفن بها وهو من مشاهير علماء اليمن المبرزين في علمي المعقول والمنقول.

١٤٤ ـ **السيّد الحُسَين بن عبد الله الكبسي**: ولد سنة ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة وألف، وهو أحد علماء العصر المبرزين قرأ على علماء صنعاء والروضة، وترافق هو وشيخنا العلاّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، وقرأ كل واحد منهما على الآخر، واستقر بالروضة التي هي من أعظم نزه مدينة صنعاء، ونشر العلم هنالك واستفاد عليه جماعة من الطلبة ثم ارتحل إلى كوكبان بسؤال أميرها له السيّد إبراهيم بن محمّد بن الحسين وكان ارتحاله بعد رحلة شيخنا السيّد العلاّمة عبد القادر بن أحمد من كوكبان، فاحتاج أهله إلى من يقوم مقام شيخنا هنالك فاستدعوا صاحب الترجمة. وهو من المبرزين في علوم الاجتهاد وله رسائل ومسائل وقد كتب إليَّ بمسائل مُشكَلة أجبت عليها بجوابات هي في مجموع رسائلي وهو الآن مقيم بكوكبان ولعله قد جاوز الستين.

وهو متين الديانة كثير العبادة قليل الاشتغال بما لا يعنيه على طريقة السلف الصالح ثم رحل عن كوكبان لأمور جرت بينه وبين صاحبها واستقر في الروضة إمامًا لجامعها وولاه إمام العصر القضاء في الروضة ولم يقبل إلا بعد أن كثرتُ عليه في ذلك، وأشرت

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٣/ ١٤٥ ـ ١٤٧.

(٢) انظر كشف الظنون ١/ ٣٦٦.

على مولانا الإمام بعدم قبول عذره، وفي أواخر شهر شوال سنة ١٢٢٢ أظهر المذكور هو وجماعة من الكبّاسية وآل أبي طالب الخروج عن طاعة الدولة وخرج إليهم أحمد بن عبد الله بن الإمام المهدي العباس بن المنصور وانضم إليهم جميع أهل الروضة طوعًا وكرهًا، ووصل إليهم بعض القبائل وردوا أمر الدولة وطردوا العامل وراموا خلع الخليفة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله، وكتبوا إلى جميع الأقطار اليمنية وكاد صاحب الترجمة أن يدعو إلى نفسه وعرض عليهم الإجابة إلى كل ما يطلبونه وخرج شيخنا القاضي العلاّمة أحمد بن محمد الحرازي من الحضرة الإمامية ومعه مكاتيب في كل ما طلبوه من العدل والأمان لهم، وكانت تلك المكاتيب بخطي، فما رجعوا بل صمموا على ما عزموا عليه فخرج إليهم بالجيش سيف الخلافة سيدي أحمد بن الإمام وناجزهم وتحصّنوا في بعض سور الروضة ثم أحاط بهم الجيش وأسر صاحب الترجمة، وجماعة من الكبّاسية، ووصلوا بهم إلى تحت طاقة الخليفة وبالغت في الشفاعة لهم من القتل بعد أن كان قد وقع العزم عليه، وقمت بالحجة الشرعية المقتضية لحقن دماءهم فأودعوا السجن وصاحب الترجمة وقع التغرير عليه، والخداع له من بعض شياطين الإنس وقد كان الاستيلاء عليهم في أول يوم من شهر الحجة من هذه السنة، ومات رحمه الله مسجونًا بعد أن بقي في السجن نحو عامين أو ثلاثة.

١٤٥ ـ السيّد الحُسَين بن عَبْد القادر بن النَّاصر بن عَبْد الرَّب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين الكوكباني: الشَّاعر المشهور المُجِيد المُكثِر المبدع الفائِق في الأدب ترجم له جماعة من الأدباء كالقاضي يوسف بن علي بن هادي في (طوق الصادح) ويوسف بن يحيى في (نسمة السحر) والحيمي في (طيب السمر) وهو ذو رياسة وكياسة، ومكارم وفضائل، وفواضل، ولما دعا المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب فرَّ منه صاحب الترجمة إلى مكة لأمور لا يتسع المقام لشرحها ومن نظمه الفائق قوله من قصيدة:

ما أعجب الحب يشتاقُ العميدُ إلى ... ظبي الصريم وقد أرداه بالحدقِ
يا ورديَّ الخد دع إنكار قتل فتًى ... ما قط أبقت له عيناك من رمقِ
في خدِّك الشفق القاني بدا وعلى ... قتل الحسين دليلُ حمرةِ الشفقِ

وأعاد هذا المعنى في قصيدة أخرى فقال:

في خدِّكَ الشفقُ الثاني وفيه على ... قتلِ الحسينِ كما قالوا أماراتِ

ومن محاسن قصائده القصيدة التي مطلعها:

خفـفْ علـى ذي لـوعـةٍ وشجـونِ واحفـظْ فـؤادكَ مـن عُيـونِ العَيْـنِ

ومن لطائفه هذان البيتان قالهما لما قُتِل السيّد أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم الملقب بحجر رحمه الله وفيهما تضمين مطرب:

وددتُ مصرعَ مولانا الصفي ولا الـ ـرجوعُ في سلكِ قومٍ بعدما كسروا
وصرتُ أنشدُ من كربٍ ومن أسفٍ ما أطيبَ العيش لو أن الفتىٰ حجرُ

ومن قصائده الطنانة القصيدة التي مطلعها:

لفـؤادي فـي الهـوىٰ كـدٌّ وكـدحُ ولطـرفـي بـالـدمـا سـحٌّ وسفـحُ

وأشعاره كلها غرر وكلماته جميعها درر وهو من محاسن اليمن ومفاخر الزمن. ومات في يوم السبت الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ١١١٢ اثنتي عشر ومائة وألف بشبام ودفن هنالك.

١٤٦ ـ **السيّد الحُسَين بن علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم**[١]: الرئيس الكبير الشاعر المشهور ولد في سنة ١٠٧٢ اثنتين وسبعين وألف. وكان في أيام شبابه مائلاً إلى ملاذ الدنيا، والتمتع بمحاسنها مرخيًا لنفسه العنان غير كافٍ لها عن التفلّت في رياض محاسن الحسان ثم تزهد وتعبّد وانجمع، وتمسّح وتألّه وأقلع عن جميع ما كان عليه وجاد بجميع موجوده، له في المكارم أحاديث حاتمية تلتذ لسماعها الأسماع، وكان إذا لم يجد النقد تصدق بثيابه وفراشه ومال إلى مخالطة الفقراء ولبس ملبوسهم وقعد في مقاعدهم، ومع هذا فابنه علي بن الحسين إذ ذاك رئيس كبير له خيل وخول وحاشية عظيمة ورياسة فخيمة ولكن صاحب الترجمة قد حبب الله إليه الانعزال عن بني الدنيا حتى عن ولده ومن شعره الفائق هذان البيتان:

لا تحسبنَّ لباسَ الصوفِ في ملأ تدعي بهِ بينَ أهلِ الفضلِ بالصوفيِ
وإنمـا مَـنْ صَفَـا قلبـاً ومـالَ إلـى صقالةِ النفسِ مِنْ أوصافها صوفيِ

ومن محاسن شعره القصيدة المشهورة التي أولها:

آه كم أطوي على الضيمِ جناحي وأداجي في الهوىٰ قال ولاحي

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٣٢٥.

وله القصيدة الطويلة عارض بها قصيدة ابن الوردي أولها:

اتـركْ الـدّنيـا ودَعْ عنـكَ الأمـلْ ... طَـالَ مـا عـن نَيْلهـا حـال الأجـلْ

وفيها مواعظ وحكم وما زال مقبلاً على الطاعة عاكفًا على العبادة حتى توفاه الله تعالى.

قال بعض من ترجم له أنه كان في سنة ١١٤٥ حيًا وأرّخ موته بعض المشتغلين بهذا الشأن سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف.

١٤٧ ـ **حُسَين بن علي بن صالح العماري الصنعاني**: ولد في سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريبًا أو فيما بعدها ونشأ بصنعاء وطلب العلم فقرأ على جماعة من مشايخ صنعاء في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والأصول وقرأ عليَّ في شرح الرضي على الكافية وفي مغني اللبيب وفي شرح غاية السؤل وفي شرح مختصر المنتهى للعضد ورغب بعد أن طلب العلم في سكون وطنهم الأصلي وهو بلاد عمار فعزم إليها وسكن فيها وهو الآن هنالك وله نظم جيد فمنه ما كتبه إلي يطلب القراءة علي في شرح الغاية بعد أن فرغ من قراءتها على العلاَّمة أحمد بن عبد الله الضّمدي المتقدم ذكره وهو:

مولاي عز الهدىٰ والفرد في ملأ ... لمْ يَعْرِفوا الفرقَ بين الشعرِ والشَعرِ

ومن إذا جَالَ في الأنظارِ ناظرَهُ ... جلالَهُ الفِكرُ ما أغنىٰ عن النَظَرِ

علامةُ العصرِ والفردِ الذي جُمعَتْ ... لـه المحـاسـنَ جمعـاً غيـرُ منكسـرِ

إن الصفي ابن عبد الله مَنْ بلغتْ ... بِهِ العلومُ إلى الغاياتِ في البشرِ

بلـوغُ مـا رامَ يـا بـدرَ التّمـامِ لـهُ ... قد تمَّ مِنكَ وحَازَ الفوزُ بالظَفَرِ

فامنحْ بفضلكَ هذا الدولُ طالبهُ ... لا زلتَ مطلوبَ فضلٍ غيرَ مُعتَذِرِ

وها هوَ الآن من صنعاءَ مرتحلٍ ... ومـن أقـامَ فهـو منهـا علـى سَفَـرِ

فأجبت عليه بقولي:

صغت الدراري أم عقداً من الدرر ... يا أوحدَ العصر بين البدوِ والحضرِ

لا زلتَ ترقىٰ عروجاً للكمالِ ولا ... بَرِحتَ تُطرِبُ سَمْعَ الدّهرِ بالفقرِ

فالحالُ ما حالَ والعهدُ القديمُ هو الـ ... ـعهـدُ القـديـمُ ولا عهـدٌ لمبتكـرِ

لا تحسَب الدرسَ متروكاً وأنت علىٰ ... نهـايـةِ الجـدِّ والتحصيـلِ للـوطـرِ

من كانَ (غايةُ سؤلي) كيفَ أمنعهُ ... منهـا وأحجـبُ عنـه (نُخبَـة الفِكَـرِ)

ودمت تُحيي ربوعَ العلمِ ما صدحتْ ... ورقـاً علـى فنـنٍ لـدنٍ مـن الشجـرِ

وكان موت صاحب الترجمة رحمه الله في سنة ١٢٢٥ خمس وعشرين ومائتين وألف ببلاد عمار.

١٤٨ ـ الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله القاسِم بن حُسَين بن أحْمد بن حَسَن بن الإمام القاسِم: بُويع بالخلافة عند موت والده في رمضان سنة ١١٣٩ ثم تنازع هو والسيّد العلاَّمة محمد بن إسحاق بن المهدي، وكان قد دعا إلى نفسه ولقب بالنَّاصر، وبايعه علماء اليمن، ورؤسائها، وجميع أهلها، ثم إن الإمام المنصور بايعه على شروط اشترطها، فلم يقع الوفاء فاستمر المنصور على دعوته وغلب على القطر اليمني وبايعه الناس وظفر بجيوش الناصر وأسر أولاده وأخوته وقرابته ورؤساء أجناده ومنهم السيّد يحيى بن إسحاق والسيّد العلاَّمة الحسن بن إسحاق والسيّد العلاَّمة إسماعيل بن محمد بن إسحاق والسيّد عبد الله بن طالب وكل واحد من هؤلاء رئيس كبير يقود الجيوش الكثيرة، وكان استيلاؤه على المذكورين في أسرع وقت وأقرب مدة وكان المنصور مشهورًا بالشجاعة وعلوّ الهمة ومصابرة القتال واحتمال مشاق الغزو.

وآخر الأمر بايعه الناصر واجتمع الناس عليه ولم يبق له مخالف إلا أخوه السيّد أحمد بن المتوكل، ولم يزل الحرب بينهما إلى أن مات، ولكنه لم يدع إلى نفسه، وتأخر موته بعد أخيه المنصور نحو سنة وبايع ولده المهدي العباس.

وكان المنصور إمامًا عظيمًا وسلطانًا فخيمًا وكان قد وقع بينه وبين والده الإمام المتوكل بعض مخالفة في آخر مدة المتوكل ولما حضرت المتوكل الوفاة دخل المنصور صنعاء واستقر بها ودامت خلافته مع سعادة كبيرة وظفر بالأعداء لم يسمع بمثله في الأزمنة القريبة وجميع القطر اليمني داخل تحت طاعته لم يخرج عن طاعته إلا بلاد تعز والحجرية فإن أخاه أحمد كان مستوليًا عليها وكان موته في سنة ١١٦١ إحدى وستين ومائة وألف.

١٤٩ ـ السيّد الحُسَين بن الإمام القاسِمْ بن مُحمَّد: تقدَّم تمام نسبه في ترجمة أخيه الحسن، ولد يوم الأحد رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٩ تسع وتسعين وتسعمائة. قرأ على الشيخ لطف الله بن محمد الغياث، وكان يتعجّب من فهمه وحسن إدراكه، وقرأ على جماعة من علماء عصره.

وبرع في كل الفنون، وفاق في الدقائق الأصولية والبيانية والمنطقية والنحوية وله مع ذلك شغلة بالحديث والتفسير والفقه وألف الغاية وشرحها الكتاب المشهور الذي صار الآن مدرس الطلبة وعليه المعوّل في صنعاء وجهاتها وهو كتاب نفيس يدل على طول باع

مصنفه وقوة ساعده، وتبحّره في الفن اعتصره من مختصر المنتهى وشروحه وحواشيه.

ومن مؤلفات آبائه من الأئمة في الأصول وساق الأدلة سوقًا حسنًا وجود المباحث، واستوفىٰ ما تدعو إليه الحاجة، ولم يكن الآن في كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله، ومع هذا فهو ألفه وهو يقود الجيوش ويحاصر الأتراك في كل موطن ويضايقهم ويوردهم المهالك ويشن عليهم الغارات وله معهم ملاحم تذهل المشاهد لبعضها عن النظر في كتاب من كتب العلم فكيف به رحمه الله وهو قائد الجيوش وأمير العساكر والمرجوع إليه هو وأخوه الحسن المقدَّم ذكره فيما دقَّ وجلَّ من أمر الجهاد، فإن بعض البعض من هذا يوجد تكدر الذهن وتشوشه ونسيان المحفوظات فضلاً عن تصنيف الدقائق وتحرير الحقائق والمزاحمة لعضد الدين والسعد التفتازاني والاستدراك عليهما وعلى أمثالهما من المشتهرين بتحقيق الفن، فما هذه إلا شجاعة تتقاعس عنها الشجعان ورصانة لا يقعقع لها بالسنان وقوة جنان تبهر الألباب وثبات قدم في العلوم لم يكن لغيره في حساب، وما زال رحمه الله مجاهدًا وقائمًا في حرب الأتراك وقاعدًا وناشرًا للعلوم ومحققًا لحدودها والرسوم حتى توفاه الله تعالى في آخر ليلة الجمعة ثاني شهر ربيع الآخر سنة ١٠٥٠ خمسين وألف بمدينة ذمار. ودفن بها في قبته المشهورة وله نظم حسن فمنه:

مولاي جُدْ بوصالِ صبٍ مُدنَفِ ... وتـلافِـه قبـلَ التّـلافِ بمـوقـفِ
وارحمْ فُديتَ قتيلَ سيفٍ مرهفٍ ... مـن مقلتيـكَ طعيـنُ قـدٍّ أهيـفِ

١٥٠ ـ السيّد الحسين بن محمّد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن الحسن بن زيد بن الحسين الحسيني العلوي المعروف بابن قاضي العسكر[1]: ولد في سنة ٦٩٨ ثمان وتسعين وستمائة ووليَ التوقيع بالقاهرة ونقابة الأشراف، ومهر في ذلك وفي النظم والنثر ولم يكن له نظير في الاقتدار على سرعة النظم والنثر. كتب بديوان الانشاء من التقاليد والتواقيع ما لا يدخل تحت الحصر، وله إجازة من ابن دقيق العيد والدمياطي وحفظ في صغره التنبيه ودرس في بعض المدارس ومن شعره:

إذا العلمُ لم يَعْضدهُ جاهٌ وثروةٌ ... فصاحبُهُ في القهرِ يُمْسِي ويُصبحُ
وإنْ أسعدَ المقدورُ فالصعبُ هيّنٌ ... وذو الجهـلِ مـع نقصـانـهِ يتـرجَّـحُ

وله:

تلــقَّ الأمــورَ بصبــرٍ جميــلِ ... وصــدرٍ رحيــبٍ وخــلِّ الحَــرَجْ

(١) ترجمته عند ابن رافع بالترجمة ٧٥٨.

وسَلِّمْ لربِّكَ في حكمهِ فإما المماتُ وإما الفَرَجْ

قال الصفدي: وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين ووقف عليها وقفًا جيدًا ووقف فيها كتبًا كثيرة جيدة وكان دمث الأخلاق متواضعًا وله ديوان خطب سماها (المقال المحبر في مقام المنبر) عارض بها خطب ابن نباتة مات في سابع عشر شعبان سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة.

١٥١ ـ الحسَين بن محمّد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني: ولد سنة ١١٨٨ ثمان وثمانين ومائة وألف، واشتغل بطلب العلم فأخذ عن السيّد العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر وعن غيره من مشائخ العصر واستفاد في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول.

وله إدراك كامل وعرفان تام وفهم فائق. وقرأ عليَّ في شرح الرضي على الكافية وهو الآن يقرأ علي في شرحي للمنتقى.

وقد صار من العلماء المحققين مع كونه في عنفوان الشباب وهو قليل النظير في فهم الدقائق وحسن التصور وقوة الإدراك نفع الله به. وقرأ عليَّ أيضًا في العضد وحواشيه قراءة تشد إليها الرحال وله قراءة عليَّ في غير ذلك من مؤلفاتي وغيرها كالكشاف وحواشيه والمطول وحواشيه.

١٥٢ ـ الحسينْ بن محمّد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة[1]: وحاشية الكشَّاف وغيرهما. كان في مبادىء عمره صاحب ثروة كبيرة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيرًا وكان كريمًا متواضعًا حسن المعتقد شديد الردِّ على الفلاسفة والمبتدعة، مظهرًا فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره شديد المحبة للّه ولرسوله، كثير الحياء ملازمًا للجمعة والجماعة، ملازمًا لتدريس الطلبة في العلوم الإسلامية وعنده كتب نفيسة يبذلها لطلبته، ولغيرهم من أهل بلده بل ولسائر البلدان من يعرفه ومن لا يعرفه، وله إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنّة وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقته في علمي المعقول والمنقول وله كتاب في المعاني والبيان سماه (التبيان) وشرحه وأمر بعض تلامذته باختصاره، ثم شرع في جمع كتاب في التفسير وعقد مجلسًا عظيمًا لقراءة كتاب البخاري وكان يقرأ في التفسير

(١) انظر شذرات الذهب ١٣٧/٦: فيها ورد اسمه «الحسن».

من بكرة إلى الظهر ومن بعده إلى العصر لإسماع البخاري إلى أن كان يوم وفاته ففرغ عن قراءة التفسير، وتوجه إلى مجلس الحديث فدخل مسجدًا عند بيته فصلى النافلة قاعدًا وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضىٰ نحبه متوجهًا إلى القبلة في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة.

١٥٣ ـ الحُسَين بن محمّد بن سعيدْ بن عيسىٰ اللاعي المعروف بالمغربي[١]: قاضي صنعاء وعالمها ومحدثها جد شيخنا الحسن بن إسماعيل بن الحسين ولد سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف.

وأخذ العلم عن السيّد عز الدين العبّالي وعبد الرحمٰن بن محمد الحيمي وعلي بن يحيى البرطي وغيرهم وبرع في عدة علوم وأخذ عنه جماعة من العلماء كالسيّد عبد الله بن علي الوزير وغيره. وتولى القضاء للإمام المهدي أحمد بن الحسن واستمر قاضيًا إلى أيام الإمام المهدي محمد بن أحمد وهو مصنِّف (البدر التمام شرح بلوغ المرام)، وهو شرح حافل نقل ما في التلخيص من الكلام على متون الأحاديث وأسانيدها ثم إذا كان الحديث في البخاري نقل شرحه من فتح الباري، وإذا كان في صحيح مسلم نقل شرحه من شرح النووي، وتارة ينقل من شرح السنن لابن رسلان ولكنه لا ينسب هذه النقول إلى أهلها غالبًا مع كونه يسوقها باللفظ وينقل الخلافات من (البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى وفي بعض الأحوال من (نهاية ابن رشد) ويترك التعرض للترجيح في غالب الحالات، وهو ثمرة الاجتهاد وعلى كل حال فهو شرح مفيد وقد اختصره السيّد العلاَّمة محمّد بن إسماعيل الأمير وسمىٰ المختصر (سبل السلام) وله رسالة في حديث «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب» رجح فيها إنه إنما يجب إخراجهم من الحجاز فقط محتجًا بما في رواية بلفظ «أخرجوا اليهود من الحجاز».

وكان أخوه الحسن من محاسن اليمن وله حاشية على شرح القلائد للإمام المهدي، وهو مبرز في جميع الفنون ولهذين الأخوين ذرية صالحة هم ما بين عالم وعامل وإلى الآن وهم كذلك وبيتهم معمور بالفضائل وتوفي صاحب الترجمة سنة ١١١٩ وقيل سنة ١١١٥ خمس عشر ومائة وألف وتوفي أخوه الحسن المذكور سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف وقد ترجم لهما الحيمي في (طيب السمر) وذكر لهما شعراء كشعر العلماء.

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٥١.

١٥٤ ـ الحُسَيْن بن ناصِر بن عبد الحفيظ المعروف كسلفه بالمهلاّ[١]: الشرفي اليماني العالم الكبير صاحب (المواهب القدسية شرح البوسية) وهو شرح نفيس يبين ما اشتملت عليه القصيدة من المعاني والمسائل ثم ينقل الدليل ويحرره تحريرًا قويًا وينقل من (ضوء النهار) للجلال مباحث ويجيب عليه في كثير من ذلك، ويصفه بأنه شيخه في العلم.

وبالجملة فهو شرح مفيد وقفت على مجلدات منه، وبلغني أنه في سبع مجلدات وهذه المنظومة التي شرحها هي في الفقه للبوسي على نمط الشاطبية في الوزن والروي والقافية والإشارة إلى مذاهب العلماء بالرمز مع جودة الشعر وقوته وسلاسته.

وجملة أبياتها أربعة آلاف بيت وخمسمائة وثمانون بيتًا والبوسي المذكور هو أحد علماء الزيدية بالديار اليمنية ولصاحب الترجمة مؤلفات هذا أشهرها وقد ترجم له الحيمي في (طيب السمر)، وذكر أنه كان أطلس لا لحية له وتوفي شهيدًا قتله أصحاب المحطوري في فتنته حسبما سيأتي شرحه في ترجمة المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب وكانت تلك الفتنة في سنة ١١١١ وله نظم حسن فمنه:

هي الدارُ ما الآمالُ إلا فجائعُ عليها وما اللذاتُ إلا مصائبُ
فكمْ سَخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ وقرّت عيونٌ دمعها قبلَ ساكبُ
فلا تكتحلْ عيناكَ منها بعبرةٍ على ذاهبٍ منها فإنكَ ذاهبُ

١٥٥ ـ السيّد الحسين بن يحيىٰ بن إبراهيم الديلمي الذمّاري[٢]: ولد في سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، ونشأ بذمار وأخذ عن علمائها كالفقيه عبد الله بن حسين دلامة والفقيه حسن بن أحمد الشبيبي وهما المرجع هنالك في علم الفقه، ثم ارتحل إلى صنعاء وقرأ في العربية وله قراءة في الحديث على السيّد العلاَّمة محمّد بن إسماعيل الأمير، ثم عاد إلى ذمّار واستقر بها، وكان فقيرًا فتزوج بامرأة لها ثروة، ثم اشتغل بالتجارة وتكاثرت أمواله ولم يكن يتّجر بنفسه بل كان ينوب عنه غيره وهو مكب على العلم ودرس في الفقه وغيره وتخرج به جماعة منهم: شيخنا العلاَّمة أحمد بن محمد الحرازي المتقدم ذكره، ثم رحل إلى صنعاء رحلة ثانية بعد سنة ١٢٠٠.

ورافقني في القراءة على شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي فقرأ معنا في صحيح مسلم وأقرأ الطلبة في الفقه بجامع صنعاء وبقي مدة وعزم على استيطان صنعاء ثم

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٣٢٣.

(٢) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٣.

بعد ذلك رجح العود إلى ذمّار فعاد إليها وهو الآن عالمها المرجوع إليه المتفرد بها من دون مدافع.

وصار الطلبة هنالك يقرأون عليه في الفقه والنحو والصرف والأصول والتفسير والحديث، وبيني وبينه من المودة ما لا يعبر عنه وقد جرىٰ بيننا مباحثة علمية مدونة في رسائل هي في مجموع ما لي من الفتاوىٰ والرسائل، ولا يزال يعاهدني بعد رجوعه إلى ذمار ويتشوق إلى اللقاء وأنا كذلك والمكاتبة بيننا مستمرة إلى الآن.

وهو من جملة من رغَّبني في شرح المنتقى فلما أعان الله على تمامه صار يراسلني في الإرسال إليه بنسخة ولم يكن قد تيسر ذلك ولما ألفت الرسالة التي سميتها (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي)، ونقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسب أو ما يقاربه وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة الذين بصنعاء المخالفين لمذاهب أهل البيت، فجالوا وصالوا وتعصبوا، وتحزبوا وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب والمشاتمة، وكتبوا أبحاثًا نقلوها من كتب الإمامية والجارودية، وكثرت الأجوبة حتى جاوزت العشرين وأكثرها لا يعرف صاحبه، واشتغل الناس بذلك أيامًا وزاد الشر وعظمت الفتنة فلم يبقَ صغير ولا كبير ولا إمام ولا مأموم إلا وعنده من ذلك شيء. وأعانهم على ذلك جماعة ممن له صولة ودولة.

ثم إن تلك الرسالة انتشرت في الأقطار اليمنية وحصل الاختلاف في شأنها وتعصب أهل العلم لها وعليها، حتى وقعت المراجعة والمجاوبة والمكاتبة في شأنها في الجهات التهامية وكل من عنده أدنىٰ معرفة يعلم أني لم أذكر فيها إلا مجرد الذب عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون مقتصرًا على نصوص الأئمة من أهل البيت ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم وينسب إلى مذاهبهم ما هم منه برآء ولكن كان أهل العلم يخافون على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة وكثيرًا منهم كان يصوبهم مداراة لهم، وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم وسقوط مراتبهم، لأنهم يكتمون الحق. فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم، وأوهموهم إنهم على الصواب، فيتجرأون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم ولو تكلموا بالصواب أو نصروا من يتكلم به أو عرفوا العامة إذا سألوهم الحق وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم لكانوا يدًا واحدة على الحق، ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جهلة المتفقهة إثارة شيء من الفتن فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

وكان تأليفي لتلك الرسالة في سنة ١٢٠٨ ومن جملة من اشتغل بها فقهاء ذمار

وقاموا وقعدوا وكانوا يسألون صاحب الترجمة عن ذلك، ويتهمونه بالموافقة لما في الرسالة لما يعلمونه من المودة التي بيني وبينه، فسلك مسلك غيره ممن قدمت الإشارة إليهم من أهل العلم بل زاد على ذلك، فحرر جوابًا طويلاً على تلك الرسالة موهمًا لهم أنه قد أنكر بعض ما فيها فلما بلغني أنه أجاب ازداد تعجبي لعلمي أنه لا يجهل مثل ذلك ولا يخفى عليه الصواب فلما وقفت على الجواب وهو في كراريس، رأيته لم يبعد عن الحق، ولكنه قد أثار فتنة بجوابه لظن العامة ومن شابههم أن مثل هذا العالم الذي هو لي من المحبين لا يجيب إلا وما فعلته مخالف للصواب فأجبت عليه بجواب مختصر تناقله المشتغلون بذلك وفيه بعض التخشين ثم إنه عافاه الله اعتذر إليَّ مرات ولم أشتغل بجواب على غيره لأنهم ليسوا بأهل لذلك.

وفي الجوابات ما لا يقدر على تحريره إلا عالم ولكنهم لم يسموا أنفسهم فلم أشتغل بجواب من لا أعرفه إلا أنه وقع في هذه الحادثة من بعض شيوخي ما يقضى منه العجب.

وهو أنه بلغني أنه من جملة المجيبين فلم أصدق لعلمي أنه ممن يعرف الحق ولا يخفى عليه الصواب. وله معرفة بعلوم الكتاب والسنّة فبعد أيام وقفت على جوابه بخطه فرأيت ما لا يظن بمثله من المجازفة في الكلام والاستناد إلى نقول نقلها من كتب رافضة الإمامية والجارودية وقررها ورجحها وأنا أعلم أنه يعلم أنها باطلة بل يعلم أنها محض الكذب وليته اقتصر على هذا ولكنه جاء بعبارات شنيعة وتحامل عليَّ تحاملاً فظيعًا. والسبب أنه أصلحه الله نظر بعض وزراء الدولة، وقد قام في هذه الحادثة وقعد وأبرق وأرعد فخدم حضرته بتلك الرسالة التي جنا بها على أعراض الصحابة فضلاً عن غيرهم فما ظفر بطائل.

واتفقت لصاحب الترجمة محنة وذلك أن رجلاً يقال له محمد حسين من أولاد المهدي صاحب المواهب غاب عن المواهب نحو عشرين سنة ثم لم يشعر أهله بعد هذه المدة إلا وقد وصل رجل يزعم أنه هو فصدقه أهل الغائب كزوجته ووالدته وأخوته، وشاع أنه دخل بالمرأة واستمر كذلك أيامًا فوصل بعد ذلك رجل من بيت النجم الساكنين في زبيد، وقال لأهل ذمّار وعاملها إن هذا لم يكن الغائب بل رجل من بيت صعصعة المزاينة أهل شعسان صعلوك متحيل، متلصص كثير السياحة وكان عند وصوله قد لبس الثياب المختصة بآل الإمام فطلبه العامل فصمَّم على أنه محمد بن حسين من آل الإمام وشد عضد دعواه مصادقة أم الغائب وزوجته وأخوته، ثم طلبه مولانا الإمام إلى حضرته، ثم بعد ذلك حضر شهود شهدوا أنه صعصعة المزين ثم تعقب ذلك صدور الإقرار فعزر

تعزيرًا بليغًا وطرد ومات عن قرب. وقد كان صاحب الترجمة حكم له بأنه محمد بن حسين استنادًا إلى الظاهر وهو إقرار الأهل فطلب من الحضرة العلية وأرسل عليه رسول ثم أعفي عن الوصول.

والمترجم له عافاه الله مستمر على حاله الجميل ناشر للعلم في مدينة ذمار مكثر من أعمال الخير قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما يمكن مع سلامة صدر وكرامة أخلاق وحسن محاضرة وجميل مذاكرة واحتمال لما يلاقيه من الجفاء الزائد من أهل بلده بسبب نشره لعلم الحديث بينهم وميله إلى الإنصاف في بعض المسائل مع مبالغته في التكتم وشدة احترازه.

١٥٦ ـ **الحُسَين بن يحيىٰ السلفي الصَّنعاني**: ولد تقريبًا بعد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء ومنهم شيخنا السيّد العلاَّمة عبد القادر بن أحمد، وشيخنا السيّد العلاَّمة علي بن إبراهيم بن عامر، وشيخنا العلاَّمة أحمد بن محمّد الحرازي وآخرين وأخذ عني في أمالي الإمام أحمد بن عيسى وحضر في القراءة عليَّ في أدوال متعددة.

وهو رجل ساكن عاقل حسن السمت قوي المشاركة في علوم الاجتهاد عامل بما تقتضيه الأدلة جيد الفهم وهو الآن أحد المدرسين في الفنون بجامع صنعاء نفع الله به.

ولصاحب الترجمة أخ عالم شاعر وهو إسماعيل بن يحيى، توفي وهو في سن الشباب بمكة المشرفة في شهر الحجة سنة ١١٩٤ ومات المترجم له رحمه الله في سنة ١٢٣٠ ثلاثين ومائتين وألف.

١٥٧ ـ **السيّد الحُسَين بن يُوسفْ بن الحُسَين بن أحْمد زَبّارة**: قد تقدّم رفع نسبه. ومولده على التقريب بعد سنة ١١٥٠، نشأ بصنعاء وأخذ العلم عن جماعة من علمائها وهو أحد علماء العصر المفيدين حسن السمت والخلق والأخلاق متين الديانة حافظ للسانه كثير العبادة والأذكار مقبل على أعمال الخير، مستكثر منها عاكف على العلم والعمل. وقد أجاز لي جميع ما يرويه عن أبيه عن جده الحسين وهو الآن حي نفع الله به.

ثم توفي رحمه الله في أوائل شهر محرم سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف.

١٥٨ ـ **حَمْزَة بن عبد الله بن محمّد بن علي بن أبي بكر التّقي الناشري الزبيدي الشافعي**[1]: ولد في ثالث عشر شوال سنة ٨٣٣ ثلاث وثلاثين وثمان مائة بنخل وادي

(١) ترجمته في الشذرات ٨/ ١٤٢، وفي النور السافر ص ١٢٠.

زبيد، ونشأ بزبيد، فحفظ القرآن والشاطبية وألفية ابن مالك وبعض الحاوي وتلى بالسبع على محمّد بن أبي بكر المقري، وقرأ على جماعة من علماء زبيد في فنون من العلم وأجاز له آخرون من جهات.

ومن جملة مشائخه صديق بن أبي الطيب، والزين الشرجي والتقي بن فهد وابن ظهيرة، وتردد إلى مكة وأخذ عن السّخاوي، وناب في قضاء زبيد وأفتى ونظم وألف مؤلفات منها (مسالك التحبير في مسائل التكبير) و (البستان الزاهر في طبقات بني ناشر)، و (انتهاز الفرص في الصيد والقنص) ألفه للملك المظفر، و (ألفية في غريب القرآن) وكان كثير الزواج ورزق كثيرًا من الأولاد ومات غالبهم وطال عمره حتى قارب المائة وهو متمتع بحواسه يستفض الأبكار (ومات) في صبح يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة[1] سنة ٩٢٦ ست وعشرين وتسعمائة ودفن بتربة سلفه في باب سهام.

١٥٩ ـ **حُمَيْضة بن أبي نميٍّ محمّد بن حَسَنْ بن عليٍّ بن قُتَادة بن إدريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة**: كان هو وأخوه رميثة وليا أمر مكة في حياة أبيهما سنة ٧٠١ ثم استقلا بالأمرة واستمرا إلى الموسم، فحج بيبرس تلك السنة فلما كان في طواف الوداع كلمه أبو الغيث وعطيفة في أمر أخويهما حميضة ورميثة وأنهما منعاهما ميراثهما فأنكر عليهما بيبرس، فقال له حُميضة: يا أمير، نحن نتصرف في أخوتنا، وأنتم قضيتم حجّكم، فلا تدخلوا بيننا فغضب بيبرس وقبض على حميضة ورميثة وحملهما إلى القاهرة، وأقام أبا الغيث وعطيفة موضعهما ثم أفرج عنهما في أوائل سنة ٧٠٢ وخلع عليهما وتوجها إلى مكة ففرَّ أبو الغيث، ثم فرَّ حميضة من أمير الحج في سنة ٧٠٧ فقرر أبا الغيث مكانه.

فلما رجع العسكر عاد حُميضة مختفيًا في زي امرأة وفرَّ إلى العراق مستجيرًا بملكها خربيدًا فتلقاه وأكرمه، وبالغ في الإحسان إليه وندبَ معه أربع آلاف فارس وراسل أخاه رميثة أن يأذن له بدخول مكة ويشاركه الأمرة كعادته فامتنع وكاتب الناصر فأجابه بأن لا يفعل إلا إن دخل حميضة إلى مصر فوصل حميضة بالعسكر ونازل رميثة فانهزم ودخل حميضة مكة عنوة وقطع خطبة الناصر، وخطب لخربيدا وأخذ أموال التجار. فجرد الناصر عسكرًا فانهزم منهم من غير قتال، ثم عاد بعد ذهاب الحج فأرسل رميثة يطلب الأمان فأمنه، ثم اصطلحا فبلغ ذلك النَّاصِر فغضب وقرر عطيفة في أمرة مكة، فخرج حميضة عن مكة فلما حج الناصر سنة ٧١٩ وعاد، عاد حميضة وأخذ أموال الناس من

(١) في الشذرات والنور السافر: توفي الخميس ١٩ ذي الحجة ٩٢٦ هـ.

النقد وغيره وحمل منه مائة جمل وأحرق الباقي وتحصن بحصنه الذي له بالجديدة وقطع ألفي نخلة فأرسل النَّاصِر عسكرًا، ودخل مكة العسكر في ذي القعدة سنة ٧١٥ ثم تبعوه إلى مكانه فأحرقوا الحصن وأخذوا ما مع حميضة من الأموال وأخذوا ابن حميضة أسيرًا وسلَّموه لعمه رميثة، واستقر رميثة أميرًا ولحق حُميضة بالعراق، ثم اتصل بخربيدا وقام في بلاده وجهّز له جيشًا بعد أن أطمعه أنْ يخطب له بها فمات خربيدًا ولم يتم ذلك فعاد حميضة إلى مكة واتفق أنه هرب من مماليك الناصر ثلاثة أنفس فمروا بحميضة فأضافهم فرأى فيهم شابًا جيلاً فمال إليه، وكان معروفًا بذلك وأوسع له في المواعيد إلى أن أطاعه، واستمر في خدمته فلما رأى ذلك رفيقاه أقاما في خدمة حميضة، واختص بذلك الشاب فصار لا يكاد يصبر عنه ساعة وتمادى حالهم عند حميضة فخشوا منه أن يتقرب بهم إلى الناصر فقتلوه في وادي بني شعبة، وظفر بهم عطيفة فقيد الذي تولىٰ قتله وجهزه إلى الناصر فقتله به وذلك في جمادىٰ الآخرة سنة ٧٢٥.

وكان شجاعًا فاتكًا كريمًا وافر الحرمة عظيم المهابة اتفق أن رجلاً مد يده لأخذ شيء وجده مطروحًا فقطع يده فصارت الأموال توجد ولا يتعرض لها أحد من مهابته.

١٦٠ ـ **الشَّريف حمُّود بن محمّد الحسني صاحب أبي عريش**: ولد بعد سنة ١١٦٠ تقريبًا، ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية الراجعة إلى أبي عريش، كصبيا وضمد والمخلاف السليماني، وكان متوليًا لذلك من طرف مولانا الإمام المنصور بالله رحمه الله ثم حدث ما حدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين أبي عريش، فأمر عبد الوهاب بن عامر العسيري المعروف بأبي نقطة، بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود فتقدم في نحو عشرين ألفًا والشريف حمود استقر في أبي عريش لقلة جيشه فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش، فدخلها في سنة ١٢١٧ وقتل من الفريقين فوق الألف ثم استسلم الشريف حمود ودخل في الدعوة النجدية، ثم خرج على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللُّحية وعلى بندر الحديدة وعلى زبيد والحيس وما يرجع إلى هذه الولايات، واختط مدينة الزهراء، وصار الآن ملكًا مستقلاً، ثم فسد ما بينه وبين النجدي، فأمر أبا نقطة المذكور بأن يغزوه فغزاه والتقيا بأطراف البلاد فقتل أبو نقطة وانهزم جيش الشريف وقتل منهم نحو ألفين وكان جيشه من يام وبكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفًا، وكان جيش أبي نقطة كما قيل مائة ألف لأنه أمده النجدي بجماعة من أمرائه كابن شكيان والمضايفي.

ثم إن جيش صاحب نجد بعد قتل أبي نقطة وهزيمة الشريف تقدم على بلاد أبي عريش وجرت بينهم ملاحم كبيرة وانحصر الشريف في أبي عريش وشحن سائر بلاد أبي

عريش بالمقاتلة، ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش والحرب بينهم سجال وكان هذا الحرب الذي قتل فيه أبو نقطة في سنة ١٢٢٤.

وبالجملة فصاحب الترجمة من الأبطال، وقد جرت بينه وبين الأجناد الإمامية عند استيلائه على البلاد التي قدمنا ذكرها ملاحم عظيمة لا يتسع المقام لبسطها.

وفي سنة ١٢٢٤ وقع الصلح بينه وبين مولانا المتوكل على الله قبل دعوته وكان ذلك باطلاعي أن يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين مولانا المتوكل ولم يزل الحرب ثائرًا بينه وبين الإمام إلى هذا التاريخ وهو سنة ١٢٢٩ وهو مستمر على الانتماء إلى صاحب نجد ومات في سنة ١٢٣٣ ثلاث وثلاثين ومائتين وألف.

حرف الخاء المعجمة

١٦١ ـ **خَشَقْدم الملك الظَّاهر أبو سعيد الرومي الناصري**[١]: نسبة إلى تاجر ملكه ثم اشتراه الملك المؤيد وهو ابن عشر سنين ثم أعتقه بعد مدة وصارَ من المقدمين بدمشق، ثم عاد إلى مصر وصار الحاجب الأكبر، ثم صار في دولة الأشرف أمير سلاح، ثم صار أتابكًا لابنه، ثم صار سلطانًا في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سنة ٨٦٥ ولقب بالظاهر، ولم يزل يتودد ويتهدد ويصافي وينافي ويراشي ويماشي حتى رسَّخ قدمه ونالته السعادة الدنيوية مع مزيد الشره في جمع المال على أي وجه لا سيما بعد تمكنه بحيث اقتنى من كل شيء أحسنه وأنشأ مدرسة بالصحراء بالقرب من قبة النصر، وكثرت مماليكه فعظموا محاسنه وعظم وضخم وهابته الملوك وانقطع معاندوه إلى أن مرض في أوائل المحرم، ولزم الفراش حتى مات يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمان مائة وقد ناهز خمسًا وستين، ودفن بالقبة التي أنشأها بمدرسته وكان عاقلاً مهابًا عارفًا صبورًا بشوشًا مدبرًا متحملاً في شؤونه كلها عارفًا بأنواع الملاعب كالرمح والكرة مكرِّمًا للعلماء معتقدًا فيمن ينسب إلى الخير.

١٦٢ ـ **خضر بن عَطَاء الموصلِّي مصنِّف كتاب الإسعاف**[٢]: شرحَ شواهد البيضاوي والكشاف، قال في الريحانة: كعبة فضل مرتفعة المقام، تضمنت ألسن الرواة التزامه فللّه ذلك التضمن والالتزام أقام بمكة مع بني حسن مخضر الأكناف، وصنَّف باسم الشريف حسن شرح شواهد الكشاف انتهى.

---

(١) له ترجمة قصيرة في الشذرات ٧/ ٣١٥.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٣٤٧.

قلت وهذا الشريف هو حسن بن أبي نميٍّ شريف مكة وابن شريفها وقد ذكر العصامي في تاريخه أنَّ الشريف المذكور أجازه بألف دينار ذهبًا، وأرخ موته سنة ١١٠٧ سبع ومائة وألف.

وهذا التاريخ الذي ألفه صاحب الترجمة من أحسن التواريخ وأنفسها وأجمعها يذكر فيه البيت الشاهد ثم يشرحه شرحًا مستوفىٰ ثم يترجم لقائله ترجمة كاملة ويذكر القصيدة التي منها ذلك البيت.

١٦٣ ـ خليل بن أيبك بن عبد الله المعروف بصلاح الدّين الصّفدي الأديب المشهور[1]: ولد[2] سنة ٦٩٧ سبع وتسعين وستمائة. وكتب الخط الجيد وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفىٰ عشرين سنة وطلب بنفسه فأخذ عن الشهاب محمود، وابن سيد الناس، وابن نباتة، وأبي حيان وسمع من المزي والدبوسي وطاف مع الطلبة وكتب الطباق وقال الشعر الحسن، وأكثر منه جدًا وترسَّل وألّف كتبًا، منها التاريخ الكبير الذي سماه (الوافي بالوفيات) في نحو ثلاثين مجلدًا على حروف المعجم وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه (أعوان النصر وأعيان العصر) في ست مجلدات.

وشرح (لامية العجم) بمجلدين وله (ألحان السواجع بين المبادىء والمراجع) مجلدان و (جر الذيل في وصف الخيل)، و (كشف الحالي في وصف الخال)، وأول ما ولىٰ كتابة الدرج بصفد ثم بالقاهرة كتابة السر وغير ذلك من الأعمال، وكان حسن المعاشرة جميل المروءة وكان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم.

قال ابن كثير: مصنفاته بلغت المئين من المجلدات قال: ولعلَّ الذي كتبه في ديوان الإنشاء ضعف ذلك ومن تصانيفه (فض الختام عن التورية والاستخدام) ونظمه مشهور قد أودع منه في شرح لامية العجم وغيرها ما يعرف به مقداره ولكثرة ملاحظته للمعاني البديعية صار الغث من شعره كثيرًا، وينضم إلى ذلك ما يطربه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثقلاً، وقد يأتي له ما هو من الحسن بمكان كقوله:

بسهمِ أجفانهِ رماني ... وذبت من هجره وبينهِ
إن متُّ ما لي سواه خصمٌ ... لأنه قاتلي بعينهِ

وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه وقد صنَّف ابن نباتة في ذلك مصنفًا سماه (خبز الشعير المأكول المذموم) وبين سرقاته لشعره، ومات بدمشق ليلة

---

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) في الشذرات ٦/ ٢٠٠: ولد بصفر سنة ٦ أو ٦٩٧ هـ.

عاشر شوال سنة ٧٦٤ أربع وستين وسبعمائة.

١٦٤ ـ خَلِيل بن أميرانْ شَاهْ بن تيمورلنك[١]: ملك بعد موت جده تيمور كما تقدّم تحقيقه في ترجمته، وكان ذلك في حياة والده وأعمامه لكونه كان معه عند وفاته في سنة ٨٠٧ فلم يجد الناس بدًا من سلطنته، واستولى على الخزائن وتمكن من الأمراء ببذله، وفيه رفق وتودّد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجمال صورة وأخذ في تمهيد ملكه وملك قلوب الرعية فاستفحل أمره وجرت حوادث إلى أن مات بالري مسمومًا في سنة ٨٠٩ تسع وثمان مائة.

ونحرت زوجته المسماة شاد ملك نفسها بخنجر من قفاها فهلكت من ساعتها وقد وصف مؤلف سيرة تيمور من أحواله وأشعاره بلسان قومه ومزيد عشقه لزوجته هذه وإفراط محبته لها ما يقضي منه العجب حتى قال: إنه يقف معها في قميص واحد يدخلان فيه جميعًا لمزيد شغف كل واحد منهما بالآخر فلهذا قتلت نفسها بعد موته ووصف من جماله ما تُعذَرُ معه زوجته، وكذلك وصف من جمالها ما يخفِّف عنه الملامة فيما تُهتَكُ به من عشقها حتى كان ذلك سبب ذهاب ملكه ونفسه والأمر للّه.

١٦٥ ـ خَلِيلْ بن كيكلدي العلائي[٢]: ولد في ربيع[٣] سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة، وأول سماعه للحديث في سنة ٧٠٣ سمع على شرف الدين الفزاري، وبرهان الدين الذهبي ابن عبد الدايم، والقاسم بن عساكر، وجماعة كثيرة بلغوا إلى سبعمائة ورحل إلى الأقطار، واشتغل قبل ذلك بالفقه والعربية ومَهَرَ وصنَّف التصانيف في الفقه والأصول والحديث ومنها (تحفة الرائض في علم الفرائض)، و (الأربعين في أعمال المتقين)، وشرح حديث ذي اليدين في مجلد و (الوشي المعلم في من روى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

قال ابن حجر في الدرر: إنه صنّف كتبًا كثيرة جدًا سائرة مشهورة نافعة.

وكان بزي الجند ثم لبس زي الفقهاء وحفظ التنبيه ومختصر ابن الحاجب ومقدمته في النحو والتصريف وولي تدريس الحديث بالناصرية ثم الصلاحية بالقدس وقطن به إلى أن مات وحج مرارًا وجاور وكان ممتعًا بكل باب وبحفظ تراجم أهل عصره ومن قبلهم

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٤.

(٢) ترجمته في معجم المؤلفين ٤/١٢٦ وفي الشذرات ٦/ ١٩٠ ـ ١٩١.

(٣) في الشذرات ٦/ ١٩٠: ولد في دمشق ربيع الأول سنة ٦٩٤ هـ.

ووصفه الذهبي بالحفظ وكان يستحضر الرجال والعلل وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم.

وقال غيره كان إمامًا في الفقه والنحو والأصول والحديث وفنونه حتى صار بقية الحفاظ عارفًا بالرجال علّامة في المتون والأسانيد ومصنفاته تنبىء عن إمامته في كل فن وقال الأسنوي كان حافظ زمانه إمامًا في الفقه والأصول وغيرهما ذكيًا نظارًا فصيحًا كريمًا. وله نظم حسن واستمر على حاله حتى مات في القدس خامس المحرم سنة ٧٦١ إحدى وستين وسبعمائة.

حرف الدال المهملة

١٦٦ ـ الشَّيخ داود بن عمر الأنطاكي الضَرير رئيس الأطباء[1]: قال العصامي: هو المتوحد بأنواع الفضائل، والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل. شيخ العلوم الرياضية سيما الفلسفية وعلم الأبدان القسيم لعلم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك وانتهى إلى الغاية التي لا تكاد تُملَكْ، له فضل ليس لأحد وراءه فضل وعلم لم يحز أحد في عصره مثله قال: حكىٰ أنَّ الشَّريف حسن لما اجتمع به أمر بعض أخوانه أن يعطيه يده ليجس نبضه، وقال له الشريف حسن جس نبضي، فأخذ يده فقال: هذه ليست يد الملك فأعطاه الأخ الثاني يده فقال كذلك فأعطاه الشريف حسن يده فحين جسها قبَّلها وأخبر كلاً بما هو ملتبس به، قال: وحكى أنه استدعاه يعني الشريف لبعض نسائه فلما دخل قادته جارية ولما خرجت به قال الشريف: حسنٌ إن الجارية لما دخلت بي كانت بكرًا ولما خرجت بي كانت ثيبًا فسألها الشريف وأمنها فأخبرته أن فلانًا استفضها قهرًا فسأله فاعترف بذلك.

وله عجائب من هذا الجنس وقد أرَّخ العصامي موته سنة ١٠٠٧ سبع وألف وهو مصنِّف (التذكرة) الكتاب المشهور في الطب.

١٦٧ ـ السيّد داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عزِّ الدين بن الحسن: ولد سنة ٩٨٠ ثمانين وتسعمائة، وهو شيخ الشيوخ الزيدية في زمانه وكان عالمًا بعدة علوم، ومن تلامذته القاضي أحمد بن يحيى حابس والقاضي أحمد بن سعد الدين وغيرهم ممن في طبقتهم، وله شرح على أساس الإمام القاسم بن محمد وكتب إليه

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ٣٨٦ وفيه كانت وفاته سنة ١٠٠٨.

القاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال وهو من تلامذته قصيدة منها:

سؤلي وجلُّ مطالبي ومرامي ... تقبيلُ كفَّ الأروعِ الصمصامِ
العالمُ العلمُ الحميدِ فعالهُ ... نورُ الأنامِ وسيّدُ الأقرامِ

ولصاحب الترجمة نظم فمنه:

إلى الله أشكو عالمَ السرِ والنجوىٰ ... تحمَّل همٌ لا يطيق له رضوىٰ
وجور زمانٍ دأبهُ خفضُ كاملٍ ... ورفع الذي لا خير فيه ولا جدوىٰ
عتبت على دهري فقلت إلى متىٰ ... تعاملني بالضد من كل ما أهوىٰ
فقال مجيباً لي بعنفٍ وغلظةٍ ... وأيُّ كريمٍ قد أجبتُ له شكوىٰ

وتوفي رحمه الله بدرب الأمير بحضرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمّد في ضحوة يوم الأربعاء لستٍ بقينَ من شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٥ خمس وثلاثين وألف وعمرت عليه قبة هنالك.

١٦٨ ـ داود بن يوسُف بن عمر بن علي بن رسول الملك المؤيَّد بن المظفر التركماني الأصل صاحب اليمن[١]: كان له شغلة بالعلم، حفظ مقدمة ابن بابشاذ في النحو وكفاية المتحفظ في اللغة سمع من المحبِّ الطبري وغيره، وكانْ أبوه قد آثر أخاه الأشرف بالسلطنة فلما مات أبوه وتسلطن أخوه الأشرف أقبل المؤيد وكان في جهة اليمن فغلب على عدن، فجهز الأشرف ولده المنصور فهزمهم المؤيد ثم سار طائعًا إلى أخيه فتلقاه وأمره فلما مات في أول سنة ٦٩٦ ست وتسعين وستمائة تسلطن المؤيد وتابعه النَّاصر ولد أخيه الأشرف وخرج عليه أخوه المسعود فلم تقم له قائمة ودخل في طاعة المؤيد.

ولما عرف الناس محبته للفضائل قصدوه من الآفاق بكل تحفة وكان يبالغ في إنصافهم حتى إنها أهديت له نسخة من الأغاني بخط ياقوت الحموي فبذل فيها مائتي دينار مصرية ولشعراء عصره فيه مدائح واشتملت خزانة كتبه على مائتي ألف مجلد وأنشأ بتعز القصور العظيمة البديعة ودام في الملك خمسًا وعشرين سنة حتى مات[٢] في ذي الحجة سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعمائة.

١٦٩ ـ الشَّريفة دَهماء بنت يَحيىٰ بن المُرْتَضىٰ أخت الإمام المهدي أحمد بن يحيى

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٥٥.
(٢) في الشذرات ٦/ ٥٥: مات بـ تعز في ذي الحجة سنة ٧٢١ هـ.

المتقدم ذكره: عالمة فاضلة أخذت العلم عن أخيها، قرأت عليه هي والإمام مطهّر ولها مصنّفات منها شرح للأزهار في أربعة مجلدات، وشرح لمنظومة الكوفي في الفقه والفرائض، وشرح لمختصر المنتهىٰ ودرست الطلبة بمدينة ثلا حتى ماتت هنالك وقبرها مشهور مزور وعليها قبة وتزوجها السيّد محمد بن أبي الفضائل أولدها ولدًا سمي إدريس ابن محمّد ولها شعر منه في مدح كتاب أخيها الأزهار:

يـا كتـابـاً فيـه شفـاء النفـوسِ أنتجتـهُ أفكـارُ مـن فـي الحبـوسِ
أنـتَ للعلـمِ فـي الحقيقـةِ نـورٌ وضيـاءٌ وبهجـةٌ كـالشمـوسِ

حرف الذال المعجمة

١٧٠ ـ **ذيبان الماردي ناصر الدين والي القاهرة:** وردَ من الشرق صحبة عبد الرحمٰن التكريتي إلى المنصور قلاون وتعانىٰ الخياطة للكوافي بدمشق، ثم توصل بخدمة بيبرس الجاشنكير وتقرب منه إلى أن وُليَ القاهرة، ثم عوقب وصودر، ثم تولىٰ شد الدواوين في جمادى الآخرة سنة ٦٩٤ ثم نُقل إلى ولاية القاهرة ثم وليَ الجيزة فوقعت بينه وبين القبط مرافعة فالتزم أنْ تسلمهم أن يحمل ثلثمائة ألف دينار فتسلمهم وضيّق عليهم، وأخذ منهم جملة مستكثرة، ثم سعى في الوزارة فاستقرّ في شوال سنة ٧٠٣ فباشرها بتعاظم وحرمة واتفق أنه توجه إلى الاسكندرية وتوجّه الناصر إلى الجيزة وهو يومئذٍ تحت حجر بيبرس وسلار فأرسل وكيله يستدين له من التجّار مبلغًا يشتري به هدية لحرمه إذا رجع فقدم له صاحب الترجمة ألفي دينار فأعجبه وقرّبه وشكى إليه حاله فوعده وبسط أمله فنقل ذلك إلى الأميرين المذكورين فقبضا عليه وسجناه وصادراه ومات في ذي القعدة سنة ٧٠٤ أربع وسبعمائة.

حرف الراء

١٧١ ـ رضوان بن محمّد بن يوسُف بن سلامة بن البهاء بن سعيد الزين الشافعي الحافظ الكبير القاهري الصحراوي[١]: وُلدَ صبحَ جمعة من رجب سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة، وحفظ القرآن والتنبيه، وجوَّد بعض القرآن وتلى بالسبع على جماعة وحضر درس البلقيني، وابن الملقن والصدر المناوي والعز بن جماعة وقرأ عليهم وغيرهم في فنون متعددة كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والجدل والفرائض والحساب. وحجَّ مرات وزار بيت المقدس والخليل وما تيسرت له رحلة لكنه أخذ بالحرمين والقدس عن جماعة وسمع الأمهات ومسند أحمد ومسند الشافعي والموطأ ومسند أبي حنيفة ومعاني الآثار للطحاوي والسنن للدارقطني وغير ذلك وأخذ عن مشائخ العصر، وعرف العالي والنازل، وفاق الأقران وانتفع به الناس وأخذوا عنه واشتهرت فضائله وله تخريجات، خرّجها لشيوخه وله شعر على نمط أشعار المحدثين رحمه الله مات[٢] يوم الاثنين ثالث شهر رجب سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمان مائة.

١٧٢ ـ رُميثة بمثلثة مصغرًا ابن أبي نُمَيٍّ: قد تقدَّم ذكر بعض نسبه في ترجمة أخيه حميضة وليَ أمر مكة مع أخيه حميضة، ثم استقل سنة ٧١٥، ثم قبض عليه في ذي الحجة سنة ٧١٨ فلما كان في سنة ٧٣١ تحارب هو وأخوه (عُطيفة) ثم اصطلحا وكثر تضرر الناس منهما، ثم بلغ الناصر أنه أظهر مذهب الزيدية فأنكر عليه، فأرسل إليه عسكرًا ففر.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) في الشذرات ٧/ ٢٧٥: توفي عصر يوم الاثنين ثالث رجب بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ.

فلم يزل أمير الحاج يستميله حتى عاد ثم أمنه السلطان فرجع إلى مكة سنة ٧٣١ ولبس الخلعة، ثم حج السلطان سنة ٧٣٢ فتلقاه رميثة إلى ينبع فأكرمه السلطان واستمر رميثة وعطيفة إلى أن تفرّد رميثة سنة ٧٣٨ فلم يزل على ذلك إلى سنة ٧٤٤ فترك الأمر لولديه ثقبة وعجلان ثم كتب له من القاهرة باستقراره فباشر الأمر عنه ولده عجلان، حتى مات رميثة في سنة ٧٤٨ ثمان وأربعين وسبعمائة.

حرف الزاي

١٧٣ ـ زكريا بن أَحْمد بن محمّد بن يحيىٰ بن عَبْد الواحد بن الشَّيخ أبي حفص عمر الشاوي[١]: الحفصي اللحياني القائم بأمر الله صاحب المغرب. ولد سنة نيف وأربعين وستمائة وتفقه وأتقن النحو واستوزره ابن عمه المستنصر مدة ثم ملك سنة ٦٨٥ ثم خلع فتوجه إلى الحج سنة ٧٠٩ ثم رجع إلى القاهرة سنة ٧١٠ فجهز معه الناصر عسكرًا فملك طرابلس وخطب للناصر بها، ثم صبّحوا تونس في ثامن جمادى الأولى فنازلوها وصاحبها أبو البقاء مريض فدخل زكريا البلد وأشهد أبو البقاء على نفسه بالخلع فلما استوثق له الأمر قطع ذكر المهدي من الخطبة، ثم أرسل إلى صاحب سحانة فهادنه فسار صاحب سحانة إلى أفريقية وجال في بلاد هوازن فخشي منه صاحب الترجمة فجمع ما قدر عليه من المال وخرج من تونس سنة ٧١٧ قاصدًا فاس، فأقام بها ثم توجّه من فاس إلى طرابلس ثم حمل أهله وأمواله في البحر وتوجّه إلى الاسكندرية ثم استأذن الناصر في القدوم عليه فأذن له ودخل القاهرة سنة ٧٢١ وأراد الحج فمرض فأقام بها ورفض الملك إلى أن مات[٢] سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة.

وكان فاضلاً متقنًا للعربية حسن النظم ويعاب بالشح وأنكر عليه أهل بيته إسقاط ذكر المهدي من الخطبة وكان جده أبو حفص من كبار أصحاب ابن تومرت ووليَ السلطنة بعده أبو ضربة فنازله أبو بكر المتقدم.

١٧٤ ـ زكريا بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الأزهري القاضي

---

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ٧٦.

(٢) في الشذرات ٦/ ٧٦: مات بالثغر سنة ٧٢٧ عن بضع وثمانين سنة.

الشافعي[1]: ولد سنة ٨٢٦ ست وعشرين وثمان مائة فحفظ القرآن وعمدة الأحكام وبعض مختصر التبريزي في الفقه ثم تحوَّل إلى القاهرة في سنة ٨٤١ فقطن الأزهر، وأكمل حفظ المختصر المذكور وحفظ المنهاج الفرعي وألفية النحو والشاطبيتين وبعض المنهاج الأصلي، وبعض ألفية الحديث ومن التسهيل إلى كاد وأتمه من بعد.

ثم جدَّ في الطلب وأخذ عن جماعة منهم البلقيني والقاياني والشرف السبكي وابن حجر، والزين رضوان وغيرهم. وقرأ في جميع الفنون وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس وتصدر وأفتى وأقرأ وصنف التصانيف منها (فتح الوهاب شرح الآداب) و (غاية الوصول في شرح الفصول) و (شرح الروض مختصر الروضة) لابن المقري وله حاشية على (شرح البهجة) للولي العراقي وشرح (لشذور الذهب) وله شروح ومختصرات في كل فن من الفنون، انتفع الناس بها وتنافسوا فيها ودرَّس في أمكنة متعددة وزاد في الترقي وحسن الطلاقة والتلقي مع كثرة حاسديه.

وارتفعت درجته عند السلطان قايتباي وكثر توسل الناس به إليه وكان السلطان يلهج بتوليته القضاء مع علمه بعدم قبوله له في سلطنة خشقدم، ثم ولاه قايتباي القضاء وصمم عليه فأذعن بعد مجيء أكابر الدولة إليه فباشره بعفة ونزاهة ثم عزل سنة ٩٠٦ ثم عرض عليه بعد ذلك فأعرض عنه لكف بصره وانجمع في محله واشتهرت مصنفاته وكثرت تلامذته وألحق الأحفاد بالأجداد وعمر حتى جاوز المائة أو قاربها ومات في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦، وحزن الناس عليه كثيرًا لمزيد محاسنه، ورثاه جماعة من تلامذته فمن ذلك قول عبد اللطيف:

قضىٰ زكريا نحبه فتفجّرت ... عليه عيونُ النيلِ يومَ حمامهِ
ليعلمَ أنَّ الدهرَ راحَ أمامه ... وما الدهرُ يبقي بعد فقد إمامهِ
سقىٰ الله قبرًا ضمهُ غوث صيِّبٍ ... عليه مدىٰ الأيام صُبحَ غمامهِ

١٧٥ ـ السيّد زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد[2]: المحقق الكبير شيخ مشائخ صنعاء في عصره في العلوم الآلية بأسرها أخذها عنه جماعة من أكابرهم كالسيّد هاشم بن يحيى الشامي، والسيّد محمّد الأمير والسيّد أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وغيرهم.

ولد في سنة ١٠٧٥ خمس وسبعين وألف وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء

---

(١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٢٣٦.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٣٧٧.

كالقاضي العلاَّمة علي بن يحيى البرطي والقاضي العلاَّمة الحسين بن محمد المغربي والسيّد العلاَّمة الحسن بن الحسين بن القاسم، وكان صدرًا مبجلاً معظمًا مفخمًا، له صورة كبيرة وصولة شهيرة يهابه ولاة صنعاء ويخافون من أن ينهى أمرهم إلى الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب، وكان كثير الإجلال له إلى غاية ويطلبه إلى حضرته مرات ويعطيه العطاء الواسع، وكان يؤهل للإمامة ويرجىٰ لها.

وقد برع في جميع المعارف لا سيما علم المعاني والبيان فإنه فنه الذي لا يدانيه فيه مدان، ولا يختلف في تفرده بهذا الشأن اثنان.

وشرحه المجاز لمختصر الشيخ لطف الله الغياث الذي سماه (الإيجاز) في المعاني والبيان يشهد بفضله في هذا العلم فإنه شرح يشرح صدر طالب فن المعاني والبيان لأن الشيخ لطف الله ألف هذا المختصر معتصرًا له من تلخيص المفتاح لكنه ترك من عباراته ما وقعت فيه مناقشة لأحد من الشراح أو أهل الحواشي، وزاد ما لا بد من زيادته ثم أتى صاحب الترجمة فاعتصر المطول وحواشيه والمختصر وحواشيه في شرحه وترك ما فيهما من المباحث التي وقع الاعتراض عليها من أهل الحواشي ورسم ما هو الصواب، وأنا أظن أنَّ الشيخ لطف الله إنما جمع هذا المتن مع قراءة الطلبة عليه للتلخيص وشروحه وحواشيه وكذلك صاحب الترجمة إنما جمع الشرح مع قراءته كذلك وكان كثير الأخذ من حاشية الشيخ لطف الله على شرح التلخيص وقد قوبل هذا الشرح بالقبول من أعيان العلماء ونقّادهم وإن لم يشتهر بين الطلبة، وما أحق من رام حفظ التلخيص أن يستغني عنه بحفظ مختصر الشيخ لطف الله ومن رام القراءة في المطوّل والمختصر وحواشيهما أن يقتصر على القراءة في شرح صاحب الترجمة، فإنه يستغني بذلك عن مهمات ما في غيره وإن كان الطالب الراغب لا يقنع إلا بالتبحر في كل المعارف.

فإنه لا ريب أن في المطوّل والمختصر وحواشيهما من الفوائد والقواعد ما لا يستغني عنه طالب علم المعاني والبيان.

وقد كان شيخنا السيّد العلاَّمة عبد القادر بن أحمد كثير الثناء على شرح صاحب الترجمة وكان يرشد طلبة هذا الفن إليه وأقرأ ولده إبراهيم المتقدم ذكره فيه واستغنىٰ بذلك عن غيره من كتب المعاني والبيان وكنت أهم في أيام الطلب بجمع حاشية على ذلك الشرح وأنا إلى الآن غير منقطع الرجاء إن شاء الله، وكان لصاحب الترجمة اعتقاد في الصوفية وجرت بينه وبين السيّد صلاح بن الحسين الأخفش في ذلك منافرة بسبب رجل كان يملي الإذكار في جامع صنعاء جهرًا يقال له القبتين فأنكر عليه السيّد صلاح فألّف صاحب الترجمة رسالة سماها (تشييد أركان القبتين) ذكر فيها مباحث أصولية،

وأحاديث ورأيت له رسالة أخرى في تبيين الفرقة الناجية وأحسن القول فيها، ورجح أنهم من كان على النمط الذي كان عليه الصحابة، وله جواب على (النبراس) الذي اعترض به الكردي على (الأساس) ولكنه مات قبل تمامه، وكان قد سماه (الرد بالقسطاس)، ومات رحمه الله في سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف ورثاه السيّد العلاَّمة عبد الله بن علي الوزير بأبيات مشتملة على تاريخ وفاته وهي هذه:

هاهنا علامةَ الدنيا فزر قبرهُ تحظىٰ بأنوار وتُسعَدُ
هو سعد الدين في تحقيقه وهو عند الله في التحقيق أسعدُ
لقيْ الله فأرخ (جال في جنةِ الفردسِ زيدُ بن محمدُ)
سنة ١١٢٣

وقُبِرَ بقبته المتصلة بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء وله شعر حسن فمنه:

جَمَعَ الحُسنَ فأضحىٰ ساكناً بين ضلوعي
بأبي جامعٌ حَسَنُ وقفه جاري دموعي

وله قصيدة عارض بها قصيدة ابن زريق التي أولها:

لا تعذليه فإنَّ العذلَ يولعهُ قد قلتِ حقاً ولكنْ ليس يسمعهُ

ومطلع قصيدة صاحب الترجمة:

بانوا فسالتْ على خدَّيه أدمعهُ مورقُ الجفن مغرىٰ القلب موجعهُ

وولد صاحب الترجمة هو (العلاَّمة محمد بن زيد) من أعيان العلماء لا سيما في علم المعاني والبيان، فإنه من المبرزين فيه.

وكان مقبول الكلمة عند الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم وله به اتصال. ومن ذرية صاحب الترجمة في عصرنا هذا.

١٧٦ ـ السيّد العلاَّمة محمّد بن يَحيىٰ بن أَحْمَد بن زَيْد بن مُحمَّد: وهو من أعيان السادة آل الإمام، وله معرفة تامة بفنون من العلم وقد رافقته في قراءة كتاب الله عز وجل في المكتب، وترافقنا في قراءة الفقه وبعض الآلات في أيام الصغر، ولعلّ مولده سنة ١١٧٠ أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل وبيني وبينه مودة أكيدة ومحبة صادقة وله عرفان بعلم الطب، وقد انتفع به الناس فيه، لا سيما في هذه الأيام بعد موت السيّد يحيى بن محمّد بن عبد الله بن الحُسَين بن القَاسِم فإن الناس عولوا عليه وانتفعوا به وهو الآن مستمر على حاله الجميل من أكابر آل الإمام رياسة ورفعة وشهرة.

١٧٧ ـ السيّد زَيْد بن يحيى بن الحُسَين بن المؤيد بن الإمام القاسِمْ بن محمّد: الصنعاني ولد يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذي الحجة سنة ١٠٧٧ سبع وسبعين وألف، وقرأ على السيّد الحسن بن الحسين بن القاسم المتقدم ذكره، وعلى القاضي حسين بن عبد الله المسعودي، وبرع في العلوم الأدبية وقال الشعر الحسن فمنه القصيدة التي مطلعها:

قم فقد ألممتَ صبا الإبكارِ واكتسىٰ الأفقُ حلةَ الأنوارِ
واحتلىٰ جيده قلادة تبرٍ من سنا الشمس بعد درِ الدرارِ
دبَّ جمرُ الصباحِ في فحمةِ الليـ ـلِ وطارتْ نجومهُ كالشِّرارِ

وهي قصيدة طنانة روضية وقد ترجم له صاحب (نسمة السحر) وهو أخوه ترجمة فائقة طويلة وذكر من شعره ما يدل على أنه في أعلى رتب البلاغة وأرَّخ موته يوم عيد النحر سنة ١١٠٤ أربع ومائة وألف.

١٧٨ ـ الشَّريفة زَيْنَبْ بنت محمّد بن أَحْمَد بن الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي: الأديبة الشاعرة المجيدة، من شعرها القصيدة التي كتبتها إلى زوجها السيد علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ومطلعها:

أصخ لي أيها الملك الهَمَامُ عليكَ صلوة ربكَ والسلامُ

ومن شعرها المقطوع الذي فضلت فيه شهارة على صنعاء وهو:

وقائلٌ لي (أزالَ) ليسَ تشبهها (شهارةٌ) قلتُ قفْ لي واستمعْ مَثَلي
أليسَ صنعاءُ تحتَ الظَهْرِ مع ضلعٍ أما شهارةُ فوقَ النحرِ والمَقَلِ

والنحرُ والمقلُ موضعان بشهارة كما أن واديٰ ظهر وضلع موضعان قريب صنعاء.

ولها أشعار كثيرة وقد فارقها علي بن المتوكل، ثم تزوجها غيره وكانت تعرف النحو والأصول، والمنطق والنجوم والرمل والسيمياء وماتت في شهر محرم سنة ١١١٤ أربع عشرة وماية وألف بشهارة.

١٧٩ ـ زَيْن العَابدين بن حُسَين الحَكَمي أحد العلماء المشهورين: المعاصرين من أهل القطر التهامي، كثيرًا ما يكتب إليَّ من هنالك بمذاكرات، وله نثر متوسط فمنه ما كتبه إليَّ عند أن وليت القضاء ولفظه: الحمد لله الذي ألهم مولانا الإمام الأعظم. والطود الباذخ الأشم. أمير المؤمنين وسيّد المسلمين. المؤيَّد بالنصر والتمكين. والظفر والفتح المبين المنصور بالله رب العالمين. بإقامة من انتعشت به الشريعة المحمدية من مرضها.

وقامت به قناتها مفصحة عن مرادها خالصة من مضضها. واختصاصه من بين الأنجم الزاهرة من علماء العترة الأعلام بالفضل بين الأنام. والتصدّر للإصدار والإيراد عن الخاص والعام. وإعطاء القوس باريه. وتقليد هذا الأمر خرّيته، الماهر بفجاجه ومراميه. عين أعيان سكان صنعاء. ومن حسنت به الأيام صنعاء.

القاضي الثبت العلاَّمة. الحلاحل العمدة النحرير الفهامة الغيث المدرار. المقتطف من بستان عوارفه نوافح الأزهار ويانع الأثمار. المقتبس من ثاقب فهومه أنوار الشموس والأقمار. الكافل بغاية السؤل والتحقيق. ومن هو بكل ثناء خليق.

الذي إذا اجتمعت الفضائل فهو منتهى الجموع. بغية المستفيد بالعلم النافع الذي ليس بمقطوع ولا ممنوع. من ليس له في تحقيق العلوم ثاني (محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني) حفظه الله وأمده بالتوفيق في جميع الأمور.

وأصلح بتسديد آرائه الثاقبة ومقاصده الحسنة أحوال الجمهور. ولا زال مرفوع الجناب إلى الغاية. منصوبة رايات مجده بداية ونهاية. مسند إليه صحيح أحاديث كل فضيلة على الحقيقة لا المجاز. محكوم له بصدق المقدمتين بأنه كعبة أولي التحقيق التي ليس بينها وبين طالب الإفادة حجاز فلو مثلت كتب النحاة بنعته لما جاز أن يجري على نعته النقص والله المسؤول أن يعينه ويعافيه. وعليه من السلام ما يحفل به ومن الإكرام ما يراوحه ويغاديه:

تحيـةُ صـبٍّ مـا الفـراتُ ومـاؤهُ ... بأعذبَ منها وهو أزرقُ سِلْسَالُ
تخصُّ خَديـن الفضـلِ بـدر أوانـهِ ... سليلٌ على مَنْ بِهِ حَسَنُ الحالُ
أخا العلمِ والتحقيقِ في كلِّ مبحثٍ ... فما غَيرُهُ يُرجىٰ إذا عنَّ إشكالُ
هو الحاكمُ الفيصولُ والعالمُ الذي ... لهُ في علومِ الشرعِ وردٌ ومنهالُ

ثم أطال النفس وختم النثر بقصيدة من شعره أولها:

سـرْ يـا بـريـدَ بهـا بغيـر تمتُّـعِ ... وارو الحديثَ عن اللِوا والأجرعِ
واحفظْ حديثهم الصحيحَ ولا تزلْ ... تـرويـه عنهـم عـاليـاً فـي المَجمَـعِ
فالعلمُ في علمِ الحديثِ وأهلهِ ... أتبـاعٌ أشـرفُ شـافـعٍ ومشفـعِ
لا زالَ طـائفـةٌ هـداةٌ منهـمُ ... يـروونـه مـن أورعٍ عَـنْ أورعِ
لا سيمـا بحـرُ العلـومِ وحيـز المـ ... ـنطوقِ والمفهـومِ شمسُ المطلعِ
حاوي الأصولَ مع الفروعِ وناثرُ ... أزهـارَهـا مـن بحـرِ علـمٍ أنفـعِ
سمـع الحـديـثَ روايـةً ودرايـةً ... عَـنْ كـلِّ شيـخٍ عـالـمٍ متضلّـعِ

أعنـي بـه عـزَّ الأنـام محمـدًا نجـلَ الجمـالِ الحـاكـمِ المتـورِّعِ
علـم السـراةِ الغـر فـي علـمٍ وفـي كـرمٍ وحسـنِ شمـائـلٍ لـم تُجمَـعِ
مَنْ خُصَّ من كَنْزِ الأنامِ بمنصبٍ بشـريـفِ تـرجيـحٍ منيـفٍ أرجـعِ
محيـي علـومَ الطـاهـريـنَ وسنـةَ المختارِ من فضلِ الحكيمِ المبدعِ

وهي قصيدة طويلة ولكنها من جنس شعر العلماء لا من شعر الأدباء وهو الآن حي يفيد في وطنه وأخباره تبلغنا جملة لا تفصيلاً.

حرف السين المهملة

١٨٠ ـ **أبو السعود أفندي الإمام الكبير عالم الروم**[١]: بَرَع في جميع الفنون وفاقَ الأقران ومولده سنة تسعمائة، وأخذ عن أكابر علمائها ودرس بمدارسها وصار قاضيًا بمدينة بروسا، ثم صار قاضيًا للعسكر، ثم صار مفتيًا بقسطنطينية وعيَّن له السلطان كل يوم مائتين وخمسين درهمًا، وله تصانيف منها التفسير المشهور عند الناس بأبي السعود في مجلدين ضخمين سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) وهو من أجل التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقًا وتدقيقًا وأهداه للسلطان سليمان خان فأنعم عليه بنعم عظيمة وزاد في معلومه اليومي زيادة واسعة وكان قد تناهت عظمته في الممالك الرومية وصار المرجع في جميع ما يتعلق بالعلم ومات في سنة[٢] ٩٨٢ اثنتين وثمانين وتسعمائة.

١٨١ ـ **سعُود بن عَبْد العزيز بن محمّد بن سعُود**: ولد تقريبًا سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل في وطنه، ووطن أهله القرية المعروفة بالدرعية من البلاد النجدية. وكان قائد جيوش أبيه عبد العزيز وكان جدّه محمّد شيخًا لقريته التي هو فيها فوصل إليه الشيخ العلاَّمة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره وما زال يجاهد من يخالفه.

وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبًا ثم مات[٣] محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف، وجاوزها إلى فتح

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٥ وفي الشقائق النعمانية ص ٤٤٠.

(٢) في الشقائق النعمانية ص ٤٤٠: توفي في أوائل جمادى الأولى من شهور سنة ٩٨٢.

(٣) في التاج المكلل ص ٣٠١: مات محمد بن سعود سنة ١١٧٩ هـ.

كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب.

وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود ثم قام بعده ولده سعود فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش وقد تقدمت ترجمته وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد، وما زال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور وإلى حضرة ولد الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب إليّ أيضًا مع ما يصل من الكتب إلى الإماميين. ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمّار وما يتصل بها ثم خرج باشة مصر إلى مكة بعد إرساله بجنود افتتحوا مكة والمدينة والطائف وغلبوا عليها وهو الآن في مكة والحرب بينه وبين سعود مستمر ومات[١] سعود في هذه السنة ١٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين وألف.

وقام بالأمر ولده عبد الله بن سعود وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة بمصنف مستقل وسيأتي في ترجمة الشريف غالب شريف مكة إشارة إلى طرف من هذه الحوادث.

١٨٢ ـ **سعيد بن علي القرواني الشبّامي ثم الصّنعاني**: الأديب الفائق في نظمه ونثره المجيد في جميع ما يبديه من ذلك.

كان من جملة ندماء الفقيه أحمد بن علي النهمي وزير الإمام المهدي العباس بن الحسين وبسببه اتصل بالإمام وجعل بنظره صدقات القاصدين لحضرته فسلك في ذلك مسلكًا مشكورًا ونَظْمَهُ كله غرر ولكنه كان لا يعتني بجمعه، ومنه من قصيدة:

فـي خـدِّهـا زهـرَ المحـاس يـانـعٌ	وبثغـرهـا درّ جـرىٰ جـريـالا
والخصـرُ منهـا كـالنسيـمِ رشـاقـةً	متحمـلٌ مـن ردفهـا أثقـالا

ومنها في المديح:

مـن فتيـة غـرسـوا الجميـلَ أجنـة	وجنـوا ثمـارَ المكـرمـاتِ رجـالا
المسـرعيـن إلـى المكـارمِ كلّمـا	وجـدوا إلـى إسـراعهـنَّ مجـالا
وأبوكَ مَن حازَ العلىٰ طفلاً ومن	أغلـىٰ الفخـار وأرخـصَ الآجـالا
النـاسـكُ الأواهُ والملـك الـذي	عمَّـتْ يـداه العـالميـن نـوالا

(١) في التاج المكلل ص ٣٠٨: مات سعود في جمادى الأولى سنة ١٢٢٩.

كـالبحرِ صـدراً والجبـالِ رجـاحـةً والنـــارُ ذهنـــاً والهـــلالُ منـــالا

وتوفي سنة ١٢٠٤ أربع ومائتين وألف. وولده عبد الله له شعر فائق مع لطافة وظرافة وحسن محاضرة وعفاف وقنوع بالكفاف وهو الآن حي.

١٨٣ ـ سَعيد بن محمّد بن عبد الله بن سَعْد بن أبي بكر المقدسي الحنفي نزيل القاهرة المعروف بابن الدّيري[١]: نسبة إلى مكان يقال له الدَيْر أو إلى دَيرٍ في بيت المقدس. ولد في يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب سنة ٨٦٨ ثمان وستين وثمان مائة وحفظ في صغره القرآن ومختصر ابن الحاجب الأصلي والمشارق لعياض وكان سريع الحفظ مفرط الذكاء وأكب على الاشتغال وتفقه بأبيه وبالكمال السريحي وابن النقيب والشمس بن الخطيب والمحب الفاسي وجماعة كثيرة في فنون عدة، وبرع في الفقه حتى صار المرجوع إليه فيه، وشارك في سائر الفنون وتولىٰ قضاء الحنفية وصارَ معظمًا عند الملوك والوزراء والأمراء وقد عرض القضاء علىٰ ابن الهمام والأمين الأقصراني فامتنعا وقالا لا يقدران على ذلك مع وجوده، وقد انتفع به الناس وكثرت تلامذته وتبجح الأكابر بالقعود بين يديه وأخذ عنه أهل كل مذهب وقصد بالفتاوىٰ من سائر الآفاق وله تصانيف منها (شرح عقائد النسفي) و (الكواكب النيرات في وصول ثواب الطاعة إلى الأموات) و (السهام المارقة في كبد الزنادقة) وفتوى في الحبس في التهمة في جزء، ورسالة في نوم الملائكة هل هو كائن أم لا؛ وهل منع الشعر مخصوص بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أم هو عام لكل الأنبياء.

وشرع في تكملة شرح الهداية للسروجي فكتب منه مجلدات وله نظم فمنه قصيدة مطلعها:

مـا بـالَ سـرُكَ بـالهـوىٰ قـد لاحـا وخفـيُ أمـركَ صـارَ منـك بُـواحـا

ولم يزل على جلالته إلى أن مات في تاسع ربيع الآخر سنة ٨٦٧ سبع وستين وثمان مائة وأكرمه الله قبل موته بشهر بانفصاله عن القضاء.

١٨٤ ـ سُليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي بن عُمَر بن نَفيس الدِّين العكي العدناني الزبيدي التعزي الحنفي[٢]: ويعرف بنفيس الدين العلوي نسبة إلى علي بن راشد شيخه. ولد في ظهر يوم الثلاثاء سادس عشر رجب سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة وأخذ عن

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٥.

(٢) ترجمته في الشذرات ٧/ ١٧٠.

والده والشمّاخي وعلي بن راشد والمجد صاحب القاموس وغيرهم وأجاز له البلقيني وابن الملقن والعراقي والهيتمي والمناوي، وبرع في الحديث وصار شيخ المحدثين ببلاد اليمن وحافظهم وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة وارتحلوا إليه من الآفاق وتتلمذ له ما لا يحيط به الحصر.

حدث عن نفسه أنه قرأ البخاري أكثر من خمسين مرة ووصفه شيخه صاحب القاموس فقال إمام السنة وأما ابن حجر فقال في أنبائه: إنه مع محبته للحديث وإكبابه على الرواية غير ماهر فيه انتهى.

وقد درّس بعدة مدارس حتى مات[1] في سابع عشر جمادى الأولى سنة ٨٢٥ خمس وعشرين وثمان مائة.

١٨٥ ـ سليم بن بايزيد بن محمّد بن مُراد بن محمّد بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان الغازي[2]: سلطان الروم وابن سلاطينها وُلِدَ سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمان مائة واستولىٰ على جميع ما كان تحت يد أبيه واستفتح مصر والشام وانتزعهما من يد سلطان الجراكسة إذ ذاك، وهو قانصوه الغوري وقتله وغزى إلى بلاد العجم وحارب شاه إسماعيل الآتي ذكره وغلبه وقتل رجاله وكان صاحب الترجمة سلطانًا عظيمًا شديدَ البطش عظيمَ الصولة سفَّاكًا للدماء طائش السيف، وكان قد أخبر والده بعض الكهان أنه يكون ذهاب ملكه على يد ولد له سيولد فأمر القيمة على نسائه أن تقتل كل مولود ذكر فولد صاحب الترجمة، فأرادت قتله فأدركتها الشفقة عليه فتركته وأظهرت أنه أنثى اسمها سليمة فمضت على ذلك أيام.

ثم إن السلطان أراد أن يجمع بناته فجمعهن وفيهن صاحب الترجمة فوضع لهن حلوى فما زال صاحب الترجمة يأخذ ما في أيدي أخواته ويضربهن والسلطان ينظر إلى ذلك ثم مرّ زنبور فأخذه ومرسه بيده حتى مات فقال السلطان: هذا لا يكون إلا ذكرًا فأصدقوه الخبر، فأذعن للقضاء وكان زوال ملكه على يد صاحب الترجمة فإنه قهره وأخذ الملك من يده وسميَ عند أن تبين لوالده أنه ذكر سليمًا وله فتوحات عظيمة، ومات سنة ٩٢٦ ست وعشرين وتسعمائة وجلوسه على سرير السلطنة سنة ٩١٧ وتولى بعده السلطنة ولده سليمان بن سليم[3] ومولده سنة ٩٠٠ تسعمائة وتسلطن سنة ٩٢٩ وله الفتوحات

---

(١) في الشذرات ٧/ ١٧٠: مات في ذي الحجة سنة ٨٢٥ هـ وقد جاوز الثمانين.

(٢) ترجمته في الشقائق النعمانية ص ٤٥٤.

(٣) انظر النور السافر ص ٢٦٣.

العظيمة، والجهادات المشهورة، وهو الذي أرسل الجنود إلى اليمن في أيام المطّهر بن شرف الدين ومات سنة ٩٧٤ أربع وسبعين وتسعمائة وتولى السلطنة بعده (سليم بن سليمان بن سليم)[١] وكان مولده سنة ٩٢٩ تسع وعشرين وتسعمائة وجلوسه على التخت سنة ٩٧٤ وموته سنة ٩٨٣ ثلاث وثمانين وتسعمائة، وقد ذكرت هؤلاء الثلاثة السلاطين هنا لكونهم جميعًا متفقين في حرف الاسم.

١٨٦ ـ سُليمان بن حَمْزة بن أحمد بن عُمَر بن محمّد بن أحمد بن قدامة القاضي تقي الدين[٢]: ولد[٣] في رجب سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة، وسمع من كريمة والحافظ الضياء، وقرأ في الفقه على جماعة وتميّز في الحديث وجد واجتهد وشارك في سائر الفنون وحدث وهو شاب ثم تكاثروا عليه بعد ذلك وحدث بالكثير وتخرج به جماعة.

ووليَ القضاء عشرين سنة فاشتهر بالعدل وعدم المحاباة والتصميم على الحق ولما وقعت محنة ابن تيمية وألزم الحنابلة بالرجوع عن معتقدهم تلطّف صاحب الترجمة وما زال كذلك حتى سكنت الفتنة ولم يزل على حاله الجميل حتى توفي في ذي القعدة[٤] سنة ٧١٥ خمس عشرة وسبعمائة.

١٨٧ ـ السيّد سُليمان بن يحيى بن عمر الأهدلْ الزبيدي الشافعي[٥]: أخذ عن جماعة من أعيان بلده منهم والده ومحمد بن علاء الدين المزجاجي وغيره وبرعَ في العلوم العقلية والنقلية وعكف على التدريس فأخذ عنه الطلبة من أهل بلده وغيرهم وصارَ محدِّث الديار اليمنية غير مدافع ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وتفرَّد بهذا الشأن واجتمع لديه آخر أيامه منهم جماعة وافرة.

وهو المفتي في الجهات الزبيدية والمرجوع إليه في جميع المشكلات.

ولما مات في يوم الجمعة خامس عشر شهر شوال سنة ١١٩٧ سبع وتسعين ومائة وألف، قام مقامه ولده العلاَّمة عبد الرحمٰن[٦] بن سليمان في وظيفة التدريس والإفتاء مع حداثة سنه وله شغلة كبيرة بالعلوم العقلية والنقلية وميل إلى التعبد وأفعال الخير.

---

(١) ترجمته في النور السافر ص ٢٦٣: وفيه توفي سنة ٩٨٣ هـ.
(٢) ترجمته في الشذرات ٦/ ٣٥ ـ ٣٦.
(٣) في الشذرات ٦/ ٣٦: ولد في منتصف رجب سنة ٦٢٨ هـ.
(٤) في الشذرات ٦/ ٣٦: توفي ليلة الاثنين حادي عشري ذي القعدة سنة ٧١٥ هـ.
(٥) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٨٤.
(٦) انظر التاج المكلل ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

وهو الآن حيٌّ وفتاويه تصل إلينا وهي فتاوىٰ متقنة ينقل في كل ما يرد عليه من السؤالات نصوص أئمة مذهبه من الشافعية وقد كتب إليَّ معاهدة مشتملة على نثر حسن يدل على تعلقه بالأدب.

ووالد المترجم له السيّد يحيى بن عمر هو مسند الديار اليمنية وله مجموع في الأسانيد نفيس ومن بعده من المشتغلين بعلم الرواية عيال عليه.

١٨٨ ـ **سلاَّر التّتري المنصوري**(١): كانَ من مماليك الصالح علي بن قلاون فلما ماتَ صارَ من خواص ابنه، ثم من خواص الأشرف، وناب في الملك عن الناصر واستمر في ذلك فوق عشر سنين، وانتدب إلى الكرك لإحضار الناصر فركن إليه وسار معه ولما عاد إلى السلطنة قدَّمه على الكل وغلب على الأمور وصار الأمر بيده وبيد بيبرس المتقدّم ذكره. وكان يقال إن إقطاعاته بلغت نحو أربعين طبلخانة واشتهر بين العوام أن دخله في كل يوم مائة ألف درهم ولما غلب على المملكة هو وبيبرس، سار الناصر إلى الكرك مغاضبًا وعزل نفسه عن السلطنة فوقع الاتفاق على سلطنة سلاّر فامتنع وأصرَّ فتسلطن بيبرس وبقي على حاله في النيابة ثم بلغه أنَّ حاشية بيبرس ألحت عليه في القبض على سلاّر فتمارض. واتفق انحلال أمر بيبرس على الصفة التي تقدم ذكرها ورجوع الناصر إلى السلطنة فسأله سلاّر أن ينعم عليه بولاية الشوبك ففعل ذلك، ثم قبض الناصر على مماليكه ثم أرسل له يطلبه فأشاروا عليه بالفرار إلى الحجاز أو إلى التتر فلم يفعل وقدم إلى الناصر فقبض عليه في سلخ ربيع الأول سنة ٧١٥ ومنع منه الطعام حتى مات جوعًا. ووجد له ثلاث مائة ألف ألف دينار كما حكاه الجزري. واستبعد ذلك الذهبي وقال: إن هذا المقدار يكون حمل خمسة آلاف بغل وما سمع بذلك عن أحد من كبار السلاطين ولا سيما وهو خارج عن الجواهر والحلي والخيل والسلاح وغير ذلك.

ومن عجب الدهر أنه دخل عليه في عام موته من غلاته ستماية ألف إردب(٢) ومات جوعًا.

وكان أعجوبة في الكرم فإنه أعطى واحدًا ألف دينار وأربعة آلاف أردب وأعطى لآخر أربعة آلاف أردب وألف رأس غنم، وكان مشهورًا بالشجاعة والفروسية حتى كان لا يتحرك على ظهر فرسه إذا ركبه.

١٨٩ ـ **سَيْف بن موسىٰ بن جَعْفَر البحراني المسكتي**: وفد إلينا إلى صنعاء سنة

---

(١) ترجمته في النوات ٢/ ٢٤٢.

(٢) الإردب: مكيال يسع أربعة وعشرين صاعًا.

١٢٣٤ راجعًا من الحج وله حرص على العلم وشغف بالبحث عن المسائل، كان يصل إليّ وقد كتب مسائل في قراطيس ثم يسأل عنها فأجيب عليه فيكتب الجوابات في تلك القراطيس وهو أديب لبيب متودد حسن الأخلاق فصيح اللسان قرأ في بلاده في الآلات والفقه والحديث والتفسير، والأصول والكلام وعلم الحكمة الإلهية وذكر لنا أنه قد وليَ قضاء بعض البلاد الراجعة إلى مسكات وهو مكان يقال له صحار بمهملات، وذكر لنا أنه لم يبقَ على مذهب الخارجية في بندر مسكات إلا صاحب أمرها ومن يلوذ به والباقون على مذهب الشافعية والحنفية، وفيها إمامية هو منهم ولكن مع إنصاف وفهم. كتب إليّ من شعره هذه الثلاثة الأبيات:

يا من أتىٰ صنعاء يبغي مفخرا ويرومُ مجداً أو علوّ الشان
فليأتِ ناديٰ حَبْرَها وعميدُها قطبُ الأوانِ محمد الشوكاني
حبر تدفّقَ مثل بحرٍ علمهُ هذا وليس له بصنعا ثاني

وله أشعار كثيرة جيدة وهذا المقطوع يدل على ما وراءه وسافر من صنعاء في شهر شوال سنة ١٢٣٤.

حرف الشين المعجمة

١٩٠ ـ شاه إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن علي بن موسى بن إسحاق الأردبيلي سلطان العجم[١]: لم أقف على تاريخ مولده ولا على تاريخ وفاته، ولكنه معارض لسلطان الروم السلطان سليم وقد تقدم تاريخ موته.

وكان سلف صاحب الترجمة مشايخ متصوفة يعتقدهم الملوك ويعظمهم الناس ويقفون عندهم في زواياهم.

وقد كان تيمور يعتقد موسىٰ بن إسحاق المذكور في نسب صاحب الترجمة وكان شاه رخ الآتي ذكره يعتقد علي بن موسى المذكور فلما جلس في الزاوية جنيد المذكور كثرت أتباعه فتوهَّم منه صاحب أذربيجان فأخرجه هو وأتباعه فخرجوا فقتل سلطان شروان جنيدًا ثم اجتمعوا بعد مدة على حيدر والد صاحب الترجمة فألبس أصحابه التيجان الحمر فسمّاهم الناس قزل باش فصار كأحد السلاطين فقتل، ثم اجتمعوا بعد مدة على شاه إسماعيل صاحب الترجمة وكثرت أتباعه فغزا سلطان شروان فكان الغلب لصاحب الترجمة وأسر جيشه سلطان شروان فأمرهم أن يضعوه في قدر كبير ويأكلوه. ثم افتتح ممالك العجم جميعها وكان يقتل من ظفر به وما نهبه من الأموال قسمه بين أصحابه ولا يأخذ منه شيئًا. ومن جملة ما ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان وكاد أن يدعي الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره قال قطب الدين الحنفي في الأعلام أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس.

قال بحيث لا يعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل من

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٢١٧.

قتل النفوس ما قتله شاه إسماعيل وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبقَ من أهل العلم أحد في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم وكان شديد الرفض بخلاف آبائه ومن جملة تعظيم أصحابه له أنه سقط مرة منديل من يده إلى البحر، وكان على جبل شاهق مشرف على ذلك البحر فرمى نفسه خلف المنديل فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وغرقوا وكانوا يعتقدون فيه الألوهية ذكر ذلك القطب المذكور، ولم تنهزم له راية حتى حاربه السلطان سليم المتقدم ذكره فهزمه ثم صالحه بعد ذلك.

١٩١ ـ شاه رخّ بن تيمورلنك[١]: صاحب هراة وسمرقند وبخارى وشيراز وما والاها من بلاد العجم وغيرها بل ملك الشرق على الإطلاق تولى الملك بعد ابن أخيه خليل ابن أميران شاه بن تيمور المتقدم ذكره، وحمدت سيرته وكان يكاتب ملوك مصر ويكاتبونه ويهاديهم ويهادونه وكان ضخمًا وافر الحرمة نافذ الكلمة نحوًا من أبيه مع عفة وعدل في الجملة وميل إلى العلم وأهله ووصلت منه كتب إلى سلطان مصر يستدعي فتح الباري ولم يكن قد فرغ منه مؤلفه فجهَّز له بعضه، وجهزتُ بقيته بعد ذلك وكان متواضعًا محببًا إلى رعيته مكرمًا لأهل العلم قاضيًا لحوائجهم، لا يضع المال إلا في حقه ضعيفًا في بدنه يعتريه الفالج كثيرًا، يحب السماع بل يعرفه ويضرب بالعود مع حظ من العبادة والأوراد، ومحافظة على الطهارة الكاملة ويجلس مستقبل القبلة والمصحف بين يديه.

واتفق أنه طلب من الأشرف برسباي المتقدّم ذكره أن يأذن له في كسوة البيت لكونه نذر بذلك فأبئ الأشرف وخشن له في الرد، وترددت الرسل بينهما مرارًا وبالغ في طلب ذلك ولو تكون الكسوة التي يرسلها من داخل الكعبة أو يرسلها إلى الأشرف وهو يرسل بها وفاءً لنذره وهو يمتنع محتجًا بأجوبة أجاب بها عليه جماعة من المفتيين.

ثم إن المترجم له أرسل إلى برسباي جماعة زعم أنهم أشراف وعلى يدهم خلعة له فاشتد غضبه من ذلك ثم جلس بالأصطبل السلطاني واستدعاهم ثم أمر بالخلعة فمزقت وضربهم بحيث أشرف عظيمهم على الهلاك ثم ألقوا منكسين في فسقة ماء بالأسطبل والخدم ممسكون بأرجلهم يغمسونهم بالماء حتى أشرفوا على الهلاك والسلطان مع ذلك يسب مرسلهم جهارًا ويحط من قدره مع مزيد تغير لونه لشدة غضبه ثم قال لهم وقد جيء بهم إلى بين يديه بعد ذلك قولوا لشاه رخ: الكلام الكثير لا يصلح إلا من النساء وكلام الرجال لا سيما الملوك إنما هو فعل وها أنا قد أبدعت فيكم كسرًا لحرمته فإن كان له مادة وقوة فليتقدم فلما بلغ ذلك إليه سكت عن مطلوبه مدة حياة الأشرف ولما استقر

---

(١) ذكره صاحب الشذرات بالجزء ٧/ ٢٦٩.

الملك الظاهر بعد الأشرف أرسل إليه بهدايا وتحف وأظهر السرور بسلطنته وذكر أنها دقت لذلك البشائر بهراة وزينت أيامًا فأكرم الظاهر قصاده، وأنعم عليهم، ثم أرسل في سنة ٨٤٦ ست وأربعين وثمان مائة يستأذن في وفاء نذره فأذن له حسمًا لمادة الشر، ودفعًا للفتنة. فصعب ذلك على الأمراء والأعيان فلم يلتفت السلطان إلى كلامهم ووصل رسله بها في رمضان سنة ٨٤٨ في نحو مِائة نفس منهم قاضي الملك وهو مشهور بالعلم ببلادهم وتلقاهم الأمراء والقضاة والمباشرون وأنزلوا وأكرموا ثم صعدوا بالكسوة وهدية فأمر أن يأخذها ناظر الكسوة بالقاهرة ويبعثها لتلبس من داخل البيت وانصرفوا.

فلما وصلوا باب القلعة أخذهم الرجم من العامة والسب واللعن وناهبوهم، وتألم السلطان لذلك وأمسك بعض المثيرين للفتنة وقطع أيدي جماعة منهم وضرب جماعة وبالغ في إكرامهم لجبر الخواطر ومع ذلك تحرَّك صاحب الترجمة للبلاد الشامية فلما وصل النواحي السلطانية مات وذلك في سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمان مائة ويقال أن الكسوة كانت لا تساوي ألف دينار.

١٩٢ ـ شاه شجاع بن محمد بن مظفَّر ملك شِيرَازْ وعِرَاق العَجَمْ(١): استقرَّ في الملك بعد أن سجن أباه وقرَّر أخاه شاه محمود في بلاد أصفهان وقم وقاشان وكان لصاحب الترجمة اشتغال بالعلم واشتهار بقوة الفهم ومحبة العلماء، وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويجيز على المدائح وقصد من سائر البلاد ويقال أنه كان يقرأ الكشاف، وكتب منه نسخة بخطه الفائق وكان يعرف الأصول والعربية وله أشعار كثيرة بالفارسية، وطالت أيامه وكان حسن السيرة ولما استولى تيمور على بلاد العجم راسل ملوك عراق العجم وعراق العرب فبادر إلى مهادنته ومهاداته ليكفى شره فلما حضره الموت أوصى بمملكته لولده زين العابدين وأرسل إلى تيمور يوصيه عليه فاستقر ولده مكانه وكان صاحب الترجمة قد ابتلى بكثرة الأكل فكان يأكل ولا يشبع حتى كان إذا توجه إلى جهة تسير البغال محملة بالقدور التي عليها الأطعمة ولا يزال يأكل وهو يسير، ولم يكن يقدر على الصوم وكان يكفر وكان يبتهل إلى الله كثيرًا أن لا يجمع بينه وبين تيمور فأجيبت دعوته ومات في سنة ٧٨٧ سبع وثمانين وسبعمائة قبل مجيء تيمور إلى عراق العجم.

١٩٣ ـ السيّد شرف الدِّين بن أحمد بن محمّد بن الحُسَين بن عَبْد القادر بن الناصر بن عبد الرّب بن علي: ابن شمس الدِّين بن الإمام شرف الدّين أمير كوكبان وبلادها ولد في ربيع الآخر سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف واستقر في الإمارة بعد

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/٢٩٧.

عمه عيسى بن محمد بن الحسين وهو الآن مستمر على الإمارة وفيه عدل ورفق برعيته ولكنه يتعرض للكلام في المسائل العلمية إذا عرض ما يقتضي ذلك فيأتي بما لا يناسب رفيع قدره وقد كاتبني غير مرة وذاكرني في مسائل، ونصحته فأظهر القبول ولم يفعل، واتفق في سنة ١٢١٣ وهي السنة التي حررت فيها هذه التراجم أنه وصل منه كتاب يتضمن أنه قد صح لديه أن أول شهر شعبان يوم الاثنين وأن أول رمضان يوم الأربعاء على كمال العدة، وأرسل به إلى خليفة العصر حفظه الله فأرسل به الخليفة إليّ فأجبت أن ذلك ليس بسبب شرعي يجب الصوم عنده لأن صاحب الترجمة لم يكن مفتيًا حتى يكون (قوله صح عندي) سببًا يجب له الصوم، ولم يذكر الشهود حتى ينظر في شأنهم، ولا كتب الكتاب من بحضرته من العلماء حتى يجب علينا العمل بأقوالهم.

فلما وصل ذلك إلى مولانا الإمام حفظه الله بنىٰ عليه وترك الإشعار بدخول رمضان ولم يشعر بالصوم إلا ليلة الخميس، فلما بلغ ذلك صاحب الترجمة وقع عنده بموقع وكتب إلى مولانا يعاتبه ويقول أنها لم ترد شهادتهم على الشهر إلا هذه المرة، وأنه قد كثر التعنت في شأن الشهادات فلم يلتفت مولانا حفظه الله إلى ذلك.

ومن الغرائب أنه انكشف رجوع بعض الشهود الذين استند إليهم، وقد اتفق بيني وبينه تنازع في رجل من رعيته طلبه إلى موقف الشرع رجل من أهل صنعاء فلم يحضر فأرسلت له رسولاً ففرَّ إلى كوكبان فعاد الرسولُ بكتابٍ منه مضمونه أنها لم تجرِ العادة بالإرسال لرعيته، فأرسلت رسولين وأمرتهما بالبقاء في بيت الرجل فوصلا إلى بيته ففر إلى كوكبان فبقيا في بيته فعظم الأمر على صاحب الترجمة وتوجَّع من ذلك غاية التوجع، ثم بعد ذلك توسط بعض الناس على أن يحضر الرجل ويسلم أجرة الرسولين، وكثيرًا ما يجري بيني وبينه من هذا وما كنت أودُّ له التصميم في مثل هذه الأمور الشرعية فإنه كثير المحاسن لولا هذه الخصلة التي كادت تغطي على محاسنه وهو غير مدفوع عن بعض عرفان وحفظ للآداب لكنه ليس ممن يناظر في المسائل ويعارض في الدلائل وهو محبوب عند رعيته وذلك دليل عدله فيهم ولم أعرفه لعدم معرفتي لمحله.

ثم في صفر سنة ١٢٢٨ غزا مولانا الإمام المتوكل على الله بنفسه مع بعض جنده إلى بلاد كوكبان لأمر اقتضى ذلك وكنت معه واستولى على كوكبان وبلادها وبقينا في حصن كوكبان نحو ثلاثة أشهر وكنت قد نصحت الإمام بترك هذه الغزوة وأنه لا سبب شرعي يقتضي ذلك فصمم ولم يقبل ثم رجع صنعاء وأدخل معه صاحب الترجمة وجميع أعيان آل الإمام شرف الدين ولم يبقَ إلا الأقل منهم في تلك الجهة وجعل للبلاد الكوكبانية واليًا وجعل صورة الولاية لواحد من أهل كوكبان وهو (السيّد حسين بن

علي بن محمّد بن علي) ولم يكن له من الأمر شيء إلا مجرد الصورة فقط.

ثم استمر بقاء صاحب الترجمة وبعض الداخلين مع الإمام في صنعاء سنة كاملة وزيادة أيام يسيرة وأذن الإمام حفظه الله برجوعهم بلادهم، وفوض أمرها إلى صاحب الترجمة كما كانت قبل ذلك، وهو الآن مستمر على ولايته وعند الاجتماع به في كثير من الأوقات لا سيما بعد دخوله صنعاء في الحضرة الإمامية وجدت فيه من الظرافة واللطافة وحسن المحاضرة وجميل المعاشرة وقوة الدين وكثرة العبادة ما يفوق الوصف، وما زلتُ أعول على مولانا الإمام حفظ الله بإرجاعه بلاده على ما كان عليه. وكثرت في ذلك حتى ألهمه الله إلى ذلك فللّه الحمد. ثم في سنة ١٢٣٣ غزا البلاد الكوكبانية مولانا الإمام المهدي ابن الإمام المتوكل ووقعت حروب طويلة بينه وبين سيدي شرف الدين صاحب كوكبان، ثم رجع الإمام بعد أن حاصر كوكبان ثمانية عشر يومًا وأمرني بالبقاء في شبام لتمام الصلح فبقيت هنالك، ثم تمَّ الصلح على يدي ورجعت إلى صنعاء ومعي سيدي عبد الله بن شرف الدين وسيدي أحمد بن عباس بن إبراهيم في أهبة لهما كبيرة وجيش وخيل وسكنت الفتنة بحمد الله.

١٩٤ ـ السيّد شرف الدين بن إسماعيل بن محمّد بن إسحاق بن المهدي أَحْمد بن الحَسَنْ بن القَاسِم بن محمّد: ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف وهو أحد علماء العصر وفضلائه ونبلائه، له في كل علم نصيب وافر ولا سيما علم الأصول فهو المتفرد به غير مدافع، وقد صار الآن في نيف وسبعين سنة وهو من العلماء العاملين والفضلاء المتورعين مع حسن أخلاق وتواضع وطيب محاضرة وكرم أنفاس، وقد خرج في آخر أيام الإمام المهدي العباس بن الحسين إلى بلاد أرحب مغاضبًا لسبب اقتضىٰ ذلك وجرت حروب ثم بقي هنالك إلى بعد موت الإمام المهدي ودخل صنعاء في خلافة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله واغتنم الفرصة فرأىٰ له الخليفة حفظه الله بذلك حقًا وما زال معظمًا له مكرمًا لشأنه.

وفي سنة ١٢١٣ توفي عمه العبّاس بن محمّد بن إسحاق وكان أمر آل إسحاق راجعًا إليه فجعل مولانا الخليفة ذلك إلى صاحب الترجمة فباشر ذلك مباشرة حسنة، وقد أخبرني أنه نقل من رسائلي التي يطلع عليها نحو ثلاث أو أربع وذلك لشغفه بالعلم ومزيد رغبته فيه وإلا فهو عافاه الله لا يحتاج إلى مثل ما يحرره مثلي وهذا يعد من حسن أخلاقه وتواضعه ومحبته للفوائد العلمية وله رسائل رصينة وإذا حرر بحثًا جاء بما يشفي ويكفي وهو من بقايا الخير في هذا العصر لجمعه بين طول الباع في جميع العلوم مع علوم السن

والشرف بارك الله في أوقاته، ثم توفي رحمه الله في آخر شهر رجب سنة ١٢٣٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

١٩٥ ـ الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى[١]: قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جده ولصاحب الترجمة إسمان أحدهما شرف الدين، وهو الذي اشتهر به، والآخر يحيى، ولم يشتهر به ولد خامس عشر شهر رمضان سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمان مائة بحصن حضور. وقرأ على جماعة من العلماء منهم عبد الله بن أحمد الشظبي في التذكرة والأزهار وشرحه وفي الخلاصة في علم الكلام، وكان ذلك في أيام صغره ثم أعاد قراءة التذكرة على عبد الله بن يحيى الناظري، ثم قرأ على والده شمس الدين الطاهرية وشرحها لابن هطيل ثم الكافية وشرحها والنصف الأول من المفصل، ثم رحل إلى صنعاء في سنة ٨٨٣ فتمم قراءة المفصل على الفقيه علي بن صالح العلفي، ثم قرأ شرحه على الفقيه محمد بن إبراهيم الظفاري وقرأ عليه الرضي شرح الكافية وقرأ عليه الشافية في الصرف وشرحها وتلخيص المفتاح والمفتاح للسكاكي على السيّد الهادي بن محمد وقرأ عليه الكشاف ومختصر المنتهى وشرحه للعضد، وقرأ في الحديث شفاء الأوام وأصول الأحكام، وبعض جامع الأصول على الإمام محمد بن علي الوشلي وقرأ في كثير من الفنون، وبَرع في العلوم العقلية والنقلية واشتهر علمه وظهرت نجابته وأكبَّ على نشر العلم ثم دعا إلى نفسه في العشر الأولى من جمادى الأولى سنة ٩١٢ وكان بالظفير فبايعه العلماء والأكابر وتلقاها أهل جبال اليمن بالقبول وكانت جهات تهامة واليمن الأسفل إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب، وما زالت بينه وبين الإمام مجاولات ومصاولات، ثم اتفق خروج طائفة من الجراكسة إلى سواحل اليمن في سنة ٩٢١، فكاتبوا السلطان عامر بن عبد الوهاب أن يعينهم بشيء من الميرة لكونهم خرجوا من الديار المصرية لمقاتلة الإفرنج الذين في البحر يتخطفون مراكب المسلمين فامتنع عامر فدخلوا بلاده ومعهم البنادق ولم يكن لأهل اليمن بها عهد إذ ذاك فبعث إليهم جيشًا كثيرًا من أصحابه وهم في قلة فوقع التلاقي فرمى الجراكسة بالبنادق فلما سمع جيش عامر أصواتها ورأوا القتل منهم فروا فتبعهم الجراكسة يقتلون كيف شاؤوا، ثم فرَّ منهم عامر وتبعوه من مكان إلى مكان حتى وصل إلى قريب من صنعاء فقتلوه، ثم دخلوا صنعاء ففعلوا أفاعيل منكرة، ثم خرجوا قاصدين للإمام فوقع الصلح على أنهم يبقون في صنعاء والإمام يبقىٰ في ثلا واشترطوا ملاقاة الإمام فأشير عليه بعدم ذلك لما جبل عليه الجراكسة من الغدر والمكر ففعل فلما علموا ذلك عادوا إلى

---

(١) انظر هدية العارفين ٦/ ٥٣٠.

القتال فلم يظفروا بطائل ثم في خلال ذلك بلغهم قتل سلطانهم قانصوه الغوري على يد ابن عثمان صاحب الروم فرجعوا ولكن قد عبثوا باليمن وقتلوا النفوس وهتكوا الحرم ونهبوا الأموال وبعد ذلك دانت صنعاء وبلادها وصعدة وما بينهما من المدن بطاعة الإمام ثم إن الإمام غزا إلى بلاد بني طاهر فافتتح التعكر وقاهرة تعز وحراز ثم كان خروج سليمان باشا بجند من الأتراك ووصل إلى زبيد وتعز ثم استفتح الإمام جازان وبلاد أبي عريش وسائر الجهات التهامية ثم حصل بين الإمام وولده المطهر بعض مواحشة لأسباب مشروحة في سيرته ووقع من المطهر بعض الحرب لوالده ولأخيه شمس الدين واتفقت أمور يطول شرحها كانت من أعظم أسباب استيلاء الأتراك على كثير من جهات اليمن واستقرَّ الإمام بكوكبان ثم انتقل إلى الظفير وامتحن بذهاب بصره فصبر واحتسب، وأقام لا شغلة له بغير الطاعات حتى توفاه الله ليلة الأحد وقت صلاة العشاء الآخرة سابع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ خمس وستين وتسعمائة، ودفن بحصن الظفير، ومشهده هنالك مشهور، وله مصنفات منها: (كتاب الأثمار) اختصر فيها الأزهار، وجاء بعبارات موجزة نفيسة شاملة لما في الأزهار وحذف ما فيه تكرار، وكان على خلاف الصواب وله شعر جيد فمنه القصيدة المسماة بقصص الحق التي مطلعها:

لكُمْ من الحبِّ صافيهِ ووافيهِ ... ومن هوىٰ القلبِ باديهِ وخافيهِ

ومن شعره القصيدة التي قالها عند فتحه لصعدة وزيارته لمشهد الإمام الهادي وأولها:

زرناكَ في زَرَدِ الحديدِ وفي القنا ... والمشرفيةِ والجيادِ الشُّزبِ
وجحافلٌ مثلَ الجبالِ تلاطمتْ ... أمواجهنَّ بكلِّ أصيدِ أغلبِ
من كلِّ أبلجٍ من ذؤابةِ هاشمٍ ... وبكلِّ أروعَ من سُلالةِ يعربِ
وأعاجمٌ تركٌ ورومٌ قادةٌ ... وأحابشٍ مثلَ الأسود الوثَّبِ

١٩٦ ـ شعبان بن سليم بن عثمان الرومي الأصل الصّنعاني المولد والمنشأ والوفاة[١]: الشَّاعر المشهور والحكيم الماهر، وهو من أولاد من تخلف من الأتراك عن الرجوع إلى بلاد الروم بعد زوال دولتهم بدولة الأئمة الإمام القاسم وأولاده، وكان والده من أجناد علي بن الإمام المؤيد بالله، ثم ولد ولده شعبان سنة ١٠٦٥ خمس وستين وألف.

وكان له معرفة بالطب كاملة وله المنظومة في خواص النباتات جاء فيها بفوائد جمة

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٤١٧.

وله ديوان شعر فيه الجيد فمن مقطعاته الفائقة قوله:

يا أسرةَ الحبِّ إن عزَّ التخلّصَ مِنْ   أسرِ الغرامِ وذقتمْ في الهوىٰ الهُونا
قيلوا بنا عند من بعنا بحبهمُ   قلوبنا فعساهمُ أَنْ يقيلُونا

وكان الفقيه الأديب أحمد بن حسين الرقيّحي يذكر أنه يودُّ أنْ يكون له هذا المقطوع بجميع شعره وكان يعتاش بالتطبب ويمدح الأكابر بآدابه ثم بعد ذلك عجز وأقعد، وكان يحتاج فيبيع بنات فكره بأبخس الأثمان من كل من يطلبه ذلك من السوقة إذا راموا شيئًا من الشعر في محبوب لهم أو نحو ذلك، وما زال يكابد الفقر والفاقة حتى مات في شهر ربيع الآخر سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف ومما أجاد فيه قوله في الحمامة:

شكوتُ إلى الحمامةِ حين غنَّتْ   ضنىٰ جسدي وأشجاني وشوقي
فرقَّتْ لي وقالتْ مثلَ هذا   وحقكَ ليسَ يدخلُ تحتَ طوقي

١٩٧ ـ شعبان بن محمّد بن قلاون الملك الكامل بن الناصر بن المنصور[١]: وليَ السلطنة في ربيع الآخر سنة ٧٤٦ بعد أخيه الصالح إسماعيل بعهدٍ منه وكان شقيقه وامتنع جماعة من الأمراء من مبايعته، ثم وافقوا وسلطنوه فاتفق أنه لما ركب من باب القصر لعب به الفرس فنزل عنه ومشىٰ خطوات حتى دخل الإيوان فتطير الناس من ذلك وقالوا: لا يقيم إلا قليلاً فكان الأمر كذلك واستعفىٰ النائب من النيابة لما يعرف من طيش شعبان وباشر السلطنة بمهابة فخافوه، ثم أقبل على اللهو والنساء وصار يبالغ في تحصيل الأموال وإنفاقها عليهن واشتغل باللعب بالحمام فقام عليه الأمراء واحتجوا بأن والده الناصر قال من تسلطن من أولاده ولم يسلك الطريق المرضية فجروا برجله وملكوا غيره فخلعوه بعد سنة وأشهر وقرروا أخاه المظفر حاجي المتقدم، وذلك في أول يوم من جمادى الآخرة[٢] سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة وأعدم بعد ذلك.

١٩٨ ـ شيخ المحمودي ثم الظاهري الجركسي[٣]: ولد تقريبًا سنة ٧٧٠ سبعين وسبعمائة فعرض على الظاهر برقوق وكان جميل الصورة فرام شراءه من جالبه فاشتط في الثمن وكان ذلك قبل أن يلي برقوق السلطنة، ثم مات مالكه فاشتراه الخواجة محمود

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٥٠ ـ ١٥١.
(٢) في شذرات الذهب ٦/ ١٥١: خلع في جمادى الأولى من سنة ٧٤٧ هـ وخنق في يوم الأربعاء ثالث الشهر المذكور وقرروا أخاه المظفر حاجي.
(٣) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

بثمن يسير فنسب إليه وقدمه لبرقوق وهو يومئذ أتابك العسكر فأعجبه وأعتقه فنشأ ذكيًا فتعلم الفروسية من اللعب بالرمح والرمي بالنشاب والضرب بالسيف والصراع وسباق الخيل وغير ذلك ومهر في جميع ذلك مع جمال الصورة وكمال القامة وحسن العشرة وما زال يترقىٰ حتى صار أمير عشرة وتأمر على الحاج سنة ٨٠١ بعد موت برقوق وناب في طرابلس.

ولما حاصر تيمور حلب خرج مع العسكر فأسر ثم خلص منه بحيلة عجيبة، وهي أنه ألقى نفسه بين الدواب فستره الله ومشىٰ إلى قرية من أعمال صفد ودخل القاهرة وأعيد كما كان لنيابة طرابلس، ثم وليَ نيابة الشام وجرت له خطوب وحروب، ثم تغلب على السلطنة وتم له ذلك، واستمر سلطانًا خمس سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام.

وكان شهمًا شجاعًا عالي الهمة كثير الرجوع إلى الحق محبًّا للعلماء مكرمًا لهم يميل إلى العدل، ويحسن إلى أصحابه ويصفح عن جرائمهم، يحب الهزل والمجون ومحاسنه جمة وحدث بصحيح البخاري عن السراج البلقيني وفتح حصونًا ثم جهز ولده إبراهيم المتقدم ذكره فظفر بابن قرمان، وأحضره أسيرًا ولما أصابته عين الكمال مات ولده إبراهيم بالسبب الذي قدمنا ذكره، ثم مات[1] هو بعده بقليل وذلك في أول المحرم سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمان مائة.

قال العيني: لما مات كان في الخزانة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار من الذهب وجمع ابن ناهض سيرته في مجلد حافل قرّظه له كل عالم وأديب، وكان يجل الشرع ولا ينكر على من مضىٰ من بين يديه طالبًا للشرع بل يعجبه ذلك وينكر على أمرائه معارضة القضاة في أحكامهم غير مائل إلى شيء من البدع، له قيام في الليل، وكان يعاب بالشح والحسد وكثرة المظالم التي أحدثها واتفق في موته موعظة فيها أعظم عبرة وهي أنه لما غُسِل لم توجد منشفة ينشف بها فنشف بمنديل بعض من حضر غسله، ولم يوجد له مئزر يستر عورته حتى أخذ له مئزر صوف من فوق رأس بعض جواريه، ولم يوجد له طاسة يصب عليه بها الماء مع كثرة ما خلفه من أنواع المال، وله مآثر كالجامع الذي بباب زويلة قيل: أنه لم يعمر مثله في الإسلام بعد الجامع الأموي وله مدارس وسبل ومكاتب وجسور.

---

(١) في الشذرات ٧/ ١٦٥: توفي يوم الاثنين تاسع محرم سنة ٨٢٤.

حرف الصاد المهملة

١٩٩ ـ صالح بن صدِّيق النمّازي بالنون والزاي الخزرجي الأنصاري الشافعي[1]: رحل إلى زبيد فأخذ عن جماعة من علمائها، ومن جملة مشائخه عبد الرحمٰن بن علي الديبغ، ثم عاد إلى وطنه مدينة صبيا فلم يطب له المقام بها فرحل إلى حضرة الإمام شرف الدين ولازمه وحضر مجالسه وشرح الأثمار شرحًا مفيدًا ومات بمدينة جبلة سنة ٩٧٥ خمس وسبعين وتسعمائة.

٢٠٠ ـ السيّد صَالح بن عبد الله بن علي بن داود بن القَاسِم بن إبراهيم بن القَاسِم بن إبراهيم بن الأمير محمّد ذي الشرفين المعروف بابن مغل: ولد في رجب سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة في بلد حبور من جهة ظليمة. واتصل بالإمام الحَسَن بن علي بن داود المتقدم ذكره، ثم اتصل بعده بالإمام القَاسِم بن محمّد وولده المؤيد بالله، وكان يكتب للأئمة في جميع ما ينوبهم، وله فصاحة ورجاحة وتعبد وتأله، وله شعر فائق فمنه القصيدة المشهورة التي أولها:

ضاعَ الوفاءُ وضاعتْ بعدهُ الهِمَمُ ... والدينُ ضاعَ وضاعَ المجدُ والكرمُ
والجورُ في الناسِ لا تُخفىٰ معالمهُ ... والعدلُ من دونهِ الأستارُ والظِلمُ
وكلُّ مَنْ تابعَ الشيطانَ محتَرَمُ ... وكلُّ مَنْ عَبَدَ الرحمٰن مهتضِمُ

وهي طويلة وفيها مواعظ واستمر متصلاً بالأئمة قائمًا بأعمالهم على أوفر حرمة حتى مات يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف بشهارة، وقبر عند قبر جده ذي الشرفين متصلاً بقبره من جهة الشرق.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٤٢٣.

٢٠١ ـ صالح[١] بن عُمَر بن رسلان[٢] بن نُصَيْر صَالِح عَلَم الدِّينْ العَسْقَلاني البلقيني الأصل: القاهري الشافعي ولد في ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها في كنف والده سراج الدين، فحفظ القرآن والعمدة وألفية النحو، ومنهاج الأصول والتدريب لأبيه، والمنهاج وأخذ عن أبيه والزين العراقي، والمجد البرماوي والبيجوري والعز بن جماعة والولي العراقي، والحافظ ابن حجر وغير هؤلاء من مشائخ عصره في فنون عدة، ودرس وأفتى ووعظ حتى قال بعض أهل الأدب:

وعظَ الأنامَ إمامُنا الحبرُ الذي ... سَكَبَ العلومَ كبحرٍ فضلٍ طافحِ
فشفىٰ القلوبَ بعلمهِ وبوعظهِ ... والوعظُ لا يشفي سوىٰ مَنْ صالحِ

ثم استقرَّ بعد صرف شيخه الولي العراقي في قضاء الشافعية بالديار المصرية في سادس ذي الحجة سنة ٨٢٦ فأقام سنة وأكثر من شهر ثم صُرف وتكرر عوده ثم صرفه، حتى كانت مدة ولايته في جميع المدد ثلاث عشرة سنة ونصف سنة. وكان إمامًا فقيهًا قوي الحافظة كثير التودد بسّامًا طلق المحيًّا مهابًا، له جلالة ووقع في صدور الخاصة والعامة يتحاشى اللحن في مخاطباته بحيث لا يضبط عليه في ذلك شاذة ولا فاذة سريع الغضب والرجوع سليمَ الصدر، وقد مدحه عدة من شعراء عصره وطارت فتاويه في الآفاق وأخذ عنه الفضلاء من كل ناحية طبقة بعد أخرى، حتى صار أكثر الفضلاء تلامذته، وصنَّف تفسيرًا وشرحًا على البخاري ولم يكمله وأفرد فتاوىٰ أبيه والمهم من فتاويه وأكمل تدريب أبيه وله القول المفيد في اشتراط الترتيب بين كلمتي التوحيد وله نظم ونثر في الرتبة الوسطىٰ ومات يوم الأربعاء خامس رجب سنة ٨٦٨ ثمان وستين وثمان مائة.

٢٠٢ ـ صالح بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني: ولد تقريبًا على رأس القرن الثاني عشر، وأخذ العلم عن جماعة من أهل العلم، واستفاد لا سيما في علم الحديث ورجاله فإنه قوي الفائدة فيه جيد الإدراك له.

وهو من صالحي الفتيان ونجباء شبان الزمان وله قراءة عليَّ في الصحيحين وسنن أبي داود وفي بعض مؤلفاتي.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٠٧.
(٢) ترجمة عمر رسلان بن نصير في شذرات الذهب ٧/ ٥١.

٢٠٣ ـ صَالِح بن محمّد بن قَلَاوُنْ[1]: ولد سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة ووليَ السلطنة بعد خلع الناصر حَسَنْ في جمادىٰ الآخرة سنة ٧٥٢. ولكنه لا تصرف له وإنما التصرف للأمراء، ثم خلع عن السلطنة في شهر شوال سنة ٧٥٥، وكان قوي الذكاء يَعرِف عدة صناعات، وحبس بعد خلعه بالقلعة عند أمه إلى أن مات في صفر سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة.

ومن مآثره الحسنة الوقف الذي وقفه بالديار المصرية على كسوة الكعبة.

٢٠٤ ـ صَالِح بن مهدي بن علي بن عَبْد الله بن سليمان بن محمّد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد بن منصور المقبلي ثم الصنعاني ثم المكي[2]: ولد في سنة ١٠٤٧ سبع وأربعين وألف في قرية المقبل من أعمال بلاد كوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن منهم السيّد العلاّمة محمد بن إبراهيم بن المفضل.

كان ينزل للقراءة عليه من مدينة ثلا إلى شبام كل يوم وبه تخرج وانتفع ثم دخل بعد ذلك صنعاء وجرت بينه وبين علمائها مناظرات أوجبت المنافرة لما فيه من الحدة والتصميم على ما تقتضيه الأدلة وعدم الالتفات إلى التقليد، ثم ارتحل إلى مكة ووقعت له امتحانات هنالك، واستقر بها حتى مات في سنة ١١٠٨ ثمان وإحدى عشرة مائة.

كتبت مولده فيما علق بذهني من كتبه فإنه ذكر فيها ما يفيد ذلك وهو ممن برع في جميع علوم الكتاب والسنّة وحقق الأصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وفاق في جميع ذلك. وله مؤلفات مقبولة كلها عند العلماء محبوبة إليهم متنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك، وفي عباراته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع وتلتذ بها القلوب ولكلامه وقع في الأذهان قلّ أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقىٰ على التقليد بعد ذلك وإذا رأى كلامًا متهافتًا زيّفه ومزّقه بعبارة عذبة حلوة وقد أكثر الحط على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية وعلى الأشعرية في بعض آخر وعلى الصوفية في غالب مسائلهم وعلى الفقهاء في كثير من تفريعاتهم وعلى المحدثين في بعض غلوهم ولا يبالي إذا تمسّك بالدليل بمن يخالفه كائنًا من كان. فمن مؤلفاته الفائقة حاشية (البحر الزخار) للإمام المهدي المسماة بـ(المنار) سلك فيها مسلك الإنصاف ومع ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب ولكن قد قيّد نفسه بالدليل لا بالقال والقيل، ومن كان كذلك فهو المجتهد الذي إذا أصاب كان له أجران، وإن أخطأ كان له أجر.

---

(١) ترجمته في ذيل العبر ص ٥٣: وفيه ولد سنة ٧٣٨ هـ.

(٢) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٦.

ومنها (العلم الشامخ) اعترض فيه على علماء الكلام والصوفية، ومنها في الأصول (نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب) جعله حاشية عليه ذكر فيها ما يختاره من المسائل الأصولية ومنها في التفسير (الإتحاف لطلبة الكشاف).

انتقد فيه على الزمخشري كثيرًا من المباحث وذكر ما هو الراجح لديه ومنها (الأرواح النوافخ) و (الأبحاث المسددة) جَمَع فيه مباحثَ تفسيريةٍ وحديثيةٍ وفقهيةٍ وأصوليةٍ ولما وقفت عليه في أيام الطلب كتبت فيه أبياتًا وأشرت فيها إلى سائر مؤلفاته وهي:

للّـــهِ درُّ المقبلـــي فـــإنـــه ... بحـــرٌ خِضَـــمٌ دانٍ بـــالإنصـــافِ
أبحـاثَـهُ قَـدْ سـدَّدَتْ سهمـاً إلـى ... نحـرِ التعصُّـبِ مـرهـفَ الأطـرافِ
ومنـارهُ علـمُ النجـاحِ لطـالـبِ ... مـــذ روّح الأرواحَ بـــالإتحـــافِ

وقد كان ألزمَ نفسُه السلوكَ مسلك الصحابة وعدم التعويل على تقليد أهل العلمِ في جميع الفنونِ ولما سكن مكة وقف عالمها البرزنجي محمّد بن عبد الرسول المدني على (العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشائخ) فكتب عليه اعتراضات فردّ عليه بمؤلف سماه (الأرواح النوافخ) فكان ذلك سبب الإنكار عليه من علماء مكة ونسبوه إلى الزندقة بسبب عدم التقليد والاعتراض على أسلافهم ثم رفعوا الأمر إلى سلطان الروم فأرسل بعض علماء حضرته لاختباره فلم يرَ منه إلا الجميل وسلك مسلكه وأخذ عنه بعض أهل داغستان ونقلوا بعض مؤلفاته.

وقد وصل بعض العلماء من تلك الجهة إلى صنعاء وكان له معرفة بأنواع من العلم فلقيته بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء فسألته عن سبب ارتحاله من دياره هل هو قضاء فريضة الحج؟ فقال لي بلسان في غاية الفصاحة والطلاقة: إنه لم يكن مستطيعًا، وإنما خرج لطلب (البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى لأن لديهم حاشية المنار للمقبلي وقد ولع بمباحثها أعيان علماء جهاتهم داغستان، وهي خلف الروم بشهر حسبما أخبرني بذلك. قال: وفي حال مطالعتهم واشتغالهم بتلك الحاشية يلتبس عليهم بعض أبحاثها لكونها معلقة على الكتاب الذي هي حاشية له وهو البحر فتجرّد المذكور لطلب نسخة البحر ووصل إلى مكة فسأل عنه فلم يظفر بخبره عند أحد، فلقي هنالك السيّد العلاّمة إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل الأمير فعرَّفه أنَّ كتاب البحر موجود في صنعاء عند كثير من علمائها. قال: فوصلت إلى هنا لذلك. ورأيته في اليوم الثاني وهو مكب في المدرسة على نسخة من البحر يطالعها مطالعة من له كمال رغبة وقد سر بذلك غاية

السرور وما رأيت مثله في حسن التعبير واستعمال خالص اللغة وتحاشي اللحن في مخاطبته، وحسن النغمة عند الكلام فإني أدركت لسماع كلامه من الطرب والنشاط ما علاني معه قشعريرة ولكنه رحمه الله مات بعد وصوله إلى صنعاء بمدة يسيرة ولم يكتب الله له الرجوع بالكتاب المطلوب إلى وطنه.

والمترجم له مع اتساع دائرته في العلوم ليس له التفات إلى اصطلاحات المحدثين في الحديث، ولكنه يعمل بما حصل له عنده ظن صحته كما هو المعتبر عند أهل الأصول مع أنه لا ينقل الأحاديث إلا من كتبها المعتبرة كالأمهات، وما يلتحق بها، وإذا وجد الحديث قد خرج من طرق وإن كان فيها من الوهن ما لا ينتهض معه للاحتجاج ولا يبلغ به إلى رتبة الحسن لغيره عمل به وكذلك يعمل بما كانت له علل خفيفة فينبغي للطالب أن يتثبت في مثل هذه المواطن وقد ذكر في مؤلفاته من أشعاره ولكنها سافلة بخلاف نثره، فإنه في الذروة ومن أحسن شعره أبياته التي يقول فيها:

قبَّح الإلهُ مفرِّقاً ... بينَ القَرَابةِ والصحابةِ

وقد أجاب عليه بعض جارودية اليمن بجواب أقذع فيه وأوله:

أطرِقْ كراً يا مقبلي ... فلأنتَ أحقرُ من ذُبابة

ثم هجاه بعض الجارودية فقال:

المقبليُ ناصبيّ ... أعمىٰ الشقاءُ بَصَرَهُ

وبعده بيت أقذع فيه.

وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم ولعل ذلك لما يريده الله لهم من توفير الأجر الأخروي. وكان ينكر ما يدعيه الصوفية من الكشف فمرضت ابنته زينب في بيته من مكة وكان ملاصقًا للحرم، فكانت تخبره وهي من وراء جدار بما فعل في الحرم وكان يغلق عليها مرارًا وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقًا. وذكر رحمه الله في بعض مؤلفاته أنه أخذ في مكة على الشيخ إبراهيم الكردي المتقدِّم ذكره.

٢٠٥ ـ صدِّيق بن رسَّام بن ناصر السوادي الصعدي: قرأ على الشيخ لطف الله بن محمد الغياث في علم الآلة وفاق فيه الأقران، وصار بعد شيخه المرجوع إليه في ذلك الفن وأخذ عنه جماعة من النبلاء وتميزوا في حياته ورحل بعد موت شيخه لطف الله، وهو من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء وله خلف صالح فيهم العلماء والفضلاء والنبلاء واتصل في آخر أيامه بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، فولاه القضاء في بلاد خولان الشام بمغارب صعدة.

ولم يزل على ذلك حتى توفاه الله وله حواش على كتب النحو والصرف مفيدة منقولة في كتب أهل صعدة وكان موته في سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف.

٢٠٦ ـ صدِّيق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي[١]: ولد تقريبًا سنة ١١٥٠ خمسين وماية وألف، وقرأ في زبيد على الشيخ محمّد بن علاء الدين صحيح البخاري وسنن أبي داود وغيرهما من الأمهات وقرأ على السيّد سليمان بن يحيى المتقدم الأمهات كلها سماعًا مكررًا، وله قراءة في الآلات وهو محقِّق في فقه الحنفية وقد أجاز له شيخاه المذكوران إجازة عامة بجميع ما يجوز لهما روايته وانتقل إلى المخا للتدريس هنالك وبقي أيامًا، ثم وصل إلى صنعاء في شهر القعدة سنة ١٢٠٣ ووصل إليَّ ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني، وجرت بيني وبينه مذاكرات في عدة فنون، ثم خطر ببالي أن أطلب منه الإجازة فعند ذلك الخاطر طلب مني هو الإجازة فكان ذلك من المكاشفة فأجزت له وأجاز لي وكان سنه إذ ذاك فوق خمسين سنة وعمري دون الثلاثين، ثم ما زال يتردد إليَّ، وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل وأكثرت الاعتراض على مسائل من فقه الحنفية وأوردت الدليل وما زال يتطلب المحامل لما تقوله الحنفية، فلما خلوت به قلت له: اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقادًا جازمًا؟ فإن مثلك في علمك بالسنّة لا يظن به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحًا ثابتًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل وإن قال به من قال ولا أدين الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر.

ثم وفد إلى صنعاء مدة أخرى بعد سنة ١٢٠٩ ووصل إليَّ ورجع إلى وطنه وبلغ بعد ذلك موته رحمه الله.

وكان ذكيًا فطنًا ساكنًا متواضعًا جيد الفهم قوي الإدراك.

٢٠٧ ـ السيّد صلاح بن أحمد بن مهدي المؤيدي[٢]: كان من عجائب الدهر وغرائبه فإن مجموع عمره تسع وعشرون سنة. وقد فازَ من كل فن بنصيب وافر، وصار له في الأدب قصائد طنانة يعجز أهل الأعمارِ الطويلة عن اللحاق به فيها.

وصنف في هذا العمر القصير التصانيف المفيدة والفوائد الفريدة العديدة فمن

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٧.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٤٢٧.

مصنفاته: (شرح شواهد النحو) واختصر شرح العباسي لشاهد التلخيص وشرح (الفصول) شرحًا حافلاً وشرح (الهداية) ففرغ من الخطبة، وقد اجتمع من الشرح مجلد وله مع ذلك ديوان شعر كله غرر ودرر وفيه معاني مبتكرة فمنه:

وصغيرةٌ حاولتُ فضَّ خِتَامها ... من بَعدِ فَرطِ تحننٍ وتلطُّفِ

وقلبتُها نحوي فقالتْ عندَ ذا ... قلبي يحدثني بأنَّكَ متلفي[1]

وهذا تضمين يطرب له الجماد وترقّ لحسنه الصم الصلاد، ومع هذه الفضائل التي نالها في هذا الأمد القريب، فهو مجاهد للأتراك محاصر لصنعاء مع الحسن والحسين ابني الإمام القاسم.

كان مطرحه في الجراف يشن الغارات على الأروام في جميع الأيام، وافتتح مدينة أبي عريش وغزا إلى جهات متعددة وكان منصورًا في جميع حروبه، وكان مجلسه معمورًا بالعلماء والأدباء وأهل الفضائل.

قال القاضي أحمد بن صالح في مطلع البدور: رأيته في بعض الأيام خارجًا إلى بعض المنتزهات بصعدة فسمعت الرهج وحركة الخيل فوقفت لأنظر فخرج في نحو خمسة وثلاثين فارسًا إلى منتزه وهم يتراجعون في الطريق بالأدبيات ومنهم من ينشد صاحبه الشعر ويستنشده. وكان هذا دأبه وإذا سافر أول ما تضرب خيمة الكتب وإذا ضربت دخل إليها ونشر الكتب والخدم يصلحون الخيم الأخرى ولا يزال ليله جميعه ينظر في العلم ويحرر ويقرر مع سلامة ذوقه وكان مع هذه الجلالة يلاطف أصحابه وكتابه بالأدبيات والأشعار السحريات من ذلك أبيات كاتب بها السيّد العلاَّمة الحسن بن أحمد الجلال منها:

أفدي الحبيبَ الذي قد زارني ومضىٰ ... ولاحَ مَبسَمهُ كالبرقِ إذْ وَمَضا

نضا عليّ حساما من لواحظهِ ... فظلتُ ألثمُ ذاكَ اللحظَ حينَ نضا

فأجابه السيّد الحسن بأبيات منها:

قد لاحَ سعدكَ فاغتنمْ حُسْنَ الرضا ... من أهلِ وَدِّكَ واستعضْ عما مضى

لما بَعَثْتَ لهمْ بطيفِكَ زائراً ... تحتَ الدجىٰ ولفضلهم متعرِّضا

بعثوا إليكَ كتائباً من كتبهِمْ ... هزموا بها جيشَ اصطباركَ فانقضىٰ

---

(١) أرجح أن البيتين لصلاح عز الدين المؤيدي وليس لصاحب الترجمة.

وهي أبيات طويلة وكذلك الأبيات الأولى، ومن شعر صاحب الترجمة الفائق قوله في التورية:

ومـــايـــسٌ أرشفنـــي ريقـــهُ   للّـهِ مـن غصـنٍ وريـقٍ وَرِيـقِ
نقـــىٰ خـــدٍ فـــوقـــهُ حمـــرةٌ   فصـرتُ مـا بيـن النقـا والعقيـقِ

وتوفي رحمه الله في سنة ١٠٤٨ ثمانٍ وأربعين وألف وعلى هذا فيكون مولده سنة ١٠١٩، وكان موته بقلعة غمار من جبل رازح، وقبر بالقبة التي فيها السيّد أحمد بن لقمان والسيّد أحمد بن المهدي ورثاه جماعة من شعراء عصره.

٢٠٨ ـ **السيّد صلاح بن حُسَين بن يحيىٰ بن علي الأخفش الصّنعاني**[(١)]: العالم المحقِّق الزَّاهد المشهور المتقشِّف المتعفِّف، أخذ العلم عن جماعة من علماء عصره منهم العبالي المشهور والقاضي محمد إبراهيم السحولي والقاضي علي بن يحيى البرطي، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه وكان يؤم الناس أول عمره بمسجد داود بصنعاء ثم بالجامع الكبير بها، ثم عاد إلى مسجد داود لأمور اتفقت.

وكان لا يأكل إلا من عمل يده يعمل القلانس ويبيعها ويأكل ما تحصل له من ثمنها ولا يقبل من أحد شيئًا كائنًا من كان وكان للناس فيه اعتقاد كبير وهو ينفر من ذلك غاية النفور.

وله في إنكار المنكر مقامات محمودة وهو مقبول القول عظيم الحرمة، مهاب الجناب وله مع الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين الإمام وولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم من هذا القبيل أمور يطول شرحها، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي بأحد مخالف للحق. وله شهرة عظيمة في الديار اليمنية ولا سيما صنعاء وما يتصل بها فإنه يضرب به المثل في الزهد إلى حال تحرير هذه الأحرف.

وله منذ مات زيادة على سبعين سنة. وكان طلبة العلم في عصره يتنافسون في الأخذ عنه وهو يمتحنهم بالأسئلة، فإذا رأى من أحد فطنة مال إليه وعظمه ونوّه بذكره وله مؤلف في النحو سماه (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف) جمع فيه فوائد نفيسة وشرحه شيخنا السيّد العلاَّمة عبد القادر بن أحمد بشرحٍ حافلٍ، وله رسالة في الصحابة سلك فيها مسلك التنزيه لهم على ما فيها من تطفيف لما يستحقونه، ومع ذلك اعترض عليها السيّد العلاَّمة عبد الله بن علي الوزير باعتراض سماه (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة) وحاصل ما في هذا الاعتراض هدم ما بناه السيّد صلاح من التنزيه

(١) انظر هدية العارفين ٥/٤٢٧.

للصحابة عن السب والثلب. فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

وكان بين هذين السيدين منافسة عظيمة ومناقضة ظاهرة وما زال الأقران هكذا ولكن إذا بلغت المنافسة إلى حد الحطِّ على خير القرون فأبعدها الله.

ولصاحب الترجمة نظمٌ فائق، فمن ذلك القصيدة الطويلة التي ذكر فيها علوم الاجتهاد وما يرجحه في المقدار المعتبر منها وتزييف قول من قال: إن علم المنطق من جملة علوم الاجتهاد ولعله يشير إلى السيّد عبد الله الوزير المذكور فإنه كان مشتغلاً بهذا الفن ومطلع القصيدة:

بتحميدك اللهمَّ في البدأِ أَنْطِقْ وإنْ لَمْ يقمْ مني بحمدكَ منطقُ

ولم يزل مستمرًا على حاله الجميل في نشر العلم وعمارة معالم العمل وإشادة ربوع الزهد حتى توفاه الله في سنة ١١٤٢ اثنتين وأربعين ومائة وألف في يوم الأربعاء سابع وعشرين من رجب من هذه السنة وازدحم الناس على جنازته وغلقت الأسواق وأرَّخ موته الأديب أحمد الرقيحي فقال:

قضى صلاحُ نحبَهُ أفضلُ مَنْ فيها مشى
السيِّدُ الحَبْرُ الذي ما مِثلَهُ قطُ نشا
لا شكَّ أنَّ ربَّه قد خصَّهُ بما يشا
إن تأنس الحورُ به فكمْ لنا قدْ أوحشا
في رجبٍ من عامِهِ أرَّخَ صلاحُ الأخفشا

سنة ١١٤٢

٢٠٩ ـ السيّد صلاح بن جلال بن صلاح الدّين بن محمّد بن الحسن بن المهدي بن الأمير علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى[1]: ولد بهجرة رغافة سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة. وهو صاحب تتمة شفاء الأمير الحسين، لأن الأمير الحسين رحمه الله شرع بتصنيف الجزء الآخر من كتاب البيوع إلى آخره.

ثم شرع في تصنيف الجزء الأول فوصل إلى بعض كتاب النكاح وعاقه عن تمامه الأجل فكمله من كتاب النكاح إلى آخر كتاب الطلاق دون كتاب الرضاع السيّد العلاَّمة صلاح بن أمير المؤمنين إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن محمد، ثم كمل هذا المترجم له كتاب الرضاع ومات في سنة ٨٠٥ خمس وثمان مائة. وقد سلك هذان السيدان في تتمة

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٨.

كتاب الشفاء مسلك مصنفه الأمير الحسين رحمه الله في النقل والترجيح والتصحيح ولولا قيامهما بتمامه لم يبلغ من الحظ ما بلغ من اشتغال الناس به منذ زمان مصنفه إلى الآن كما هو شأن ما لم يكن كاملاً من الكتب، فإن الرغبة تقل فيه وقد كنت أرجو أن أجعل على هذا الكتاب حاشية أبين فيها ما لعله يحك في الخاطر من مواضع منه فأعان الله وله الحمد والمنة على ذلك وكتبت عليه حاشية تأتي في مقدار حجمه أو أقل سميتها: (وبل الغمام على شفاء الأوام). وكان الفراغ منها في رجب سنة ١٢١٣. وهو العام الذي شرعت فيه في تحرير هذه التراجم.

وقد سلكت في تلك الحاشية مسلك الإنصاف كما هو دأب من كان فرضه الاجتهاد، ومن نظر فيها بعين الإنصاف مع كمال أهليته عرف مقدارها.

حرف الضاد المعجمة

٢١٠ ـ ضياء بن سعد بن محمّد بن عمر القرَّمي ابن قاضي القوم العقيقي القزويني الشافعي[١]: أخذ عن أبيه الخلخالي والبدر القشيري وغيرهم، وسمع الحديث لما حج وقدم القاهرة وحظي عند الأشرف شعبان، ووليَ مشيخة البيبرسية في سنة ٧٦٧ وتدريس الشافعية بالسجونية.

وولاه الأشرف مشيخة مدرسته، وسماه شيخ الشيوخ وكان ماهرًا في الفقه والأصول والمعاني والبيان ملازمًا للتدريس لا يمل من ذلك وكان من ذوي المروءات كثير الإحسان إلى الطلبة سليم الباطن مات في ذي القعدة[٢] سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وعمره خمس وخمسون سنة وقد كتب إليه طاهر بن حسن بن حبيب هذين البيتين:

قلْ لربِّ العُلا ومَنْ طلبَ العِـ ... ـلمَ مجداً إلى سبيلِ السواءِ
إنْ أردتَ الخلاصَ من ظلمةِ الجهـ ... ـلِ فما تهتدي بغيرِ الضِّياءِ

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

قلْ لمَنْ يطلبُ الهدايةَ مني ... خِلتُ لَمْعَ السرابِ بركةُ ماءِ
ليسَ عندي من الضِّياء شعاعٌ ... كيفَ تبغي الهدىٰ من اسم الضِّياءِ

٢١١ ـ ضياء العجمي[٣]: قدم إلى دمشق وقرَّر في الخانكاه وأقرأ في النحو وكان

(١) ترجمته في ذيل العبر ص ٤٧٩ وفي شذرات الذهب ٦/٢٦٦: ضياء الدين عبد الله بن سعد الله بن محمد بن عثمان القزويني القرمي ويعرف بابن قاضي القرم العفيفي.
(٢) في شذرات الذهب ٦/٢٦٧: توفي في ثالث ذي الحجة سنة ٧٨٠ هـ.
(٣) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٧٨.

يثني على مقدمة ابن الحاجب واستفاد منه جماعة وكان حسن الأخلاق لكنه كان مغرمًا بمشاهدة الحسان من المردان، لا ينفك عن هوى واحد يتهتك فيه ويخرج عن طور العقل مع العفَّة، وكان يمشي وفي يده حزمة من الرياحين، فمن لقيه من المرد أدناها إلى أنفه فيشمها إياه فإن التمس منه ذلك ذو لحية قلبها وضربه على أنفه ثم علق بصبي من أبناء الجند وكان يخرج إلى سوق الخيل ليشاهده إذا ركب فقال له الشيخ كمال الدين بن الزملكاني لمَ عشقت هذا ولم تعشق أخاه وهو أحسن منه قال اعشقه أنت فقال: إنْ أذنت لي. قال: أنت ما تحتاج إلى إذن وقال شخص في مجلس ابن فضل إلى متىٰ أنت في عشقة بعد عشقة فأنشد ابن فضل الله:

الحبُّ أولىٰ بذاتي في تصرُّفِهِ مِنْ أَنْ يغادرني يوماً بلا شَجَنِ

فصاحَ وخرَّ مغشيًا عليه فلما أفاق قال نطقت عن ضميري وأنشده الشهاب محمود يومًا:

يقولونَ لو دَبّرتَ بالعقلِ حبُها ولا خيرَ في حبٍ يُدبَّرُ بالعقلِ

فصاحَ حتى سقط مغشيًا عليه واتفق أنه دخل مصر فرأى نصرانيًا نازعه في أمر من الأمور فضربه بعكاز في يده ضربة قضىٰ منها في الحال فتعصب عليه بعض الرؤساء إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل رحمه الله وهو مظلوم لا محالة لأن القائل بقتل المسلم بالكافر وهم الحنفية، لا يوجبون القصاص في القتل بالمثقل وسائر العلماء لا يقولون إنه يقتل مسلم بكافر وكان.وجود صاحب الترجمة في القرن الثامن.

حرف الطاء المهملة

٢١٢ ـ **طَطَر الملك الظاهر**[١]: كان في الابتداء من مماليك الظاهر برقوق، ثم ترقىٰ في سلطنة المؤيد حتى صار أحد المقدمين، ثم جعله في مرض موته متكلمًا على ابنه المظفر أحمد.

وسافر به بعد موت أبيه ثم استقر أتابكًا وأخذ في تمهيد الأمر لنفسه إلى أن خلع المظفر واستقر عوضه في المملكة يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ٧٢٤، ثم برز في سابع عشر رمضان عائدًا إلى القاهرة فوصلها في رابع شوال، ثم مرض ولزم الفراش إلى مستهل ذي القعدة وانتعش قليلاً ثم أخذ يتزايد مرضه إلى ثاني ذي الحجة فجمع القضاة والعلماء وعهد إلى والده محمد، ثم مات في رابع ذي الحجة من السنة المذكورة وله نحو خمسين سنة، ودفن من يومه بالقرافة فكانت مدته نيفًا وتسعين يومًا، وكان يحب العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع، وقد كان في آخر أيام المؤيد يحتاج إلى القليل، فلا يجده لكثرة عطائه حتى أنه أراد مكافأة شخص قدم له مأكولاً، فلم يجد شيئًا فسأل خواصه هل عندهم شيء يقرضونه؟ فكل واحد منهم يحلف أنه ليس عنده شيء إلا واحدًا منهم. فلم يكن بين هذا وبين استيلائه على المملكة بأسرها وعلى جميع ما في الخزائن السلطانية التي جمعها المؤيد سوىٰ أسبوع.

قال المقريزي: كان يميل إلى تدين وفيه لين وإعطاء وكرم مع طيش وخفة وشدة تعصب لمذهب الحنفية يريد أن لا يدع أحدًا من الفقهاء غير الحنفية وأتلف في مدته مع قصرها أموالاً عظيمة وحمل الدولة كلفًا كبيرة أتعَب بها من بعده، وقال ابن خطيب

(١) ترجمته في الدارس ١/ ٣٧٦.

الناصرية: إنه كان مائلاً إلى العدل وأهل العلم يحبهم ويكرمهم، ويتكلم في مسائل من الفقه على مذهب أبي حنيفة.

٢١٣ ـ طقطاي بن منكوتمر بن سَابرِخَان بن جَنْكِيزْخَان المِغَلي ملك التتار: كان واسع المملكة جدًا وعساكره تفوت الحصر حتى يقال: إنه جهّز جيشًا فأخرج من كل عشرة واحدًا فبلغوا مأتي ألف كذا قال ابن حجر في الدرر الكامنة. وهذا شيء لم يسمع في جيش ملك من الملوك وكانت مدة ملكه ثلاثًا وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة ٧١٢ اثنتي عشر وسبعمائة ولم يسلم بل كان يحب المسلمين خصوصًا الفضلاء منهم ومن كل الملل، ويميل إلى الأطباء والسحرة.

وأسلم ولده، ويقال إن عِرض مملكته ثمانية أشهر وطولها سنة قال بعضهم: وفيه عدل وميل إلى أهل الخير وكان يحب الأطباء ومملكته واسعة جدًا حتى يقال ثماني مائة فرسخ في ستمائة فرسخ وكان له ولد حسن الشكل فأسلم وأحب القرآن وسماعه.

٢١٤ ـ طِهمَاسِبْ مَلِكْ بلاد العجم: طارت أخباره إلى اليمن في وسط المائة الثانية عشر من الهجرة، وأخبر عنه الأغراب بقوة باهرة وسلطنة عظيمة، ومحصل ما بلغ عنه حسبما نقله من إدراك تلك الأيام من أهل هذه الأرض أنه كان خادمًا في بعض مشاهد الأئمة التي هنالك ثم بعد ذلك خرج إلى بعض الأمكنة ودعا جماعة من الناس إلى إتِّباعه فاتبعوه، وما زال أمره يظهر حتى استولى على ملك تلك الديار، وعلى سائر ممالك العجم وعلى ممالك العراق ثم لما تقرر ملكه لها غزا بجيوشٍ لا تحصىٰ إلى بلاد الهند وكان ملكها إذ ذاك يقال له (محمد شاه) فتلقاه بجيوش عظيمة فوقع المصاف بين الجيشين، وتطاول أيامًا وقتل في بعضها أمير أمراء ملك الهند، وكان من يليه في الرتبة من أمراء السلطان يطمع في أن يكون مكانه، فولىٰ السلطان رجلاً آخر فخامر عليه ذلك الأمير وانخزل بطائفة من جنوده إلى طهماسب فضعف بذلك السبب سلطان الهند، ثم سعى الأمير في الصلح بين الملكين فتواعدا للاجتماع إلى مكان عيَّناه فسبق إليه سلطان الهند ثم وصل طهماسب فقعد ونظر إلى سلطان الهند وهو يشرب التنباك ولحيته محلوقة فأنكر عليه ذلك ووبّخه، ثم تم الصلح على أنْ يدخل طهماسب بجيوشه إلى مدينة السلطان وهي مدينة عظيمة تسمى بي خور، ويكون أهلها في أمان ويعود سلطان الهند معه مكرمًا ويبقى في مملكته فدخلا تلك المدينة ولما حضرت صلاة الجمعة خافَ أهل الهند أن يغير طهماسِبْ رسومهم في الخطبة إلى رسوم العَجَمْ فلم يفعل بل تركهم على حالهم ففرحوا بذلك وكان جيشه منتشرًا في جميع المدينة نازلين مع أهلها فكان أوباش الهند إذا ظفروا بواحد من جيوش طهماسب قتلوه غيلة وأفنوا بهذا السبب جماعة كثيرة

فبلغ السلطان طهماسب ذلك فبحث عنه، وتفقد أصحابه ففقد كثيرًا منهم فأمر جبوشه بقتل أهل المدينة فما زالوا يقتلون من وجدوه في ثلاثة أيام حتى بلغ القتلىٰ من الهند زيادة على مائة ألف، ثم أمرهم بعد اليوم الثالث برفع السيف ونادى بالأمان، وصادر أهل المدينة واستخرج ما معهم من الأموال، وأخذ من خزائن سلطانهم ما أحب أخذه ثم ارتحل وقد دوخ بلاد الهند، وصار سلطانها المذكور نائبًا له فيها وعاد إلى بلادهم، ثم عزم على الغزو إلى مصر والشام والروم، وقد خافته الملوك وأيقنوا بأنه لا طاقة لهم به فكفى الله شره ودفع عن المسلمين ضره وسلط عليه جماعة من غلمانه تواطؤا عليه فقتلوه وهو على فراشه وكانت مدة ملكه تسع سنين. هذا حاصل ما علق بحفظي من أخبار من أخبرنا عن أخبار من أخبرهم في تلك الأيام من الغرباء الواصلين إلى هذه الديار.

ثم وصل إلى صنعاء (السيّد إبراهيم العجمي الحكيم) وكان أبوه من جملة الأطباء لطهماسب وذكر لنا من أخباره غرائب وعجائب، وأخبرنا أنه كان في ابتداء أمره سايسًا من سواس الجمال.

وكان عظيم الخلقة قوي البدن فاتفق أن ملك الهند غزا بلاد العجم وكان سلطانها إذ ذاك مشتغلاً باللهو والبطالة فما زال سلطان الهند يفتحها إقليمًا بعد إقليم ومدينة بعد مدينة حتى لم يبقَ إلا المدينة التي فيها سلطان العجم، وسلطان العجم مشتغل بما هو فيه من البطالة ثم التجأ سلطان العجم إلى بعض المشاهد المعتقد فيها في تلك المدينة خوفًا من صاحب الهند، فلما وقع منه ذلك قام صاحب الترجمة يدعو الناس إلى جهاد سلطان الهند ودفعه عن مدينة سلطان العجم التي قد أشرف على أخذها فتبعه جماعة وخرجوا من المدينة وهو أمامهم فهزموا جيوش سلطان الهند وتبعوهم وأخرجوا من قد كان منهم في مدائن العجم حتى أخرجوهم من بلاد العجم ثم رجعوا إلى المدينة، فصار صاحب الترجمة المتكلم في مملكة العجم. وما زال أمره يقوىٰ حتى خلع السلطان العجمي المذكور سابقًا وبعد ذلك غزا بلاد الهند مكافئًا لهم بما فعلوا في بلاد العجم، ووقع منه في بلادهم من القتل والأسر والنهب ما لا يأتي عليه الحصر ووصف لنا أنه لما كان من الهنود ما قدمنا من القتل لأصحابه غيلة خرج اليوم الثاني إلى سطح جامعها وهو مكان مرتفع وحوله فسحة كبيرة من جميع الجهات وكان لابسًا للحمرة وذلك علامة القتل، ثم صعد على سطح الجامع وجيوشه حول الجامع من جميع جهاته ينظرون إليه ويرتقبون ما يأمر به فاستقر ساعة، ثم أخذ سيفه وسله من غمده ووضعه مسلولاً وصاح الجيش صيحة واحدة وشهروا سلاحهم، وسعوا نحو المدينة يقتلون من وجدوه ثم استمر ذلك من أول اليوم إلى وقت العصر فوصل سلطان الهند وكان قد أمَّنه وعلم أنه لا ذنب له فيما وقع من

الهنود ووصل وعليه كفن منشور وسيف مشهور واضع له على رقبته ثم رمىٰ نفسه بين يدي صاحب الترجمة.

وقال: أيها السلطان قد كان هلك غالب أهل المدينة ووصل القتل إلى الأخيار ولم يقع ما وقع إلا من جماعة يسيرة من الأشرار. فلما سمع ذلك أخذ السيف الذي قد كان سله في أول اليوم فأغمده في غمده فذهب جماعة كثيرة من الباقين حوله يصيحون للجيش الذي صار يقتل أهل الهند فمن سمع الصائح رجع وترك القتل.

ثم من جملة ما ذكره لنا السيّد إبراهيم أن صاحب الترجمة صار لا يصبر بعد ذلك عن سفك الدماء وصار يقتل من لا ذنب له من أصحابه ورعيته فأجمع رأي ابن أخيه ونحو ثلثمائة نفر من جنده على قتله وهو في الغزو فدخلوا عليه وقد تساقط أكثرهم في الخيام من هيبته ثم قتلوه وله أخبار طويلة.

حرف الظاء المعجمة

٢١٥ ـ ظَافِر بن محمّد بن صَالِح بن ثابت الأنصاريّ العدوي: من شعراء المائة الثامنة له نظم جيد رواه عنه الشيخ أبو حيان وغيره وكان فقيرًا خيرًا، فمنه:

تميسُ فَتَخجلُ الأغصانَ تيهاً ... وتُزْرِئ في التلفُّتِ بالغَزَالِ
وتَحسَبُ بالإزارِ لقَدْ تغطَّتْ ... وقد أبدتْ به كلَّ الجمالِ
سلوها لم تغطي البدر تيهاً ... وتسمحُ للنواظرِ بالهلالِ
ولم تصليْ الحشا بالعتبِ ناراً ... وفي ألفاظها بردّ الزَلالِ

٢١٦ ـ ظَاهِر بن أحمد بن شَرَف الغصيني الفيومي[1]: ولد تقريبًا على رأس القرن الثامن وله فضيلة في النحو والفقه مع فهم ونظم كثير في مجلدات وباشر الأمر كأسلافه في تلك الناحية، ثم أعرض عنها لولده شرف الدين، وأقبل على العبادة والأوراد وصحب الشيخ محمد بن أحمد بن مهلهل، فعادت بركته عليه وحجَّ ودخل مصر، ومن شعره معرضًا بالعروض:

تواترتْ لكمالِ الدا بلياتي ... تحكي طويلَ مديدَ الذابلياتِ
وقد تقاربُ حقفي بالسريع إلى ... خفيفِ منسرحِ الأهوا المضلّاتِ

وله ديوان شعر مختص بالمدائح النبوية ومات في بضع وسبعين وثمان مائة.

٢١٧ ـ ظهيرة بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن حُسَين بن عليّ بن أحمد بن عَطية بن ظهيرة القرشي المكّي المالكي[2]: المعروف كسلفه بابن ظهيرة ولد في

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٣/ ١٤.
(٢) ترجمته في الضوء اللامع ٤/ ١٥.

ذي الحجة سنة ١٨٤١ إحدى وأربعين وثمان مائة فحفظ القرآن والأربعين النووية، ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، والرسالة لابن أبي زيد وألفية الحديث والنحو وعرض على ابن الهمام وآخرين، وتفقه بالقاضي عبد القادر وعنه أخذ العربية.

وأخذ الأصول والمنطق على ابن مرزوق وغيره، وكان دينًا كثير المحاسن بارعًا في الفقه والعربية. وليَ قضاء المالكية بمكة بعد ابن أبي اليمن في سنة ٨٦٨ وباشره بعفة ونزاهة، ثم انفصل عنه لضعف بصره، ولم يلبث أن مات ليلة الأحد ثامن ذي الحجة من تلك السنة.

حرف العين المهملة

٢١٨ ـ عَامِر بن عَبْد الوهَّاب بن داود بن طاهِر[١]: ولد سنة ٨٦٦ ست وستين وثمان مائة بالمقرانة محل سلفه، ونشأ في كفالة أبيه فحفظ القرآن واشتغل قليلاً، ثم ملك اليمن بعد أبيه ولقب الملك الظافر، فاختلف عليه بنو عامر فقهرهم وأذعنوا وملك اليمن الأسفل وتهامة، ثم صنعاء وصعدة وغالب ما بينهما من الحصون ولما خرج الجراكسة إلى اليمن غلبوه بالسبب الذي قدمته في ترجمة الإمام شرف الدين واستولوا على جميع ذخايره، وهي شيء يفوق الحصر وأخرجوه من مداينه وقتلوه[٢] قريب صنعاء في آخر شهر ربيع سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة. وقد شرح ما جرى له الديبع في (بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد) وفي (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون) وكان يحب العلماء ويكرمهم ويحب الكتب حتى اهتمَّ بتحصيل فتح الباري، ولم يكن إذ ذاك باليمن وكذلك كتب الخادم للزركشي، ولم تزل الحرب قائمة بينه وبين جماعة من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم فتارة له وتارة عليه.

ومحبة الرياسة والتنافس فيها من أعظم مصايب الأديان نسأل الله السلامة والعافية وقد رثاه الديبع بقوله:

أخلايَ ضَاعَ الذين من بعدِ عامرٍ ... وبعد أخيهِ أعدلَ الناسِ في الناسِ
فمـذ فُقِـدا واللّـهِ إنّنـا ... من الأمنِ والإيناسِ في غاية الياسِ

(١) ترجمته في النور السافر ص ١١٠ وفي الشذرات ٨/ ١٢٤.
(٢) في شذرات الذهب ٨/ ١٢٤: توفي يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر شهيدًا.

٢١٩ ـ السيّد عامر بن عليٍّ بن محمّد بن عليّ عمّ الإمام القَاسِم بن محمّد بن عليّ: قد تقدم تمام نسبه في ترجمة الحسن بن القاسم وهو المعروف بعامر الشهيد.

ولد سنة ٩٦٥ خمس وستين وتسعمائة، وقرأ على القاضي عبد الرحمٰن الرحمي، وقرأ العربية والكشاف على السيّد عثمان بن علي بن الإمام شرف الدين بشبَّام قبل دعوة الإمام القَاسِم، وسكن بأهله هنالك لطلب العلم ولما دعا ابن أخيه الإمام القَاسِم ببلاد قارة كتب إليه فوصل ثم توجه بجنودٍ فافتتح من بلاد الأمراء آل شمس الدين كثيرًا وكانوا أعضاد الوزير حسن والكخيا سنان، فما زال كذلك من سنة ١٠٠٦ إلى سنة ١٠٠٨. ثم إن جماعة من أهل قاعة غدروا به وقد كان تزوج بامرأة منهم هنالك وتفرق عنه أصحابه ولم يبقَ سواه فسعوا إلى الأتراك، وأخبروهم بتفرده فأقبلوا إليه وأحاطوا به ثم أسروه، وأدخلوه شبام فطافوا به في كوكبان وشبّام على جمل وأمير كوكبان يومئذ السيّد أحمد بن محمّد بن شمس الدين ثم إنه أرسل به إلى الأتراك مع جماعة إلى الكخيا سنان، وكان في بني صريم، فأمر به أن يسلخ فسلخ جلده وصبر فلم يسمع له أنين ولا شكوى بل كان يتلو سورة الإخلاص، وكان ذلك يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ١٠٠٨ ثمان وألف.

ثم إن سنانًا أملى جلده الشريف تبنًا وأرسل به على جملٍ إلى صنعاء إلى الوزير حسن فشهره على الدائر على ميمنة باب اليمن ودفن سائر جسده بجمومة من بني صريم، ثم نقل إلى خمر بأمر الإمام وقبره هنالك مشهور مزور.

ثم احتال بعض الشيعة فأخذ الجلد ودفنه على خفية وعليه ضريح هنالك وقبة على يمين الداخل باب اليمن ورثاه القاضي أحمد بن سعد الدين المسوَّري بأبيات منها:

أزائرٌ هـذا القبـرُ إنْ جئـتَ زائـراً ... ونلتَ به سهماً من الأجرِ قامِرا
وأدّيـتَ حـقَّ المصطفـىٰ ووصيّـه ... وأهليهِ لمّا زرتَ في اللّهِ عامِرا
سليلُ الكرامِ الشُّمِّ من آل أحمدَ ... ومَنْ كان للدينِ الحنيفي عامِرا

٢٢٠ ـ الإمام المهدي لدين الله العبَّاس بن الإمام المنصور بالله الحُسَين بن الإمام المتوكل: القَاسِم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمّد. ولد في سنة ١١٣١ إحدى وثلاثين ومائة وألف وقرأ قبل خلافته وبعدها، فممن قرأ عليه قبل خلافته السيّد العلاَّمة عبد الله بن لطف الباري الكبسي.

ثم كان في أيام والده الإمام المنصور بالله رئيسًا عظيمًا فخيمًا، ولما مات والده في سنة ١١٦١ أجمع الناس على صاحب الترجمة، فبايعوه واتفقت عليه الكلمة وبايعه من

كان خارجًا عن طاعة والده كعمه أحمد بن المتوكل. وكان إمامًا فطنًا ذكيًا عادلاً قوي التدبير عالي الهمة منقادًا إلى الخير مايلاً إلى أهل العلم محبًا للعدل منصفًا للمظلوم سيوسًا حازمًا مطلعًا على أحوال رعيته باحثًا عن سيرة عماله فيهم لا تخفى عليه خافية من الأحوال له عيون يوصلون إليه ذلك وله هيبة شديدة في قلوب خواصه لا يفعلون شيئًا إلا وهم يعلمون أنه سينقل إليه وبهذا السبب اندفعت كثيرٌ من المظالمِ، وكان يدفع عن الرعايا ما ينوبهم من البغاة الذين يخرجون في الصورة على الخليفة، وفي الحقيقةِ لإهلاك الرعية فكان تارةً يتألّفهم بالعطاء وتارة يرسل طائفة من أجناده تحول بينهم وبين الرعية.

وعظم سلطانه في اليمن وبَعُدَ صيته واشتهر ذكره، وقصده أهل العلم والأدب من الجهات البعيدة لمزيد إكرامه لمن كان له فضيلة، لا سيما غرباء الديار. وكان مشتغلاً بالعلم بعد دخوله في الخلافة شغلة كبيرة لا يبرح إذا خلى ناظرًا في كتاب من الكتب وقرأ على جماعة من العلماء، وكان إذا حدث حادث من بغي باغ أو خروج خارج عن الطاعة أهمه ذلك وأقلقه ولا يزال في تدبير دفعه حتى يدفعه وله صدقات وصلات وافرة جارية على كثيرين من الفقراء والضعفاء والقصاد والوافدين وفيه محاسن جمة وله سنن حسنة سنها.

وبه اندفعت مفاسد كثيرة كانت موجودة قبل خلافته. والحاصل أنه من أفراد الدهر ومن محاسن اليمن بل الزمن ولم يزل قاهرًا لأضداده قامعًا لحساده وأنداده حافظًا لأطراف مملكته بقوة صولة وشدة شكيمة لا يطمع فيه طامع ولا ينجع فيه خدع خادع، بل يتصرف بالأمور حسب اختياره ويتفرد بتدبير المهمات وليس لوزرائه معه كلام بل يعملون ما يأمرهم به، ولا يستطيعون أن يلبسوا عليه شيئًا من أمر المملكة أو يخادعونه في قضية من القضايا، وكان له نقادة كلية في الرجال وخبرة كاملة بأبناء دهره، وإذا التبس عليه حال شخص منهم امتحنه بما يليق به حتى يعرف حقيقة حاله وله قدرة كاملة على هتك ستر من يتظاهر بالزهد والعفاف والانقباض عن الدنيا في ظاهر الأمر لا في الواقع، فإنه يدخل عليه من مداخل دقيقة بجودة فطنته وقوة فكرته فيتضح له أمره ويحيط به خبرًا وله من هذا القبيل عجائب وغرائب وما زال على الحال الجميل حتى توفاه الله تعالى في شهر رجب سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف.

وأيامه كلها غرر ودولته صافية عن شوائب الكدر وما قامَ عليه قائم إلا دمره ولا خرج عليه خارج إلا قهره، وكان استقراره في جميع خلافته بصنعاء ومات بها ودفن بقبته التي أعدَّها لنفسه رحمه الله ورضي عنه. وبويع عند موته مولانا خليفة العصر ولده المنصور بالله رب العالمين علي بن العبّاس حفظه الله وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء

الله تعالى. وكان وزيره الأكبر الفقيه أحمد بن علي النهمي ما زال قائمًا بالمهم من أمره وأمر أكثر بلاده إليه من أول خلافته إلى قبيل موته بقليل وكان هذا الوزير من محاسن الزمن له محبة للخير وإقبال على الطاعة وميل إلى أهل العلم والصلاح ومواساة الضعفاء مع صدق لهجة وحسن اعتقاد وكان يغضب إذا قال له قائل إنه وزير أو عظمه أو وصفه بوصف له مدح فيه. ولم يأتِ بعده في مجموع خصاله مثله إلا الحسن بن علي حنش المتقدم ذكره، فإنه سلك طريقته وفاقه بكثرة البذل والعطاء ولكن لم يكن إليه من الأعمال ما كان إلى هذا فإن الذي إلى هذا من البلاد هو غالب البلاد اليمنية.

ولصاحب الترجمة أولاد، هم سادات السادات وكل واحد منهم لا يخلو عن فضيلة ويجمعهم جميعًا حسنُ الفروسية وجودة الخلق، والتمسك بنصيب من العرفان، وأكبرهم عَبْد الله توفي في حياة والده. وبعده مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله علي وستأتي ترجمته.

وبعده محمد وهو من أكابر آل الإمام وله نصيب من الكمالات وافر.

وبعده القاسم وهو من فحول السادات وأعيان القادات وله مشاركة في العلم جيدة.

وبعده يوسف وهو حسن الأخلاق كريم الأعراق.

وبعده أحمد وهو أوسعهم علمًا وأقواهم فهمًا له اطلاع كلي على علم التاريخ والأدب ومعرفة بفنون من العلم ومشاركة كلية في أنواع منه له شعر وفيه رغبة إلى المباحثة وهو كريم مطلق قليل النظير في مجموعه.

وبعده إسماعيل وهو قليل النظير في حسن أخلاقه وتواضعه وسلامة فطرته وعفافه وهؤلاء هم الكبار من أولاد صاحب الترجمة وهم كثيرون وجميعهم كما قال القائل:

مَـنْ تلـقَ منهـمْ تَقُـلْ لاقيـتَ سيـدهـمْ ... مثـلَ النجـومِ التـي يسـرىٰ بهـا السـاري

٢٢١ ـ السيّد العبَّاس بن محمّد المغربيّ التّونسي: قدم إلى صنعاء في سنة ١٢٠٠، وله معرفة بعلم الحروف والأوفاق رأينا منه في ذلك عجائب وغرائب وأخذنا عنه في علم الأوفاق لقصد التجريب، لا لاعتقاد شيء من ذلك، وكان إذا احتاج إلى دراهم أخذ بياضًا وقطعه قطعًا على صور الضربة المتعامل بها، ثم يجعلها في وعاء ويتلو عليها فتنقلب دراهم.

وكنت في الابتداء أظن ذلك حيلة وشعوذة فأخذت ذلك الوعاء وفتشته فلم أقف على الحقيقة فسألته أن يصدقني فقال: إن تلك الدراهم يجيء بها خادم من الجن يضعها

في ذلك الوعاء بقدر ما جعله من قطع البياض ويكون ذلك قرضًا حتى يتمكن من القضاء فيقضي، وكان يضع خاتم أحد الحاضرين في إناء ويجعل فيه ماء ويرتب فيسمع الحاضرون في ذلك الإناء صوتًا مفزعًا، ويرتفع ذلك الخاتم فيقع في حجر صاحبه، فظننت أنه يضع في الاناء تحت الخاتم شيئًا من المعادن يكون له قوة يدفع بها الخاتم، فتركته حتى وضع الاناء ووضع فيه الخاتم فقمت فأخذته فلم أجد فيه شيئًا. ثم أمرني أن آخذ إناءً آخر وأضع فيه ماء بيدي وأضع الخاتم من دون أن يمس هو شيئًا من ذلك، ففعلت وتلا فسمعنا ذلك الصوت وارتفع الخاتم ووقع في حجر صاحبه. وله من هذا الجنس عجائب وغرائب واتصل بخليفة العصر حفظه الله وكساه كسوة عظيمة، وأعطاه عطاءً واسعًا وكان يكثر التردد إليَّ وأنا إذ ذاك مشتغل بطلب العلم ثم عزم صحبة الحجاج فوصل إلى مكة وإذا جماعة من حجاج الغرب يسألون عنه حجاج اليمن ومن جملة من سألوا رفقته الذين حجَّ معهم من أهل اليمن فسألوهم عن حاله فأخبروهم أنَّ أباه من أكابر تجار الغرب وأنَّه مات وخلف دنيا عريضة وكذلك وصف لنا من رافقه من حجاج اليمن في الطريق من مروءته وإحسانه إليهم في الطريق، وشكره لأهل اليمن عند أصحابه وغيرهم ما يدل على أنه من أهل المروءات.

ومن جملة ما وصفوه أنهم وصلوا إلى البحر فعدم الماء في السفينة وهم بقرب جزيرة فيها ماء عذب ولكن فيها جماعة من اللصوص قد حالوا بين أهل السفينة وبين الماء واشتدت حاجتهم إلى الماء، ولم يقدر أحد على الخروج فاشتمل هذا السيّد على سيفه وخرج وأخرج معه قرب الماء فلما رآه اللصوص هربوا وكان طويلاً ضخمًا حسن الأخلاق أبيض اللون شديد القوة ويحفظ منظومة في فقه المالكية وله معرفة بمسائل من أصول الدين وكان يصمم على ما يعرفه فإذا ظهر له الحق مال إليه وكنت مرة أنا وشخص عندي كان يحضر عند اجتماعي بالسيّد فأخذنا من تحرير أوفاق قد حفظناها منه، ولم يكن حاضرًا فلما فرغنا من تحرير بعضها وضعناه في النار حتى التهب، ثم جعلناه في الطاقة فلم نشعر إلا بطائرٍ قد انقضَّ على تلك الورق التي تلتهب فأخذها وذهب فعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نقف للمترجم له على خبر بعد ارتحاله وقد كان يحكي لنا من أحوال أهل الغرب حكايات عجيبة وكان مدة الاجتماع به نحو ثلاثة أشهر أو أكثر.

٢٢٢ ـ عبد الباسط بن خَليل بن إبراهيم الدّمشقي ثم القَاهري[١]: قال السّخاوي هو أول من سمي بعبد الباسط ولد سنة ٧٨٤ أربع وثمانين وسبعمائة ونشأ في خدمة كاتب

(١) ترجمته في الضوء اللامع ص ٢٤.

سرها محمّد بن موسى بن محمّد الشّهاب محمود واختص به، ثم اتصل بالمؤيد شيخ حين كان نائبًا بدمشق ولازمه حتى قدم معه إلى الديار المصرية فلما تسلطن المؤيد أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها، وسلك مسلك عظماء الدولة في الحشم والخدم والمماليك من سائر الأجناس والندماء، وربما ركب بالسرج الذهب والسلطان زائد الإقبال عليه والتقريب له.

وتكرر نزوله غير مرة فتزايدت وجاهته بذلك كله وزاد تعاظمه حتى صار لا يسلم على أحد إلا نادرًا، فمقتته العامة وأسمعوه المكروه كقولهم يا باسط خذ عبدك فشكاهم إلى المؤيد فتوعدهم بكل سوء، فأخذوا في قولهم يا جبال يا رمال يا الله يا لطيف فلما طال ذلك عليه التفت إليهم بالسلام وخفض الجناح فسكتوا عنه وأحبوه، ولا يزال يترقىٰ إلى أن أثرى جدًا وأنشأ القيسارية المعروفة بالباسطية، وعمر الأملاك الجليل ثم صارَ في دولة السلطان ططر ناظر الجيش عوضًا عن الكمال بن البارزي في سابع ذي القعدة سنة ٨٢٤. فلما استقرَّ السلطان الأشرف بالغ في التقرب إليه بالتقادم والتحف، وفتح له أبوابًا في جميع الأموال فزاد اختصاصه به، وصار هو المعوَّل عليه وأضاف إليه الوزارة والأستاذ داريه فسدهما بنفسه وبعض خدمه إلى أن مات الأشرف، واستقر ابنه العزيز وكان من أعظم القائمين في سلطنته.

ثم صارت السلطنة إلى السلطان جقمق فخلع عليه باستمراره في نظر الجيش ثم قبض عليه وحبسه وطلب منه ألف ألف دينار فتلطف به الكمال بن البارزي وغيره من أعيان الدولة حتى صارت إلى ثلاث مائة ألف دينار، ثم أطلق وأُمِرَ بالتوجه إلى الحجاز، فسافر بعد أن خلع عليه وعلى عياله وحواشيه في ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٣. فأقام بمكة سنة ثم رجع مع الركب الشامي إلى دمشق امتثالاً لما أمر به فأقام بها سنين وزار منها بيت المقدس وأرسل بهدية من هناك إلى السلطان ثم قدم القاهرة فكان يومًا مشهورًا.

وخلع عليه وعلى أولاده ثم أرسل بتقدمة هائلة وعاد إلى دمشق بعد أن أنعم عليه السلطان بأمرة عشرين بها، ثم بعد سنين عاد إلى القاهرة مستوطنًا لها ثم حج وعاد فأقام قليلاً ومات يوم الثلاثاء رابع شوال سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة.

وكان رئيسًا محتشمًا سائسًا كريمًا واسع العطاء ممدوحًا محبًا للعلماء مفضلاً عليهم، وكان الحافظ ابن حجر من جملة من اتصل به وهو الذي ذكره في فتح الباري لما ذكر كسوة الكعبة حيث قال: ولم يزل الملوك يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر في سنة ٧٤٣ قرية من ضواحي القاهرة يقال لها: بيسوس.

كان اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال ثم وقفها على هذه الجهة قال: ولم تزل تكسىٰ من هذا الوقف إلى سلطنة المؤيد شيخ، فكساها من عنده سنة لضعف وقفها ثم فوض أمرها إلى بعض أمنائه وهو القاضي زين الدين عبد الباسط بسط الله في رزقه وعمره فبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها جزاه الله على ذلك أفضل المجازاة انتهى.

ومن غرائب ما اتفق لصاحب الترجمة أن جوهر القيقباي رَامَ أن يخدم عنده فما وافق ثم ترقى حتى صار صاحب الترجمة خاضعًا له ماشيًا في أغراضه راضيًا وكارهًا. وكذلك أحضرت أم العزيز إلى صاحب الترجمة ليشتريها قبل وصولها إلى الأشرف فامتنع فصارت إلى الأشرف وحظيت عنده، فصار المترجم له يمشي في خدمتها وسار معها إلى مكة يخدمها وربما مشى وهذا شأن هذه الدنيا.

٢٢٣ ـ عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن مثَّى بن أحمد بن محمّد بن عيسى بن يوسف بن عبد المجيد اليماني المخزومي تاج الدين[١]: ولد في رجب سنة ٦٨٥ خمس وثمانين وستمائة بمكة ودخل اليمن، فأقام بها مدة ثم قدم مصر بعد السبعمائة بيسير فأقام بها مدة وقدم الشام في زمن الأقرم فرتب له راتبًا واشتغل الناس عليه في العروض والمقامات ثم رجع إلى اليمن في سنة ٧١٦ وولاه المؤيد الرسولي الوزارة فاستمر فيها إلى أن مات المؤيد وولاه ابنه الظافر فقربه وعظمه، ثم صادره المجاهد واجتاح أمواله ففرَّ منه إلى مكة ودخل الديار المصرية في سنة ٧٣٠ فدرس بالمشهد النفيسي، ثم استوطن بيت المقدس وما زال يتردد بين حلب ودمشق ومصر وطرابلس حتى مات في سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة.

وكان له قدرة على النظم والنثر وكان يحط على القاضي الفاضل ويرجح عليه ابن الأثير وعمل تاريخًا لليمن، وتاريخًا للنحاة، واختصر تاريخ ابن خلكان في جزء وذيل عليه إلى زمانه وضبط ألفاظ الشفاء لعياض في جزء وله (مطرب السمع في حديث أم زرع) وغير ذلك وله اشتغال كبير بالفقه والأصول وفنون الأدب وله اختصار الصحاح وحكي عن بعض معاصريه أنه قال لا يعتمد عليه في الرواية، ومن شعره:

تجنّبْ أنْ تُذَمَّ بِكَ اللّيالي ... وحاولْ أن يُذم لك الزمانَ
ولا تحفلْ إذا كملتْ ذاتاً ... أصبتَ العز أمْ حصلَ الهوانَ

٢٢٤ ـ عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكليّ الضّمدي ثم

(١) ترجمته عند ابن رافع السلمي بالترجمة ٣٤٢.

الصّبيائي[1]: ولد سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف تقريبًا بصبيا ونشأ بها وقرأ على والده وغيره من أهل صبيا ثم رحل إلى صنعاء سنة ١٢٠٢ فأخذ عن أكابر علمائها كشيخنا السيّد العلاَّمة عبد القادر بن أحمد، والسيّد العلاَّمة علي بن عبد الله الجلال، والسيّد العلاَّمة عبد الله بن محمد الأمير، وشيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، وشيخنا السيّد العلاَّمة عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن المتوكل، والعلاَّمة علي بن هادي عرهب وغير هؤلاء وأخذ عني في فنون متعددة واختص بي اختصاصًا كاملاً وسألني مسائل كثيرة، فأجبت عليه بأجوبة مطولة ومختصرة، وعاد إلى وطنه وقد برع في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير والحديث في أقرب مدة لحسن فهمه وجودة تصوره وكمال إدراكه وقوة ذهنه، ثم ما زال بعد رجوعه إلى وطنه يكاتبني بالأشعار الرايقة فأجيب عليه بمضمون ما يكتبه إلي وهو مع ذلك يتأسف على مفارقتي، وأتأسف على مفارقته لما بيني وبينه من المودة الصادقة والمحبة الزائدة التي تفوق الوصف بل قد لا يتفق مثلها بين الأخوين الشقيقين وقد جرت بيني وبينه من المطارحات الأدبية نظمًا ونثرًا ما لا يتسع له إلا مجلد وفيه فصاحة ورجاحة مع حسن تودد ولطافة طبع وكرم أخلاق وملاحة محاضرة واستحضار لرايق الأشعار وفائق الأخبار لا يمل جليسه لما جبل عليه من موافقة كل جليس، وجلب خاطره بما يلايمه والوقوف على الحد الذي يريده ولهذا أحبته القلوب، وانجذبت إليه الخواطر ورغب إليه كل أحد، فعاشر أهل صنعاء وعرف طباعهم واختلاف أوضاعهم وصار أخبر بهم من أحدهم لا يخفىٰ عليه من أحوالهم دقيق ولا جليل.

ثم ارتحل إلى صنعاء رحلة ثانية، وكنت إذ ذاك مشغولاً بالتدريس والتأليف والإفتاء، ولكنه قد جفاني جماعة من الذين لا يعرفون الحقائق لصدور اجتهادات مني مخالفة لما ألفوه وعرفوه وهذا دأبهم سلفًا عن خلف لا يزالون يعادون من بلغ رتبة الاجتهاد وخالف ما دأبوا عليه ودرجوا من مذاهب الآباء والأجداد فوصل صاحب الترجمة في سنة ١٢٠٩ والمواحشة بيني وبين المذكورين زائدة ولهب نار الاختلاف صادعة فقرأ عليّ في مختصر المنتهى وشرحه لعضد الدين وحاشيته للسعد، وقرأ عليّ في الخزرجية وشرحها في العروض، وما زال يعادي أعدائي ويوادد أوداي ويقوم في غيبتي مقام الأخ الحميم ويتوجع من أحوال أبناء الزمن وما جبل عليه طلبة العلم في قطر اليمن ثم وصل إلى صنعاء مرة ثالثة في شهر رمضان سنة ١٢١١ وكنت إذ ذاك قد امتحنت بقبول القضاء الأكبر بعد الإلزام به من مولانا خليفة العصر حفظه الله فاستقر المترجم له في

(١) ترجمته بالتاج المكلل ص ٣٧٩.

صنعاء نحو نصف سنة يتصل بي في كل وقت، ويحضر في مواقف التدريس ومجالس المنادمة والتأنيس، ويطارحني بأدبياته، ويواصلني بفِقَرِه الفايقة وأبياته حتى ولاه مولانا الإمام حفظه الله قضاء بيت الفقيه بن عجيل بعد موت القاضي العلاَّمة عبد الفتاح بن أحمد العواجي.

وهو الآن قاض هنالك وقد باشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة وحرمة كاملة، وصدع بالحق بحسب الحال ومقدار ما يبلغ إليه الطاقة وقد أجزته بكل ما يجوز لي روايته، وهو مشارك لي في السماع من أكابر شيوخي وله قدرة على النظم والنثر وملكة كاملة في جميع العلوم عقلاً ونقلاً ولا يقلد أحدًا بل يجتهد برأيه وهو حقيق بذلك ولما وقف علي أبيات لي من الحماسة رضت القريحة بها مرغبًا في الرتبة الوسطى إذا أعجزت الغاية وهي:

إذا أعوز المرء الصعود إلى التي إليها تناهىٰ كل أروع أصيدِ
فمن دون تحليف النسور منازل تروح بها رقش البزاة وتغتدي
ودع عنك أدنىٰ مسرح العز إنه مطار بغاث الطير عند التبلدِ
فهم الفتى كل الفتى غير واقف على الدون إن الدون غير محمَّدِ
وفي الغايةِ الوسطىٰ تعلَّل مغرمٌ على الغايةِ القصوىٰ مقامَ التفردِ
أيا منزلاً من دونِ مضربه السهىٰ ويا مقعداً من دونهِ كلَّ مقعدِ
أرىٰ دون مرقا شأوكَ الموتُ واقفا لكلِّ الذي يهوىٰ لقاك بمرصدِ

فقال هذه الأبيات التي هي السحر الحلال وقد غاب عني أولها:

فتًى لا وحقِّ اللّهِ لولا قيامه ببابِ العلا والمجدِ لم يتجدَّدِ
وأبلجَ ما من آله وقبيلة على قلة السادات من لم يسودِ
أخو همة ما حاجب بن زرارة أخوها ولا العالي يزيد بن مزيدِ
وذو سلفٍ ما فيهم من مذممٍ لئيم ولا في غيرهم من محمّدِ
وأيمنُ أن تُصدِمَ به الفقرَ ينقلبُ غنياً وإن تُصدِم به النحسَ تُسعَدِ

ووقف على أبيات لي من ذلك الطراز الأول نظمتها لقصد امتحان الفكر وهي:

ولي سلفٌ فوقَ المجرَّةِ خيموا سرادقهم من دونهِ كلِّ كوكبِ
رقوا في مراقي العز شأواً ممنعاً وذادوا الورىٰ عنه بخطبِ المشطبِ
فما منهم في قومهِ غير سيدِ يروح ويغدو وهو بالمجدِ محتبي
وما بي عن أوساطهم من تخلُّفِ ولا ركبوا في مجدهم غير مركبي

ولكنهـا الأيـامُ يلبسُهـا الفتـىٰ على قـدرِ مَـنْ غـالـبٍ أو مُغلـبِ
إنـي امـرأ أمـا نجـاري فخـالـصٌ وأما فعالي فاسأل الدهر واكتبِ
ولسـت بلبّـاسٍ لشـوبٍ مـزوَّرٍ ولكنَّ ضوءَ الشمسِ غير محجبِ
وإن فتـى يغشـىٰ الـدنـايـا وبيتـه على قمة العليا فتًى غيرَ معتَّبِ
فمـا المـرءُ إلا مَـنْ ينـوءُ بنفسـهِ إلـى منـزلٍ فـوقَ السمـاءِ مطنـبِ
ولا خير في خفضٍ من العيش دونه تجرَّع كأس الذل من أي مشربِ

فقالَ عافاه ذو الجلال:

فديتُكَ يا مَنْ ألبسَ الدهرَ أدرُعاً بنظم يروعُ الجيشُ عَنْ كلِّ مطلبِ
نمـاكَ الأولـىٰ خَطَّـتْ أسِنَّـةَ ذبلهـمْ سطـوراً بمحمـرِ النجيـعِ المُتـرَبِ
خطوبٌ إذا جرَّد السلاهبَ أغمدتْ حِفـاظهـمْ أكـرِمْ بهـم خيـرَ مُقْنَـبِ
إذا النقعُ غطىٰ آية الشمسِ أطلعتْ أسنَّتهـم شهبـاً علـى كـل أشهـبِ

وكان الأولىٰ بالمقامِ ما دار بيني وبينه من الأشعار الرقيقة والمكاتبات التي دخلت إلى معاهد اللطافةِ من كل طريقة ولكن العذر أنه لم يحضر حال تحرير الترجمة غير هذا.

وأما الرسائل والمسائل التي أجبت بها على سؤالاته فهي كثيرة جدًا موجود أكثرها في مجموع رسائلي وإذ قد تعرضنا لذكر بعض مناقب هذا الفاضل فلنذكر ههنا بعض قرابته الذين بلغتنا أخبارهم بأخصر عبارة وأوجز إشارة. فمنهم والده العلامة المحقق:

أحمد بن الحسَن قاضي صبيا: هو من أكابرِ العلماءِ الجامعينَ بين علمِ العربيةِ والأصولِ والحديث والتفسير والفقه، وله رسائل ومسائل وأشعار أنيقة وقد وصل إلى صنعاء وأنا في أوائل أيام الطلب واجتمعت به في موقفين فرأيته من أحسن الناس مذاكرة وأملحهم محاضرة مع ظرافةِ ولطافةِ وجودة تعبير ودقة ذهن وقوة فهم وقد دارت بيني وبينه مكاتبة متضمنة لمشاعرة ومذاكرة ولم يحضر لي الآن منها شيء ولعله قد قارب الستين من عمره حال تحرير هذه الأحرف. ومنهم أخوه عم صاحب الترجمة:

عبد الرحمٰن بن الحسن البهكليِّ: قاضي الأشراف بأبي عريش وسائر جهاته، وهو من أكابر العلماء له يد طولى في علوم الاجتهاد وعنده من التحقيق والتدقيق ما يقصر عن البلوغ إليه كثير من علماء العصر، وقد كتب إليَّ بمسائل تعرض في جهاته وأجبت عنها بأجوبة لعلها لديه، وهو الآن حي طول الله مدته وهو أكبر من أخيه أحمد المذكور قبله. ومنهم أخو صاحب الترجمة:

إسماعيل بن أحمد: وصل إلى صنعاء لعل ذلك في سنة ١٢١٥ وبقي بها نحو عامين وقد كان شرع يقرأ على الشيوخ في العلوم الدينية، ثم بدا له الاشتغال بعلم الفلسفة فلم يظفر منها بطائل سوى تضييع الوقت وبطلان السعي وذهاب هجرته سدىٰ. ومنهم أخو صاحب الترجمة:

الحسَن بن أحْمد: وهو أصغر من الذي قبله، وصل إلى صنعاء سنة ١٢١٨ طالبًا للعلم بجد وجهد وعقل وسكون وجودة تصور وقوة إدراك. وهو الآن يأخذ عن أعيان مشائخ صنعاء في علوم الاجتهاد وله قراءة عليَّ في شرحي للمنتقى وغيره. ومن قرابة صاحب الترجمة ابن عمه:

أحمد بن محمّد البهكليّ: هو من العلماء المحققين وهو الآن عند صاحب الترجمة ولعل عمره ما بين الثلاثين والأربعين وقد كتب إليَّ بأبيات منها:

البدرُ يا بدرَ العلومِ الذي ... سناؤهُ الباهرَ بالنورِ لاحِ
لا يعتريهِ النقصُ إنْ ذمّهُ ... من الورىٰ الناقصِ والافتضاحِ
فاكبتْ أعاديكَ ولا تختشي ... فسوفَ يأتيكَ المنىٰ بالنجاحِ
وانض لهم عضبَ مقالٍ غدا ... يقدد الأعناق قدّ الصِّفاحِ
وارخِ عنان الطّرف إن خلته ... في حلبة الأبحاث يروي الصَحاحِ
وصُلْ عليهم صولةَ الليثِ في ... برازه معتقلاً للرِمَاحِ

ولما مات والدي تغشاه الله برحمته ورضاته كتب إليّ عافاه الله بقصيدة رثاه بها مطلعها:

هكذا الدهرُ شأنهُ لا يبالي ... قد رمانا بأسهمٍ ونصالِ

ومات سنة ١٢٢٧، ومن قرابة صاحب الترجمة خاله القاضي العلاّمة المحقق:

علي بن حَسَنْ العواجي عافاه الله: هو فائق في جميع صفات الكمال، جامع بين العلم والعمل والرياسة والكياسة، قائم بأعمال الدنيا والآخرة أتم قيام، وهو حال تحرير هذه الأحرف حاكم ببندر اللحية، وكنت رأيته قبل عزمه إلى هنالك عند وصوله إلى حضرة الخلافة ولم أجتمع به لكوني تلك الأيام إلى الصغر أقرب وهو جميل الصورة تام الخلقة بهي الشكل حسن الهيئة يستدل من رآه بذاته على جميل صفاته وجليل سماته وكمال طرافته ولعله الآن قد قارب الستين من عمره. وولده العلاّمة عز الكمال:

محمّد بن علي بن الحَسَن العواجيّ: هو ممن ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم،

وأخذ عني في النحو والفقه وأجزت له إجازة عامة في جميع ما يجوز لي روايته.

وهو الآن ساكن عند والده في بندر اللحية ولعله قد قارب الثلاثين ومات هذا ووالده قبله بعد وقوع الاضطراب في تهامة وقيام الشريف حمود بها. وكل واحد من هؤلاء كان يستحق أن يفرد بترجمة مستقلة ولكن لم يكن لديَّ من أخبارهم إلا أشياء يسيرة.

وفي سنة ١٢٤٣ وصلت الجنود الرومية إلى تهامة وأسروا الشريف أحمد بن حمود القائم مقام أبيه وقتلوا عالم الأشراف وقائد جنودهم الشريف حسن بن خالد الحازمي وأدخلوا جماعة من الأشراف إلى الروم منهم أحمد بن حمود ونكّلوا بجماعة من المتولين لأمورهم من القضاة وغيرهم وامتحن صاحب الترجمة وحبس، ثم أطلق وهو الآن خائف يترقب ما نزل بغيره دفع الله عنه كل مكروه.

وقد تشفعت له عند الباشا الواصل بالجنود الرومية، وهو الباشا خليل فلم يصب بعد ذلك بما أصيب به غيره والمرجو من الله عز وجل أن يصرف عنه كل شرٍ فإنه من أكابر العلماء العاملين، ومن عباد الله الصالحين.

ثم بعد هذا أجرى الصلح بين سيدي المولى وبين الروم على إرجاع البلادِ التي اغتصبها الشريف إلى الإمام فعرفت الإمام حفظه الله أن يقرره لقضاء بيت الفقيه كما كان فقرره على ذلك وعاد كما كان ولله الحمد.

٢٢٥ ـ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي[١]: ولد بإيج من نواحي شيراز بعد السبع مائة[٢] وأخذ عن مشائخ عصره ولازم زين الدين تلميذ البيضاوي، وكان إمامًا في المعقول قائمًا بالأصول والمعاني والبيان والعربية مشاركًا في سائر الفنون.

وله شرح مختصر المنتهى وقد انتفع الناس به من بعده وسار في الأقطار واعتمده العلماء الكبار وهو من أحسن شروح المختصر من تدبره عرف طول باع مؤلفه فإنه يأتي بالشرح على نمط سياق المشروح ويوضح ما فيه خفاء ويصلح ما عليه مناقشة من دون تصريح بالاعتراض كما يفعله غيره من الشراح، وقلَّ أن يفوته شيء مما ينبغي ذكره مع اختصاره في العبارة يقوم مقام التطويل بل يفوق وله (المواقف) في الكلام ومقدماته،

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) في الشذرات ٦/ ١٧٥: كان مولده سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة.

وهو كتاب يقصر عنه الوصف لا يستغني عنه من رام تحقيق الفن وله السؤال المشهور الذي حرره إلى المحقق الجاربردي في كلام صاحب الكشاف على قوله تعالى ﴿قل فأتوا بسورة من مثله﴾ وأجابه بجواب فيه بعض خشونة فاعترضه صاحب الترجمة باعتراضات وتلاعب به وبكلامه وهو شيخه ولكنه لم ينصفه في الجواب حتى يستحق التأدب معه، وقد أجاب عن اعتراضات صاحب الترجمة ابن الجاربردي وأودع ذلك مؤلفًا مستقلاً وقد وليَ قضاء المالكية في أيام أبي سعيد، وكان كثير الأفضال على الطلبة كريم النفس وجرت بينه وبين الأبهري منازعات ومجاريات. وله تلامذة نبلاء منهم السعد التفتازاني صاحب التصانيف المشهورة سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ومنهم شمس الدين الكرماني وغيرهما وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة ومات مسجونًا في سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة.

٢٢٦ ـ عَبْد الرّحمٰن بن أَحْمَد الجّامي[١]: ولد بجام من قصبات خراسان واشتغل بالعلوم أكمل اشتغال حتى برع في جميع المعارف ثم صحب مشائخ الصوفية فنال من ذلك حظًا وافرًا وكان له شهرة بالعلم في خراسان وغيرها من الديار حتى إنه استدعاه سلطان الروم بايزيد خان إلى مملكته، وأرسل إليه بجوائز سنية فسافر من بلاد خراسان إلى جهات الروم فلما انتهى إلى همدان قال للذي أرسله السلطان إليه: إني قد امتثلت أمر السلطان حتى وصلت إلى هنا وبعد ذلك أتشبث بذيل الاعتذار لأني لا أقدر على الدخول إلى بلاد الروم لما أسمع فيها من مرض الطاعون وكان غرض السلطان في استدعائه أنه خطر له في بعض الأوقات الاختلاف ما بين الصوفية وعلماء الكلام والحكماء، فأراد أن يجعل صاحب الترجمة حكمًا بين هذه الطوائف فما تم.

وله مصنفات منها: شرح الكافية المشهور بالجامي وشرع في تفسير القرآن وله كتاب (شواهد النبوة) بالفارسية و (نفحات الأنس) بالفارسية أيضًا.

وله مصنفات غير ذلك ونظم بالفارسية يتنافس في حفظه أهل تلك اللسان، وتوفي بهراة سنة ٨٩٨ ثمان وتسعين وثمان مائة.

٢٢٧ ـ عَبْد الرَّحْمٰن بن أَحْمد بن رَجَبْ البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الحافظ[٢]: سمع خلقًا منهم القلانسي وابن العطار وغيرهما.

وصنف التصانيف المفيدة منها شرح البخاري، بلغ فيه إلى كتاب الجنايز وله شرح

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٦٠ ـ ٣٦١ وذكره صاحب التاج المكلل ص ٣٨٠.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

على الترمذي وذيل على كتاب (طبقات الحنابلة) وغير ذلك ومات في شهر رجب[١] سنة ٧٩٥ خمس وتسعين وسبعمائة.

٢٢٨ ـ **عَبْد الرَّحْمٰن بن أبي بكر بن محمّد بن أبي بَكر بن عُمَر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمَّام الجلال الأسيوطي الأصل الطولوي الشافعي**[٢]: الإمام الكبير صاحب التصانيف. ولد في أول ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمان مائة ونشأ يتيمًا فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي وبعض الأصلي وألفية النحو وأخذ عن الشمس محمد بن موسى الحنفي في النحو، وعلى العلم البلقيني والشرف المناوي والشمني والكافياجي في فنون عديدة وجماعة كثيرة كالبقاعي وسمع الحديث من جماعة وسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة وغيرها وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار وبرز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته وصنَّف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث و (الدر المنثور) في التفسير و (الإتقان في علوم القرآن) وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه. فإن السخاوي في الضوء اللامع، وهو من أقرانه ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع، وسب شنيع، وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحًا وتلويحًا، ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السخاوي)، فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه فمن جملة ما قاله في ترجمته: إنه لم يمعن الطلب في كل الفنون بل قال بعد أن عدد شيوخه: إنه حين كان يتردد عليه كثيرًا من مصنَّفاته كالخصال الموجبة للظلال. والأسماء النبوية. والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وموت الأنبياء وما لا يحصره. قال: بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيرًا من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون فغير فيها يسيرًا وقدَّم وأخَّر، ونسبها إلى نفسه وهوَّل في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئًا مما لا يوفي ببعضه.

وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق جرده من مصنف لابن تيمية واستعان في أكثره فقام عليه الفضلاء قال وكذا درَّس جمعًا من العوام بجامع ابن طولون، بل صار يملي على بعضهم ممن لا يحسن شيئًا، ثم قال كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد. ولهذا

---

(١) في الشذرات ٦/ ٣٤٠: توفي ليلة الاثنين رابع شهر رمضان بأرض الخميرية ببستان كان مستأجره. وذلك سنة ٧٩٥ هـ.

(٢) ترجمته في النور السافر ص ٥١ وفي الشذرات جـ ٨ ص ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

قيل أنه تزبب قبل أن يكون حصرمًا. وأطلق لسانه وقلمه في شيوخه فمن فوقهم بحيث قال عن القاضي العضد أنه لا يكون طعنةً في نعل ابن الصلاح وعزّر عليَّ ذلك من بعض نواب الحنابلة بحضرة قاضيهم ونقص السيّد الرضيّ في النحو بما لم يبد فيه مستندًا مقبولاً بحيث إنه أظهر لبعض الغرباء الرجوع عن ذلك، فإنه لما اجتمعا قال له: قلت السيّد الجرجاني؟ قال: إن الحرف لا معنى له في نفسه ولا في غيره، وهذا كلام السيّد ناطق بتكذيبك فيما نسبته إليه فأوجدنا مستندًا فيما تزعمته؟ فقال: إني لم أرَ له كلامًا ولكني لما كنت بمكة تجاذبت مع بعض الفضلاء الكلام في المسألة فنقل لي ما حكيته وقلدته فيه. فقال: هذا عجيب مما يتصدى للتصنيف يقلد في مثل هذا مع هذا الأستاذ انتهى.

وقال: من قرأ الرضيّ ونحوه لم يترق إلى درجة أن يسمى مشاركًا في النحو ولا زال يسترسل حتى قال: إنه رزق التبحر في سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع.

قال: والذي أعتقده إن الذي وصلت إليه من الفقه والنقول التي اطلعت عليها مما لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم. قال ودون هذه السبعة أصول الفقه والجدل والصرف ودونهما الإنشاء والترسل والفرايض ودونها القراآت ولم آخذها عن شيخ ودونها الطب وأما الحساب فأعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله قال وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله إلى أن قال: ولو شئت أن أكتب في كل مسألة تصنيفًا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك.

وقال: إن العلماء الموجودين يرتبون له من الأسئلة ألوفًا فيكتب عليها أجوبة على طريقة الاجتهاد. قال السخاوي بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب الترجمة في وصف نفسه: ما أحسن قول بعض الأستاذين في الحساب ما اعترف به عن نفسه مما يوهم به أنه متصف. أول دليل على بلادته وبعد فهمه لتصريح أئمة الفن بأنه فن ذكاء ونحو ذلك وكذا قول بعضهم دعواه الاجتهاد ليستر خطأه ونحو هذا. وقد اجتمع به بعض الفضلاء ورام التكلم معه في مسألة فقال إن بضاعتي في علم النحو مزجاة. قول آخر له: أعلمني عن آلات الاجتهاد ما بقي أحد يعرفها؟ فقال له: نعم ما بقي من له مشاركة فيها على وجه الاجتماع في واحد بل مفرقًا. فقال له: فاذكرهم لي ونحن نجمعهم لك ونتكلم معهم فإن

اعترف كل واحد لك بعلمه وتميزك فيه أمكن أن نوافقك في دعواك فسكت، ولم يبد شيئًا.

وذكر أن تصانيفه زادت على ثلثمائة كتاب رأيت منها ما هو في ورقة، وأما ما هو دون كراسة فكثير وسميَ منها شرح الشاطبية. وألفية في القراآت. مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها. ومنها ما اختلسه من تصانيف شيخنا يعني ابن حجر منها (كتاب النقول في أسباب النزول)، و (عين الإصابة في معرفة الصحابة)، و (النكت البديعات على الموضوعات)[1]، و (المدرج إلى المدرج)، و (تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي)، و (تحفة النابه بتلخيص المتشابه)، و (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، و (الأساس في مناقب بني العبَّاس)، و (جزء في أسماء المدلسين)، و (كشف النقاب عن الألقاب)[2]، و (نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير) قال: فكل هذه مصنفات شيخنا وليته إذ اختلسها لم يمسخها ولو نسخها على وجهها لكان أنفع.

ومنها ما هو لغيره وهو الكثير هذا إن كانت المسخيات موجودة كلها وإلا فهو كثير المجازفة جاءني مرة فزعم أنه قرأ مسند الشافعي على القميصي في يوم فلم يلبث أن جاء القميصي وأخبرني متبرِّعًا بما تضمن كذبه حيث أخبر أنه بقي منه جانب. قال السخاوي: وقال أنه عمل (النفحة المسكية والتحفة المكية) في كراسة وهو بمكة على نمط (عنوان الشرف) لابن المقري في يوم واحد وأنه عمل ألفية في الحديث فايقة على (ألفية العراقي) إلى غير ذلك مما يطول شرحه ثم قال: كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف وما ينشأ عن عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم، ولا جلس معهم في شأنهم وتعريسهم، بل استند بأخذه من بطون الدفاتر والكتب واعتمد ما لا يرتضيه مَنْ للإتقان صحب.

وقد قام الناس عليه كافة لما ادعى الاجتهاد ثم قال: وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكِّي منه، ولا يزال أمره في تزايد من ذلك فالله يلهمه رشده. ونقل عنه أنه قال: تركت الافتاء والإقراء وأقبلت على الله، وزعم أنه رأىٰ منامًا يقتضي ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وأمر خليفته الصديق بحبسه سنة ليراجع الإقراء والإفتاء وأنه استغفر الله بعد ذلك وأقبل على الإفتاء بحيث لو جيء إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها. قال:

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٩٧٦.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٤٩٦.

ومن ذلك أنه توسَّل عند الإمام البرهان الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت، نظره فأجابه وزاد من عنده ضعف الأصل فما قال له جزيت خيرًا ولا أبدى كلمة تؤذن بشكره. قال: ومن هوسه أنه قال لبعض تلامذته إذا صار إلينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل. هذا حاصل ما ذكره السخاوي في كتابه الضوء اللامع في ترجمة الجلال السيوطي ختمها بقوله أنه ألَّف مؤلَّفًا سماه الكاوي في الردِّ على السخاوي.

وأقول: لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التحامل على هذا الإمام فإنه ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم الذكاء فإن هذا الفن لا يفتح فيه على ذكي إلا نادرًا كما نشاهده الآن في أهل عصرنا وكذلك سكوته عند قول القايل له يجمع لك أهل كل فن من فنون الاجتهاد فإن هذا كلام خارج عن الإنصاف لأن رب الفنون الكثيرة لا يبلغ تحقيق كل واحد منها ما يبلغه من هو مشتغل به على انفراده وهذا معلوم لكل أحد، وكذا قوله: إنه مسخ كذا وأخذ كذا ليس بعيب، فإن هذا ما زال دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر، أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف، ومن ذاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه. وقوله: إنه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته فإنه لم يقل أنها زادت على ثلثمائة مجلد بل قال: إنها زادت على ثلاثمائة كتاب وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها.

وقوله: إنه كذبه القميصي بتصريحه أنه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب فربما كانت تلك البقية يسيرة والحكم للأغلب لا سيما والسهو والنسيان من العوارض البشرية فيمكن أنه حصل أحدهما للشيخ أو تلميذه.

وقوله أنه كثير التصحيف والتحريف مجرد دعوى عاطلة عن البرهان فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير ومتقنة أبلغ إتقان. وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران في بعضهم بعضًا مع ظهور أدنى منافسة فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض. فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول والسخاوي رحمه الله وإن كان إمامًا غير مدفوع لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه (الضوء اللامع) فإنه لا يقيم لهم وزنًا بل لا يسلم غالبهم من الحط منه عليه وإنما يعظم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته أو من كان من غير مصره أو يرجو خيره أو يخاف شره.

وما أحسن ما ذكره في كتابه الضوء اللامع في ترجمة (عبد الباسط بن يحيى شرف الدين) فإنه قال: وربما صرح بالإنكار على الفقهاء فيما يسلكونه من تنقيص بعضهم لبعض وقد حكي أنه بينما هو عند الدوادار وبين يديه فقيه وإذا بآخر ظهر من الدوار فاستقبله ذلك الجالس بالتنقيص عند صاحب المجلس واستمر كذلك حتى وصل إليهم فقام إليه ثم انصرف فاستدبره القادم حتى اكتفى ثم توجه قال فسألني الدوادر من الصادق منهما فقلت: أنتم أخبر. فقال: إنهما كاذبان فاسقان ونحو ذلك انتهى.

وأما ما نقله من أقوال من ذكره من العلماء مما يؤذن بالحط على صاحب الترجمة فسبب ذلك دعواه الاجتهاد كما صرح به وما زال هذا دأب الناس مع من بلغ إلى تلك الرتبة ولكن قد عرفناك في ترجمة ابن تيمية أنها جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عودي لسبب علمه وتصريحه بالحق وانتشار محاسنه بعد موته وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه.

وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فإن مؤلفاته انتشرت في الأقطار وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين. ولم يذكر السخاوي تاريخ وفاة المترجم له لأنه عاش بعد موته فإن السخاوي: مات في سنة ٩٠٢ كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى تجاوز الله عنهما جميعًا وعنا بفضله وكرمه، وكان موت صاحب الترجمة بعد أذان الفجر المسفر صباحه عن يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة.

٢٢٩ ـ عَبْد الرّحمٰنْ بن الحَسَنْ الأَكْوَع: شيخ الفروع ومحققها، قرأها بمدينة ذمار على أكابر شيوخها كالعلاَّمة الحسن بن أحمد الشبيبي وأقرانه ثم ارتحل إلى صنعاء ودرس في شرح الأزهار وبيان ابن مظفر في جامعها، ورغب إليه الطلبة واجتمعوا إليه فكان يحضر درسه جماعة نحو الثلاثين والأربعين.

ثم ما زال الناس يأخذون عنه أيامًا طويلة وكان أخوه (علي بن حسن الأكوع) وزير الإمام المهدي العباس بن الحسين ثم وزيرًا لولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله في أوائل خلافته المباركة، ثم نكبه ونكب جميع قرابته وكان من جملتهم صاحب الترجمة وصودروا جميعًا على تسليم أموال أخذت منهم وكان ذلك في سنة ١١٩٣ ثم أفرج عنهم، وتعقب ذلك أنه ضعف بصر المترجم له ثم ترك التدريس حتى مات وكان ملازمًا للطاعات محافظًا على الجماعات أيام ذهاب بصره وكان قبل ذلك رافه العيش متأنقًا في مطعمه ومشربه وملبسه لا شغلة له بطلب الرزق ولا التفات منه إلى ذلك قد كفاه أخواه

مؤنة الطلب وأحدهما (علي) المتقدم ذكره والآخر (عبد الله بن الحسن)، وكان متعلقًا بالأعمال الجليلة من أعمال الدولة حتى ولي بندر المخاومات في أيام الإمام المهدي.

وقرأت على صاحب الترجمة أوائل شفاء الأمير الحسين ومات في شهر ذي الحجة سنة ١٢٠٦ ست وماتين وألف.

٢٣٠ ـ عبد الرّحمٰن بن علي بن محمّد بن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المعروف بابن الديبع(١): وهو لقب لجده الأعلى علي بن يوسف ومعناه بلغة النوبية الأبيض ولد في عصر يوم الخميس رابع المحرم سنة ٨٦٦ ست وستين وثمان مائة بزبيد، ونشأ بها فحفظ القرآن، وتلاه للسبع على خاله أبي النجا والشاطبية والزبد للبارزي، وبعض البهجة واشتغل في علم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والفرائض والفقه والعربية على خاله المشار إليه، وعلى إبراهيم بن جعمان وفي الحديث والتفسير على الزين أحمد الشرجي، وحج مرارًا أولها في سنة ٨٨٣ وقرأ بمكة على السخاوي، ثم برع لا سيما في فن الحديث واشتهر ذكره وبعد صيته وصنّف التصانيف منها (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) اختصره اختصارًا حسنًا وتداوله الطلبة وانتفعوا به. وفي التاريخ (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون) و (بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد) وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب قد عظمه وولاه تداريس وله أشعار في مسائل علمية وضوابط وتحصيلات، وله شهرة في اليمن طايلة إلى الآن(٢).

٢٣١ ـ السيّد عبد الرّحْمٰن بن قَاسِم المداني: قرأ علم الفقه بمدينة ذمار ثم رحل إلى صنعاء وأخذ في غيره فشارك مشاركة ركيكة لغلبة علم الفقه عليه ثم درس في علم الفقه بصنعاء، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة.

وأَخذْتُ عنه في شرح الأزهار في أوائل أيام طلبي.

وكان زاهدًا ورعًا متقللاً من الدنيا عفيفًا حسن الأخلاق جميل المحاضرة واعيًا في الفوائد العلمية بحيث أنّه صارَ عاجزًا لا يمشي إلا متوكيًا على العصا، وكان إذا لقيني قام واعتمد على عصاته ثم باحثني بمباحث فقهية دقيقة وكنت إذ ذاك قد أمعنت في طلب علم الفقه على غيره وكان يحب المجون من دون مجاوزة للحد مع ظرافة زايدة وتواضع كامل مات في شهر ذي القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف وأظنه قد قارب التسعين رحمه الله.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٨/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) في شذرات الذهب ٨/ ٢٥٦: توفي ضحى يوم الجمعة ٢٦ رجب سنة ٩٤٤ هـ.

٢٣٢ ـ عَبْد الرَّحْمٰن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحَسَن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحيم ولي الدين[١]: الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون. ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو وتفقه بجماعة من أهل بلده وسمع الحديث هنالك وقرأ في كثير من الفنون ومَهَر في جميع ذلك لا سيما الأدب وفن الكتابة، ثم توجه في سنة ٧٥٣ إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها.

ثم امتحن واعتقل نحو عامين، ثم ولي كتابة السر وكذا النظر في المظالم. ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة ٧٦٤ وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية فقام بالأمر الذي ندب إليه.

ثم توجه في سنة ٧٦٦ إلى بجاية ففوض إليه صاحبها تدبير مملكته مدة. ثم استأذن في الحج فأذن له فقدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة ٧٨٤ فحج، ثم عاد إلى مصر فتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا من ملازمته والتودد إليه وتصدر للاقراء في الجامع الأزهر مدة ثم قرره الظاهر برقوق في قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٧٨٦ وفتك بكثير من الموقعين، وصار يعزر بالصفع ويسميه الزج فإذا غضب على إنسان قال زجوه فَيُصفَعُ حتى تحمّر رقبته وعزل ثم أعيد وتكرر له ذلك حتى مات قاضيًا فجاءه في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٨٠٨ ثمان وثمان مائة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. ودخل مع العسكر في أيام انفصاله عن القضاء لقتال تيمور فقدر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوده.

قال بعض من ترجمه: إنه كان في بعض ولاياته يكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث. وقال آخر: كان فصيحًا مفوَّهًا جميل الصورة حسن العشرة إذا كان معزولاً فأما إذا وليَ فلا يعاشر بل ينبغي أن لا يرى.

وقال ابن الخطيب أنه رجل فاضل جم الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمة قوي الجأش متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن العشرة. وأثنى عليه المقريزي وكان الحافظ أبو الحسن الهيثمي يبالغ في الغض منه قال الحافظ ابن حجر فلما سألته عن سبب ذلك

---

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة ١٣/ ١٥٥ وفي الشذرات ٧/ ٧٦ ـ ٧٧.

ذكر لي أنه بلغه أنه قال في الحسين السبط رضي الله عنه أنه قتل بسيف جده ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكي.

قال ابن حجر: لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها قال: والعجب أن صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ويخالف غيره في ذلك ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي وكان المقريزي ينتمي إلى الفاطميين كما سبق، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم، وجهل مراد ابن خلدون فإنه كان لانحرافه عن العلوية يثبت نسبة العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعاء الإلهية كالحاكم، فكأنه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطعن هكذا حكاه السخاوي عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة.

وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممن أضلّه الله على علم، وقد صنّف تاريخًا كبيرًا في سبع مجلدات ضخمة أبان فيها عن فصاحة وبراعة وكان لا يتزيا بزي القضاة بل مستمر على زي بلاده وله نظم حسن فمنه:

أَسْرَفْنَ في هجري وفي تعذيبي ... وأطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبَيْنَ يومَ البينِ وقفةَ ساعةٍ ... لوداع مشغوفَ الفؤادِ كئيبِ

وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوّه بلسانه سيف المحاضرة كان يسلك في اقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر الرازي مع الإنكار على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من التوغل في المشاحة اللفظية والتسلسل في الحدية والرسمية اللتين أثارهما العضد وأتباعه في الحواشي عليه، وينهى الناقل غضون اقرائه عن شيء من هذه الكتب مستندًا إلى أن طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفن على خلاف ذلك وأن اختصار الكتب في كل فن والتقيد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين والعلم وراء ذلك كله.

قال: وله من المؤلفات غير الانشاآت النثرية والشعرية التي هي كالسحر، التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر، حوت مقدمته جميع العلوم.

٢٣٣ ـ عَبد الرّحمٰن بن محمّد بن نهشل الحيمي الحافِظ الكَبير العلاّمة الشهير[١]:

---

(١) هدية العارفين ٥/٥٤٨.

كانَ من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول وله اشتغال بالتدريس في الأمهات ونشرها وبمثل العضد وحواشيه والمطول وحواشيه والرضي في النحو وسائر الكتب المفيدة وقد أخذ عنه الناس واشتهر. ومن جملة تلامذته العلاَّمة الحسن بن أحمد الجلال وجماعة أكابر ومنهم القاضي أحمد بن سعد الدين المسوَّري والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال ولكنه ما سلم من الامتحان من أهل عصره لسبب اشتغاله بالأمهات علمًا وعملاً وتدريسًا وليس ذلك ببدع فهذا شأن هذه الديار من قديم الأعصار.

ومن مشائخه السيّد الحسن بن شمس الدين ويحيى بن أحمد الصابوني والحافظ ابن علاَّن وبالجملة فصاحب الترجمة من أكابر العلماء المتبحرين في جمع العلوم وما زال مكبًا على ذلك حتى توفاه الله تعالى سابع وعشرين ربيع الأول سنة ١٠٦٨ ثمان وستين وألف بصنعاء ودفن بجربة الروض.

٢٣٤ ـ عَبْد الرّحمٰن بن يحيى الآنسي ثم الصَّنعاني[١]: ولد في شهر ذي القعدة سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومائة وألف ونشأ بصنعاء فأخذ في علم العربية وغيره عن جماعة كالسيّد إسماعيل بن إسماعيل بن ناصر الدين، والسيّد العلاَّمة عبد الله بن محمد الأمير وغيرهما وأخذ في الفقه على شيخنا العلاَّمة أحمد بن محمد الحرازي، وفي الحديث على المحدث العلاَّمة لطف الباري بن أحمد الورد، وأكب على المطالعة واستفاد بصافي ذهنه الوقاد ووافي فكره النقاد علومًا جمة، ولا سيما في العلوم الأدبية فهو فيها أحد أعيان العصر المجيدين.

وولاه خليفة العصر حفظه الله القضاء في بعض البلاد اليمنية، ثم نقله إلى بلاد حجة وولاه قضاء تلك الجهات وما والاها وباشره مباشرة حسنة بعفة وصيانة، وحرمة ومهابة وصرامة بحيث صار أمره فيها أنفذ من أمر العمال وقد يغزو بعض المبطلين أو المخالفين للشرع بجماعة معه ويقدم إقدامًا يدل على شجاعة ويسلك مسالك يقوده إليها حسن التدبير فبمجموع هذه الأوصاف صار لا يسد غيره مسده ولا يقوم مقامه سواه مع أن هذه الولاية هي دون جليل قدره؛ ولكن مثل تلك الجهات مع شرارة أهلها وتعجرفهم وقوة صولتهم لا ينفذ الأحكام الشرعية فيهم إلا مثله ومع هذا فهو عاكف على مطالعة العلوم على اختلاف أنواعها مستغرق غالب ساعاته في ذلك كثير المذاكرة والمباحثة في المسائل الدقيقة، مغرم بنظم الأشعار الفائقة الجارية على نمط العرب المحبرة بخالص اللغة وغريبها، وله من النثر البليغ ما يفوق الوصف.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/٥٥٧.

وقد اجتمعت به فرأيت من حسن محاضرته وطيب منادمته وقوة ذهنه وسرعة فهمه ما يقصر عنه الوصف وقد كتب إليَّ رسالة مشتملة على عشرة أسئلة أجبت عليها برسالة سميتها (طيب النشر في جواب المسائل العشر) وهي موجودة في مجموع رسائلي وكتب إليَّ هذه القصيدة الطنانة بعد أن قدم بين يديها هذا النثر الفائق ولفظه: من عبد الرحمٰن بن يحيى غفر الله لهما، إلى المولىٰ المنسوب إلى كل علم نسبة مؤثرة في العين عن ملكة قوية البنا. على عناية وعنا. الموضوع بأول الأولى من طبقات أهله لا تقتضيه المعاجيم. بل بأحقية التقديم المسلمة إليه من كل عظيم. الموصوف به على أفعل التفضيل وصيغ التكثير التامة. وتأنيث المبالغة ذي العلامة من الأعلم والعلام والعلامة:

عـلاَّمـةُ العلمـاءِ والبحـرِ الـذي   لا ينتهـي ولكـل بحـرٍ سـاحـلُ

من لا تضرب اليوم آباط المطي إلا إلى مثله. ولا يخط في بياض النهار كسواد ظله.

والقاضي المقرون بمعية اللام لوجود مقتضيها وانتفاء مانعها. المسدد بالملك في مطالع قضاياه ومقاطعها:

قاضٍ إذا اشتبه الأمرُ إن عنَّ له   رأي يفـرِّقُ بيـن المـاءِ واللبـنِ

بحر الإسلام. حسنة الأيام. أكرم من شرب ماء الغمام. مدت مدته. وعدت عدته. وحرست مهجته. وحسنت نهجته. وأونست بهجته. أما بعد: فإني أحمد إليك الله على تمام ما أولاه. وحسن بلاه. على أني لم أكن عبدًا شكورًا.

وكان الإنسان لربه كفورًا. وأنهي إلى حضرة علمك المنورة. وروضة أدبك المنورة. كمدي بمفارقتها. وشوقي لمشاهدتها وكلفي بفائدتها. وحاجتي لعائدتها. وإني لا أذكر منك ذلك المجلس القصير. واللقاء بالملتقى من جناح طائر يطير. إلا وقفت به من علمك على شاطىء بحر لجي. فاغترفت غرفة بيدي. لم ينقع صداي ولم يبلغ ثلجي. إلا أنشدت برنة المتشجي:

يأهل إلى سرحة الوادي مؤوبةً   قبل المماتِ بذي وجدٍ بها ناشي
ألـمَّ إلمـامـة لـم تجتـنِ ثمـراً   ولا تفيـأَ ظـلاً غيـر أكبـاشِ

ولولا تروحي بأملي أن أملا لزامك. والمثول أمامك. مثولاً أصيب به من علمك خيرًا. يزجر لي بيمن طيرا. ويقيني أن ما ذلك على الله بعزيز. ولا نايله من سائله في

حرز حريز. لقد ذهبت نفسي حسرات. وضاقت بي فسيحات البسيطات:

أعلــلُ النفــسَ بــالآمــالِ أرقبُهــا ما أضيقَ العيشُ لولا فسحةَ الأملِ

هذا وقد تكلف الفكر الجامد بمصر البليات. والذهن الخامد بصرصر النكبات. عمل هذه القصيدة. بشيء من مدائحك العديدة. على أني لم أحل بها عاطلاً. ولم أرفع بها خاملاً. وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً. لأن الوصف ما رفع احتمالاً أو قلل اشتراكًا أو كشف معنى. والشمس عن كل في غنى. وما لها في أي غنا. ووصفك أيها السيّد الجليل. من ذلك القبيل. في ذلك السبيل. على أني لو بصرت أمري لما سيرت إليك شعري فقد قال حسان بن ثابت:

وإنمـا الشعـرُ لـبُّ المـرءِ يعـرضـهُ على المجالسِ إن كيسًا وإن حَمَقا

ولكن غلبت المقة على مقتضىٰ عدم الثقة. وشجعني قوله أيضًا:

وإنَّ أصــدقَ بيــتٍ أنــتَ قــائلــهُ بيــتٌ يقــالُ إذا أنشــدتــه صَــدَقــا

فقلت وما ضرَّ شعرًا مقابلاً بالتصديق الصريح. أن لا يكون ذا معنى في لفظ فصيح. وبعد فأمامه منك عين الرضا. ذات الكلال عن العيب والاغضا. والسلام ختام:

ألا قــامــت تنــازعنــي ردائــي غــداةَ نفضــت أحــلاسَ الثــواءِ
مفهفهــةٌ كخــوطِ البــانِ تهفــو إلــيَّ بعنــقِ خــاذلــةِ الظِبَــاءِ
يلــوحُ القــرطُ منــه علــى هــواءٍ يــروقــكَ ذاهبــاً فيــه وجــائِــي
وحــابســةٌ لــذي نظــر طمــوح عليــك بــلا أمــام ولا وراءِ
وقــد أرخــى مــدامعهــا ارتحــالــي وكــانــت ليــس تــدري بــالبكــاءِ
وقــالــت لــو أقمــتَ لكــان مــاذا حنــانيــك التفــرق والتنــائــي
وعيشـكَ لـو تـركـتَ ومـا تشـائـي لمـا بعـدت سمـاؤكَ مـن سمـائـي
ولكـــنّ الـــزمـــانَ صـــروفٌ وقــد تعــدُو علــى القــوم البــراءِ
وقبلــي مــا نبــت أرضُ بحــرٍ ففــارقهــا بحــب أو قــلاءِ
فعنــي لســتَ بــالــرجــل المــروي ولا طــوعَ الحســانَ مــن النســاءِ
وعزمي قد علمت إذا استطارت بــه نيــة تغلغــل ذا مضــاءِ
فكــم أغــرىٰ إلــى وادي هبــوطــي ذيــابــاً بــالتضــور والعــواءِ
وراع العصــم فــي نيــق صعــودي وهــاج الــربــد فــي خبــت نجــائِــي
علــى وجنــاءِ تختــرقُ المــوامــي وتجتــازَ الميــاهَ علــى الظمــاءِ

يعارضها اللصوصُ ليدركوها ... ومن يعلق براكبةِ الهواءِ
فقادتها الأدلةُ اقتبالي ... وساقتها لثانيةِ انثنائِي
وما انقشعتْ غيابتها وفيها ... من الابطاءِ من أبلىٰ بلائِي
وكنتُ على معسكرها وحكمي ... لهمْ أما علمتَ على سوائِي
بوضاحِ ضمانِ المالِ عافِ ... جنايا العُمَدَ شداخُ الدماءِ
وسلْ عني العداة فعندهم من ... ممارستي مَصْدَقَة ادعائِي
وما أنا بالبخيل بنائياتِ الحـ ... ـقوقِ على الإضافةِ والثراءِ
ولا كلٌّ على الأخوان عي ... ولا شاكي الصديق من الجفاءِ
ولا بمفحمٍ أنْ ناغمتني ... بناتُ الشِّعرِ منه بالحِداءِ
وقد جرّبتُ هذا الدهرَ حتى ... مرنتُ على المراضي والمسائِي
ولم أعدم على الخطب اصطباري ... ولم أفقد على الهولِ اجترائِي
ولا استوحشتُ من شيء أمامي ... ولم أحزنْ على شيءٍ ورائِي
ولولا عالمُ المصر انذي سَرَ ... تْ عنه لما حننتُ إليه نائِي
لنعم محمّدٌ رجلاً وحقٌّ ... له وعليهِ طيبةَ الثناءِ
هو البحرُ الذي جاشت بعلم ... غواربِ موجهِ ذاتَ ارتماءِ
فَطَبقتِ البلادُ وعادَ منها ... إليه الفضلُ عن عذرٍ مَلاءِ
تعالىٰ الله معطيه امتناناً ... وليس الله محظورَ العَطاءِ
لقد آتاه علماً من لدنه ... يضيق بوسعه ذات القَضاءِ
ولكنَّ صدره المشروحُ أضحىٰ ... كما بين الثّريا والثَراءِ
وحين لقيته بادي بداء ... بوقت مثل إبهام القَطاءِ
لقيتُ به الأئمةُ في فنونٍ ... بفردِ الشخص متّحد الرواءِ
ففي علم الكلام أبا عليٍّ ... وفي علم اللغات أبا العلاءِ
وفي التصريف عثمان بن جني ... وفي النحو المبرّد والكسائِي
وجارُ الله في علم المعاني ... وإبراز النكات من الخَفاءِ
وابن كثير الشيخ المعالي ... من التفسير خافقةَ اللواءِ
وزين الدين في التحديثِ حفظاً ... لإسنادٍ ومتنٍ ذا وكاءِ
ويحيى في الرجالِ بنقد قولٍ ... جرىٰ فيه بصفو أو جَفاءِ
وفي التاريخِ والأخبارِ جما ... عها الذهبي فهاق الانـاءِ

وفي الفقه ابن رشد من تحلت نهـايتـهُ بحسـنِ الابتنـاءِ
وعنـد قضـائـه ولـدىٰ فتـاوا ه عـن تبـريـزه كشـف الغَطـاءِ
فلـو لازمتـه مـن بعـدٍ أو كـا ن حظـي منـه تكـرار اللقـاءِ
إذاً لغـدوتَ رأسـاً فـي علـومٍ يكـون بهـديـه فيهـا اهتـدائِـي
أنـادي قـائـلاً قـولاً سـديـداً يصـدق بيـن مستمعـي النـداءِ
بـأنـكَ صـاحـب السَّهـمِ المعـلا ء بيـن سهـام إرث الأنبيـاءِ
وأنّـك عـالـمُ القطـر المسمـىٰ ومجتهـد الـزمـان بـلا مَـراءِ
وأنَّ مجـددَ المـائـةَ التـي نحـ ـنُ فيهـا لهـو أنـتَ بـلا امتـراءِ
وأنّـكَ لا نـرىٰ لـك مـن مثيـل ولم ترَ مثل نفسكَ في المرائي
وأن شـريعـة الـديـنِ استنـارت بمـا سميـتَ فيهـا للقَضـاءِ
أصـابَ بـك الخليفـةُ فـرضَ عيـنٍ عليـكَ مضيّقـاً وقـت الأداءِ
فلو لم تقضِ بين الناسِ طوعاً أثمـتَ بمـا جنحـتَ إلـى الإبـاءِ
جُـزيـت عـن اليتيـمِ وأمـه والضـ ـعيـف وقـومـه خيـرَ الجـزاءِ
أخـذتَ لهـم بحقهـم فبـاتـوا وقـد أمنـوا تعـدي الأقـويـاءِ
وطـائفـةٌ علـى قـاضٍ ومفـتٍ تـرادوهـا بثـوبِ الأعميـاءِ
وسـاعـة مـا أتتـك فككـت منهـا معمـاهـا بـواضحـةِ السنـاءِ
وهـذا ربـح علمـك فـاستفـد خيـ ـره فـي الابتـداءِ والانتهـاءِ
لا بـرحـت سـواري الغيـث صنعـا ء مـا طـرفتـك حيـاً فـي الحـواءِ
فـإن تهلـكْ فـلا شـامـتْ عليهـا عيـونُ النـاسِ بـارقـة الحيـاءِ
ولاَ حملَـتْ عُقيـبَ الطُّهـرِ أنثـىٰ ولا ولـدت غـلامـاً ذا ذكـاءِ

فأجبت عن هذا النظم والنثر بقولي:

من جمع أشتات الفضائل والفواضل، وبلغ في مجده إلى مكان يقصر عنه المتطاول.

نور حدقة أوانه. وإنسان عين زمانه. من ضرب النجم سرادقه دون مكانه. وخفي سنان السماك عند سنا سنانه. قريع أوانه. فريع خلانه وأخدانه. من أشاد بأبياته المشيدات شرعة الآداب. وأحيا ببلاغته البليغة أرواح أموات رسوم الكتاب. فهو الفرد الكامل ذاتًا الكل المستحق لنسبة جميع الفضائل إليه أنعاتًا:

ليـسَ علـى اللّـهِ بمستنكـرٍ أن يجمـع العـالَـم فـي واحـدِ

وبعد: فإنه وصل إلى الحقير ذلك العقد الجوهري الذي هو بكل الأمداح الصحاح الفصاح الصباح حري. وأقول سبحان المانح الفاتح. فلقد تلهت وولهت ودلهت بما خبر به كل غاد ورائح. لعمرك ما كنت أحسب أنه بقي من يسمو إلى هذه الطبقة التي هي فوق الطباق. ولا كان يمر بفكري أنه قد نشأ لهذه الصناعة من رقي فيها إلى هذه الغاية التي لا تطاق.

والحمد لله الذي زين العصر بمثلك وحفظ شرعة الآداب بوافر علمك وفضلك ونبلك.

وليعلم الأخ أيده الله أن جواد قريحتي القريحة لا يجري بهذا الميدان. وسنان فكرتي السقيمة العقيمة لا تغني عند تطاعن الفرسان بالمران. فإني على مرور الأعصار لم أتلبس بشعار الأشعار. ولا رضت ذهني الكليل بالطراد في هذا المضمار:

وما الشعرُ هذا من شعاري وإنما أجرِّبُ فكري كيف يجري نجيبهُ

فلم يكن لي من ذلك إلا نظم الفقيه في الأحكام. أو ما يجري مجرى الكلام عند اقتضاء المقام وكنت قد عزمت أن أتطفل على مكارم أخلاقك بطلب بسط العذر عن الجواب.

فرارًا مما قاله ابن الخازن في نظم آداب الآداب وهربًا من عراضة صحيفة العقل على أنظار أرباب الألباب. وحذرًا من الوقوع فيما قاله أخو الأعراب:

وإنما الشّعرُ صعب وطويل سلمه إذا ارتقىٰ فيه الذي لا يعلمه
يريدُ أن يعرِّبَهُ فيعجِّمَه زلت به إلى الحضيض قدمه

غير أنه لاح للخاطر الفاتر. وقوة النظر القاصر. أن مكاتبات الأحباب مراجعات خلص الأصحاب مقيدة بقيود. ومحدودة برسوم وحدود.

منها التسامح واطراح التكلفات. غض طرف الانتقاد عند عروض الكبوات. كما جرت به المألوفات من جواري العادات وثانيهما إسبال ذيول الستور. على ما أبرزته إلى قالب العثور أيدي القصور. وثالثها أن المقصد الأهم، والمطلب الأعظم، ليس إلا ما ذكره أرباب البيان. من نكتة التلذذ بإرخاء عنان اللسان، في مخاطبات الخلان، فلما ارتسمت في الذهن هذه التصورات، انتقل بعد شرح هذه الماهية إلى مقاصد التصديقات، فأنتج له الترتيب الرضي بأن يقال مجيب غير مصيب. لا مصيب غير مجيب. فعطل من ساعات أشغاله ساعة. أزجي فيها إلى سوحك هذه البضاعة. بفكر علم الله كليل. وذهن شهد الله عليل. على أنهما فيما عهدت سيف صقيل. ولا ريب فإن لطيف الكدر إذا انطبع

في المرآة تشوش الناظر. فكيف بمن يطرق قلبه في اليوم القصير. من رياح الأرواح وقتام الأشباح أعاصير. فدون الدون من تلك الأمور. تنصدع له الصخور. وتغور منه البحور:

لو لابسَ الصخْرُ الأصمُ بعض ما يلقاهُ قلبي فضَّ أصلادِ الصفا

فدونك أيها الحبيب. مراجعة من لم يحظَ من قربك بنصيب. وشرب من صابَ بينك بأقداحٍ. وغصَّ لفراقك بالماء القُرَاحِ:

دعي لومي على فرْط الهواءِ وداوي إنْ قدرتِ على الدواءِ
وكوني عن سلوىٰ في سلوٍ إذا أنوىٰ الحبيبِ على النواءِ
أبانوا يومَ بانوا عَنْ فؤادي عرىٰ صبري فبانوا بالعراءِ
فلا حملَتْ هوادجها الهوادي ولا سمعتْ تراجيعَ الحداءِ
تخبَّ بكلِّ عامرةٍ وقفرٍ وتخترقُ الموامي للتنائِي
فانحي حاذرَ يوماً عليها وضرِّجْ قادميها بالدماءِ
وناشتْها السباعُ ومزَّقتها القشاعمُ بين أدلاجِ الفضاءِ
ويا حادي المطيٰ إلا رثاءٌ وشرُّ الناس مسلوبُ الرثاءِ
حدوتَ فكمْ عقولٌ طايشاتٌ وأرواحٌ تروحُ إلى الفناءِ
فلا رفعتَ يداكَ إليكَ سوطاً ولا نقلتكَ مسرعةَ الخطاءِ
تروعني ببينٍ بعدَ بينِ طويلٍ في قصيرٍ من لقاءِ
أما بسوىٰ الفراقِ لقيتَ قلبي لتعلمَ في الحوادثِ ما عنائي
فإني إنْ ألمَّ الخطبُ يوماً وضاقَ بحملهِ وجهُ الثراءِ
وطاشتْ عنده أحلامُ قومٍ وحاد الآخرون إلى الوراءِ
أقومُ به إذا قعدوا لديه وأدفعهُ إذا أعيا سِواي
وما المرءُ المكمَّلُ غيرَ حرٍ لهُ عندَ العنا كل الغناءِ
تساوي عندهُ خيرٌ وشرٌ يرىٰ طعمَ المنيةِ كالمناءِ
يحوزُ السبقُ في أمنٍ وخوفٍ ويُكرَمُ عند فقرٍ أو غناءِ
تراهُ وهو ذو طمرينِ يمشي بهمتهِ على هامِ السماءِ
تقدمهُ فضائلهُ إذا ما تفاخرَ بالملا كل الملاءِ
ألا أنَّ الفتىٰ ربَّ المعالي إذا حقّقتَ لأرب الثراءِ
ومن حازَ الفضائلَ غيرَ وانٍ فذاكَ هو الفتىٰ كلَّ الفتاءِ
فما الشرفُ الرفيعُ بحسنِ ثوبٍ ولا دارٌ مشيَّدةُ البناءِ

ولا بنفوذِ قولٍ في البرايا ... فإنَّ نفوذهُ أصلَ البَلاءِ
فرأسُ المجدِ عندَ الحرِّ علمٌ ... يجودُ به علىٰ غادٍ وجائي
إذا ما المرءُ قامَ بكلِّ فنٍ ... قياماً في السمو إلى السماءِ
وصارَ له بمدرجهِ صعودٌ ... إلى عينِ الحقيقةِ والجلاءِ
وقامَ لدفعِ معضلةٍ وحلٍّ ... لمشكلةٍ ورفعٍ للخفاءِ
فذاكَ الفردُ في ملأ المعالي ... كما الفردُ ابن يحيىٰ في الملاءِ
فتًى يهتزُّ عطفُ الدهرِ شوقاً ... إليه لأنهُ ربَّ العلاءِ
إذا ما جالَ في بحثٍ ذكاهُ ... تنحّىٰ عنه أربابُ الذكاءِ
وإنْ ما راهُ ذو لددٍ أتاهُ ... بما يثنيهِ عن فرْطِ المراءِ
تقاصرَ عن مداه كلُّ حبرٍ ... لما يلقاهُ من بُعدِ المداءِ
فيا مَنْ صارَ في سلكِ المعالي ... هو الدرُّ النفيسُ لكلِّ راءِ
وضَمَّخَ مسمعَ الأيامِ طيباً ... بما قد طابَ من حسنِ الثناءِ
وقامَ بفترةِ الآدابِ يدعو ... وفي يمناهُ خافقةَ اللواءِ
بلغتَ من العلوم إلى مكانٍ ... تمكَّنَ في السمو وفي السناءِ
قعدتَ من البلاغةِ في محلٍ ... به الصابي يعودُ إلى الصِبَاءِ
وصغَت من القريضِ بناتَ فكرٍ ... دفعتَ بها الورىٰ نحو الوراءِ
وجيهُ الدينِ دمتَ لكلِ فنٍ ... تبهرجَ فيه أهلَ الإدعاءِ
تذودُ الشائنينَ له بجهلٍ ... فيصفو العلمَ عن شوبِ القذاءِ
علومكَ زانها سَمْت بهىٰ ... وحسنُ السمتِ من حللِ البهاءِ
أتاني يا بن يحيىٰ منك نظمٌ ... تعالىٰ عن نِظام أبي العلاءِ
على نمطِ الأعاربِ في لغاتٍ ... وفي حَسَنِ الروي وفي الرواءِ
تحدّىٰ من تعاودهُ همومٌ ... يعودُ بها الجليُّ إلى الخَفَاءِ
يعاني من خصومٍ أو خِصامٍ ... خطوباً في الصباحِ وفي المساءِ
فحيناً في صراخٍ أو عويلٍ ... وحيناً في شكاءٍ أو بُكاءِ
وأنْ يصفو له وقتٌ تراهُ ... يوقِّعُ في رقاعِ الادعاءِ
ويمضي الليلَ في نشر وطيٍ ... لأسجالٍ قديماتِ البناءِ
وقفنا يا بنَ ودي في شفيرٍ ... ومن زارَ الشفيرَ على شفاءِ
بذا قد جاءنا نصٌ صريحٌ ... فما ذاكَ السبيلَ إلى النجاءِ

فإنْ قلتَ النصوصَ بعكسِ هذا	أتتنا بالأجورِ وبالرجاءِ
كما في أجر من يقضي بحقٍ	ويعملُ باجتهادٍ في القضاءِ
ويعدلُ في حكومتهِ برفقٍ	ويلقىٰ المكارةَ بالرضاءِ
ويَلْبسُ بالقنوعِ رداءَ عزٍ	يطرّزهُ بوشيِ الاتقاءِ
ويدرعُ التصبّرَ إنْ دهاهُ	من الخصمينِ لافحة البلاءِ
فذاكَ كما يقولُ وأينَ هذا	هو العنقاءُ بين أولي النهاءِ
قصارىٰ ما تراهُ بغير شكٍ	مراءِ أو فضولٍ من مرائي
ومَنْ لَمْ يعقلَ البرهانِ يوماً	فَأَنّىٰ ينتحيهِ في القضاءِ
إذا لمْ يفطنَ التركيبَ قاضٍ	فقلْ لي كيفَ يفطنُ بالخطاءِ
ومن خفيتْ عليه الشمسَ حيناً	فكيفَ تراهُ يظفرُ بالسَهاءِ
ومن أعياهُ نورٌ من نهارٍ	فكيفَ يرومُ إدراكَ البَهاءِ
وهذي نفثة من صدر حرٍ	أطالَ ذيولها صدقُ الإخاءِ
وانزرْ ما يبوحُ بها شجيٌ	إلى أحبابهِ بثُّ الشَجاءِ
واعظمْ مستفادٌ من عِهادٍ	تواصلنا بأصنافِ الدُعاءِ
ودم يابن الأكارمِ في نعيمٍ	عظيمٌ في الصفاتِ وفي الصَفاءِ

وقد طال شوط القلم ولكن أحببت أن لا أخلي ترجمة هذا الفاضل من ذكر مثل هذه العقيلة التي زفها من بنات فكره فإنها من أعظم الأدلة على أن هذه الأعصار غير خالية عن قائم بحفظ شرعة الآداب وأما ذكر قصيدتي عقبها فليس إلا للتصريح ببعض ما يستحقه المترجم له من الممادح التي اشتملت عليها. وكتب إليَّ قصيدة فريدة مطلعها:

وأوله سيطت بقلبي من الهوىٰ	فقل بالهوىٰ بالأولية بادي

وأجبت عليه بقصيدة مطلعها:

وفودُ حبيبٍ أم ورودُ عهادِ	وصوت بُشيرٍ أم تَرنّمَ شادِ

ثم سمح الزمان باجتماعي به في صنعاء وغيرها وكثر اتصالنا وكتب إليَّ من نظمه الفائق، ونثره الرائق الكثير الطيب، وهو موجود في مجموع ما دار بيني وبين أهل الأدب وموجود في ديوان شعره الذي قد صار من جملة كتبي، وهو الآن طالت أيامه قائم بالقضاء في حجة وبلادها ويفد إلى صنعاء لقصد زيارة أقاربه وأحبابه وله شعر كثير

جميعه غرر وبالجملة فهو غريب الأسلوب غزير الشؤبوب[١] مطرد الأنبوب.

٢٣٥ ـ عَبْد الرّحيم بن الحسَن بن علي بن عُمَر بن علي بن إبراهيم الأرموي الأسنوي نزيل القاهرة الشيخ جمال الدين أبو محمّد[٢]: ولد في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة ٧٠٤ أربع وسبعمائة وقَدِم القاهرة سنة ٧٢١ وحفظ التنبيه وسمع الحديث من الدبوسي والصابوني وغيرهما، وحدث بالقليل وأخذ العلم عن الجلال القزويني والقونوي وغيرهما وأخذ العربية عن أبي حيان ثم لازم بعد ذلك التدريس والتصنيف فصنَّف التصانيف المفيدة منها (المهمات) والتنقيح فيما يرد على الصحيح و (الهداية إلى أوهام الكفاية) و (زوائد الأصول) و (تلخيص الرافعي الكبير) وله (الأشباه والنظاير) ولم يبيضه وله (البدور الطوالع في الفروق والجوامع) وشرح المنهاج للنووي ولم يكمل وشرح المنهاج للبيضاوي وغير ذلك وكان فقيهًا ماهرًا ومعلمًا ناصحًا ومفيدًا صالحًا مع البر والدين والتودد والتواضع وكان يقرب الضعيف المستهان به من طلبته ويحرص على إيصال الفايدة إلى البليد وربما ذكر عنده المتبدىء الفائدة المطروقة فيصغي كأنه لم يسمعها جبرًا لخاطره. وله مثابرة على إيصال البر والخير إلى كل محتاج مع فصاحة عبارة وحلاوة محاضرة ومروءة بالغة، وقد وليَ وكالة بيت المال والحسبة، ودرّس مدارس ثم عزل نفسه عن الحسبة لكلام وقع بينه وبين الوزير في سنة ٧٦٢ ثم عزل نفسه من الوكالة في سنة ٧٦٦ وانتفع به جمعٌ جمٌ وقد أفرد له العراقي ترجمة ذكر فيها يسيرًا من مناقبه وفضائله ونظمه وبالغ في الثناء عليه. وكان هو يحبه ويعظمه وذكره في طبقات الشافعية في أثناء ترجمة ابن سيد الناس ووصفه بأنه حافظ عصره، وذكره في موضع آخر من المهمات قال ابن حبيب: إمام بحر علمه عجاج، وماء فضله ثجاج، ولسان قلمه عن المشكلات فراج، كان بحرًا في الفروع والأصول محققًا لما يقول من النقول تخرج به الفضلاء، وانتفع به العلماء وذكر أن فراغه من تصنيف جواهر البحرين سنة ٧٣٥. ومن المهمات سنة ٧٦٠ قال القاضي تقي الدين الأسدي: أنه شرع في التصنيف بعد الثلاثين.

وشرح المنهاج مهذب منقح وهو أنفع شروحه مع كثرتها وكانت وفاته ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة.

٢٣٦ ـ عبد الرَحيم بن الحُسَين بن عَبْد الرّحيم بن أبي بَكْر بن إبراهيم بن الزين أبو الفضل الكردي الأصل الشافعي المعروف بالعراقي[٣]: الحافظ الكبير. ولد في حادي

---

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، المعجم المدرسي.

(٢) ترجمته في وفيات ابن رافع بالترجمة رقم ٩١٢.

(٣) ترجمته في النجوم الزاهرة ١٣/ ٣٤ وفي حسن المحاضرة ١/ ٣٦٠.

وعشرين جمادى الأولى سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعماية بمصر بعد أن تحول والده إليها. وسمع من القاضي سنجر والقاضي تقي الدين الأحبائي المالكي وسمع من آخرين وحفظ الحاوي والإلمام لابن دقيق العيد وكان ربما حفظ في اليوم أربعمائة سطر ولازم الشيوخ في الدراية فقرأ القراآت السبع ونظر في الفقه وأصوله على جماعة كابن عدلان والأسنوي، وفي أثناء ذلك أقبل على علم الحديث فأخذ عن جماعة منهم العلاء التركماني وبه انتفع، ورحل إلى بيت المقدس ومكة والشام فأخذ عن شيوخ هذه الجهات وحبب الله إليه هذا الشأن فأكبَّ عليه من سنة ٧٥٢ حتى غلب عليه وتوغل فيه وصار لا يعرف إلا به وتفرّد مع وجود شيوخه.

وقال العزّ بن جماعة وهو من شيوخه كل من يدعي الحديث بالديار المصرية سواه فهو مدفوع. وتصدىٰ للتصنيف والتدريس ومن جملة مصنفاته تخريج أحاديث الإحياء والألفية في علم الحديث وشرحها، ونظم منظومة في السيرة النبوية وأخرى في غريب القرآن ونظم الاقتراح لابن دقيق العيد وشرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه تسع مجلدات ولم يكمل وشرع فيه من أوائل كتاب الصلاة من حيث بلغ الحافظ ابن سيد الناس لأنه قد كان شرع في شرح الترمذي فكتب مجلدًا بلغ فيه إلى أوائل كتاب الصلاة ووقفت عليه بخطه رحمه الله ووقفت على المجلد الأول من شرح صاحب الترجمة وهو إلى أواخر كتاب الصلاة وهذا المجلد الذي وقفت عليه هو بخط الحافظ ابن حجر وفيه بخط مصنِّفه وهو شرح حافل ممتع فيه فوائد لا توجد في غيره ولا سيما في الكلام على أحاديث الترمذي وجميع ما يشير إليه في الباب وفي نقل المذاهب على نمط غريب وأسلوب عجيب ومن مصنفاته (الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد) وتكملة شرح المهذب للنووي واستدرك على المهمات للأسنوي ونظم المنهاج للبيضاوي وغير ذلك وولي تدريس الحديث بدار الحديث الكاملية والظاهرية وجامع ابن طولون وحجَّ مرارًا وجاور وأملىٰ هنالك وولِيَ قضاء المدينة النبوية وخطابتها وإمامتها في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ٧٨٨ ثم صرف بعد مضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وعاد إلى القاهرة فشرع في الإملاء من سنة ٧٩٥ فأملىٰ أربعمائة مجلس وستة عشر مجلسًا.

وكان منور الشيبة جميل الصورة كثير الوقار نزر الكلام طارحًا للتكلف ضيق العيش شديد التوقي في الطهارة لا يعتمد إلا علىٰ نفسه أو على رفيقه الهيثمي وكان كثير الحياء منجمعًا عن الناس حسن النادرة والفكاهة قال تلميذه الحافظ ابن حجر: وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف ويتطوع بصيام ثلاثة أيام في كل شهر، وقد رزق السعادة في ولده الولي فإنه كان إمامًا كما تقدم في ترجمته وفي رفيقه الهيثمي، فإنه كان

ـحافظًا كبيرًا، ورزق أيضًا السعادة في تلامذته فإن منهم الحافظ ابن حجر وطبقته، وكان عالمًا بالنحو واللغة والغريب والقراءات والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه الحديث فاشتهر به وانفرد بمعرفته، وقد ترجمه جماعة من معاصريه ومن تلامذته ومن بعدهم وأثنوا عليه جميعًا وبالغوا في تعظيمه ورثاه ابن الجزري فقال:

رحمـــة الله للعـــراقـــي تتـــرىٰ ... حـافـظَ الأرضِ حبرَهـا بـاتفـاقِ
إننـــي مقســـم أليـــة صـــدق ... لم يكن في البلادِ مثلَ العراقي

مات عقيب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء ثامن[1] شعبان سنة ٨٠٦ ست وثمان مائة بالقاهرة ودفن بها وله شعر فمنه:

إذا قـرأَ الحـديـثَ علـيَّ شخـصٌ ... وأمـــل ميتتـــي ليـــروح بعـــدي
فمـــاذا منـــه إنصـــافٌ لأنـــي ... أريـــد بقـــاءهُ ويـــريـــدُ بُعـــدي

وأملىٰ في صفر سنة موته مجلسًا لما توقف النيل ووقع الغلاء المفرط وختمه بقصيدة أولها:

أقـولُ لمـن يشكـو تـوقـفَ نيلُنَـا ... سـل الله يمـدده بفضـلٍ وتـأييـدِ

وختمها بقوله:

وأنتَ فغفار الذنوبِ وساترَ الـ ... ـعيوبِ وكشَّاف الكروبِ إذا نوديَ

وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبة بليغة فرأوا البركة بعد ذلك وجاء النيل عاليًا.

٢٣٧ ـ عَبْد الرّازق بن أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عُمر بن أبي المعالي محمّد بن محمود بن أَحْمد بن محمّد[2]: ابن أبي المعالي المفضل بن عباس بن عبد الله بن معن بن زايدة الشيباني المعروف بابن القرطي المروزي الأصل البغدادي.

ولد في المحرم سنة ٦٤٢ اثنتين وأربعين وستمائة وأسر في كائنة بغداد فاتصل بالنصير الطوسي فخدمه واشتغل عليه وسمع من محيي الدين بن الجزري وباشر كتب خزانة مراغة وهي على ما نقل أربعمائة ألف مصنف، واطلع على نفائس الكتب فعمل تاريخًا حافلاً جدًا، ثم اختصره في آخر سماه (مجمع الآداب ومجمع الأسماء والألقاب)

---

(١) في شذرات الذهب ٧/٥٦: توفي عقب خروجه من الحمام في ثاني شعبان سنة ٨٠٦ هـ وله إحدى وثمانون سنة وربع سنة.

(٢) انظر هدية العارفين ٥/٥٦٦.

في خمس مجلدات وله (درر الأصداف في نحور الأوصاف) و (الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة) وعنيٰ بالحديث وقرأ بنفسه وكتب بخطه المليح كثيرًا وقال إنَّ شيوخه يبلغون خمسمائة وكان له نظم حسن وخط بديع جدًا ونظر في علوم الأوائل وكان مع حسن خطه يكتب في اليوم أربع كراريس.

قال الصفدي: أخبرني من رآه ينام ويضع ظهره إلى الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف وقال الذهبي: كانت له يد بيضاء في النظم وترصيع التراجم، وله ذهن سالم وقلم سريع وخط بديع وبصر بالمنطق والحكمة. ويقال: إنه كان يتناول المسكر ثم تاب وصلح حاله وكان روضة معارف وبحر أخبار وقد ذكر في بعض تواليفه أنه طالع تواريخ الإسلام ثم سردها (تاريخ خوارزم)، (تاريخ أصبهان)، (تاريخ قزوين)، (تاريخ الري)، (تاريخ مراغة)، (تاريخ البصرة)، (تاريخ الكوفة)، (تاريخ واسط)، (تاريخ سامرا)، (تاريخ تكريت)، (تاريخ الموصل)، (تاريخ ميافارقين)، (تاريخ صقلية)، (تاريخ اليمن)، وسرد شيئًا كثيرًا، ومات في ثالث المحرم سنة ٧٢٢ اثنتين وعشرين وسبعمائة.

٢٣٨ ـ **عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير**[١]: شرحه شرحًا بسيطًا وشرحًا مختصرًا وشرح الشهاب وشرح آداب القضاء وطبقات الصوفية وغير ذلك. توفي سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف، أو في التي بعدها ولم أقف له على ترجمة مبسوطة.

٢٣٩ ـ **عَبد العزيز بن أحمد النّعمان الضّمدي**: أحد العلماء الموجودين في القرن الحادي عشر له مؤلفات مشهورة منها حاشية على شرح الخبيصي على الكافية ومنها شرح المعيار للإمام المهدي ومنها تخريج أحاديث الشفاء للأمير الحسين. وتولىٰ القضاء بمواضع من الديار اليمنية كزبيد والمخا، ولم أقف على تعيين مولده ولا وفاته، ولكنه موجود في القرن الحادي عشر كما قدمنا ويروى أن والد المترجم له محمّد لا أحمد.

٢٤٠ ـ **عَبد الْعَزِيز بن سَرايا بن علي بن أبي القَاسِم بن أَحْمَد بن نَصر الطائي الحلي صفي الدين**[٢]: ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ سبع وسبعين وستمائة، وتعانى الأدب فمَهَرَ في فنون الشعر كلها وفي علم المعاني والبيان والعربية، وتعانى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر ماردين وغيرها في التجارة، ثم يرجع إلى بلاده وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان، وانقطع مدة إلى ملوك ماردين وله في مدائحهم الغرر وامتدح الناصر محمّد بن قلاون والمؤيد وكان يتهم بالرفض.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٥١٠.
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة ٢/ ٤٧٩. وفيها ولد سنة ٦٧٧ هـ وتوفي سنة ٧٥٠ هـ أو ٧٥٢ هـ.

قال ابن حجر: وفي شعره ما يشعر به وكان مع ذلك يتنصل بلسانه وهو في أشعاره موجود فإن فيها ما يناقض ذلك وأول ما دخل القاهرة سنة بضع وعشرين فمدح علاء الدين بن الأثير فأقبل عليه وأوصله إلى السلطان، واجتمع بابن سيد الناس وأبي حيان وفضلاء ذلك العصر فاعترفوا بفضائله، وكان الصدر شمس الدين عبد اللطيف يعتقد أنه ما نظم الشعر أحد مثله وهذا لا يسلمه من له معرفة بالأدب بالنسبة إلى أهل عصره فضلاً عن غيرهم.

وديوان شعره مشهور يشتمل على فنون كثيرة وله البديعية المشهورة وجعل لها شرحًا وذكر فيه أنه استمد من مائة وأربعين كتابًا.

ومن محاسن شعره وفيه الاستخدام في كلا البينين:

إذا لم أُبَرقِعْ بالحيا وجه عفتي ... فلا أشبهته راحتي في التَّكرّمِ

ولا كنتُ ممن يكسرَ الجفنَ في الوغىٰ ... إذا أنا لم أغضضه عن فعلٍ محرَّمِ

مات سنة ٧٥٢ اثنتين وخمسين وسبعمائة.

٢٤١ ـ عَبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن صخر الكناني الشافعي[(١)]: ولد في تاسع عشر المحرم سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة، وأحضر على عمر بن القواس وأبي الفضل بن عساكر وأجاز له جماعة كالدمياطي وطبقته وبلغ عدد شيوخه ألفًا وثلثمائة نفس وتفقّه على والده وأخذ عن علاء الدين الباجي، وأبي حيان ودرس في سنة ٧٥٤ إلى أن مات وكان حسن الأخلاق كثير الفضائل.

قال الذهبي: سمع وكتب الطباق وعنىٰ بهذا الشأن ووليَ القضاء بالديار المصرية سنة ٧٢٨ وباشره بعفة ولم يزل على ذلك إلى أن عزل نفسه في سنة ٧٥٤ واستأذن في الحج فأذن له ولم يزل به أمراء الدولة إلى أن عاد إلى القضاء ثم كان بعض عظماء الدولة يعانده في الأمور الشرعية فعزل نفسه في سنة ٧٦٦ وحمل في كمه ختمة شريفة فتوسل بها إلى السلطان فأعفاه واستمر يدرس في مواضع، ثم حج وجاور وله مصنفات قال ابن رافع: جمع شيئًا على المذهب وعمل المناسك الكبرى والصغرىٰ وخرج أحاديث الرافعي وتكلم على مواضع من المنهاج وقال الأسنوي في الطبقات: نشأ في العلم ودرّس وأفتى وصنَّف تصانيف حسانًا وخطب بالجامع الجديد وسار سيرة حسنة في القضاء وكان حسن المحاضرة سريع الخط سليم الصدر محبًا لأهل العلم شديد التصميم في الأمور التي تصل

(١) ترجم له ابن رافع بالرقم ٨٣٧، وترجمته أيضًا في الشذرات ٦/٢٠٨ ـ ٢٠٩.

إليه، وكانت فيه عجلة في الجواب، ولم يكن فيه حذق وغالب أموره بحسب من يتوسط بخير أو شر.

قال ابن حجر ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان غير ماهر في الفقه، وكان يتمنى الموت بأحد الحرمين معزولاً عن القضاء فنال ما تمنى فإنه حجَّ وجاور فمات[١] بمكة في سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة ودفن بالحجون وقد وقع الإلحاح عليه في أن يعود إلى القضاء حتى وصل إليه الأمراء وقضاة المذاهب وراودوه بكل ممكن فصمَّم على الامتناع وحلف أيمانًا مغلظة أنه لا يعود فللّه دره.

٢٤٢ ـ عَبْد القَادِر بن أحمد الفاكهي ثم المكّي العالم المشهور[٢]: له تصانيفَ منها شرح منهج القاضي زكريا وشرح قصيدة الصفي الحلي وكتاب في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب في فضائل شيخه ابن حجر الهيثمي ومات سنة ٩٨٩ تسع وثمانين وتسعمائة.

٢٤٣ ـ السيّد عَبْد القادر بن أَحْمد بن عَبْد القادر بن النَّاصِر بن عبد الرّب بن علي بن شمس الدِّين: بن الإمام شرف الدِّين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى. قد تقدم تمام نسبه في ترجمة الإمام المهدي أحمد بن يحيى وهو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق ولد كما نقلته من خطه في شهر القعدة سنة ١١٣٥ خمس وثلاثين ومائة وألف ونشأ بكوكبان فقرأ على من به من العلماء ثم ارتحل إلى صنعاء فأخذ عن أكابر علمائها كالسيّد العلاَّمة محمد بن إسماعيل الأمير والسيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى وغيرهم، ثم ارتحل إلى مدينة ذمَّار وهي إذ ذاك مشحونة بعلماء الفقه والفرائض فأخذ عن شيوخها في الفقه والفرائض، ثم تردد في جميع مدائن اليمن وأخذ عن كل من لقيه من العلماء، ثم ارتحل إلى مكة والمدينة فأخذ عن علماء الحرمين. وشيوخه قد اشتمل عليهم مجلد حافل ذكر فيه من أخذ عنه ومن أجاز له والأسانيد التي تلقاها عن شيوخه وبقي مهاجرًا في الحرمين نحو عامين، ثم عاد إلى كوكبان وصنعاء، ثم استوطن كوكبان، واستقر هنالك ينشر العلم ويفيد الطالبين، ومن جملة من أخذ عنه أمير كوكبان إذ ذاك السيّد العلاَّمة أحمد بن محمّد بن الحُسَين وجماعة كثيرة منهم السيّد العلاَّمة علي بن محمّد بن علي ومنهم ولده السيّد العلاَّمة إبراهيم بن عَبد القادِر المتقدم ذكره.

---

(١) في الشذرات ٧/٢٠٩ ـ حجّ فمات في جمادى الآخرة سنة ٧٦٧ هـ ودفن بعقبة باب المعلى إلى جانب قبر الفضيل بن عياض.

(٢) ترجمته في النور السافر ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

وكان يفد إلى صنعاء في الأمور المهمة كوفوده عند موت الإمام المهدي رحمه الله لمبايعة ولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله وكان في مدة إقامته هنالك قد طار صيته في جميع الأقطار اليمنية وأقرّ له بالتفرد في جميع أنواع العلم كل أحد بعد موت شيخه السيّد العلاَّمة محمد بن إسماعيل الأمير، وأني أذكر وأنا في المكتب مع الصبيان أني سألت والدي رحمه الله عن أعلم من بالديار اليمنية إذ ذاك فقال فلان يعني صاحب الترجمة. وأخبرني العالم الفاضل عبد الرحمٰن بن الحسن الريمي أنه حضر في بعض المواقف بصنعاء.

وقد كان اجتمع فيه أكابر علماء صنعاء وسماهم لي وكل واحد له شهرة كبيرة بالعلم والتفنن فيه قال ومن جملة الحاضرين صاحب الترجمة وهو أصغرهم سنًا وكان ذلك في إحدىٰ قدماته إلى صنعاء قال فرأيتهم يتواضعون له ويخضعون لعلمه ويستفيدون منه، ويعترفون بارتفاع درجته عليهم، وهذا الاجتماع بينه وبين قدوم شيخنا إلى صنعاء واستقراره فيها سنون كثيرة، فإنه قدم هذا القدوم الآخر الذي استقر فيه ولم يبقَ من أولئك الأعيان الذين كانوا في ذلك الموقف أحد، ثم لما أراد الله إحياء علوم الحديث، بل وسائر العلوم بصنعاء جرت بينه وبين أمير كوكبان السيّد إبراهيم بن محمّد بن الحُسَين مناكدة فأظهر أنه يريد الخروج من كوكبان إلى وادي ظهر للتنزّه به أيام الخريف، فأذِنَ له السيّد إبراهيم فخرج واستقرّ أيامًا بوادي ظهر.

وما زال يرسل لأهله ولكتبه ولجميع ما يحتاج إليه ثم كتب إلى الوزير الخطير الحسن بن علي حنش المتقدم ذكره: بأنه يريد الانتقال إلى صنعاء فرفع القضية إلى خليفة العصر حفظه الله فأذن بذلك وأنزله بدار الفرج من بير العرب، فسكن فيها ووفد إليه أكابر علماء صنعاء وأخذ عنه جماعة من أعيانهم، كشيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني والسيّد العلاَّمة علي بن عبد الله الجلال والسيّد العلاَّمة عبد الله بن محمد الأمير، وجماعة كثيرة، ومنهم العلاَّمة الحسن بن علي حنش وأخذت عنه في علوم عدة فقرأت عليه في صحيح مسلم من أوله إلى آخره بلا فوت مع بعض شرحه للنووي وبعض صحيح البخاري مع بعض من شرحه فتح الباري وبعض (جامع الأصول) لابن الأثير وسنن الترمذي من أولها إلى آخرها بلا فوت وبعض سنن ابن ماجه، وبعض الموطأ وبعض المنتقى لابن تيمية وبعض شفاء القاضي عياض وسمعت منه كثيرًا من الأحاديث المسلسلة كالحديث المسلسل بيوم العيد والمسلسل بالمصافحة، والمسلسل بالمشابكة، وغير ذلك وقرأت عليه في علم الاصطلاح بعض (منظومة الزين العراقي)، وشرحها، وفي الفقه بعض (ضوء النهار) وبعض (البحر الزخار) مع حواشيهما، وفي علم أصول

الدين بعض المواقف العضدية وشرحها للشريف وبعض القلائد وشرحها، وفي أصول الفقه بعض جمع الجوامع وشرحه للمحلي، وفي اللغة بعض (الصحاح) وبعض (القاموس)، ومؤلفه الذي سمّاه (فلك القاموس) وفي العروض (الجزازية) وشرحها جميعًا وسمعت منه في غير هذه الكتب مما لم أستحضره حال تحرير هذه الترجمة، وكانت القراءات جميعها يجري فيها من المباحث الجارية على نمط الاجتهاد في الإصدار والإيراد ما تشدّ إليه الرحال وربما انجرّ البحث إلى تحرير رسائل مطولة.

ووقع من هذا كثير وكنت أحرر ما يظهر لي في بعض المسائل وأعرضه عليه فإن وافق ما لديه من اجتهاده في تلك المسألة قرظه تارة بالنظم الفائق وتارة بالنثر الرائق وإن لم يوافق كتب عليه ثم أكتب على ما كتبه.

ثم كذلك فإن بعض المسائل التي وقعت فيها المباحثة حال القراءة اجتمع ما حررته وحرره فيها إلى سبع رسائل وكان رحمه الله متبحرًا في جميع المعارف العلمية على اختلاف أنواعها يعرف كل فن منها معرفة يظن من باحثه فيه أنه لا يحسن سواه والحاصل أنه من عجائب الزمن ومحاسن اليمن يرجع إليه أهل كل فن في فنهم الذي لا يحسنون سواه فيفيدهم، ثم ينفرد عن الناس بفنون لا يعرفون أسماءها فضلاً عن زيادة على ذلك وله في الأدب يدٌ طولى فإنه ينظم القصيدة الفائقة في لحظة مختطفة بحيث لا يصدق بذلك إلا من له به مزيد اختبار، ومع هذا ففيه من لطف الطبع وحسن المحاضرة وجميل المذاكرة والبشاش ومزيد التواضع، وكمال التودّد وملاحة النادرة ما لا يمكن الإحاطة بوصفه ومجالسته هي نزهة الأذهان والعقول لما لديه من الأخبار التي تشنف الأسماع والأشعار المهذبة للطباع، والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع، أنه قد عرفها بالمشاهدة ولم يكن الأمر كذلك، فإنه لم يعرف غير اليمن والحرمين، ولكنه كان باهر الذكاء قوي التصور كثير البحث عن الحقائق فاستفاد ذلك في أيام مجاورته في الحرمين لوفود أهل الأقطار البعيدة إلى هنالك وكنت أظن عند ابتداء اتصالي به أنه قد عرف بلاد مصر لكثرة حكاياته عن أهله وعن عجائب وغرائب موجودة فيها في عصره لا فيما تقدم، فإنه لا يستنكر ذلك لأنه قد صنّف الناس في أخبارها مصنّفات يستفيد بها من أكبَّ على مطالعتها ما يقرب من المشاهد كالخطط، والآثار للمقريزي، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي.

إنما الشأن فيما يحكيه صاحب الترجمة على ما جرت في عصره، فإن ذلك هو الأمر العجيب الدال على اختصاصه بما لا يقوم به غيره:

ليسَ علىٰ اللّهِ بمستنكرٍ أنْ يجمعَ العالَم في واحدِ

وله في حسن التعليم صناعة لا يقدر عليها غيره فإنه يجذب إلى محبته وإلى العمل بالأدلة من طبعه أكثف من الصخر وإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار، ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض ولقد كنت أرىٰ منه من هذا الجنس ما يزداد منه تعجبي، ولذا تم خبره بأحوال الناس وبما يليق بكل واحد منهم، وما يناسبه وما لا يناسبه وله في علم الطب مشاركة قوية، وله في كل الصناعات العملية كائنة ما كانت أتمّ اختبار، وكان الناس يقصدونه على اختلاف طبقاتهم فأهل العلم يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه، ويعرضوا عليه أشعارهم، والمحاويج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم بما يمكنه وكرمه كلمة إجماع والمرضىٰ يلوذون به لمداواتهم وغرباء الديار من أهل العلم ينزلهم في منزله، ويفضل عليهم بجميع ما يحتاجونه ويسعى في قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم وهو مقبول الشفاعة وافر الحرمة عظيم الجاه وبالجملة فلم ترَ عيني مثله في كمالاته ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع علومه ولم يكن بالديار اليمنية في آخر مدته له نظير وكان لما جبل عليه من حسن الأخلاق لا يبدي من علومه عند المناظرة ما ينقطع به من يناظره لا سيما إذا كان من يناظره من المقصِّرين كل ذلك محبة منه لجبر الخواطر وائتلاف القلوب.

وربما يتأثر عن ذلك لبعض مَنْ لم يحط به خبرًا أنه ليس كما يقول الناس في التفرد بالعلم، وقد سمعت هذا من كثير من الذين لم يبلغوا في العلم مبالغ الكمال ولو عرفوه كما عرفه أهل الكمال الممارسون له لعلموا بأن الحامل له على التسامح في مناظرتهم ما جبل عليه من سجاحة الخلق، وكان رحمه الله لا يتعرض لتنقيص أحد كائنًا من كان بل يذكر من كل أحد ما اشتمل عليه من المحاسن ويغضي عن مساويه وهو أعرف بها من غيره ويبالغ في وصف من له اشتغال بالعلم، وينشر من محاسنه ما لا يسمح به غيره بعبارات تعشقها القلوب وتَرْتَشفَها الأسماع وتقبل عليها الطباع وهو رحمه الله من جملة من رغَّبني في تأليف شرح على المنتقىٰ فشرعت فيه في حياته، وعرضت عليه كراريس من أوله فقال: إذا كمل على هذه الكيفية كان في نحو عشرين مجلدًا.

وأهل العصر لا يرغبون فيما بلغ من التطويل إلى دون هذا المقدار، ثم أرشدني إلى الاختصار ففعلت فَكَمُلَ بحمد الله وبيَّضته في أربع مجلدات ولم يكمل إلا بعد موته بنحو ثلاث سنين، وقد أجازني إجازة عامة كتبها إليَّ بعد أن مكنني من كتاب أسانيده فنقلت منه ما أريدُ نقله، ولم يكن له كثرة اشتغال بالتأليف ولو أراد ذلك لكان له في كل فن ما لا يقدر عليه غيره وله رسائل حافلة ومباحث مطولة هي مجموعة في مجلد، والكثير منها

لم يكن فيه فإنه كان مقصودًا بالمشكلات في كل فن من جميع الأقطار اليمنية ولكنه لم يحرص على جمع ذلك كلية الحرص، ومن مؤلفاته شرح (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف) للسيّد العلاّمة صلاح بن الحسين الأخفش المتقدم ذكره.

وهو شرح نفيس مفيد في مجلد لطيف وله (فلك القاموس) في كراريس وله حواش على (ضوء النهار) في نسخته لو جمعت لكانت حاشية مستقلة وقد كان ولده العلاَّمة إبراهيم شرع في جمعها وضم إليها أنظارًا له ولم أقف على شيء منها، ولعله لم يتيسَّر له تمامها وبيني وبينه رحمه الله مطارحات أدبية فمنها قصيدة كتبتها إليه وهي:

مِنْ دُونَها يا عمرُو وخز الرماح ... وعندها فاعلمْ صليلَ الصِفَاحِ
لا يسمعُ السامعُ في حيها ... غير جلادٍ مفزعٍ أو كِفَاحِ
فسرْ إليها سيرَ متهوّرٍ ... مستبدلٍ فيها الحيا بالوَقاحِ
مشمِّراً قد صم لا ينثني ... عن حبها لعاذلٍ أو لـلاحِ
فما يهابُ العتبَ من فاز من ... غايةِ أمنيتهِ بالنجَاحِ
سعىٰ فلما ظفرتُ بالمنىٰ ... يمينهُ ألقىٰ العصا واستراحِ
قد أتعبَ السير رحالي وقد ... آن لها بعد الوجىٰ أنْ تُرَاحِ
فقد أقامتني عداها الردى ... بربعِ طَودِ العلمِ بحرَ السّماحِ
من هز للعليا قناةً ومن ... حمىٰ حماها فهي لا تستباحِ
من شادَ للسنة أعلامها ... من كافح البدعة كل الكفاحِ
مجدِّداً مجتهداً جاهداً ... للدينِ في علم الهدىٰ والصلاحِ
يا عالمَ السنّةِ في دَهْرِنا ... وقطبَ أربابِ النهىٰ والفلَاحِ
ما بال من أنصفَ في عصرِنا ... ومالَ نحو المسندات الصِحَاحِ
واطرحَ التقليد من حالقٍ ... مقطَّعاً ربقتهُ والوشاحِ
يُرمَىٰ بداء النصب في قومه ... وما على الرامي له من جَناحِ
يمزقونَ العرضَ منه إذا ... جاء بمرِّ الحقِ فيهم وراحِ
يَلقىٰ لديهم من صنوفِ الأذىٰ ... كلُّ قبيحٍ في المسا والصباحِ
ابن قزند البهت منهم غدا ... منقدحاً في القلب أيّ انقداحِ

فأجاب رحمه الله تعالى بقوله:

دعْ قولَ واشٍ فعذولُ فلاحِ ... فليسَ فيما نمَّقُوه فلاحِ

وفارقَ الروضَ وما راقَ من ... طيبِ عيشٍ فاق إن لاحَ لاحِ
نفسي فدا أحمدَ والآل من ... في حبهمْ نيل النجا والنجاحِ
من حلّ في نجدٍ وغورٍ وفي ... كل مكان ومهبِّ الرياحِ
عاملهم ركني على أنني ... أدعو لكل منهم بالصلاحِ
وأنصحُ الجاهل منهم وهم ... كلهم أفضل مَنْ جا وراحِ
أحبُّ من أهلي هم دائماً ... ولو لقاني عاذلي بالكفاحِ
فحبهُم أفضلُ ما أرتجي ... من فعلِ خيرٍ واجبٍ أو مُباحِ
وكلَّ قولٍ لهم أرتضي ... يرويه في البحرِ إمام الفَلاحِ
تعساً لمن عاداهم يدعي ... تشيُّعاً وهو عدوٌ براحِ
ويقصرُ الحقُ على خمسةٍ ... وقولٌ باقيهم لديهِ نِبَاحِ
وكلَّ مَنْ عاصرهُ منهمْ ... يودُّ لو قطَّعه بالصِّفاحِ
كأنهمْ ليسوا بني المصطفىٰ ... لديهِ تبّاً لبغيضٍ وَقاحِ
تقليدهم قد أجمعوا أنَّه ... لعالمٌ بالنصِّ لا يُستبَاحِ
وأوجبوا المشيَ مع النص إن ... لم يك للعالم بد سجاحِ
فمن أبىٰ هذا فدعه ولا ... تلقاهُ يوماً غدوةً أو رواحِ
عليكَ بالآل تمسكُ بهم ... وإن تلقاك العدىٰ بالسلاحِ
يا عالمَ السنة في عصرِنا ... ومن به يمتازُ منها الصِّحاحِ
دمت تجلي كل مستشكلٍ ... بنور فهمٍ منه نور الصباحِ
يهدىٰ بعلم كلما أنشدت ... دعْ قول واش فعذولُ فلاحِ

وبيني وبينه مكاتبات أدبية من نظم ونثر، ولم يحضر حال تحرير هذا إلا هذه، وقد كان رحمه الله يميل إليَّ كل الميل ويؤثرني أبلغ تأثير، وما سألته القراءة عليه في كتاب فأبىٰ قط، بل كان يبتديني تارات، ويقول تقرأ في كذا.

وكان يبذل لي كتبه ويؤثرني بها على نفسه وما زال ناشرًا للعلوم قائمًا بتفهيم منثورها والمنظوم حتى توفاه الله تعالى في يوم الاثنين خامس ربيع الأول سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف وتأسَّف الناس علىٰ فقده ورثاه الشعراء بمراثٍ حسانٍ هي مجموعة في كراريس وأنا من جملة من رثاه بقصيدة مطلعها:

تهدَّم من ربعِ المعارفِ جانبه ... وأصبحَ في شغلٍ عن العلمِ طالبه

٢٤٤ ـ عَبْد القَادِر بن أَحْمَد بن علي بن عَبْد المؤمن النزِّيلي: الخطيب بجامع

صنعاء في أيام الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين وبعض أيام ولده المنصور بالله، هو من البلغاء في النظم والنثر فمن شعره ما كتبه إلى السيّد العلاّمة عبد الله بن علي الوزير:

عد عن ذكرِ الحمىٰ والكثبِ ... وأدرْ ذكرَ بديعِ الشنبِ
وارو عَنْ مكحولِ طرفٍ منه قد ... أرشقَ القلبُ نبالَ الوصبِ
وأدرْ كاس طلاً من ذكرهِ ... مازجاً من ريقهِ بالضربِ
لا تغالطني بغزلان النقا ... فغزال الحسنِ أقصىٰ أربي
أنا أدري أين قلبي موثق ... وبمن هام ومن أين سبي
لا أسمي من سباني حسنُه ... إنما التمويه فيه مذهبي

وهي أبيات طويلة، وله شعر كثير منسجم إلى الغاية وكان له معرفة بمواقع الخطب على حسب الحوادث ويجودها ببلاغته وكان جليسًا للإمام المتوكل على الله وفيه خفة روح وظرافة وخلف دنيا واسعة.

عاش فيها من بعده والموجود الآن أولاد ولده، وهم في غنية بما خلفه جدهم من الأموال ومات في شعبان سنة ١١٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف.

٢٤٥ ـ **عبد القادر بن علي البدري الثلائي**[١]: العلاّمة المجتهد المتبحّر في جميع العلوم ولد سنة ١٠٧٠ سبعين وألف وأخذ العلم عن جماعةٍ من أكابر العلماء، كالعلاّمة المقبلي المتقدم ذكره وله مسائل ورسائل يسلك فيها مسالك المجتهدين ويحررها تحرير متقنا ويمشي مع الدليل ولا يعبأ بما يخالفه من القال والقيل.

وكان قاضيًا لمدينة ثلا. وامتحن في أوائل دولة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم لسبب مفترى وكان قصيرًا جدًا فحمله بعض العامة وكان يترقص به ويقول:

متىٰ يا طلعت البدريُّ ... تواصلُ مَغْرَمك

فعاقبه الله سبحانه وقتل شر قتلة وسيأتي له ذكر في ترجمة السيّد عبد الله الوزير ومات سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف رحمه الله.

وولده يوسف من أكابر العلماء وأفاضل العباد، وحفيد صاحب الترجمة أحمد بن يوسف بن عبد القادر هو حال تحرير هذه الأحرف قاضي ثلا وهو من خيرة قضاة العصر وله عرفان تام.

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٨٢.

٢٤٦ ـ عَبْد القَادِر بن علي المحيرسي الزَّيدي الحيمي اليماني صاحب الحاشية على شرح الأزهار: وهي حاشية نفيسة، وفيها أبحاث تدل على أن صاحب الترجمة له عرفان بغير الفقه وتطلع إلى النظر في المسائل لا كغيره من الجامدين على علم الفروع.

أخذ العلم عن جماعة منهم السيّد محمّد بن عز الدين المفتي وكان من المجاهدين للأروام، يقود العساكر من الحيمة ويقدم غاية الإقدام. وكان بين والده وبين صاحب كوكبان حروب كبيرة، واستشهد في أحدها، ويقال أنه كان له هيكل لا يصيبه شيء وهو معه، فكان يمارس الحروب غير مبال بما يقع من الخصوم فاحتالوا عليه في أخذه فأصيب، ثم صار هذا الهيكل إلى ولده صاحب الترجمة وبسببه سلم مكانه في الحمىٰ من الحريق بعد أن أحرق جميع الأمكنة، وقيل أنه كان له صاحب من مؤمني الجن يصلِّي معه ويجالسه.

وكان قوّالاً بالحق كثير الصدقة وإطعام الطعام ومات في رجب سنة ١٠٧٧ سبع وسبعين وألف.

وكان له أخ من نوادر الزمان في قوة الذكاء وسرعة الحفظ والتمكن من معرفة مذهبه ثم قرأ فقه الحنفية وتولىٰ القضاء للأروام بصنعاء، وكان يقضي بمذهبهم ويفتيهم بلسانهم ويفتي أهل فارس باللغة الفارسية والعرب باللغة العربية مع تبحر في علم المعقول وشيخه في فقه مذهبه السيّد المفتي الزيدي، ثم أنه اختلط بآخره لدقة فكره واشتعال ذهنه وكان يذكر أنه المهدي المنتظر وتارة يقول هو الدابة التي تكلم الناس وله أشعار فائقة ثم دخل مكة وتوفي بها في أفراد الخمسين بعد الألف.

٢٤٧ ـ عَبْد القَادِر بن محمّد الطبري المكي الشافعي: ولد سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة، وبرع في جميع الفنون وفاقَ وله مصنفات منها (شرح الدريدية المسمىٰ بالآيات المقصورة على الأبيات المقصورة)، و (حسن السريرة في حسن السيرة) وله بديعية وشرحها وسمّاها (عليُّ الحجة بتأخير أبي بكر ابن حجة)، وله (نشاءات السلافة بمنشآت الخلافة)، وشرح قطعة من ديوان المتنبي.

وله عدة رسائل وكان شريف مكة حسن ابن أبي نميٍّ يكرمه إكرامًا عظيمًا ولهذا كان أكثر مصنفاته باسمه.

ومن لطيف ما وقع له أنه لما صنّف شرح الدريدية المتقدم ذكره باسم الشريف المذكور، ووصل به إليه، كان ذكر له أنه أنشأ بيتين فيهما تاريخ تمام تأليفه على لسان الكتاب وهما:

أرخنـــي مـــؤلفـــي ببيـــتِ شعـــرٍ مـــا ذهـــبْ
أحمـــدُ جَـــودٌ مـــاجـــدٌ أجـــازنـــي ألـــفَ ذهـــبْ

فتبسَّم الشريف، ووضع الكتاب في حجره ووضع يده على رأسه وقال: على الرأس والعين والله إن ذلك نزر يسير في مقابلته وإني أحمد الله الذي أوجد مثلك في زمني.

واتفقت له محنة كانت سبب موته وذلك أنه استناب ولده يخطب للعيد وكانت أول خطبة حصلت له فتهيأ لذلك فمنعه بعض أمراء الأروام الواردين إلى مكة ذلك العام ورغب في أن يكون الخطيب حنفيًا، فعظم ذلك على صاحب الترجمة جدًا وفاضت نفسه في الحال كمدًا، وذلك في سنة ١٠٣٢ اثنتين وثلاثين وألف.

وكان موته والخطيب على المنبر وقدم للصلاة عليه بعد تلك الخطبة.

٢٤٨ ـ السيّد عَبْد الكرِيمْ بن أَحْمد بن محمّد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القَاسِم: مولده سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء وأخذ العلم عن والده وعن شيخنا السيّد العلاَّمة علي بن إبراهيم بن عامر، وقرأ على شيخنا العلاَّمة الحَسَن بن إسماعيل المغربي، وتميز في أنواع من العلم وله نظم لم يحضرني منه الآن شيء.

وفيه سكون وحسن سمت ووقار وعفة ونزاهة وديانة وبشاش، وكرم أنفاس، وعلو همة، وشهامة نفس ورياسة وكياسة، وانجماع لا سيما عن بني الدنيا، وتودد إلى أصحابه ومعارفه، وهو الآن حي.

ثم مات رحمه الله في (دن وصاب) انهدم عليه المنزل الذي كان فيه في أحد شهري جمادى سنة ١٢٢٥ خمس وعشرين ومائتين وألف.

٢٤٩ ـ عَبْد الكريم بن هِبَة الله ابن السدِيدْ المصري الملقَّب كريم الدّين الكبير أبو الفضائل[1]: وكيل السلطان ومدبر الدولة الناصرية أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير وكان كاتبه، فلما هرب بيبرس ودخل الناصر القاهرة تطلبه إلى أن ظفر به وصادره على مائة ألف دينار فالتزم بها ولم يزل جماعة من الأمراء يتلطفون للسلطان إلى أن سمح بجملة من ذلك وقرره في نظر الخاصة فهو أول من باشرها، وتقدَّم بعد ذلك عند الناصر حتى صارت الخزائن كلها في يده وإذا طلب الناصر شيئًا يرسل إليه قاصدًا من عنده

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٦٣.

يستدعي منه ما يريد فيجهز له ذلك من بيته.

وعظم جدًا وصار يركب في عدة مماليك نحو السبعين والأمراء يركبون في خدمته وبلغ من عظم قدره أنه مرض مرة فلما عوفي دخل إلى مصر فزينت له، وكان عدد الشمع ألفًا وسبعمائة شمعة وركب حراقة فلاقاه التجار ونثروا عليه الذهب والفضة وعمر الجوامع وفعل المحاسن وكان السلطان إذا أراد أن يحدث شرًا على أحد فحضر كريم الدين تركه.

وقال القاضي علاء الدين هذه المكارم ما يفعلها كريم الدين إلا لمن يخافه فأسرها في نفسه وراح إليه يومًا على غفلة فأضافه بما حضر إليه ثم أرسل كريم الدين من أحضر إليه أنواعًا من المآكل والملابس ودفع إليه كيسًا فيه خمسة آلاف درهم وتوقيع بزيادة في رواتبه من الدراهم والغلة والملبوس وغير ذلك، وخرج من عنده فلما خرج علاء الدين يودعه قال له يا مولانا والله ما أفعل هذا تكلفًا وأنا والله لا أرجوك ولا أخاف. وكان يتصدق بصدقات طايلة ويجتمع لذلك الفقراء حتى مات مرة من الزحمة على تلك الصدقة ثلاثة أنفس. ومن رياسته أنه كان إذا قال: نعم استمرت، وإذا قال: لا استمرت.

وكان يوفي ديون من في الحبس ويطلق من فيها دائمًا وكان مع جوده عادلاً وقورًا جزل الرأي بعيد الغور يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم كثيرًا. قال الذهبي وكان لا يتكلَّف في ملبس ولا زي ولما انحرف عنه السلطان أوقع الحوطة على دوره وموجوده وذلك في رابع عشر ربيع الآخر سنة ٧٢٣ ثم أمر بلزوم بيته بالقرافة ثم نقل إلى الشوبك، ثم إلى القدس، ثم أعيد إلى القاهرة سنة ٧٢٤، ثم سُفِّر إلى أسوان فأصبح مشنوقًا.

ويقال أنه لما أريد قتله توضأ وصلىٰ ركعتين ثم قال: هاتوا عشنا سعداء ومتنا شهداء.

وكان العوام يقولون ما أحسن الناصر إلى أحد ما أحسن إلى كريم الدين أسعده في الدنيا والآخرة. ولما أمر السلطان بنقل موجوده إلى القلعة على بغال فكان أولها بباب بيته وآخرها بباب القلعة وحمل على الأقفاص مائة وثمانون قفصًا ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث دفعات أو دفعتين، سوى ما كان ينقل مع الخدام من الأشياء الفاخرة التي لا يؤمن عليها مع غيرهم ووجد له من النقد خاصة ثمانون ألف قنطار وكان عدد الصناديق التي فيها أصناف العطر من العود والعنبر والمسك أحد وأربعين صندوقًا.

٢٥٠ ـ عَبْد اللطيف بن عبد العزِيز بن أَمين الدِّين بن فرشتا الحنفيّ[1]: وفرشتا هو

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١٦٨٩.

الملك. له تصانيف منها شرح المشارق للصغاني وشرح المنار والوقاية، وشرح المصابيح، وكان من علماء الروم الموجودين في أيام السلطان مراد، وكان معلمًا للأمير محمد بن آيدين، ومدرسًا بمدرسة تيرة وتلك المدرسة مضافة إليه إلى الآن، وهو ماهر في جميع العلوم خصوصًا الشرعية.

ومن جملة تصانيفه (شرح مجمع البحرين) وهو كثير الفوائد معتمد في بلاد الروم وله رسالة لطيفة في علم التصوف وله حظٌّ عظيمٌ في المعارف الصوفية قال صاحب الشقائق النعمانية: إنه كان موجودًا في سنة ٧٩١. وكان له أخ مائل إلى الخوارج أصحاب فضل الله رئيس الفرقة الخارجية.

٢٥١ ـ عبد الله بن أحْمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القَاسِم بن محمّد: هو أحد العلماء المبرِّزين بصنعاء أخذ عن والده وعن غيره وأتقن النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان، ودرس في هذه العلوم بجامع صنعاء وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وقرأ الكتب الحديثية وعمل بما فيها، ومن شيوخه القاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن قرأ عليه في سنن الترمذي، وكان قوالاً بالحق صادق اللهجة وبينه وبين الوزير أحمد بن علي النهمي اتصال ومخاللة، وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي العبّاس ابن الحسين رحمه الله له شعر رايق ومنه:

ماذا يفيدُكَ ندبُ الأربع الدرس ... وشرح سالف عيشٍ بالعذيب نسي
فشنِّفِ السمع من ذكرىٰ معتقةٍ ... جلوتها كشموسٍ في دجىٰ الغلسِ

و (والد المترجم) من أكابر العلماء المرجوع إليهم بصنعاء أخذ العلم عن السيّد العلاَّمة هاشم بن يحيى الشامي، والسيّد العلاَّمة عبد الله بن علي الوزير وغيرهما، وبرع في جميع الفنون وله أنظار محققة متقنة على الكتب التي كان يدرس الطلبة فيها كشرح الغاية في الأصول، وشرح العمدة في الحديث.

وله رسائل ومسائل، وهو كان حقيقًا بترجمة مستقلة ولكني اكتفيت بذكره ههنا، ومات سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف ومات ولد المذكور في شهر شوال سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف.

٢٥٢ ـ عبد الله بن أحْمد بن تمَّام بن حسَّان الحنبلي[١]: ولد[٢] سنة ٦٥١ إحدى

(١) ترجمته في الدرر ٢/٣٤٦.
(٢) في الدرر ولد سنة ٣٦ أو سبع وثلاثين وستمائة وقيل سنة ٦٣٥ هـ.

وخمسين وستمائة، وقيل غير ذلك، وسمع من جماعة وقرأ النحو على ابن مالك، وعلى ولده بدر الدين ولازمه وصحبه وكان صالحًا خيِّرًا مليح المذاكرة حسن النظم.

وصحب الشهاب محمود واختص به حتى كان الشهاب يقول لخازنداره مهما طلب منك أعطه بغير مشورة ولم يكن له ثياب ولا قماش ولا شيء في بيته البتة، وكان جيد النظم كتب إليه الشهاب قصيدة مطلعها:

هل عند ما عندهم برئي وأسقامي ... علمٌ بان نواهم أصلَ آلامي

فأجابه بقصيدة مطلعها:

يا ساكني مصر فيكم ساكن الشامِ ... يكابدُ الشوقَ من عامٍ إلى عامِ

ومن شعره:

معانٍ كنتُ أشهدُها عياناً ... وإنْ لم تشهدِ المعنىٰ العيونُ
وألفاظٌ إذا فكّرت فيها ... ففيها من محاسنها فنونُ

وهو القائل:

يخالُ الخدَّ من ماءٍ وجمرٍ ... وفيه الخالُ نشوانَ يجولُ
وكم لامَ العذول عليهِ جهلاً ... وآخرُ ما جرىٰ عشقُ العذولُ

وكان ظريفًا حسن المحاضرة والصحبة، سمع من الكبار وخرج له البرزالي جزءًا، وأثنىٰ عليه الشهاب محمود وعظمه، ومات في ثالث ربيع الآخر سنة ٧١٨ ثمان عشرة وسبعمائة.

٢٥٣ ـ مولانا الإمام المهدي عبد الله بن أحمد المتوكل ابن علي المنصور: ولد في سنة ١٢٠٨ ثمان ومائتين وألف ونشأ بحجر الخلافة في أيام جده ثم في أيامِ أبيه وفي كل حين يزدادُ كمالاً مع عقلٍ تام وأخلاق شريفة وخصالٍ محمودة وفراسة بديعة ورماية فائقة ورصانة بالغة، وهو أكبر أولاد أبيه ولي أعمالاً منها: ريمة ثم ولاية عمران.

ثم لما توفي والده ليلة الأربعاء لعله سابع شهر شوال سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف. وقعت المبايعة مني له بعد طلوع الفجر من يوم الأربعاء المذكور، ثم أخذت له البيعة من جميع أمراء صنعاء وحكامها، وجميع آل الإمام وجميع الرؤساء والأعيان.

وبايعه بعد ذلك جميع أهل القطر اليمني، واستبشروا بدولته واغتبطوا بها والله يجعل فيه الخير والبركة للمسلمين.

٢٥٤ ـ السيّد عبد الله بن أحْمد بن محمّد بن حُسَينٍ: قد تقدّم تمام نسبه في ترجمة أخيه شرف الدين. وولد تقريبًا سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف أو قبلها بقليل وله عرفان تام ونظم رايق وكرم فائض ورياسة كاملة وأخلاق شريفة ولطافة تامة اجتمعت به في كوكبان لما وصل إليها مولانا الإمام المتوكل على الله، ثم كثر اجتماعي به في صنعاء مع سكونه فيها عند رجوعنا من كوكبان وهو كثير النظم منسجم الشعر سريع البادرة قوي العارضة حسن الشكل، ثم رجع إلى كوكبان في سنة ١٢٢٩ مع أخيه المتقدم ذكره.

وهو القائم بغالب أمور دولته وبينه وبين أخي يحيى بن علي مطارحات أدبية مشتملة على أحسن أسلوب وأبلغ نظم وأبرع معنى.

٢٥٥ ـ عبد الله بن أَسْعد بن علي بن سليْمَان بن فلاح اليافعي الشافعي اليمني ثم المكي عفيف الدين أبو السعادات[1]: ولد قبل السبعماية بسنتين أو ثلاث، وأخذ باليمن عن جماعة من العلماء ونشأ على خير وصلاح وحج سنة ٧١٢ وحفظ الحاوي والجمل ثم جاور بمكة في سنة ٧١٨ وتزوج بها ولازم مشائخ العلم كالفقيه نجم الدين الطبري والرضي الطبري، ثم فارق ذلك، وتجرد عشر سنين يتردد فيها بين الحرمين، ورحل إلى القدس سنة ٧٣٤، ودخل دِمَشْق ومِصْر، ثم رجع الحجاز وجاور بالمدينة. ثم رجع إلى مكة ولم يفته الحج في جميع هذه المدة وأثنىٰ عليه الأسنوي في الطبقات وقال: كان كثير التصانيف وله قصيدة تشتمل على عشرين علمًا، أو أزيد، وكان كثير الإحسان إلى الطلبة انتهى. ولعله صاحب التاريخ الذي اعتمد فيه على تاريخ ابن خلكان، وتاريخ الذهبي وقد ترجم فيه جماعة من الشافعية والأشعرية، وفيه من التعصبات للأشعري أشياء منكرة، ووصف فيه نفسه بوصائف ضخمة.

قال ابن رافع اشتهر ذكره وبعد صيته وصنَّف في التصوف وفي أصول الدين، وكان يتعصب للأشعري وله كلام في ذمِّ ابن تيمية، ولذلك غمزهُ بعض من يتعصب لابن تيمية من الحنابلة وغيرهم انتهى. وهو من جملة المُعظمين لابن عربي وله في ذلك مُبالغة مات في العشرين من جُمادى الآخرة سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة[2].

٢٥٦ ـ عبد الله بن إسماعيل بن حَسنْ بن هادي النَّهمي: لعله ولد بعد سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وكان والده واليًا عليها، فقرأ على جماعة من مشائخها، وبرع في النحو والصرف وشارك مشاركة قوية في المنطق والمعاني والبيان

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ٢١٠ ـ ٢١١. وترجم له ابن رافع بالترجمة ٤٤٩.

(٢) في الشذرات ٦/ ٢١٢: يضيف: ودفن بمقبرة باب المعلىٰ جوار الفضيل بن عياض.

والأصول، ودون ذلك في الفقه والحديث والتفسير ودرس، وانتفع به الطلبة، وهو أحد شيوخي في أوائل طلبي للعلم قرأت عليه شرح السيّد المفتي على كافية ابن الحاجب من أوله إلى آخره بلا فوت، وفي شرح الخبيصي عليها من أوله إلى آخره بلا فوت وما عليه من الحواشي وقواعد الإعراب، وشرحها للأزهري وما عليه من الحواشي من أوله إلى آخره وإيساغوجي للأبهري في المنطق وشرحه للقاضي زكريا جميعًا، والكافل في الأصول، وشرحه لابن لُقمان جميعًا وشفاء الأمير الحسين في الحديث من أوله إلى آخره، وله عناية تامة بتخريج الطلبة والمواظبة على التدريس، وتوسيع الأخذ، وجلب الفوائد إليهم بكل ممكن ولا يمل حتى يمل الطالب، وكان يؤثرني على الطلبة وإذا انقطعت القراءة يومًا، أو يومين لعذر تأسف على ذلك، ولما اختلف بعض أسبوع لعذر كتب إليَّ هذه الأبيات:

مولاي عزُّ الدينِ يا مَنْ حوىٰ	أفضلَ ما في النقلِ والسَمَعِ
ومَنْ غدا من بين أقرانهِ	بلا نظيرٍ قطُّ في الجمعِ
عذراً فدتكَ النفسُ من زلةٍ	أوجبها السيءُ من طبعِي
مُنعت لا من علةٍ فاعفِ عن	تركيبِ مزجٍ جاءَ في المنعِ
فربَّ نقصٍ راقَ من بعدهِ	ثم وخفضٍ زُيِّن بالرفعِ

فأجبته بأبيات وجهت فيها بكثير من القواعد المنطقية كما وجه هو بقواعد نحوية، ولكنها قد غابت عني أبيات الجواب، وله أشعار رائقة وفيه كرم أنفاس، وبسبب ذلك أتلف ما ورثه من والده، وهو شيء واسع. وصار الآن مملقًا لطف الله به.

ولما فرغت من القراءة عليه، ولم يبقَ عنده ما يوجب البقاء، وقرأت على من له خبرة بما لم يكن لديه من العلوم لم تطب نفسه بذلك في الباطن لا في الظاهر.

ثم لما مضت أيام طويلة، وقعدت لنشر العلم في الجامع المقدس بصنعاء وكنت إذ ذاك مقصودًا بالفتاوىٰ الكبيرة والمسائل المشكلة، وجمعت الرسالة التي حكيتها في ترجمة السيّد العلاَّمة الحسين بن يحيى الديلمي، كان شيخنا هذا أحد المجيبين، وهو الذي أشرت إليه إجمالاً هنالك عفا الله عنه.

وحال تحرير هذه الأحرف قد فتر عزمه عن التدريس، ولم يبقَ للطلبة رغوب إليه وصار معظم اشتغاله بما لا بد منه من أمر المعاش مع ركة حاله لاطفه الله، ولم أزل راعيًا لحقه معظمًا لشأنه معرضًا عما بدر منه مما سلف. وأبلغ الطاقة في جلب الخير إليه بحسب الإمكان، وهو يكثر التردد إليَّ تارة لخصومات تعرض له وتارة لأمور تخصه

ومات رحمه الله في شهر صفر سنة ١٢٢٨ ثمان وعشرين ومائتين وألف.

٢٥٧ ـ السيّد عبد الله بن الحَسَنْ بن عليّ بن الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسِم بن محمّد: ولد سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف، وقرأ على مشائخ عصره كالقاضي العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وشيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي المتقدم ذكره، وشيخنا العلاَّمة إسماعيل بن الحسن بن المهدي المتقدم أيضًا.

وترافقنا في قراءة الكشاف عليه أنا وصاحب الترجمة، وله قراءة على غير هؤلاء، وشرع في قراءة الحديث على شيخنا السيّد العلاَّمة علي بن إبراهيم الآتي ذكره.

وله يد قوية في النحو والصرف والمنطق، والمعاني والبيان، ومشاركة في التفسير، والفقه والحديث والأصول، وكان يدرِّس الطلبة في جامع صنعاء في العلوم الآلية، ولهم إليه رغوب كامل وهو من أكابر آل الإمام، وفيه تواضع زائد، وحسن أخلاق فائق وبشاش كامل.

وقد أخذت عنه في أوائل أيام الطلب شرح الجامي من أوله إلى آخره، واتفق أنه مات أبو أمه السيّد العلاَّمة يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحُسَين بن القَاسِم بن محمَّد، ثم مات بعد ذلك ولده السيّد العارف القاسم بن يحيى بن محمد، وكان له تركة واسعة جدًا، وأوصى إلى صاحب الترجمة، وأمرني خليفة العصر مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله أن أعين من يقسم هذه التركة من نواب الشرع، فعينت بعض مشائخي الأعلام، وجرت أمور أوجبت تكدّر صاحب الترجمة، ثم ظهرت له الحقيقة فزال عنه ذلك وطابت نفسه، وكتب إلي كتابًا يدعو لي فيه دعاءً مقبولاً، ويذكر أنَّه كان في أمر مريج حتى وقع التفريج عنه بما فعلته وتعقب ذلك بلا فصل موته رحمه الله في رابع شهر القعدة سنة ١٢١٠ عشر ومائتين وألف، وكان سيدًا سريًا، وشريفًا جليلاً فيه مناقب جمة وله فضائل كثيرة رحمه الله وإياي.

٢٥٨ ـ عبد الله بن الحَسَن اليماني الصعدي الزيدي: الملقَّب الدواري باسم أحد أجداده، وهو دوار بن أحمد والمعروف بسلطان العلماء. ولد سنة ٧١٥ خمس عشرة وسبعماية، وقرأ على علماء عصره وتبحّر في غالب العلوم، وصنّف التصانيف الحافلة. منها في الأصول (شرح جوهرة الرصاص) وهو أحسن شروحها وقد ترك الناس شروحها بعد هذا الشرح وله في الفروع (الديباج النضير) وهو كتاب حافل ممتع وله مصنفات أخرى.

وكان الطلبة للفنون العلمية يرحلون إليه ويتنافسون في الأخذ عنه وليس لأحد من علماء عصره ما له من تلامذة وقبول الكلمة وارتفاع الذكر، وعظم الجاه، بحيث كان يتوقف الناس عن مبايعة الأئمة حتى يحضر، كما اتفق عند دعوة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المتقدم ذكره ومعارضة المنصور بالله علي بن صلاح فإن أمراء الدولة أرسلوا له من صنعاء إلى صعدة، وتوقف الأمر حتى حضر وبعد حضوره، وقع ما هو مشهور في السير، ومع هذا فهو زاهد متقلِّل من الدنيا، حتى قيل أنه كان يستنفق من غلات أموال حقيرة تركها له والده، وكان يحمل إليه غلات أوقاف يصرفها في طلبة العلم، وما زال ناشرًا للعلوم مكبًّا على التصانيف حتى توفاه الله في صبح يوم الأحد سادس شهر صفر سنة ٨٠٠ ثمان مائة.

٢٥٩ ـ عبد الله بن شرف الدين المهَلَّلْ: ولد تقريبًا سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف أو قبلها بقليل.

وسكن هو وأهله مدينة ذي جبلة وله معرفة تامة بفقه الشافعية وفهم صحيح في غير الفقه وزهد تام، وتأله بالغ.

قرأ عليَّ عند وفودي إلى مدينة جبلة مع مولانا الإمام المتوكل على الله في مشكاة المصابيح وسمع في غيرها من كتب الحديث من جملة من كان يلازمني في ذلك المحل، وهو من مكثري الأذكار والعبادة والزهد والقنوع بما تيسر من المعيشة.

٢٦٠ ـ السيّد عبد الله ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى: قد تقدَّم تمام نسبه في ترجمة الإمام المهدي. هو من العلماء المحققين في عدة فنون وله مصنَّفات منها شرح قصيدة والده المسماة (القصص الحق) ذكر فيه فوائد جليلة، ومنها كتاب اعترض به على القاموس وسماه (كسر الناموس)، واعترض عليه في هذه التسمية بأنها ليست لغوية بل عرفية وبعض شرح معيار النجري، وكتب تراجم لفضلاء الزيدية، ومنها شرح مقدمة الأثمار لوالده، وله في الأدب يد طولى، وشعره فائق منسجم جزل اللفظ رائق المعنى فمنه:

ناصية الخيرِ في يدِ الأدبِ ... وسرهُ في قرائح العَربِ
فاعكف على النحو والبلاغة والآ ... داب تظفرُ بأرفعِ الرُتَبِ
وتعرفُ القصدَ في الكتاب وفي ... السنَّة من وحي خير كل نبِي
بقدر عقل الفتىٰ تأدبه ... وصورة العقل صورة الأدبِ

ومنه:

صحا القلبُ عن سلمىٰ وما كادَ أَنْ يصحو ... وبـانَ لـه فـي عـذلِ عـادلـه النصـحُ
ولا غـرو فـي أن يستبيـنَ رشـادهُ ... وقـد بـانَ فـي ديجـور عـارضـه الصبـحُ
شمـوسُ نهـارٍ قـد تجلّـت لنـاظـري ... وأضحـت لليـلِ الغـي فـي خلـدي تمحـو
إذا كـان رأسُ المـالِ مـن عمـري انقضـىٰ ... ضيـاعـاً فـأنـىٰ بعـده يحصـلُ الـربـحُ
شبـابٌ تقضـىٰ فـي سبـاتٍ وغـرَّةٍ ... وشيخـوخـةٌ جـاءتْ علـى أثـرهِ تنحـو
سقتنـي رضـابَ الثغـرِ مـن درِ مَبْسَـمٍ ... بـرقتـه والله قـد ملكـت رقـي
ونحـنُ بـروضٍ قـد جـرى المـاء تحتـه ... فسـاقيـةٌ تجـري وجـاريـةٌ تسقـي

وبينه وبين ولده محمد الآتية ترجمته إن شاء الله مطارحات أدبية وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٣ ثلاث وتسعين وتسعمائة وقبر بمدينة ثلا.

٢٦١ ـ **السيّد عبد الله بن صلاح العادل الصّنعاني الشاعر المشهور**: كان متصلاً بالوزير الكبير علي بن أحمد راجح، وله فيه غرر المدائح وكذلك مدح أخاه الوزير محسن بن أحمد راجح، وهما وزيران للإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن الحسين، وبعدهما اتصل بوزير الإمام المهدي العبّاس بن الحسين الفقيه أحمد بن علي النهمي، وشعره جيد والرديء منه قليل، فمنه هذه القصيدة تخلص فيها إلى مدح محسن راجح:

أما وابتسامُ الطلعِ عن شنبٍ درىٰ ... بـأخضـرِ روضٍ حفـه أزرقُ النهـرِ
ويـاقـوتُ وردٍ فـي غصـونِ زمـرّدٍ ... بلـؤلـؤِ دمـعٍ كللتـهُ يـدَ القطـرِ
ورقصُ غصونٍ كلما هبّتْ الصبا ... كغيـدٍ تثنّـت فـي غـلائلهـا الخضـرِ
وتغـريـدُ شحـرورٍ بـألحـانِ معبـدٍ ... أذاب فؤادي شجوه وهو لا يدري
وومضٌ لبرقٍ زادٍ في نارِ لوعتي ... كإيماءِ محبوبٍ بسقطٍ من التّبرِ

وله وقد وصل إليه من بعض السادة ذرة لا ينتفع بها:

يا حبذا ذرة وافت وقد عَدَمتْ ... من لبّها فاعتراها الطيشُ والخُيُلا
فكلمـا سنحـت ريـحٌ لهـا رَقَصَتْ ... وشببـتُ فيـك أمـا فـي سـوكَ فـلا
دنـوتُ منهـا فنـادىٰ ملـكُ وقـزتهـا ... هي المنازلُ فاخلع دونها الكللا
فقلـتُ مهـلاً أعـاذ الله منـزلنـا ... من رؤية الجنِّ في ساحاته نزلا
فاسترجعتْ ثم قالت وهي باكيةً ... أحـي وأيسـر مـا لاقيـت مـا قتـلا

سـألتهـا عـن تغيـر لـونهـا فتلـت (ومن نعمره) ثمَّ استرجعتْ خجلا
فقلتُ كم حقبٍ عُمِرَتْ في حقبٍ قالت أصخِ ودع التفصيلَ والجملا
سكنـتُ دهـراً بـدارٍ كـان سـاكنهـا داراً وداريـتُ أهـل الأعصـرِ الأولا

وكان صاحب الترجمة مائلاً إلى أكابر العلماء، آخذًا من فوائدهم فرجح له العمل بالأدلة في صلاته، وغيرها فكانت العامة تنسبه إلى النصب كما جرت بذلك عاداتهم فيمن سلك ذلك المسلك، فلم يصبر لذلك وضاق به ذرعًا وتوجّه إلى مكة وعزم على المهاجرة، فعادَ إلى صنعاء بعد نحو سنة فقيل له في ذلك. فقال: إنه نبز في مكة بالرفض، فكان ذلك سبب رجوعه ولم أقف على تاريخ وفاته، ولعله في أيام الإمام المهدي العبّاس بن الحسين، ثم وقفت عليها بعد هذا، فكانت في ربيع الأول سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف.

٢٦٢ ـ عبد الله بن عبد الرّحمٰن بن عقيل بن عبد الله بن محمّد بن محمّد الحلبي نزيل القاهرة[١]: ولد سنة سبعمائة[٢]، وقدم القاهرة فلازم الاشتغال إلى أن مهر ولازم أبا حيان، فقال في حقه: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، ولازم القونوي والقزويني وجماعة من أكابر علماء عصره، وناب في الحكم عن عز الدين بن جماعة، ثم تولى القضاء مكان ابن جماعة، ثم عزل وعاد ابن جماعة وكان قوي النفس ينتبه على أرباب الدولة، وهم يخضعون له ويعظمونه، وكان إمامًا في العربية والمعاني والبيان مشاركًا في الفقه والأصول، عارفًا بالقراءات السبع وله تصانيف منها شرح التسهيل ومنها شرح الألفية وقطعة في التفسير، وكان جوادًا مهيبًا لا يتردد إلى أحد من أرباب الدولة ومن كرمه أَنَّهُ فرق على الفقراء والطلبة في ولايته للقضاء نحو ستين ألف درهم، مع أن مدة ولايته للقضاء ثمانون يومًا فقط، وكان يدرس بمدارس كثيرة حتى مات في ثالث وعشرين شهر ربيع الأول سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة.

٢٦٣ ـ السيّد عبد الله بن علي بن عبد الله الجَلال: ولد تقريبًا على رأس القرن الثاني عشر، أو أول القرن الثالث عشر. وقرأ على والده، وغيره في الآلات وغيرها، وهو حاد الذهن جيد الفهم حسن الإدراك، قوي التصور، وله شعر بديع جدًا، لا يلحقه فيه غيره وقد كتب إليّ منه بقصائد طنانة وله قراءة عليَّ الآن في المطول وحضور في سماع كثير من كتب الحديث، وشروحها وهو في سن الشباب جمّل الله به العصر.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٢) في الشذرات ٦/ ٢١٤: ولد سنة ٦٩٤ هـ.

٢٦٤ ـ السيّد عبد الله بن علي بن أحمد بن محمّد بن عبد الإله بن أحْمد بن إبراهيم مؤلف الهداية[1]: ابن محمّد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن محمّد بن العفيف بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القَاسِم بن الإمام الدعي يوسف، بن الإمام المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الهادي يحيىٰ بن الحسين بن القَاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم المعروف بالوزير الصنعاني الدار والنشأة، العالم المشهور والشاعر المجيد.

ولد سنة ١٠٧٤ أربع وسبعين وألف في شعبانها، وقرأ على جماعة من علماء عصره من أكبرهم القاضي العلاَّمة علي بن يحيى البرطي، والقاضي حسين بن محمد المغربي والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي وغيرهم، وبرع في العلوم الآلية والتفسير وكان الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين يقرأ عليه في الكشاف بحضور أعيان علماء صنعاء، واتفق وصول القاضي العلاَّمة عبد القادر بن علي البدري من ثلا إلى حضرة المتوكل، وهم حال القراءة في بحث (إنما الصدقات للفقراء) فباحثه القاضي عبد القادر، ثم انجرت المباحثة إلى ما ذكره علماء البيان في بحث إنما ثم غاصا في مباحث دقيقة بحيث لم يفهم أكثر الحاضرين ما هما فيه، وطال ذلك واستدل بعض الحاضرين بتهليل وجه القاضي عبد القادر حال تلك المباحثة، وعدم ظهور مثل ذلك على صاحب الترجمة أن الحق بيد القاضي.

ولم يكن ثم سبيل للحاضرين إلى معرفة من معه الحق بسوى ذلك، وكان صاحب الترجمة في آخر مدته قد ترك التدريس، ومال إلى السكون، والدعة، وله في الأدب يد طولى، وشعره مجموع في ديوان كبير، ومنه ما هو في غاية القوة، كقوله من أبيات كتبها إلى السيّد الحسين بن علي بن المتوكل:

زفَّهـا بكـراً علـى الشُّـرطِ عقـارا وتخيَّـر حبَـبَ الكـاسِ نثـارا

وله أبيات أخرى روضية جيدة مطلعها:

هذا الغديرُ وحوله زهرُ الربىٰ يملي الهزارَ عليه سجعًا مطربا

وله قصيدة طويلة بديعة مطلعها:

لي فيكم يا ذوي أم القرىٰ ذمم بالقرب حاشاكم أَنْ يقطع الرحمَ

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٤٨٢.

ومن محاسن شعره القصيدة التي على طريق أهل الطريقة ومطلعها:

حضرةُ الحقِّ في المَقَامِ النفيسِ أذْهَلْتني عن صاحبي وجليسي

وكانَ إذا لم يتكلف ملاحظات النكات البديعية في شعره جاء على أحسن أسلوب فإن تكلَّف ذلك صار من الضعف بمكان وإنْ ظن من لا يعرف محاسن الشعر إلا بالنكات البديعية المتكلفة خلاف ما ذكرناه فهو غير مصيب، فإن غالب أشعار المتأخرين إنما صارت بمكان من السماجة لتكلفهم لذلك كقصيدة صاحب الترجمة التي سمّاها أهرام مصر، والتزم فيها التورية في كل بيت ومطلعها:

أُنَادِمُ من دمعِ العيونِ حوارياً فلا غروَ إنْ نادمتْ منها سواقيا

ولصاحب الترجمة مصنّفات منها: (طبق الحلوى) وهو تاريخ جعله على السنين وذكر فيه حوادث.

ومنها: (إقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب)، ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيد صلاح الأخفش المتقدم ذكره في شأن الصحابة، وسمى المترجم له رسالته (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة)، وما أجود قوله مادحًا للمتوكل القاسم بن الحسين بهذين البيتين:

المجدُ قد آلى على نفسهِ أليةً ليس أراها بمين
لا صافحتْ راحته راحةً غير يمين القاسم بن الحسين

وكانت وفاته سنة ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة وألف في شوالها.

٢٦٥ ـ السيّد عبد الله بن عيسىٰ بن محمّد بن الحُسَين الكوكبَاني: ولد بعد سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريبًا. وأخذ العلم عن والده وعن شيخنا العلاَّمة عبد القادر بن أحمد، وعن السيّد العلاَّمة علي بن محمد بن علي الكوكباني، وعن السيّد العلاَّمة الحسين بن عبد الله الكبسي والفقيه يحيى بن صالح الشهاري والفقيه يَحْيى بن أحمد زَيْد الشَّامي والفقيه حسين يحيى القاعي، وشيخنا السيّد العلاَّمة علي بن إبراهيم بن عامر، وبرع في الآلات، والحديث والأدب، وهو الآن من أعيان علماء كوكبان وبيني وبينه مراجعات وله جواب على رسالتي التي أجبت بها على سؤال والده وسميتها (حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأذيال)، وسمى جوابه (إرسال المقال إلى حل الإشكال) وأجبت عن جوابه برسالة سميتها (تفويق النبال إلى إرسال المقال)، والجميع موجود بمجموع رسائلي، ووقعت بيني وبينه مباحثة في شروط صلاة الجمعة، اشتملت

على رسائل وله كتاب ترجم فيه لشعراء عصره، وهو في غاية النفاسة رأيته في مجلد سماه (الحدائق، المطلعة من زهور أبناء العصر شقائق)، وله مؤلف آخر سماه (اللواحق بالحدائق)، ومختصر في ترجمة جده السيّد محمد بن الحسين، وآخر في ترجمة والده السيّد العلاّمة عيسى بن محمد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وله (خلع العذار في ريحان العذار) ورسالة في تحريم الزكاة على بني هاشم وديوان من نظمه ونثره، ولم يكن لديَّ من شعره ما أذكره هنا.

وهو ساكن عاقل رصين الكلام جيد الفهم حسن الإدراك كما يفهم ذلك من تحريراته، ولم أكن قد عرفته، وأرسل إليَّ بطلب الإرسال إليه بشيء من شرحي للمنتقى، فأرسلت إليه بالمجلد الأول، وهو حال تحرير هذه الأحرف لديه، وله شعر لم يكن لدي الآن شيء منه، ثم توفي في شهر شوال سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف، بعد أن صار منفردًا بفنون العلم في كوكبان ولم يخلف بعده مثله ولا من يقاربه.

٢٦٦ ـ **السيّد عبد الله بن لطف الباري الكبسي ثم الصّنعاني**(١): ولد في سنة ١١١٣ ثلاث عشرة ومائة وألف. وهو أحد علماء صنعاء المبرزين في علم القراءات والآلات والحديث والتفسير، وكان يقرأ في جميع هذه العلوم، وله تلامذة صاروا علماء نبلاء، ومن جملة من قرأ عليه الإمام المهدي العباس بن الحسين قبل مصير الخلافة إليه، وكان زاهدًا متقللاً من الدنيا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وله في ذلك مقامات جليلة، وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي لا ترد له شفاعة كائنة ما كانت لمزيد ورعه وعدم طمعه في شيء من الدنيا، وكذلك سائر أرباب الدولة كانوا يجلونه ويهابونه، وكان يعمل بالأدلة ويرشد الناس إليها وينفرهم عن التقليد، وله في نهي المنكر عناية عظيمة.

أخبرني بعض الثقات أنه مشئ معه في بعض شوارع صنعاء، فرأى رجلاً جنديًا، وقد أراد الفاحشة من امرأة أو صار يفعل الفاحشة بها، ففرق صاحب الترجمة بينهما فسبه ذلك الجندي سبًا فظيعًا، فمرَّ ولم يلتفت إلى ذلك، فقال له الذي كان معه: لو تدعني أعرف هذا الجندي حتى ترفع أمره إلى الدولة ليعاقبوه. فقال: الذي وجب علينا من إنكار المنكر قد فعلناه للّه، ولا أريد أن أفعل شيئًا لنفسي دعه يسبني كيف شاء، وكان لا يسمع بمنكر إلا أتعب نفسه في القيام على صاحبه حتى يزيله، وإذا أصيب رجل بمظلمة فرَّ إليه فيقوم معه قومة صادقة حتى ينتصف له، فرحمه الله وكافاه بالحسنى، فلقد كان من محاسن الدهر، وما زال كذلك حتى توفاه الله في سنة ١١٧٣ ثلاث وسبعين ومائة وألف،

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٨٣.

وله أولاد أمجاد، منهم العلاَّمة محرز بن عبد الله من العلماء العاملين الورعين المنجمعين عن بني الدنيا المنقطعين إلى الله.

وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله، وعلي بن عبد الله، ولطف الباري بن عبد الله هما من الجامعين بين العلم والعمل بالدليل والاشتغال بخاصة النفس ولم يسلموا مع ذلك من محن الزمن التي هن شأن أرباب الفضائل.

٢٦٧ ـ عبد الله بن أبي القَاسِم بن مفتاح شارح الأزهار: الشرح الذي عليه اعتماد الطلبة إلى الآن، كان محققًا للفقه، ولعله قرأ على الإمام المهدي مصنف الأزهار، وكان مشهورًا بالصلاح وميل الناس إلى شرحه، وعكوفهم عليه، مع أنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه سائر الشروح من الفوائد.

دليل على نيته وصلاح مقصده، وهو مختصر من الشرح الكبير للإمام المهدي المسمىٰ بالغيث وتوفي رحمه الله يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمان مائة، وقبره يماني صنعاء وكان عليه مشهد، وقد تهدّم ورثاه محمد بن علي الزحيف بأبيات منها:

سقىٰ جدثاً أضحىٰ بصنعاءَ ثاوياً   من الدلو والجوزاء غادٍ ورايحِ

ورثاه يحيى بن محمد بن صالح حنش بقصيدة مطلعها:

أمّـا عليـكَ فقلبـي دائـمَ الفـزعِ   وكيف أسلو ووجدي غير منقطعِ

٢٦٨ ـ عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصّنعاني(١): ولد تقريبًا سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف بصنعاء، ونشأ بها وتلا بعض القراءات على بعض شيوخ القرآن، ثم قرأ في الفقه على شيخنا أحمد بن عامر الحدائي قبل قراءتي عليه، ورافقني في قراءة النحو على شيخنا عبد الله بن إسماعيل النهمي، وقرأ عليَّ في الأصول في شرح غاية السؤل، وسمع مني جميع تيسير الديبع، واستفاد في عدة فنون، ودرس في كثير منها، ونقل كثيرًا من رسائلي.

وما زال ملازمًا لي في كثير من الأوقات وبيني وبينه صداقة خالصة ومحبة صحيحة، ولم يسلم من التعصبات عليه من جماعة من الجهال، حتى جرت له بسبب ذلك محن، وهو صابر محتسب وهذا شأن هذه الديار، وأهلها والعالم المنصف في غربة

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٨٣.

لا يزال يكابد شدائد ويجاهد واحدًا بعد واحد، ولله الأمر من قبل ومن بعد وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وصاحب الترجمة الآن حي نفع الله به.

٢٦٩ ـ عبد الله بن محمّد بن أَحْمد بن جارَ الله مشحم الصّعدي ثم الصّنعاني: ولد تقريبًا بعد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، فأخذ العلم عن جماعة من علمائها، كشيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني وغيره وبرعَ في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول، وشارك فيما عدا ذلك ودرس الطلبة بجامع صنعاء في هذه الفنون، وهو كثير الصمت منجمع عن الناس قليل المخالطة لهم لا يتردد إلى بني الدنيا، ولا يشتغل بما لا يعنيه ولا يتظهر بالعلم، ولا يكاد ينطق إلا جوابًا فضلاً عن أن يماري أو يبدي ما لديه من العلم.

وبالجملة فهو قليل النظير عديم المثيل وهو حي الآن نفع الله به.

وتوفي رحمه الله في يوم الأربعاء لعله رابع وعشرون شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٢٧٠ ـ السيّد عبد الله بن محمّد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصَّنعاني(١): سيأتي تمام نسبه في ترجمة أبيه. ولد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، وقرأ على والده، وعلى السيّد العلاَّمة قاسِم بن محمد الكبسي، وعلى السيّد العلاَّمة محسن بن إسماعيل الشامي، وعلى العلاَّمة لطف الباري بن أحمد الورد خطيب صنعاء، وعلى السيّد العلاَّمة إسماعيل بن هادي المفتي، وعلى شيخنا العلاَّمة السيّد عبد القادر بن أحمد، وشيخنا العلاَّمة علي بن هادي عرهب، وعلى غير هؤلاء، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير، وهو أحد علماء العصر المفيدين العاملين بالأدلة الراغبين عن التقليد مع قوة ذهن وجودة فهم، ووفارة ذكاء، وحسن تعبير وخبرة لمسالك الاستدلال، ومحبة للفقراء وعناية في إيصال الخير إليهم بكل ممكن ومتانة دين، واشتغال بالعبادة، ودراية كاملة بمؤلفات والده ورسائله وأشعاره.

وهو الذي جمع شعره في مجلدٍ وبلغني أنه نظم (بلوغ المرام) وأنه الآن يشرحه وله جوابات في مشكلات وفتاوى.

وقد تخرج به جماعة منهم العلاَّمة عبد الحميد بن أحمد قاطن ولا شغلة له بغير العلم والإكباب على كتب الحديث، وتحرير مسائله وتقرير دلائله وله نظم كنظم العلماء

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٨٣ ـ ٣٨٥.

منه قصيدة أجاب بها على السيّد العلاّمة إسماعيل بن أحمد الكبسي المتقدم ذكره ومطلعها:

للّـــه دركَ أيهـــا البـــدرُ الـــذي يهدي إلى نهجِ الصوابِ الظاهرِ
أبـــرزتَ مـــن تيـــارِ علمـــكَ درةً فـي سلـكِ تبـرِ قعـرِ بحـرٍ زاخـرِ

وهو الآن حيٌّ ينتفع به الناس، ولعله قد جاوز خمسين عامًا من عمره عافاه الله[1].

٢٧١ ـ عبد الله بن محمّد بن أبي القَاسِم بن علي بن ثامر بن فضل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم الزيدي العبسي العكي المعروف بالنجري[2]: ولد في أحد الربيعين سنة ٨٢٥ خمس وعشرين وثمان مائة، ونشأ بمدينة حوث، وقرأ على والده في النحو والأصلين والفقه، وعلى أخيه علي بن محمّد ثم حجّ سنة ٨٣٨ وارتحل إلى الديار المصرية فوصلها في ربيع الأول من التي يليها، فبحث فيها في النحو، والصرف على ابن قديد وأبي القاسم النويري وفي المعاني والبيان على الشمني، وفي المنطق على التقي الحصني وفي علم الوقت على الغز عبد العزيز الميقاتي، وحضر في الهندسة قليلاً عند أبي الفضل المغربي، بل كان يطالع ومهما أشكل يراجعه فيه، فطالع شرح الشريف الجرجاني على الجغميني والتبصرة لجابر بن أفلح، وقرأ في الفقه على الأمين الأقصراني، والعضد الصيرامي.

وتقدّم في غالب هذه الفنون كما قال البقاعي المتقدم ذكره قال: واشتهر فضله وبعد صيته وكتب عنه في سنة ٨٥٣ قوله:

بشاطىءِ حوثٍ من ديارِ بني حربِ لقلبـي أشجـانٌ معـذِبـةٌ قلبـي
فهل لي إلىٰ تلكَ المنازل عودةٌ فيفرّجُ من غمي ويكشف من كربي

وتستَّر مدة بقائه هنالك فلم ينتسب زيديًا بل انتسب حنفيًا ولهذا ترجمه البقاعي والسخاوي فقال الحنفي: ثم عادَ إلى اليمن، وصنّف مصنفات منها (المعيار في المناسبات بين القواعد الفقهية) جعله على نمط قواعد ابن عبد السلام، وهو كتاب نفيس مفيد ومنها شرح آيات الأحكام اختصره من الثمرات، ومنها شرح مقدمة البحر للإمام المهدي، وله مصنفات في غير ذلك ومن جملة ما كتبه وهو بمصر إلى والده:

فـراقـكَ غصتـي ولقـاكَ روحـي وقـربُـكَ لـي شفـاءٌ مـن قـروحـي

(١) في التاج المكلل ص ٣٨٤... قال ثم توفي سنة ١٢٤٤ هـ.
(٢) ترجمته في الضوء اللامع ٥/ ٦٢.

ومـــا إن أذكـــرُ الأوطـــانَ إلا يضيـقُ لـي مـن الأوطـانِ سـوجـي
فعفـــوكَ والـــدي عنـــي وإلا فنـوحـي يـا عيـونُ علـيَّ نـوحـي

وهؤلاء المشائخ من المصريين المذكورين في الترجمة. هم أكابر شيوخ مصر في ذلك الزمن كما يفيد ذلك من ترجم لهم ولعل بقاءه في مصر خمس سنين كما يدل عليه ما سلف، ويمكن أن يكون أكثر من ذلك وخرجَ من مصر بمغني اللبيب، وهو أول من وصل به إلى اليمن، وحكى عنه أنه ألّف شرح مقدمة البحر في سفره قافلاً من مصر وتوفي سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمان مائة. وأرّخ موته الضّمدي في الوافي سنة ٨٧٤ أربع وسبعين وثمان مائة.

٢٧٢ ـ **عبد الله بن محمّد بن عبد الله العنسيّ ثم الصَّنعاني**[1]: ولد تقريبًا سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف أو بعدها بقليل، وقرأ على جماعة من المشايخ واستفاد لا سيما في العلوم الآلية، وهو حسن الإدراك جيد الفهم قوي التصور، وله قراءة عليّ في المعاني والبيان والتفسير وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وفي بعض مؤلفاتي وله في الصلاح والعبادة والعمل بالأدلة مسلك في حسن الخلق والتودّد وحفظ اللسان ما لا يقدر عليه إلا من هو مثله[2].

٢٧٣ ـ **السيّد عبد الله بن الإمام المطهر بن محمّد بن سليمان الحمزي**: كان من الأذكياء النبلاء العلماء، وله مصنفات منها (الياقوت المنظم) الذي شرح به قصيدة والده، وهو كتاب حافل نفيس فيه فوائد بديعة، ومنها كتاب (رياحين الأنفاس المهتزة في بساتين الأكياس، في براهين رسول الله ﷺ إلى كافة الناس)، وهو كتاب نفيس استخلفه والده في مدينة ذمار بعد فتحها، ثم فسد ما بينه وبين أهل المدينة فأخرجوه فدخل صنعاء، فأخذوا عليه من دروعه، وآلة ملكه شيئًا كثيرًا، ولما فتح عامر بن عبد الوهاب صنعاء سيّره معه إلى تعز، وتوفي هنالك وله شعر فمنه قصيدة مطلعها:

أومـا النسيـمُ يبلغـنَ إذا سـرىٰ طرساً إلى صنعاءَ من أمِّ القِرىٰ

وله قصيدة أخرى مطلعها:

حيِّ الغداةَ وأقرِ الحيّ والحَرَما عني السلامَ سلاماً زادهُ حَرَما

٢٧٤ ـ **عبد الله بن المهلاّ بن سَعيد بن علي الشرفي اليماني المعروف بالمهلاّ**: وُلِدَ في شهر صفر سنة ٩٥٠ خمسين وتسعمائة بالشرف الأعلى وأخذَ عن جماعة منهم والده

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٨٧.

(٢) في التاج المكلل ص ٣٨٧: مات سنة ١٢٤١ هـ.

المهلاّ، والفقيه عبد الله الراغب، والسيّد هادي الوشلي، والقاضي علي بن عطف الله والسيّد أحمد بن المنتصر والفقيه عبد الرحمٰن النزيلي وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، ورحل إليه طلبة العلم من الآفاق ومن جملة تلامذته الإمام القاسم بن محمّد. واتفق أن الباشا جعفر امتحن العلماء بحديث اختلقه ونمّق ألفاظه وأملاه عليهم فابتدر الحاضرون لكتابته، فلم يتحرك صاحب الترجمة لشيء من ذلك، فسأل الباشا لمَ لا يكتب؟ فقال: يا مولانا قد أفدتم والجماعة قد كتبوا، ونحن حفظنا فقال: هذا والله هو العالم.

ثم أخبرهم: أن الحديث هو الذي وضعه وإنما أراد امتحانهم وتوفي سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف، وليس هذا هو مؤلف (المواهب القدسية شرح البوسية) فذاك متأخر، وقد تقدمت ترجمته واسمه الحسين بن ناصر.

٢٧٥ ـ عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام(١): ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة، ولزم الشهاب عبد اللطيف وسمع من أبي حيان ولم يلازمه، وحضر درس الشيخ تاج الدين التبريزي وقرأ على الفاكهاني، وكان شافعيًا، ثم تحنبل، وأتقن العربية، ففاق الأقران ولم يبقَ له نظير فيها، وصنّف (مغني اللبيب)(٢) وهو كتاب لم يؤلف في بابه مثله، واشتهر في حياته وله تعليق على (ألفية ابن مالك) و (عمدة الطالب في تحقيق تعريف ابن الحاجب) مجلدان، و (رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة) أربع مجلدات، و (التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل) عدة مجلدات، وشرح الشواهد الكبرى، والصغرىٰ، وقواعد الإعراب و (شذور الذهب)(٣) وشرحه، و (قطر الندى) وشرحه، و (الكواكب الدرية شرح اللمحة البدرية) لأبي حيَّان وشرح (بانت سعاد) وشرح البردة. والتذكرة في خمسة عشر مجلدًا وشرح التسهيل، ولم يبيضه.

وكان كثير المخالفة لأبي حيَّان شديد الانحراف عنه ولعل ذلك والله أعلم لكون أبي حيان كان منفردًا بهذا الفن في ذلك العصر غير مدافع عن السبق فيه، ثم كان المنفرد بعده هو صاحب الترجمة وكثيرًا ما ينافس الرجل من كان قبله في رتبته التي صار إليها إظهارًا لفضل نفسه بالاقتدار على مزاحمته لمن كان قبله أو بالتمكن من البلوغ إلى ما لم يبلغ إليه، وإلا فأبو حيان هو من التمكن من هذا الفن بمكان، ولم يكن للمتأخرين مثله ومثل

---

(١) انظر وفيات ابن رافع الترجمة ٧٧١، وترجمته في الشذرات ٦/ ١٩١ ـ ١٩٢.
(٢) كشف الظنون ٢/ ١٧٥١ ـ ١٧٥٢.
(٣) كشف الظنون ٢/ ١٠٢٩ ـ ١٠٣٠.

صاحب الترجمة وهكذا نافس أبو حيان الزمخشري فأكثر من الاعتراض عليه في النحو والنهر الماد، لكون الزمخشري ممن تفرد بهذا الشأن وإن لم يكن عصره متصلاً بعصره، وهذه دقيقة ينبغي لمن أراد إخلاص العمل أن يتنبه لها فإنها كثيرة الوقوع بعيدة الإخلاص وقد تصدر صاحب الترجمة للتدريس، وانتفع به الناس، وتفرَّد بهذا الفن، وأحاط بدقائقه وحقائقه وصارَ له من الملكة فيه ما لم يكن لغيره واشتهر صيته في الأقطار، وطارت مصنَّفاته في غالب الديار حتى قال ابن خلدون وما زلنا نحن بالغرب نسمع أنه قد ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه ومات في ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة ٧٦١ إحدى وستين وسبعمائة، وله نظم فمنه:

ومَـنْ يصطبـرْ للعِلـم يظفـرْ بِنَيلـهِ ... ومَنْ يخطبْ الحسناء يصْبر علىٰ البذلِ
ومَنْ لم يذلَّ النفس في طلب العلا ... يسيـراً يعـش دهـرًا طـويـلاً أخـاذلِ

ورثاه ابن نباتة فقال:

سقىٰ ابن هشام في الثرى نورَ رحمةٍ ... تجـرُّ علـىٰ مثـواهُ ذيـلَ غَمـامِ
سأروي له من سيرة المدح مسنداً ... فمـا زلـتُ أروي سيـرةَ ابـن هِشَـامِ

٢٧٦ ـ **عبد الله بن يوسف بن محمّد الزيلعي الحنفي جمال الدين**[1]: اشتغل كثيرًا، وأخذ عن أصحاب النجيب، وعن القاضي علاء الدين التركماني، وعن جماعة. ولازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرّج أحاديث الهداية وأحاديث الكشاف وكان يترافق هو وزين الدين العراقي في مطالعة الكتب الحديثية، فالعراقي لتخريج الإحياء والزيلعي لتخريج أحاديث الكتابين المذكورين، وكان كل منهما يعين الآخر ولابن حجر تخريج لأحاديث الكشاف فلعله استمد من تخريج صاحب الترجمة ومات[2] بالقاهرة في المحرم سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة.

٢٧٧ ـ **عَبْد الملك بن حسين بن عَبْد الملك العصامي الشافعي المكي صاحب التاريخ المشهور**[3]: المسمىٰ (سمط النجوم الغوالي في أبناء الأوائل والتوالي)، وهو مجلدان ضخمان الأول إلى أيام معاوية، والثاني إلى آخر القرن الثاني عشر، وبسط فيه تراجم بعض الخلفاء والملوك والأمراء، واختصر تراجم آخرين ولم أقف له على ترجمة.

---

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة ١١/ ١٠ وفي ذيل العبر ص ٥٦.
(٢) في ذيل العبر ص ٥٦: مات حادي عشر محرم سنة ٧٦٢ هـ.
(٣) انظر هدية العارفين ٥/٥٢٨.

٢٧٨ ـ عَبْد المَلِكْ بن جَمَال الدِّين بن إسماعيل العصامي[١]: جدّ المذكور قبله، ولد سنة ٩٧٨ ثمان وسبعين وتسعمائة بمكة، ونشأ بها، وأخذ عن مشائخها، وبرع في العلوم، وصنّف مصنفات منها: (شرح الشذور)، و (شرح القطر)، و (شرح الشمال)، و (شرح الألفية)، وغير ذلك.

قال حفيده المتقدم قبله: إنها بلغت مصنفاته ستين مصنفًا، ومات سنة ١٠٣٧ سبع وثلاثين وألف.

٢٧٩ ـ عَبْد المُؤمِنْ بن خَلَفْ بن أبي الحَسَن بن شَرَفْ الدّمياطي شَرَفْ الدِّين[٢]: ولد في آخر سنة ٦١٣ ثلاث عشرة وستمائة، ونشأ بدمياط، وكان يعرف بابن الماجد، وكان جميل الصورة جدًا حتى كان أهل دمياط إذا بالغوا في وصف العروس قالوا: كأنها ابن الماجد، وتشاغل أولاً بالفقه ثم طلب الحديث بعد أن دخل العشرين، وجاوزها فسمع بالإسكندرية في سنة ٦٣٢ من أصحاب السلفي، وبالقاهرة منهم وغيرهم، ولازم المنذري وحجَّ في سنة ٦٤٣ فسمع بالحرمين، ودخل الشام سنة ٦٤٥ ثم دخل الجزيرة والعراق وكتب الكثير وبالغ، وجمع معجم شيوخه في أربع مجلدات، وبلغ عددهم ألف شيخ ومائتي شيخ وخمسين شيخًا، وأملى في حياة مشائخه، وكتب عن جماعة من رفقائه.

قال المزي: ما رأيت أحفظ منه وقال الذهبي: كان مليح الهيئة، حسن الخلق بسّامًا فصيحًا لغويًا مقريًا، جيد العبارة، كبير النفس، صحيحَ الكتب مفيدًا جدًا في المذاكرة. وقال ابن سيّد الناس: سمعته يقول: دخلت على جماعة يقرؤون الحديث فمن ذكر عبد الله بن سلاَّم فشددوا لامه. فقلت: سلام عليكم سلام عليكم.

وصنّف كتابًا في الصلاة الوسطى، وآخر في الخيل، وقبائل الخزرج وقبائل الأوس، و (العقد الثمين، فيمن اسمه عبد المؤمن)، و (المسانية والسيرة النبوية) وغير ذلك، وكان له نظم متوسط ورَوى عنه جماعة ماتوا قبله بدهر، وطال عمره، وتفرد بأشياء، وحمل عن الصّنعاني عشرين كتابًا من تصانيف في اللغة والحديث، وأزكىٰ في علم النسب على المتقدمين، ووصفه أبو حيان بحافظ المشرق والمغرب.

قال الذهبي: كان موسعًا عليه في الرزق وله حرمة وجلالة مات في خامس ذى القعدة سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/٥٢٨.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٦/١٢ ـ ١٣.

٢٨٠ ـ عَبد المؤمِنْ بن عَبْد الحق بن عبد الله بن علي بن مَسْعُود البغدادي الحنبلي أبو الفضائل صفي الدين[١]: ولد[٢] سنة ٦٥٨ ثمان وخمسين وستمائة، وتفقه على جماعة، وعني بالحديث فسمع من عبد الصمد وآخرين، ورحل إلى دمشق، فسمع من ابن عساكر وخرج لنفسه عن نحو ثلثمائة شيخ، وحدَّث وتخرَّج بالفضلاء، وأثنوا عليه وكان علاَّمة في الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وأجاز له في بغداد جماعة، وكذلك من دمشق، وكان زاهدًا خيِّرًا ذا مروءة وفتوة وتواضع ومحاسن كثيرة طارحًا للتكلف على طريق السلف محبًّا للخمول، وكان شيخ العراق على الإطلاق وله مصنَّفات منها (شرح المحرر)، ومختصر في الفرائض و (إدراك العناية في اختصار الهداية)، و (تحقيق الأل في الأصول والجدل)، و (تحرير المقرر في تقرير المحرر)، و (العدة شرح العمدة) وله نظم رائق، ومحاسن، ولم يتزوج، وأخذ عنه جماعة ومات[٣] في صفر سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبعمائة.

٢٨١ ـ عَبْد الهادي بن أحمد بن صلاح بن محمّد بن الحَسَن الثلائي المعروف بالحسوسة: بمهملات الزيدي. قال القاضي أحمد بن سعد الدين: إنه كان يحفظ مجموعات القاسم والهادي وغيرهما من الأئمة، ويمليها عن ظهر قلبه بما يبهر العقول مع سائر علوم أهل الكلام، وكان يحفظ أحوال الناس، ولقي الفضلاء، وقرأ عليهم، فمن جملة شيوخه: عبد الرحمٰن بن عبد الله الحيمي شيخ الإمام القاسم، وعيسى زعفان، وعلي بن الحاج.

قال ويحمل القاضي عبد الهادي من جليل الكلام ودقيقه ما لا يشبهه فيه أحد. حتى قال الإمام القاسم: إنه يظن أنه أوسع علمًا من أبي الهذيل لأنه اطلع على ما حصله أبو الهذيل وغيره، وكان مطلعًا على قواعد البهشمية لا يشذ عنه منها شيء ولا يخفىٰ عليه شيء من أحوال أهل العلم الكلامي، وقد كان ينال منه المقصرون ويقولون أنه يميل إلى مذهب المعتزلة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فتألم لما بلغه ذلك، وأملىٰ من فضائله ما بهرهم مما لم يعرفوه.

ووليَ القضاء بصنعاء فباشره مباشرة حسنة، وله في حسن السياسة أحاديث، وانتقل من صنعاء إلى ثلا في أوائل مرضه، ثم توفي بها ليلة الجمعة الثاني عشر من

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) في الشذرات: ولد في سابع عشري جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ.

(٣) في الشذرات ٦/ ١٢٢: مات في ليلة الجمعة عاشر صفر سنة ٧٣٩ هـ ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

ذي الحجة سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف.

٢٨٢ ـ السيّد عَبْد الوهاب بن حُسَين بن يَحْيى الدَّيلمي: المتقدم ذكر والده في حرف الحاء ولد تقريبًا على رأس سنة ١٢٠٠ مائتين وألف. وقرأ على والده في الفقه والآلات وعلى غيره ممن يجد عنده علمًا في جهته، وهي مدينة ذمار، ثم فهم أنواعًا من العلوم الدقيقة بذهنه الفائق وفهمه الذي يقل وجود نظيره، وحفظه الحسن، فصار يذاكر في كل علم من العلوم ويفهمه أحسن فهم، ولما وصلت إلى ذمّار مع مولانا الإمام المتوكل على الله في سنة ١٢٢٥ لازمني المذكور ليلاً ونهارًا لمحل الصداقة بيني وبين والده، ولكوني نزلت في بيتهم فسمع عليَّ أوائل كتب لا أحصي عددها، ولا أذكر أسماءها الآن لكثرتها، واستفاد بالمذاكرة والمباحثة شيئًا كثيرًا وصارَ في مدينة ذمار، مع حدث سنه مرجعًا في العلوم حتى علم الطب، فإن له اليد الطولى وما زال يفيد الطلبة هنالك مع قلة الراغبين في علوم الاجتهاد بذمار، وفي سنة ١٢٢٦ في الرحلة الثانية للجهاد مع مولانا الإمام المتوكل على الله لازمني ملازمة كاملة ليلاً ونهارًا.

وبالجملة فهو من أفراد المشتغلين بالعلوم في هذا الوقت زاده الله علمًا وتوفيقًا، وله إليَّ أشعار جيدة لعلها موجودة في مجموع الأشعار عندي.

٢٨٣ ـ السيّد عبد الوهاب بن محمّد شاكِر بن عَبْد الوَهَّاب بن حُسَين بن العبّاس بن جعفر[١]: الحسني من قبل الأم الحسيني من قبل الأب الموصلي مولدًا، وبلدًا ومنشأً. ولد شهر جمادى الأولى سنة ١١٨٤ أربع وثمانين ومائة وألف وقدم علينا إلى صنعاء في سنة ١٢٣٤، وكثر اتصاله بي وهو جامع بين علم الأديان والأبدان جيد الفهم فصيح اللسان حسن العبارة حسن الإشارة، قد عرف كثيرًا من البلاد كمصر والشام والعراق والحرمين ودخل إلى الروم دفعات، واتصل بعلماء البلاد، وأعيانها وملوكها وأخبرنا عن هذه البلاد، وأهلها بأحسن الأخبار مع صدق لهجة وتحرٍ للصدق وكتب إليَّ من شعره بنظم فائق رائق:

ومن جملة ما خبرنا به من خبرٍ عجيب، ونبأ غريب، وهو أنه وجد في جبل قيسون من جبال الشام رجل من الجن يقال له: قاضي الجن، واسمه شمهورش، وأنه أدرك الإمام محمّد بن إسماعيل البخاري وأخذ عنه فأخبرنا صاحب الترجمة قال: أخبرنا السيّد إسماعيل بن عبد الله الأيدين جكلي نسبة إلى قرية بالروم. قال: أخبرنا أحمد بن محمد المنيني نزل دمشق الشام قال: أخبرنا عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عن القاضي

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

شمهورش قاضي الجن بصحيح البخاري عن البخاري.

ومما أخبرنا به صاحب الترجمة أن اعتماد حنفية هذا الزمان في جميع ديار الروم والشام ومصر، وغيرها في الفقه على مؤلفين أحدهما مؤلف الملاخسرو الرومي المسمى الدرر والغرر، متنًا وشرحًا، والمؤلف الآخر لمحمد أفندي مفتي دمشق المسمى (الدر المختار) واستشهد في خطبة الكتاب بقول القائل:

تـرى الفتـىٰ ينكـرُ فضـل الفتـىٰ ... فـي وقتـهِ حتـىٰ إذا مـا ذهـبْ
يحملـهُ الحـرصُ علـى نكتـةٍ ... يكتبُهـا عنـه بمـاءِ الـذهـبْ

وأخبرنا أن هذا محمد أفندي من أهل القرن الحادي عشر، وقد طلب صاحب الترجمة بعض مؤلفاتي فأعطيته (الدرر)، وشرحها (الدراري) وقد كتب إليَّ من نظمه شعرًا فائقًا، قد ذكرته في مجموعي فليرجع إليه وقد تلقيت منه الذكر على الطريقة النقشبندية.

٢٨٤ ـ عَبْد الهادي بن محمّد السودي ثم الصّنعاني الصوفي الشاعر المشهور[١]: ولد في نيف وسبعين وثمان مائة. ونشأ بصنعاء، وقرأ بها الفقه وغيره ثم لحقته جذبة، فخرج هائمًا من صنعاء، وسكن مدينة تعز. وذكر الإمام شرف الدين أنه إنما حصل له الهيام بسبب أكله للقات وله شعر حسن فمنه:

كيـفَ حـاروا فيـكَ واعجبًـا ... يـا منـىٰ سمعـي ويـا بصـري
أنـتَ لا تخفـىٰ علـى أحـدٍ ... غيـر أعمـىٰ الفِكـرِ والنظـرِ
حَيْـرَةٌ عمَّـتْ وأيُّ فتـى ... رامَ عـرفـانـاً ولـم يحـرِ

ومنه:

لا وقـدٍ منـك معتـدلٍ ... عـن غـرامـي فيـكِ لـم أمـلْ
ليـس علـي عطـفٌ علـى أحـدٍ ... لا ولا ميـلٌ إلـى بـدلْ
بـك يـا سـؤلـي ظفـرت فلـم ... ألتفـتْ للـدارِ والطّلـلِ

ومنه:

عـاذلـي فـي الحـب أو خطـره ... لسـتَ مـن ليلـىٰ ولا سمـره
أنـا فـي وادٍ أظنـك مـا ... قلـت فـي الأفيـاء مـن شجـره
لا تطـلْ فيـه المـلامَ إلـى ... أنْ تـذوقَ الحلـوَ مِـنْ ثمـره

---

(١) ترجمته في النور السافر ص ١٤٣.

يــا حلــولَ الشعــب مــن اضــمٍ　　انشقــونــي النشــرَ مِــنْ زهــره

وفي هذا الشعر من شعر أبي نواس وكان صاحب الترجمة في أيام الإمام شرف الدين ومات سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

٢٨٥ ـ عَبْد الوَاسِـع بن عَبْد الرّحمٰن بن محمّد القرشي الأموي العلفي[١]: ينتهي نسبه إلى عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية. ولد سنة ١٠٢٦ ست وعشرين وألف، أو في التي بعدها ببلاد حيدان بسبب أخواله بني مدحف (فخذ من حيدان)، ثم انتقل هو ووالدته إلى هجرتهم بني علفة في بلاد الكلبيين، فبقي بها مدة، ثم ارتحل إلى صنعاء وهو في سن الطلب، فأخذ عن جماعة من شيوخها كالفقيه الفاضل محمد بن أحمد الحربي في النحو، وعلى التهامي في الصرف، وعلى عبد الرحمٰن بن محمد الحيمي في أنواع من العلم، وعلى السيّد محمد بن عز الدين المفتي والسيّد الحَسَن بن أحمد الجلال، والقاضي صلاح الذنوبي، والقاضي أحمد بن سعيد الهبل، وبرع في علوم كالنحو والصرف والأصول والفقه والفرائض.

ومن جملة مشائخه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، والقاضي الحسين بن علي الشوكاني، والقاضي أحمد بن سعد الدين وأخذ عنه جماعة كالسيّد محمّد بن الحُسَينِ الكبسي، وولده أحمد، والسيّد الحسين بن أحمد زَبَارة، وعلي بن محمد الشطبي.

وكان الإمام المتوكل على الله يقول: من أراد النحو فليقرأ على القاضي عبد الواسع وله تفسير لطيف على سورة الإخلاص، وله مجمع في خطب السنة ومختصر سماه (الوعظ النافع فيما أنشأه القاضي عبد الواسع)، ولم يزل مقيمًا على التدريس، حتى مات في ثاني عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٠٨ ثمان ومائة وألف، وقبره في الغراس بجوار الإمام المهدي أحمد بن الحسن.

ولهذا القاضي ذرية صالحة مباركة فيهم رؤساء وفضلاء وكملاء، فمنهم في تاريخ تحرير هذه الأحرف محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواسع أحد رؤساء الدولة وأعيانها، وهو كثير الخير، كثير العدل، قوي العقل، محمود السيرة، طيب السريرة، ومنهم أخوه الحسن بن علي، وهو تلو أخيه محمّد في محاسنه، مع صدق لهجة وحسن خلق وشهامة نفس، وكمال مروءة، ومنهم يحيى بن محمّد بن علي وهو الآن في عنفوان الشباب، وله أشعار فائقة تشتمل على معان رائقة.

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/٦٣٨.

٢٨٦ ـ عَبْد الوهاب بن علي بن عَبْد الكافي بن علي بن تمام السبكي تاج الدين[١]:
ولد سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة، وأجازَ له جماعة كابن سيّد الناس وطبقته، ثم قدم دمشق سنة ٧٣٩ فسمع بها من زينب بنت الكمال والمزي والذهبي. وأمعن في طلب الحديث وكتب الأجزاء والطباق، حتى مهر، وهو شاب مع ملازمته الاشتغال بالفقه، والأصول، والعربية، وصنف تصانيف، منها شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج البيضاوي وعمل الفوائد المشتملة على الأشباه والنظاير. والطبقات الكبرى والوسطى والصغرى. ورزق السعادة في تصانيفه فانتشرت في حياته وكان ذا بلاغة وطلاقة جيد البديهة طلق اللسان، حسن النظم، والنثر، ودرس في غالب مدارس دمشق، وناب عن أبيه في الحكم، ثم اشتغل به باختيار أبيه، وولي خطابة الجامع وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام وحصل له بسبب القضاء محنة بعد محنة، وهو مع ذلك في غاية الثبات وعزل مرات وكشفوا عليه في بعضها، وحكم بعض القضاة بحبسه واجتهدوا في طلب غيره من عثراته فلم يجدوا قال ابن كثير جرى عليه من المحن والشدائد، ما لم يجرِ على قاض قبله، وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لأحد قبله وانتهت إليه الرئاسة بالشام، وأبان في أيام محنته عن شجاعة، وقوة مناظرة حتى أفحم خصومه مع كثرتهم، ولما عاد على وظائفه صفح عن القائمين عليه، وكان كريمًا مهابًا، مات[٢] في سابع ذي الحجة سنة ٧٧١ إحدى وسبعين وسبعمائة.

٢٨٧ ـ السيّد عبيد الله بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله السيد نور الدين أبو حامد[٣]: الحسيني الأيجي الشافعي. ولد يوم السبت خامس وعشرين ذي القعدة سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمان مائة بشيراز، وتحول إلى مكة، وقرأ على جماعة كالمحب الطبري وأبي الفتح المراغي، وحفظ القرآن، وبعض الحاوي وفي الصرف النخبة لجده، وفي النحو الكافية، وشيئًا من الطوالع وغير ذلك، وأخذ عن الصفي جده لأمه في علوم عدة، وعلى النور أبي الفتوح وأجاز له كثير من أمصار مختلفة، وقدم القاهرة ودخل الشام وزار القدس والخليل وأخذ في هذه الأمكنة عن جماعة كالبقاعي والسخاوي وتصدر في أيج للافتاء والاقراء، والتحديث، وكتب على المنهاج، والتيسير للبارزي وعلى القونوي، وجمع كتابًا طويلاً سمّاه (مجمع البحار)،

---

(١) ترجمته في ذيل العبر ص ٣٠٢ وفي شذرات الذهب ٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) في ذيل العبر ص ٣٠٣: مات يوم الثلاثاء «بعد العصر» السابع من ذي الحجة سنة ٧٧١ هـ. وفي القلائد الجوهرية ٢/ ٣٧١ مات عشية الثلاثاء ٧ ذي الحجة ٧٦١ هـ. وأعتقد أن هذا خطأ واضح.

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ٥/ ٦٦.

جعله أولاً مختصرًا للروضة ثم بسط الكلام واستوفىٰ كلام الشافعية مع ذكر الأدلة والعلل ترجمه السخاوي، وذكر أنه فارقه في سنة أربع وتسعين يعني وثمان مائة فلعله عاش إلى القرن التاسع والله أعلم.

٢٨٨ ـ السيّد عبد الله بن محمّد الهاشمي الحسيني الملقّب العِبْري[١]: بكسر المهملة وسكون الموحدة ذكره الذهبي في المشتبه فقال: عالم كبير في وقتنا، وتصانيفه سائرة. وقال الأسنوي في طبقات الشافعية: كان أولاً حنفيًا ثم صار شافعيًا، وكان يقرىء المذهبين، ووصفه بعض أهل بلاده فقال: كان قاضي القضاة عضد السلاطين مشهورًا في الآفاق، مشارًا إليه في جميع الفنون ملاذًا للضعفاء، كثير التواضع والإنصاف، ومال في آخر عمره إلى الاشتغال بالعلوم الدينية، وله من المصنّفات عدة منها: شروح مصنَّفات القاضي البيضاوي المنهاج، والمطالع والغاية، والمصباح وشرح المصابيح، وسكن سلطانيه، ثم تبريز ووليَ قضاءها، وعبارته فصيحة قريبة من الأفهام، وكانت وفاته بتبريز في شهر رجب سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة في العام الذي حصل فيه الغلاء المفرط بخراسان، والعراق وفارس وأذربيجان، وديار بكر، حتى جاوز الوصف، وأكل الأب ابنه، والابن أباه بيعت لحوم الآدميين في الأسواق جهرًا، ودام ذلك ستة أشهر. كذا في الدرر لابن حجر حاكيًا عن بعض فضلاء العجم.

٢٨٩ ـ عثمان بن عليِّ بن عُمَر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يَعْقوب بن علي بن عبد الله الطائيِّ الحلبي[٢]: فخر الدين ابن خطيب جبرين الشافعي. ولد في ربيع الأول سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة، ومهر في الفنون حتى كان يدرس كل من قصده في أي كتاب أراد من أي علم أحضره، ولم يَرَ الناس له في ذلك نظيرًا إلا ما حكىٰ عن ابن يونس فكان يقرىء في الحاوي، وغيره من الفروع وفي المحصول، وغيره من أصول الفقه، وفي الشاطبية، وغيرها من القراءات وفي الفرائض، وأنواع الحساب، وفي العربية والتصريف والحكمة والطب وغير ذلك وناب في الحكم، وكان في خلال الدرس وخلال الحكم يلازم السبحة، ومن تصانيفه شرح التفجير، وشرح الشامل الصغير، وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح الحاوي، وشرح مختصر مسلم للمنذري، ثم طلب إلى القاهرة فمثل بين يدي السلطان فبدر من السلطان كلام في حقه أغلظ له فيه فرجع مرعوبًا فمرض، وكان معه ولده فمرض كذلك، وماتا جميعًا بعد جمعة في المحرم سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة. وأثنى عليه ابن حبيب فقال: حاكم قدره كبير وعالم ليس له

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/٦٤٩.

(٢) ترجمته في وفيات ابن رافع بالترجمة رقم ١١٤ وفي هدية العارفين ٥/٦٥٥.

نظير، قدوة في معرفة الأصول والفروع، مشار إليه بالتقديم في المحافل والجموع. ثم ذكر أنه باشر توقيع الحكم ونظر الأوقاف، ووكالة بيت المال ثم اشتغل بالقضاء بحلب مدة.

٢٩٠ ـ عُثمان بن قطلوبك التركمان أمير التركمان بديار بكر وصاحب آمدو ماردين[1]: وغيرهما، كان أبوه من جملة الأمراء بالدولة الأرتقية، ثم انتمى ابنه هذا إلى تيمورلنك، وصار من أعوانه، ودخل معه البلاد الشامية لما طرقها ثم رجع إلى بلاده فاستولى على ما تقدم ذكره في أيام الناصر فرج بن برقوق صاحب مصر والشام، وولاه الرها، وضخم أمره، وما زال في علو إلى أن تجرَّد المؤيد شيخ البلاد الشرقية، وعاد إلى نحو بغداد، فأرسل قصاده إلى المؤيد يعتذر عن نفسه في ذنبٍ منه سابق ويقول: إن لم يعف عني السلطان لا أجد لي بدًا من موافقة خصومه، فأجابه، وكان من الرجال قوة وشجاعة وإقدامًا. قتل ملوكًا ولما سُلطِنَ الأشرف برسباي المتقدم ذكره، وطالت أيامه تغيّر ما بينهما فجهَّز لقتاله عسكرًا غير مرة، وأخذ منه الرها، وقبض على ابنه هابيل، وحبس بقلعة الجبل، حتى مات ثم تجرَّد الأشرف بنفسه إليه في سنة ٨٣٦، ووصل إلى آمد، ونزل عليها وحاصرها زيادة على شهر، ثم رحل عنها بعد وقوع الصلح بينهما، وأرسل له بخلعة وسرج فرس ذهب، واستمر على حاله إلى سنة ٨٣٩، فسار إلى اسكندر من تبريز، وبلغ على صاحب الترجمة فجهز علي بك ابنه في فرقة من العسكر وهو على أثرهم، فالتقى الفريقان، فاستظهر عسكر هذا فثبت اسكندر بمن معه ثم حملوا حملة رجل واحد على عسكر هذا فكسروه. وسار اسكندر خلفهم، فتبعوا صاحب الترجمة، فرمىٰ بنفسه إلى خندق القلعة ليفوز بمهجته، وعليه آلة الحرب، فوقع على حجر، فشدخ دماغه، ثم حمل، وعلق إلى القلعة بحبال، فدام بها أيامًا قلايل، ثم مات وذلك في العشر الأول من صفر سنة ٨٣٩ تسع وثلاثين وثمان مائة، وقد بلغ التسعين أو زاد عليها ودام سلطانه زيادة على خمسين سنة.

٢٩١ ـ عُثمان بن محمّد بن عَبْد العزيز بن أَحْمد بن أبي بَكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عَبد الواحد بن أبي حفص عُمَر الملقَّب المتوكل على الله الهَنَتاتي[2]: بفتح الهاء ثم نون بعدها مثناة ثم مثلها بعد ألف قبيلة من البربر وجده أبو حفص عُمَر هو أحد العشرة من أصحاب محمّد بن تومرت المعروف بالمهدي. ولد تقريبًا بعد العشرين وثمان مائة بتونس وبها نشأ في كنف أبيه وجده قرأ القرآن وشيئًا من العلم وصار إليه

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٥٤.

الملك وهو ابن ثمان عشرة سنة فخالف عليه عمه أبو الحسن، فظفر به وتمهدت له الأمور، وطالت أيامه فإنه ولي ملك تونس، وهو في تلك السن في سنة ٨٣٩ ودام في الملك أربعًا وخمسين سنة ونصف سنة ودانت له البلاد والرعية، واجتمع له من الأموال وغيرها، ما يفوق الوصف، وأنشأ الأبنية الهايلة، والخزانة الشرقية بجامع الزيتون، وجعل بها كتبًا نفيسة للطلبة وبعد صيته، وطارت شهرته، وهادن ملوك تلك الأقطار، وكذا ملوك الإفرنج وخطب له بالجزائر وتلمسان، وجاءته بيعة صاحب فاس، وأثنى عليه غير واحد ممن لقيه. ولم يزل بحالته حتى مات في صبيحة يوم السبت تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمان مائة.

٢٩٢ ـ الإمام الهادي عزّ الدين بن الحَسَن بن المؤيد[١]: ولد بأعلا فَلَله بفتح الفاء واللامين بعدها بعشر بقين من شوال سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمان مائة، وقرأ في وطنه، ثم رحل إلى صعدة فقرأ على علي بن موسى الدواري فنونًا من العلم، وقرأ أيضًا على غيره، ثم رحل إلى تهامة فسمع الحديث على شيخه يحيى بن أبي بكر العامري المشهور مؤلف البهجة، وغيرها سمع منه سنن أبي داود، وأجازه في سائر كتب الحديث، وبرع في جميع العلوم، وصنّف وهو دون العشرين فمن مصنفاته شرح منهاج القرش، في مجلدين ضخمين وشرح البحر، للإمام المهدي بلغ فيه إلى كتاب الحج، وهو شرح مفيد سلك فيه طريقة الإنصاف وهو يدل على تبحّره في عدة علوم، وله فتاوى مجموعة في مجلد ضخم مفيدة، ومن جملة شيوخه الإمام محمد بن علي الوشلي.

فإنه لازمه في الحضر والسفر، ثم لما كمل في جميع العلوم، دعا الناس إلى مبايعته، فبايعوه في تاسع شوال سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمان مائة، وكانت الدعوة بوطنه هجرة فلَلَه ودخل تحت طاعته بلاد السودة، وكحلان، والشرفين والبلاد الشامية وعلماء سائر محلات الزيدية قد بايعوه.

وإن لم يجبه جميع أهلها وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وسائر الخصال الشريفة وله شغف بالعلم عظيم ولديه من التسليم للحق واتباع الدليل ما لم يكن لغيره حتى رأيته قد حرر بحثًا في مسألة انحصار الإمامة في بعض بطون قريش وتكلّم بالصّواب مع كونه إذ ذاك إمامًا، واستمرت إمامته إلى أن مات في شهر رجب سنة ٩٠٠ تسعمائة ومدة خلافته إحدى وعشرون سنة.

---

(١) ذكره صاحب التاج المكلل ص ٣٩٥.

٢٩٣ ـ السيّد علي بن إبراهيم بن عليّ بن إبراهيم بن أحمد بن عامِر الشهيد[١]:
المتقدم ذكره ولد بشهارة سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف وقيل سنة ١١٣٩ . وقرأ بها على أهل العلم هنالك، ثم ارتحل إلى كوكبان وقرأ على من به من العلماء، كالسيّد عيسى بن محمد بن الحسين، ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ على السيّد العلاَّمة أحمد بن محمد بن إسحاق، وغيره كالقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، واستقر بها وتزوج، وكان إمامًا في جميع العلوم محققًا لكل فن ذا سكينة ووقار قلَّ أن يوجد له نظير في ذلك كان إذا اجتمع بأهل العلم وجرت المباحثة في فن من فنون العلم لا يتكلم قط بل ينظر إليهم ساكتًا، فيرجعون إليه بعد ذلك فيتكلم بكلام يقبله الجميع ويقنع به كل سامع، وكان هذا دأبه على مرور الأيام لا يعتريه الطيش والخفة في شيء كائنًا ما كان، ولا يوجد له عدو قط لحفظ لسانه والتفاته إلى ما يعنيه، وعدم اشتغاله بما لا يعنيه مع كونه غير متعلق بالمناصب الدنيوية التي هي منشأ العداوة إما لحسد أو لغيرة فلهذا كان الثناء عليه كلمة إجماع والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع، وكان يسلك هذا المسلك مع أهله وأولاده فإنهم إذا وقع لهم السهو عن شيء مما يحتاج إليه من طعام أو شراب أو نحوهما لم يقع منه الطلب لذلك منهم فضلاً عن أن يتجرد عليهم ويلومهم.

ولقد أخبرني أنه خرج يومًا مع جنازة وقت الغداء وما رجع إلا قبل الظهر فظن أهله أنه قد تغدىٰ لأنه كان كثير الضيافات عند معارفه فوصل إلى مكانه واستمر جالسًا إلى وقت العشاء لم يطلب منهم شيئًا ومثل هذا عجيب، وأخبرني أنه دخل ليلة منزله، ووقف في المكان الذي يأوي إليه ولم يشعر أهله بذلك فبقي إلى مقدار نصف الليل في ظلمة بلا مصباح ولا قهوة ولا غير ذلك مما يحتاج إليه في السمر، مع أنه كان محبًا للسمر، وإذا كانت هذه معاملته لأهله فما ظنك بمعاملته لغيرهم، ولا أعلم أنه غضب قط، أو خاصم في شيء منذ عرفته إلى أن مات، وليس له نظير في حفظ الأشعار لأهل الجاهلية والإسلام. وحفظ الأخبار التي لا يدري بشيء منها غالب أهل العصر، ومع هذا فإنه يحضر مواقف الاجتماع فيتحدث متحدث بخبر من الأخبار فيزيد وينقص، ويغلط، ويصحف، ويحرف، وهو مصغ إليه مقبل عليه كأنه لا يعرف من ذلك شيئًا، فإذا فرغ ذلك المتحدث من حديثه استحسنه صاحب الترجمة، وسكت، ولا يستدرك عليه في شيء مع أنه يعلم بتفصيل ذلك الخبر، وصحيحه، وفاسده اللهم إلا أن يسأله سائل عن تلك الحكاية أو يسترشد منه الحاكي فإنه حينئذ يمليها بعبارة عذبة ويصوغها بألفاظ فصيحة، وإذا كانت مشتملة على شيء من الشعر ذكره لا يغادر منه شيئًا حتى يخجل

(١) انظر التاج المكلل ص ٣٩٥.

حاكي تلك القضية، ويندم على إقدامه وهكذا إذا روى أحد من هو بحضرته شيئًا من الشعر أصغى إليه، وقد لا يدري ذلك الراوي لمن الشعر، وقد يصحِّف في بعضه، وقد لا يحفظ إلا شيئًا يسيرًا من القصيدة.

وصاحب الترجمة ساكت لا يتكلم فإذا سأله سائل عن ذلك روى تلك القصيدة من أولها إلى آخرها، وذكر السبب الذي قيلت لأجله وترجم لقائلها ترجمة لا يدع من أحواله شيئًا، وقلَّ أن يجري بحضرته شيء لا يعرفه وهو قليل التكلف مائل إلى الخمول ليس له رغبة في الظهور ولا يتكلم في مسألة، إلا وهو على قدم راسخة وإلا رجع إلى البحث بل كثيرًا ما يرجع إلى البحث، وإن كان يعلم بالمسألة فإني سمعت منه صحيح البخاري من أوله إلى آخره بلا فوت فكانت تعرض مباحثات حال القراءة فيسمع السؤال، ثم يصمت، ويأخذ الشروح فينظر فيها فإن وجد ما يفيد أملاه، وإن لم يجد تكلم من عند نفسه بكلام في غاية الحسن والإفادة.

ومما كتبته إليه في أيام قراءتي عليه هذان البيتان وفيهما طرد عجيب:

إمامُ البهاليلُ الأولىٰ سبقوا إلى ... سمـاء المعـالـي آمـراً بعـد آمـرِ
علـي بـن إبـراهيـم بـن علـي بـ ... ـن إبراهيم بن أحمد بن عامرِ

وقد أخذ عنه الطلبة في فنون متعددة، وكانوا يقصدونه في الغالب إلى بيته وكان للعصر به جمال وللعلم وأهله به أنس، وله في الشعر يد طولى وقصائده الطنانة موجودة بأيدي الناس، فمن شعره في وصف البنادق من جملة قصيدة:

فـواغـر أفـواه الثعـابيـن كلمـا ... نفخـن قتـامـاً تستطـار مشـاعـل
حكىٰ شكلها الحيات لكن صفيرها ... زئيرٌ وفي الأحشاء منها الغوائل
كـراسيهـا أذنـابهـا وعيـونهـا ... وراءٌ ولا يخفـىٰ عليهـا المقـاتـل

ولو لم يكن له إلا هذه الأبيات لكفته، فإنها غاية لا تدرك وهي تدل على ما ورائها من أدبه الغض. ومن قصائده الطنانة هذه القصيدة:

خلسُ اللحـظ تـذيـبُ المهجـا ... فبهـا الـدمـعُ يُـرىٰ ممتـزجـا
لا تسمْ لحظكَ في مرعىٰ الهوى ... فيـلاقـي القلـبُ منـه حـرجـا
راشقـــاتٌ وتسمـــىٰ نظـــراً ... بنبـــالٍ وتسمـــىٰ دعجـــا
لـم تـؤثـر فـيَّ سـوى أفئـدة ... وهـي فيهـن تبيـن الشخجـا
كـان عهـدي قبلهـا أن النهـى ... للتصـابـي مـانـعٌ أن يلجـا
يـا خليلـيَّ أواهـا منكمـا ... ظلـةٌ بـالسفـح إن لـم تعجـا

وإذا ظللتمــــاه فــــانشقــــا مــن شميــم الــدارِ عــرفــا أرجــا
إنمــا أعتــدُّ مــن عمــري بمــا كنــت فيــه بــالصبــا مبتهجــا
يمــلأُ التهــويــمَ عينــيّ ولــمْ يــك قلبــي بــالهــوىٰ منــزعجــا
كــم سُــرِقنَــا بــاللــوى فــي غفلــة من عوادي الدهر غيثاً سجسجا
تــرقــصُ الأغصــانُ فيــه طــربــاً وعليــه الطيــرُ تشــدو هــزجــا
ودجــىٰ قــد ألــف الشمــل إلــى أن فــرىٰ الصبــحُ لأفــقٍ ودجــا
وليــالــي بــالتــدانــي لــؤلــؤ قــد أعيــدت بــالتنــائــي سبجــا
إذ يلــف الحــبّ مشتــاقــي هــوىٰ وعفــافــاً بــالغــرام امتــزجــا
لــم يشَقْنــي ظــلَّ أفنــان الحمــى إنمـــا اشتـــاق بـــدراً غنجـــا
حــركــاتُ الحســنِ فــي أعطــافــهِ يستميــلُ اللــبَّ عــن أهــلِ الحجــىٰ
آه مـــن عيـــنٍ بـــه داميـــةٍ وهي في الدمع تخوضُ اللججا
كلمـــا لامَ عليـــه عـــاذلٌ وجــدَ المسمــعَ بــابــاً مُــرتجــا
لا سمــت بــي عقــوة مــن هــاشــمٍ وبخــالٍ بــالمعــالــي وشجــا
إنْ أخــافتنــي القنــا مــن دونــه بعــواليهــا حسينــاً ســرجــا
لأقيمـــنَّ علـــى رغـــم النـــوىٰ منســـمَ الحـــبِّ واعلـــو الثبجـــا
كم لطرفي في الكرىٰ من رقبةٍ ليـــرىٰ للطـــرفِ فيـــه مُنهجـــا
أتـــرىٰ آســـاده فـــي وهـــنٍ مـــن سهـــادٍ ظـــلَّ فيـــه مُـــدلجـــا
آهِ مِـــنْ عسجـــدِ شعـــرِ صغتـــهُ وأراهُ فـــي الهـــوىٰ قـــد سمجـــا
لـــو رأى قيصـــر منـــه مـــا رأوا صـــاغ منـــه لملـــوك دملجـــا

ولم يشتغل رحمه الله بالتأليف مع أنه أهل له ولو وجه نفسه إليه لجاء بما يعجز عنه غيره ولعل السبب في ذلك محبته للخمول حياً وميتاً وكتب من نفايس الكتب بخطه شيئاً كثيراً وكنت أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك مع شغلته بالتدريس فسألته بعض الأيام عن هذا فقال إنه لا يترك النسخ يوماً واحداً وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً أو سطرين فلزمت قاعدته هذه فرأيت في ذلك منفعة عظيمة وكان له رحمه الله ميل إلى السيد العلاّمة أحمد بن محمد بن إسحٰق وخرج معه من صنعاء إلى وصاب أيام وقوع الحرب بينه وبين الإمام المهدي العباس بن الحسين وانتفع بصحبته وكان يعينه على أمور دنياه وكان له لطايف وظرائف وكلمات مستحسنة منها أنه كان بعض أبناء الأكابر يتصل به ويقرأ عليه ويديم الجلوس معه وهو فائق الجمال بديع الأوصاف

فتزوج وانقطع عنه فقيل لهفي ذلك فقال: انصرف ندمان لوجود ندمانة فتمت له الإشارة إلى الواقع مع مراعاة التوجيه بالقاعدة النحوية على أحسن أسلوب ولم يزل رحمه الله مستمراً على حاله الجميل حتى توفاه الله في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٧ سبع ومائتي وألف ورثيته بقصيدة مطلعها:

هـب أن بـدر الأفـق يـومـاً يـأفـل   أو أنـه يهـوى السمـاك الأعـزل

٢٩٤ ـ السيد علي بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير: حفيد السيد محمد صاحب التصانيف الآتي إنشاء الله ولد شهر القعدة سنة ١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف وقرأ في العربية والحديث واستفاد في أسرع مدة مع أنه لم يشتغل كثيرًا، ولكنه مفرط الذكاء سريع الفهم، قوي الإدراك، جيد الفطنة، يتوقد ذكاء فصيح العبارة فائق النظم والنثر وله مصنفات منها (السر المصون، في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون) ورسالة في تحريم تحلية السلاح بالذهب، وتأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى، و (كتاب النفحات الربانية واللمحات الرحمانية في إحراز ذخائر الصلات بإبراز ضمائر الصلوات) والفتح الإلٰهي بتنبيه اللاهي وكلها حسنة وحج مرات وتردد ما بين صنعاء، ومكة، ومال إلى الأدب، ونظم القصائد الطنانة والمقاطيع الحسنة، وأكثر من ذلك واشتهرت أشعاره وطارت في الأقطار اليمنية واشتغل بها الناس، وكتبوها، وحفظوها، وكان يكثر من مطارحة الأدباء ومجالستهم، ومجاذبتهم للطائف وفنون الأدب.

ثم انجمع وترك الشعر والتفت إلى العبادة والأذكار والوعظ وتعليم العامة أمور الدين فعقد مجالس بجامع صنعاء وبغيره من مساجدها، وبجامع الروضة وكان يجتمع عليه جمع جم ورغب الناس إليه وأقبلوا على وعظه وكان ينحدر عندما يتكلم عن الناس من أول المجلس إلى آخره لا يتلعثم في عبارة، ولا يتردد في لفظ كأنه يملي من كتاب ويستطرد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ويسرد من ذلك شيئًا كثيرًا بعبارة حسنة، ومسالك مستحسنة وجمع مجاميعَ حسنة منها: رسالة في تفسير ألفاظ الأذان وأخرىٰ في تحريم التحلي بالذهب، وله من ذلك أشياء نفيسة وله فصاحة وبراعة وقوة نفس وعفة، وإنكار للمنكر بما يستطيعه وتبلغ إليه قدرته، وكثيرًا ما يصل إليَّ إذا حدث شيء من ذلك، ولا يزال حتى أساعده على القيام في دفع ذلك الحادث وأحواله كلها حسنة، وله في الذب عن الغيبة والنميمة غاية كاملة لا يدع أحدًا يذكر أحدًا بسوء في مجلسه، وله أذكار وصبر على تعليم العامة ما يهمهم من أمر دينهم.

وهو الآن مستمر على هذه الأحوال الجميلة وللناس به انتفاع كثير، ومع هذا فلم

يسلم من المنافسة له والمبالغة في الحط عليه والتظهر بثلبه، وهو صابر محتسب، وقد كتب إليَّ أبياتًا بعد تركه لنظم الشعر وهي:

طبلُ شيطاني ومزمارُ الهوىٰ ضربا والنفس باتت ترقصُ
ورياضُ القلبِ قد أهملها عدمُ التقوىٰ فباتت تنقصُ
أعربُ اللفظُ بقرآني وكم ألحن المعنىٰ فهل لي مخلصُ
يا لقومي لم أجد محتسباً فاضلاً عن منكراتي يفحصُ
فعسىٰ ربي بجاه المصطفىٰ يُذهِبُ الدا فتزول الغصصُ

فأجبته عنه بقولي:

قد شققتُ الطبل والمزمار ما مثلك اليومَ لزمرٍ يرقصُ
وكذاكَ النفسَ قد ألجمتها بلجامِ الزهدِ وهو المخلصُ
أنت لا تفحصُ عن عيبِ امرء تبَّ من ظلٍ لعيبٍ يفحصُ
فرضَ النفسُ إذا زاد الهوىٰ فهو إنْ ما رضتها ينتقصُ
يا لحا الله أناساً كلما لاحَ للأطماع برق بصبصوا
وإذا نالَ الفتىٰ مكرمةً كانَ من ذاك لديهم غصصُ

وهو الآن ما بين الأربعين والخمسين من عمره دامت فوايده، ثم مات رحمه الله في شهر ذي الحجة سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف ووالد المترجم له هو من أعيان العلمٰاء وأكابر الفضلاء جامع بين الشريعة والطريقة عارف بفنون من العلم لا سيما الحديث والتفسير، وله في التصوف والتسليك يد طولى قرأ على والده وعلى غيره، وأقرأ في جامع صنعاء في صحيح البخاري، وغيره وله في الوعظ يد طولى. وقد قعد لذلك في مواطن فانتفع به الناس ثم رحل إلى مكة واستوطنها بسبب أمور جرت له مشتملة على امتحانات، وهو الآن مقيم هنالك، وقد رغب عن الرجوع إلى اليمن وهو وافر الجاه عند أهلها عظيم الحرمة رفيع الدرجة وصار هنالك مأوى لمن دخل مكة للحج من أعيان أهل اليمن، وقد كتب إلي كتابًا يتضمن المعاهدة، ولم يكن قد عرفني قبل ارتحاله إلى هنالك لأني كنت إذ ذاك في أيام الصغر، وأنا رأيته مرة واحدة يصلي بالناس في بعض المساجد بصنعاء فسمعت قراءة فائقة بصوت مطرب مع هيئة جميلة وشيبة منورة. وله مصنفات في الوعظ والرقائق والتصوف وهي مشحونة بالفصاحة والبلاغة، وهو كان يستحق إفراده بترجمة ولكن اكتفيت بذكره ههنا ومات ثاني عشر شوال سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف. ومولده سنة ١١٤١ إحدى وأربعين ومائة وألف. ومن مصنفاته (الفلك المشحون

شرح أسماء من يقول للشيء كن فيكون) وشرح للأربعين الجوهرية، وله تفسير غريب الأسلوب سماه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن) كتب منه مجلدًا ضخمًا وجمع مجموعًا في ترجمة والده ذكر فيه مؤلفاته وشيوخه وتلامذته، وقد وقفت على جميع ذلك وولده يوسف بن إبراهيم ساكن عنده هنالك، وهو من المشتغلين بالعلم والزهد وسلوك طريق الخير والعبادة والاشتغال بأمر الآخرة، وله في الأدب مسرح قوي، وهو أصغر من أخيه على المترجم له وقد خرج إلى صنعاء وسمعت تلاوته وهي تلاوة فائقة بنغمات رائقة ورأيته يقرأ على عمه عبد الله بن محمّد المتقدم ذكره في مدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء في صحيح البخاري.

٢٩٥ ـ عليّ بن أحْمد بن رَاجِح بن سَعيد: وزير الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم كان من محاسن الدهر في الكرم والرئاسة والكياسة، وله ولأخيه محسن بن أحمد راجح قصص في الكرم يتناقلها الناس إلى الآن، ويضربون بها الأمثال، ولشعراء عصرهما فيهما غرر الممادح، وكانا مستوليين على المنصور بالله لا يعمل إلا بما قالاه، ولا سيما صاحب الترجمة فهو الوزير الأعظم الذي لا يقع في المملكة شيءٌ إلا بإذنه، ومفاوضته، واستمر كذلك مدة خلافة المنصور، وكان ملازمًا له قبل الخلافة، ولما مات المنصور وقام بعده الإمام المهدي نكب صاحب الترجمة وأخاه المذكورين، وأخذ من أموالهما شيئًا كثيرًا، فأما صاحب الترجمة فمات بعد ذلك بأيام يسيرة في سنة ١١٦٣ ثلاث وستين ومائة وألف. فبقي لورثته دنيا واسعة، ووقف ثلث تركته على العلماء والمحاويج، وهو جمهور واسع، وصارت الآن صدقة جارية على المستحقين يحصل منها في كل عام شيء واسع، وأما أخوه فتأخر موته إلى سنة ١١٧٣ ثلاث وسبعين ومائة وألف.

٢٩٦ ـ عليّ بن أحْمد بن سَعيد بن محمّد بن سَعيد بن الأثير الحلبي الأصل المصري: ولد في حدود الثمانين وستمائة. وتعانىٰ الخدم الديوانية وكان أبوه من الأعيان الموقعين، وباشر الديوان وكتب الإنشاء فلما توجه الناصر إلى الكرك توجه صحبته، ووعده بكتابة السر فلما قدم الناصر القاهرة قدم له علاء الدين حلوىٰ بمائة وعشرين درهمًا باع لأجل شرائها بعض متاعه فلما وصلت الهدية إلى الناصر تذكره، وقال لدويداره اكتب إلى محيي الدين ابن فضل الله يكتب إلى أخيه شهاب الدين دستورًا إلى الشام فإني أستحي أن أواجهه بذلك، فكتب محيي الدين إلى أخيه فلم يلتفت إليه، فلما بلغ السلطان ذلك لم يجد بدًا أن يفصح له بالأمر، فرسم له أن يستقيم في كتابة السر بدمشق عوضًا عن أخيه، فخرج من القاهرة إلى دمشق واستقر صاحب الترجمة مكانه، فعظمه السلطان، وأكرمه ونوه بقدره، وبلغ عنده ما لم يبلغه غيره حتى كان يأمره أن

يكتب إلى نواب الشام بأشياء يأمرهم بها عن نفسه فعظم قدره جدًا، وباشر الوظيفة مباشرة جيدة وكان يركب في ستة عشر مملوكًا من الأتراك كل واحد منهم قيمته أكثر من خمسمائة دينار، وكانوا يقومون بالديوان سماطين ولا يتكلم مع أحد منهم إلا بالتركية وهم يترجمون عنه للناس، وكان يكتب خطًا قويًا منسوبًا، وله اقتدار على إصلاح اللفظة، وإبرازها من صورة إلى صورة وما كان يخرج من الديوان كتاب حتى يتأمله، ولا بد أن يزيد فيه شيئًا وقد مدحه شعراء عصره كالشهاب محمود وابن نباتة وغيرهما، ولم يزل في سعادته إلى أن حصل له مبادىء فالج ثم تزايد به وظهر ذلك للسلطان فصبر عليه إلى أن أراد يومًا أن يقوم من بين يديه فسقطت الدواة من يده فتألم له السلطان وقال للدويدار: اكتب إلى نائب الشام فليجهز لنا القاضي محيي الدين بن فضل الله، وأرسل علاء الدين أن ينزل إلى بيته فتغافل عن ذلك ولزم الديوان مريضًا إلى أن وصل محيي الدين، فحضر إليه الدويدار وقال له: انزل بيتك فقد وصل صاحب الوظيفة فنزل في أوائل المحرم، وعالجه الأطباء فلم ينجح بل تزايد إلى أن صار لا يتحرك منه شيء أصلاً إلا جفونه، فكان إذا أراد شيئًا قرأ له خادمه حروف المعجم، فإذا مر بحرف هو أول الكلمة أطبق جفنه، ثم يعود إلى أن يتحصل له كلمة بعد كلمة فيعرف منها مراده ولم يطل ذلك بل مات في منتصف المحرم سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة. قال ابن حبيب: ماجد ساد عصره بوجوده على الأعصار وكان يتلطف لذوي الحاجات ويفتح لهم أبواب الخير ومن مدح ابن نباتة فيه:

لا عَـدِمنَـا لابـن الأثيـرِ يـراعـاً   جـاريـاً للعبـادِ بـالأرزاقِ
كلّمـا مـاسَ فـي المهـارقِ كـالغصـ   ـنِ رأيـتَ النـدىٰ علـى الأوراقِ

٢٩٧ ـ **عليّ بن أحمد هاجر الصّنعاني**: ولد تقريبًا سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف. وقرأ في العلوم الآلية قراءة متقنة وفهمها فهمًا جيدًا وفاق كثيرًا من الطلبة في فهم الدقائق والنكات اللطيفة، وله قراءة عليّ في علم المنطق في مدة سابقة وهو يفهمه فهمًا بديعًا ويتقنه إتقانًا عجيبًا وله قراءة عليّ أيضًا في الكشاف والمطول وفي شرحي على المنتقىٰ وفي كثير من كتب السنة وهو قوي الفهم جيد الإدراك صحيح التصور. قل أن يوجد نظيره مع صلابة في الدين واشتغال بخاصة النفس، وصدق لهجة وهو الآن من محاسن المشتغلين بالعلم في هذا العصر.

٢٩٨ ـ **السيّد عليّ بن أحْمد بن محمّد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسِم بن محمّد**: ولد تقريبًا سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف. أو قبلها بيسير، ونشأ بصنعاء وقرأ على والده وغيره من أعيان علمائها وبرع في علوم عدة لا سيما علم

الأدب، فإن له فيه يدًا طولى، ونظمه كثير جدًا موجود بأيدي الناس وكثير منه في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ولما مات والده، وكان المتولي لأمور آل إسحٰق قام ولده هذا مقامه وصار له جلال وسياسة ضخمة، وظهر من كرمه ما هو ظاهر مشهور، وكان موقفه محفوفًا بأعيان العلماء والأدباء معمورًا بالمسائل العلمية واللطائف الأدبية، واستمر على ذلك أيامًا، ثم فر من صنعاء في الليل مغاضبًا لخليفة العصر مولانا المنصور بالله علي بن العبّاس حفظه الله، واستقر ببلاد أرحب وقام بنصره أهل تلك الجهة، فارتجت الديار اليمنية لذلك ثم إن الخليفة حفظه الله بعث أميرًا من أمرائه وهو الأمير سرور المنصور لمناحرة صاحب الترجمة، فوقعت بينهما حروب وآخر الأمر وقع صلح على أن يبقى هنالك بجيش، وينوب عنه في تولي أمور آل إسحٰق آخر ويصير إليه ما كان له ثم انتقض ذلك، واتفق خروج بعض أهل البغي من برط على البلاد الامامية، فخرج صاحب الترجمة معهم، وكان يتألم لما يصدر منهم من سفك الدماء وهتك الحرم، ووصلوا أولاً إلى حدة النزهة التي قريب صنعاء واستقروا أيامًا. فخرج إليه الخليفة حفظه الله، وتقدمت طائفة من جنوده فيهم ولده مولانا صفي الإسلام أحمد بن الإمام حمى الله. ووقعت حروب شديدة انجلت عن قتل الفقيه عبد الله بن أحمد النهمي وكان أحد الوزراء، وعن قتل الأمير ناجي وجماعة من الجند، وظهرت من مولانا الصفي شجاعة وبراعة وكثر الثناء عليه، ثم عزم ذلك الجيش وفيهم صاحب الترجمة إلى اليمن الأسفل، وجرى الصلح ما بينه وبين الخليفة حفظه الله على يد الوزير الحسن بن علي حنش المتقدم ذكره فوصل صاحب الترجمة إلى صنعاء واستقر ببيته موسعًا عليه بجميع ما يحتاج إليه، وأما تولية أمور آل إسحٰق فقد صارت إلى عمه العباس محمد بن إسحاق واستمر على ذلك أيامًا يفد إليه العلماء والفضلاء ويطارح الأدباء واستأذن بأن يسكن في الروضة فأذن له ثم بعد ذلك جرت أمور الله أعلم بصحتها فأودعه الخليفة حفظه الله السجن، وهو إلى حالة تحرير هذه الأحرف شهر شوال سنة ١٢١٣ باق كذلك فرج الله عنه، وله من حسن الخلق ولطفٌ الطبع وكرم الشيم والمحبة لأهل العلم والفضل وفصاحة اللسان وقوة الحفظ وسرعة الإدراك ما لا يعبر عنه بوصف، ثم أطلق وتوفي في سنة ١٢٢٠ عشرين ومائتين وألف.

٢٩٩ ـ السيّد عليّ بن أحْمد المعروف بابن مَعْصُوم: قد تقدمت ترجمة والده. وولد هذا في المدينة ودخل بلاد الهند وله مؤلفات منها (سلافة العصر). ترجم فيها لأدباء المائة الحادية عشرة ولم أقف عليه وله البديعية الموسومة (بتقديم علي) عارض بهذه التسمية بديعية أبي بكر بن حجة لأنه سماها (تقديم أبي بكر). وكل واحد تمت له

التورية في التسمية وله نظم حسن منه:

ليسَ احمرارَ لحاظهِ من علةٍ ... لكن دم القتلى على الأسيافِ
قالوا تشابه طرفهُ وبنَانهُ ... ومن البديعِ تشابهَ الأطرافِ

وله:

بدا بدراً ولاحَ لنا هلالاً ... وأشرق كوكباً واهتزَّ غصنا
وثنىٰ قده الحسنُ ارتياحاً ... فهام القلبُ بالحسن المثنىٰ

وهو إمامي المذهب ولم أقف على تاريخ وفاته.

٣٠٠ ـ **عليّ بن أحْمد بن محمّد الملقَّب علاء الدِّين الحنفي الرومي**[١]: قرأ في صغره على حمزة القرماني وحفظ مختصر القدوري، ثم أتىٰ قسطنطينية، وقرأ على الملا خسرو وعلى مصلح الدين بن حسام الدين العلوم العقلية والشرعية، ثم صار معيدًا لدرسه ثم تزوج بابنته وحصل له منها أولاد أعطاه السلطان محمد خان ملك الروم المدرسة الحجرية، وعين له كل يوم ثلاثين درهمًا وأعطاه خمسة آلاف درهم، ولما صار محمد باشا القرماني وزيرًا للسلطان نقله من تلك المدرسة إلى مدرسة أخرى ونقص من تقريره اليومي خمسة دراهم، فاشمأزَّ صاحب الترجمة وترك التدريس واتصل بالشيخ العارف مصلح الدين بن الوفاء، ثم مات السلطان محمد خان وقتل الوزير المذكور، وجلس السلطان بايزيد خان على سرير السلطنة فأرسل إلى صاحب الترجمة الوزراء ودعاه إليه فلم يجب، ثم أرسل إليه مرسومًا بتفويضه في الفتوى في بلد أماسية، وعين له كل يوم ثلاثين درهمًا وأمره أَنْ يدرِّس بمدرسة السلطان مراد الغازي بمدينة بروسا فلم يقبل التدريس، وسار إلى أماسية لزيارة ابن عمه ثم أعطاه السلطان مدرسة وعين له كل يوم خمسين درهمًا ثم أعطاه إحدى المدارس الثمان، فدرس هنالك مدة كثيرة، ثم توجه للحج، فلم يتيسر له تلك السنة وبقي بمصر واتفق أنه توفي مفتي قسطنطينية، فعينه السلطان للإفتاء بها وأمر من ينوب عنه حتى يعود فلما عاد باشر الإفتاء، وعين له السلطان كل يوم مائة درهم وعين له مدرسة وجعل له خمسين درهمًا في كل يوم، فصار مقرره كل يوم مائة وخمسين درهمًا، فحسده على ذلك بعض العلماء فجمع بعض فتاويه وقال: إنه أخطأ فيها وأرسلها إلى ديوان السلطان، فأرسلها الوزراء إلى صاحب الترجمة، فأجاب عنها ودعا على ذلك الحاسد فمات قبل أن يمر عليه أسبوع وكان كثير التلاوة والعبادة مديمًا لصلاة الجماعات حسن الأخلاق كريم النفس، وكان يقعد في علو داره

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٩٦ وفي الشذرات ٨/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

والزنبيل معلق فيلقي المستفتي الورقة فيه ويحركه، فيجذبه ويكتب جوابه، ثم يدليه إليه وإنما فعل كذلك لئلا ينتظر الناس ببابه للفتوى، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واستمر على ذلك إلى زمان السلطان سليم خان، فاتفق أنه أمر بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الخزائن، فبلغ صاحب الترجمة فذهب إلى ديوان السلطان، ولم يكن من عادة المفتي أن يذهب إلى هنالك إلا لحادث عظيم فتحير أهل الديوان، واستقبله الوزراء وأجلسوه في صدر المجلس، ثم سألوه عن سبب مجيئه فقال أريد أن ألاقي السلطان ولي معه كلام.

فبلغوا ذلك فأذن له السلطان فدخل وسلم وجلس ثم قال: وظيفة أرباب الفتوى أن يحفظوا آخرة السلطان وقد سمعت أنك قد أمرت بقتل مائة وخمسين رجلاً لا يجوز قتلهم شرعًا، فغضب السلطان وقال: إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك فقال: بل أتعرض لأمر آخرتك، وأنه من وظيفتي فإن عفوت فلكَ النجاة، وإلا كانت عليك العقوبة العظيمة، فانكسرت عند ذلك سورة السلطان، وعفا عن الكل فقال: تكلمت في آخرتك وبقي لي كلام يتعلق بالمروءة.

قال السلطان: ما هو قال: إن هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق لهم أن يتكففوا الناس قال: لا. قال: فقررهم في منصبهم ففعل السلطان ذلك.

ثم اتفقت قضية أخرى، وهي أن السلطان المذكور سافر إلى بعض مدنه وصاحب الترجمة معه فاتفق أنه رأى أربعمائة رجل في الطريق مشدودين بالحبال، فسأل عن حالهم فقالوا: إنهم خالفوا أمر السلطان، فاشتروا الحرير، وقد كان منع السلطان ذلك فذهب إلى السلطان وهو راكب، فكلمه وقال: لا يحل قتلهم لغضب السلطان وقال أيها المولى أما يحل لي قتل ثلث العالم بنظام الباقي؟ قال: نعم. ولكن إذا أدى إلى خلل عظيم.

قال السلطان: وأي خلل أعظم من مخالفة الأمر؟ قال: هؤلاء لم يخالفوا أمرك لأنك نصبت الأمناء على الحرير، وهذا إذن بطريق الدلالة قال السلطان ليس أمور السلطنة من وظيفتك؟ قال: إنه من أمور الآخرة، وأنَّ التعرّض من وظيفتي، ثم فارقه، ولم يسلم عليه فحصل للسلطان غضب عظيم، حتى وقف على فرسه زمانًا كثيرًا والناس واقفون قدامه وخلفه متحيرين من ذلك الأمر.

ثم إن السلطان عفا عن الكل، ثم لما وصل إلى مقصده أرسل لصاحب الترجمة أميرًا. وقال: قل له إني قد أعطيته قضاء العسكر إلى وظيفة الإفتاء والتدريس، لأني

علمت أنه يتكلم بالحق، فأجاب عليه مع الأمير بما نصه، وصل إلي كتابك سلمك الله وأبقاك تأمرني فيه بالقضاء، وإني ممتثل أمرك إلا أن لي مع الله عهدًا أن لا يصدر عني لفظ حكمت، فأحبه السلطان محبة شديدة وزاد في تعظيمه وأرسل إليه خمسمائة دينار فقبلها، ثم إنَّ السلطان المتولي للسلطنة بعد سليم زاده في مقرره خمسين درهمًا، فصار مجموع تقريره اليومي مائتي درهمًا وقد صنَّف كتابًا جمع فيه مختارات المسائل وسماه (المختار)، ومات في سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

٣٠١ ـ عليّ بن إسماعيل بن حَسَن بن هادي النّهمي[1]: ثم الصّنعاني. مولده سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء. وقرأ على علمائها، كشيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي والقاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن وغيرهما.

وهو بارع الذكاء فايق الذهن جيد الإدراك حسن الأخلاق كريم الصحبة، وله شغلة كبيرة بالعلوم العقلية والنقلية، وقد استفاد بفاضل ذهنه الوقاد من غريب المسائل عجائب، وله ميل إلى الأدلة وعمل بما يصح منها وعدم التفات إلى محض الرأي، وله قوة في المباحثة، والتصرفات الذهنية، والاستنباطات العجيبة، ولو دام على الاشتغال لفاق في كثير من أنواع المعارف، ولكنه لا يفارق المطالعة ويستفيد منها ويفيد.

وله شعر يمدح به خليفة العصر مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله، وهو جيد في الغالب، ويضمنه معاني دقيقة نفيسة وله قدرة على المشي مع كل جنس بما يليق به وإقبال على معالي الأمور، ورغبة في الشرف.

وهو الآن حي عافاه الله ثم مات رحمه الله أظنه سنة ١٢٣٢ اثنتين وثلاثين ومائتين وألف.

٣٠٢ ـ السيّد عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن القَاسِم بن أحْمد بن الإمام المتوَكِّل على الله إسماعيل بن القاسِم بن مُحمَّد[2]: ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف بشهارة، ونشأ بها وقرأ في العلوم الأدبية والفقه، ومن جملة مشائخه شيخنا السيّد العلاَّمة عليّ بن إبراهيم المتقدم ذكره، والشيخ العلاَّمة ناصر بن الحسين المحبشي والقاضي العلاَّمة محسن بن أحمد الشامي، ثم الشهاري، وبرع في الأدب وصار يكتب القصيدة في الوقت الحقير مع ما في شعره من الانسجام والسهولة والمعاني الفائقة، وقد جمعه في سفينة بعث بها إليّ، وطالعت بعض ما فيها ولم يتيسَّر لي النقل منها ولما أرجعتها إليه كتبت إليه هذه الأبيات:

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٣٩٦.

(٢) ترجمته في التاج المكلل ص ١٩٧.

بعثــتَ نحــوي زادكَ اللّــهُ مــن ... تيــاركَ العــذبِ بــدرَ القــريــضِ
ســرحــتْ طــرفــي منــه فــي جنــةٍ ... لم يحكها في الحسن روضَ أريضِ
نظمــتَ مــا يقصــرُ عــن شــأوهِ ... من خيرةِ القولِ الطويلِ العريضِ
فــدمــتَ تحــي للعلــىٰ مــربعــاً ... فمــربــعُ العليــا كسيــرٍ مهيــضِ

فأجاب بأبيات لم أحفظها وهو من أكابر آل الإمام، وله رئاسة كبيرة في تلك الديار، ويفد إلى صنعاء في الأربعة، الخمسة الأعوام مرة واجتمعتُ به في وفوده في سنة ١٢٠٨ وكان لنا في كل أسبوع يوم نجتمع فيه، وهو يوم الأربعاء من بعد الظهر إلى آخر الليل، وجرت بيني وبينه مطارحات أدبية في فنون، من ذلك أنه كتب أبياتًا مضمونها: أنه لما عقد هذا الاجتماع في يوم الأربعاء زال عنه ما يوصف به من النحاسة، وأنه صار بذلك أسعد الأيام وأبركها، وله في ذلك نظم بديع، وكان إذا وقع التراخي من بعض من يضمه ذلك المجلس كتب إليه أنه إذا لم يصل وقع الرجوع عن تقرير سعادة يوم الأربعاء، وهو حَسَن المُحاضرة لا يمل جليسه لما يورده من الأخبار، والأشعار والظرائف، واللطائف، والمباحثات العلمية والاستفادة فيما لم يكن لديه منها، وتحرير الأسئلة الحسنة.

وقد كتب إلي من ذلك شيئًا كثيرًا، وأجبت عليه برسائل هي في مجموع رسائلي، وله حرص على الفوائد، وهمة في تقييد الشوارد، وله من علوِّ الهمّة وشرف النفس حظ وافر، ولما رحل من صنعاء إلى وطنه مدينة شهارة كتب إليَّ من هناك:

أشــارت إلــى عهــدِ اللقــا بــالحــواجــبِ ... ومــا كنــتُ عــن ذكــراهُ مهمــلٌ واجــبِ
سلــي إن شككــت الحــال قبلــك إذ غــدا ... ينــاجيــه قلبــي هــل رأىٰ غيــر واجــبِ
وعــن أرقــىٰ لا تســألــي غيــر عــارفٍ ... وأعــرف شــيء فيــه زهــرُ الكــواكــبِ
أبيــتُ أراعيهــا فمــا بيــن طــالــعٍ ... أديــرُ لــه طــرفــي ومــا بيــنَ غــاربِ
وتغــربُ جيــلاً بعــد جيــلٍ فــلا أرىٰ ... سوىٰ القطب أو في من سميرٍ لصاحبِ
يقيــمُ لمَــنْ لا يطــرقُ النــومُ جفنَــهُ ... فقلبــي مغنــاطيســهُ فــي التجــاذبِ
أعليــاء لــولا أن سكنــاك مهجتــي ... لمــا عــذبــت لــي بَعــد بعــدي مشــاربــي
بلــىٰ إن نــار البعــد أذهبــت الحشــا ... فهــل فــي القتيــل الطــالبي مِنْ مُطَــالــبِ
عســىٰ أن يــرقَّ القلــبُ منهــا لــرقتــي ... ويــرفــقُ بــي فــالــرفــقُ فعــل الأطــايــبِ
فتبعثُ لي حتىٰ مع الريحِ يا لها التحــ ... ــيــةَ والبشــرىٰ بِنَيْــل مــآربــي

كمثلي ما هب النسيمُ ولا حدت حداة إلى أوطانها بالركايبِ
ولم أملِ تسليمي وأشهدَ أدمعي على وصبٍ مني لصبري مغالبِ
سلاماً لنشر الروض ينفح عرفه ذكياً بمسك تبتي مصاحبِ
سلام أرق من النسيم إذا هب وأذكىٰ من العبير والعنبر الأشهبِ

يختص مَنْ هو المراد وإن موّه النظام ويهدي إليّ من هو المرام وإن احتملت العبارة سواه فما سواه المرام. القاضي الفاضل الناسك. والسالك بلا نكير أحسن المسالك. العالم الرباني. البدر محمد بن علي الشوكاني. حفظه الله وأحله في رضاه أعلا المباني:

وبلغهُ المأمولُ فيما يرومهُ وساقَ إليه متحفاتِ الرغايبِ
ومدَّ لنا في عمرهِ فهو نعمةٌ تعمُّ وأولاه جزيلُ المواهبِ

وإنما صدرت الأحرف الحقيرة للتحية وتجديد العهاد. ومستمدة للدعاء كما هو مبذول معوّل في وصوله على رب العباد:

وتنبيكَ عن شوقٍ تأجّج نارَهُ ولم يطفِها صبُّ الدموعِ السواكبِ
لذكرىٰ ليالٍ كانَ طرفي بوصلكم قريراً عسىٰ للوصلِ عودةَ غايبِ
فللّهِ فينا ما يشاءُ وما قضىٰ مضىٰ كيف شا والله أغلبُ غالبِ

وللتهنئة لكم بما بلغ، فبلغ الغاية عندي من المسرة. من الأعراس الحميد جعل الله لأعينكم فيه أعظم قرة. وبارك لك وعليك. وأصلح لك زوجك وشؤنك كلها، وساق ما شاء من برّه الهني إليك:

أهنيكَ بالأعراسِ فاحمدْ مقدراً لذلك واشكرْ يا ابن ودي لواهبِ
لكَ الحمد ما لاحت بروقٌ وما سرت نجومٌ وما انهلّتْ دموعُ السحايبِ
ودمتَ على خفضٍ من العيشِ رافعٌ لقدرك مخصوصاً بأصفىٰ المطالبِ
ولا زلتَ في أفقِ الخلافة مشرقاً فإنك بدرٌ بين تلك الكواكبِ
خلافةُ مولانا الذي شُرِّفَتْ به أزالَ على شرق الدنا والمغاربِ

فأجبت بقولي:

أيا بينُ كمْ كدّرتَ صفو المشاربِ ويا هجرُ كَمْ هيَّجتَ لوعةَ غايبِ
ويا دهرُ كمْ جرّعتني فقدُ صاحبٍ بكاسِ نوىٰ من بعده فقد صاحبِ
إلى الله أشكو ما جنته يدُ النوىٰ على كبدي والدهر جمُّ العجايبِ

أحـنُّ إلـى وصـلٍ تقـادمَ عهـده وإن حنيـنَ المـرءِ أحقـرُ واجـبِ
وأنـدبُ دهـرَ الجمـع بعـد تفـرُّقٍ وأبكي عليه بالدموعِ السواكبِ
فيا منزلَ اللقياء صافحك الحيا بجودِ ملثٍ أدكن الردن ساكبِ
بعيشكَ هل من عودةٍ بعد فرقةٍ تعـودُ لصـبٍّ مغـرَمِ القلـبِ دايـبِ

وهي أبيات طويلة غير طائلة، وهو الآن عافاه الله حي ووالده كان شاعرًا كثير الشعر رئيسًا كبيرًا، وشعره مجموع عند ولده المترجم له، ثم قَدِمَ صاحب الترجمة عافاه الله إلى صنعاء المحروسة في شهر رمضان سنة ١٢١٥ وكان يحضر معنا في القراءة في ليالي رمضان بمنزلي، ويجري بيننا مطارحات أدبية، ومذاكرات علمية.

فمن ذلك أنه حضر في بعض الليالي أغصان زنبق قد تفتح نورها، فقلت: من يشبِّه هذه الأغصان بتشبيه غير ما قد شبهها به الأولون؟ ثم قلت عقب ذلك بيتًا وهو:

تحكـي رمـاحُ زمـردٍ قـد نظمـت فيهـا الكـواكـبِ

فأخذ هذا البيت وكتب بعده وقبله هكذا:

غصـنٌ كـأن قـوامـه قـدٌّ لـدىٰ التشبيـه كـاعـبِ
تحكـي رمـاحُ زمـردٍ قـد نظمـت فيهـا الكـواكـبِ
أو سـالفـاتِ نـواعـمٌ جـالـت عليهـنَّ الـذوايـبِ
بقـرامـلٍ مصفـوفـةٍ مـن لـؤلـؤٍ فيهـنَّ لازبِ

ولم يتوقف إلا مقدار الكتب بالقلم من دون روية ولا تدبر.

ووفد أيضًا إلى صنعاء سنة ١٢١٨ وكثر اجتماعنا وسمع مني رسالتي المسماة (الدر النضيد في إخلاص التوحيد)، وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلفي المسمى (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر)، وحصل كلا المؤلفين بخطه.

وبالجملة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية، والمكاتبات الشعرية ما يكثر سرد بعضه وقد رقمت بعض ذلك في مجموع شعري[1].

٣٠٣ ـ السيّد عليّ بن الإمام المتوكِّل على الله إسماعيل بن القَاسِم بن محمّد: الرئيس الكبير المستقل بغالب اليمن الأسفل، كان له اطلاع على العلوم الأدبية، وتمهُّر في الصناعة الشعرية، ولشعراء عصره فيه غرر المدائح وهو من مفاخر اليمن، ومحاسن ذلك الزمن وشعره مشهور عند الناس ومن جيده القصيدة التي مطلعها:

(١) في التاج المكلل ص ٣٩٧: ثم مات سنة ١٢٢٩.

أكــذا المشتــاقُ يــؤرقــهُ تغــريــدُ الــورقِ ويقلقــهُ

ومن أحسن قوله فيها:

آهٍ يــا بــرقُ أمــا خَبَــرٌ عــن أهــلِ الغــورِ تحققــهُ
فنــزيــلُ جــوىً لا سيــرِ هــوىً مضنــىً قــد طــالَ تشــوقــهُ

ومن أحسن شعره الأبيات هذه:

أَيكتــمُ مــا بــهِ الصــبُّ المشــوقُ وقــد لاحــت لــهُ هنــاً بــروقُ
وهــلْ يخفــىٰ الغــرام علــى ولــوع يــؤرق جفنــه البــرق الخفــوقُ
ويسلــو عــن أهيــلِ الجــزعِ صــبٌّ جــرىٰ مــن جفــن عينيــهِ العقيــقُ
إليــكَ إليــكَ عنــي يــا عــذولــي فلســتُ مِــنَ الصبــابــةِ أستفيــقُ
فلــي قلــبٌ إلــى بــانــات حــزوي طــروبٌ لا يمــلُّ ولا يفيــقُ

وقد كتب إليَّ والده قصيدة لما صدَّ الركبَ اليماني عن الحجِّ سنة ١٠٨٨ يحثه على الجهاد ومطلعها:

لعمــركَ ليــس يــدركُ بــالتــوانــي ولا بــالعجــز غــايــاتُ الأمــانــي

وهي غايةٌ في بابها، وكانت بينه وبين المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب منافسة على الملك والبلاد قبل أن يلي المهدي الخلافة، واتفقت بينهما حروب، وفتن كبيرة، ومن سعادته أنه أدركه الأجل قبل أن يلي المهدي الخلافة، فمات في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان سنة ١٠٩٦ ست وتسعين وألف بمدينة أب وقبره بها.

٣٠٤ ـ **علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي علاء الدين الشافعي**(١): ولد بقونية من بلاد الروم سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة، وقدم دمشق سنة ٦٩٣ فدرَّس بالإقبالية، ثم قدم بالقاهرة فسمع من جماعة كأبي الفضل بن عساكر، وابن القيم والدمياطي، وابن الصوَّاف وابن دقيق العيد، وقرأ في الأصول على تاج الدين الجيلاني، وتقدَّم في معرفة التفسير والفقه والأصول، وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة يصلي الصبح جماعة، ثم يقرأ إلى الظهر، ثم يصليها ويأكل في بيته شيئًا، ثم يتوجه إلى زيارة صاحب أو عيادة مريض، أو شفاعة، أو تهنية، أو تعزية، ثم يرجع ويشتغل بالذكر إلى آخر النهار، وكان السلطان الناصر يعظمه ويثني عليه، ثم ولاّه قضاء دمشق، فتوجه إليها في سنة ٧٢٧ فباشره أحسن مباشرة مع تصلب زايد وعفة لم يكن له في الحكم نهمة، بل هو على عادته في الإقبال

(١) ترجمته في الدرر ٣/ ٩٣ ـ وفي شذرات الذهب ٦/ ٩١.

على العلم، وكان كثير الفنون كثير الإنصاف كثير الكتب، ولما استقرَّ بدمشق أعطى الشافعية ألف دينار وقال: هذه حضرت معي من القاهرة.

وله مصنفات منها شرح الحاوي، وشرح مختصر المنهاج للحليمي، ثم طلب الإعفاء من القضاء فلم يجبه السلطان وكان يعظِّم الشيخ تقي الدين ابن تيمية ويذب عنه ويقال إن النَّاصر قال له: إذا وصلت إلى دمشق قل للنائب يفرج عن ابن تيمية قال يا خوند لأيِّ معنًى سُجِن قال: لأجل الفتاوى. قال: فإن كان راجعًا عنها أفرجنا عنه.

فيقال كان هذا الجواب سببًا لاستمرار ابن تيمية في السجن إلى أن مات لأنه كان لا يذعن للرجوع، ولما خرج ابن القيّم من القلعة وأتاه سر به وأكرمه، ووصله وكان يثني على أبحاثه.

قال الأسنوي في ترجمته: وكان أجمع من رأينا للعلوم مع الاتساع فيها خصوصًا العقلية واللغوية لا يشار بها إلا إليه وتخرَّج به أكثر العلماء المصريين. قال: وتحيل عليه جماعة من الكبار في أن يبعد عن الديار المصرية لأغراض فحسن للسلطان توليته قضاء الشام ففَعل فسأله السلطان في ذلك، وتلطف به فاعتذر، ومن جملة ما قال للسلطان أنَّ له أطفالاً يتأذون بالحركة، فقال له السلطان: أنا أحملهم على كفي وبسط يده. ومن شعره:

غمرتني المكارمَ الغرَّ منكمْ ... وتوالت عليَّ منها فنونُ
شرطُ إحسانكم تحقق عندي ... ليتَ شعري الجزاءُ كيف يكونُ

وكان موته في رابع عشر ذي القعدة سنة ٧٢٩ تسع وعشرين وسبعمائة بدمشق، وتأسَّف الناس على فقده.

٣٠٥ ـ عليّ بن أبي بكر بن سُليمان بن أبي بكر بن عُمَر بن صَالِح نور الدين الهيثمي الشافعي الحافظ[1]: ولد في رجب سنة ٧٣٥ خمس وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها فقرأ القرآن ثم صحب الزين العراقي، ولم يفارقه سفرًا وحضرًا حتى مات. ورافقه في جميع مسموعاته بمصر والقاهرة، والحرمين، وبيت المقدس ودمشق، وبعلبك، وحماه، وحلب وحمص وطرابلس، وغيرها، ولم ينفرد أحدهما عن الآخر إلا بمسموعات يسيرة، ومشائخ قليلة وصاحب الترجمة مكثر سماعًا وشيوخًا، ولم يكن الزين يعتمد في شيء من أموره إلا عليه وزوَّجه ابنته ورزق منها عدة أولاد، وكتب الكثير من تصانيف الزين، وقرأ عليه أكثرها وتخرج به، ووروى به في أفراد زوائد كتب

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٧٠.

كالمعاجم الثلاثة للطبراني، والمسانيد لأحمد والبزّار وأبي يعلىٰ على الكتب الستة وابتدأ أولاً بزوائد أحمد فجاء في مجلدين، وكل واحد من الخمسة الباقية في تصنيف مستقل إلا الطبراني الأوسط، والصغير فهما في تصنيف.

ثم جمع الجميع في كتاب واحد محذوف الأسانيد سمّاه (مجمع الزوائد) وكذا أفرد زوائد صحيح ابن حبان على الصحيحين، ورتب أحاديث الحلية لأبي نعيم على الأبواب، ومات عنه مسودة فبيّضه وأكمله ابن حجر في مجلدين، وأحاديث الغيلانيات، والخلعيات، وفوائد تمام الأفراد للدارقطني أيضًا على الأبواب في مجلدين، ورتب كلاً من ثقات ابن حبان وثقات العجلي على الحروف، وأعانه بكتبه ثم بالمرور عليها وتحريرها، وعمل خطبها ونحو ذلك وعادت بركة الزين عليه في ذلك، وفي غيره، وكان عجبًا في الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة وخدمة الزين، وعدم مخالطة الناس في شيء من الأمور، والمحبة للحديث وأهله، وحدَّث بالكثير رفيقًا للزين وبعد موت الزين أخذ عنه الناس، وأكثروا مع ذلك فلم يغير حاله ولا تصدر ولا تمشيخ.

ولم يزل على طريقته حتى مات في ليلة الثلاثاء تاسع وعشرين[1] رمضان سنة ٨٠٧ سبع وثمان مائة.

قال ابن حجر: إنَّهُ تتبّع أوهامه في مجمع الزوائد فبلغه فعاتبه فترك التتبع. قال: وكان كثير الاستحضار للمتون يسرع الجواب بحضرة الزين فيعجب الزين ذلك. قال: وكان من لا يدري يظن لسرعة جوابه بحضرة الزين أنه أحفظ منه، وليس كذلك بل الحفظ المعرفة.

٣٠٦ ـ عليّ بن الحُسَين بن القَاسِم بن مَنْصُور بن عليٍّ الموصليِّ زين الدِّين بن شيخ القُوفية[2]: بالتصغير اسم مكان، كان جده الأعلى منقطعًا بمكان بالموصل، وكان الماء بعيدًا عنه، فرأى رؤيا فحفر حفيرة في ذلك المكان، فجرت منه عين لطيفة فقيل له شيخ القوفية.

ولد صاحب الترجمة في رجب سنة ٦٨١ إحدى وثمانين وستمائة بالموصل، ونشأ بها وقرأ القرآن، وأخذ الشاطبية وشرحها عن الشيخ شمس الدين بن الورّاق، وأخذ سائر العلوم عن جماعة وسمع الحديث عن زينب بنت الكمال والمزيّ وغيرهما، وشرع في التصانيف، فشرح مختصر ابن الحاجب، وفروع ابن الساعاتي، ونظم الحاوي الصغير،

---

(١) في الشذرات ٧/ ٧٠: توفي في القاهرة ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة ٨٠٧ هـ.
(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢١/ ٥٢.

وشرح المنهاج وشرع في شرح التسهيل لابن مالك وغير ذلك.

قال ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد كان حسن العبارة، لطيف المحاضرة، مليح البزة، جميل الهيئة، كثير التودّد خيّرًا دينًا، وهو الذي كتب إليه الصفدي السؤال المشهور في قوله تعالى ﴿استطعما أهلها﴾ [الكهف: ٧٧] وجعله نظمًا فقال:

ألا إنما القرآنُ أكبرَ معجزٍ ... لأفضلَ من يهدي به الثقلانِ

ومن جملة الإعجازِ كونُ اختصارهِ ... بإيجازِ ألفاظٍ وبسط معانِ

ولكنني في الكهف أبصرت آيةً ... بها الفكرُ في طولِ الزمانِ عناني

وما ذاك إلا استطعما أهلها فقد ... يرى استطعامهم مثله ببيانِ

فما الحكمةُ الغراءُ في وضع ظاهرٍ ... مكانَ ضميرٍ إنَّ ذاكَ لشانِ

فأجاب صاحب الترجمة:

سألتُ لماذا استطعما أهلها أتىٰ ... عَنْ استطعامهم إنَّ ذاكَ لشانِ

وفيه اختصارٌ ليسَ ثم ولم تقفْ ... على سببِ الرجحانِ منذ زمانِ

فهاكَ جواباً رافعاً لنقابهِ ... يصيرُ به المعنىٰ كرأي عيانِ

إذا ما استوىٰ الحالان في الحكم رجّح الـ ... ـضميرُ وأما حينَ يلتقيانِ

فإن كانَ في التصريحِ أظهرَ حكمةً ... لرفعةِ شأنٍ أو حقارةِ جانِ

كمثلِ أميرِ المؤمنينَ يقولُ ذا ... وما نحنُ فيه صرّح وابأمانِ

وهذا على الإيجازِ واللفظِ جاءَ في ... جوابي منثوراً بحسنِ بيانِ

فلا تمتحنْ بالنظم من بعدِ عالما ... فليس لكلٍّ بالقريضِ يدانِ

وقد قيلَ إنَّ الشعرَ يزري بهم فلا ... يكادُ ترىٰ من سابقٍ برهانِ

وأستغفرُ اللّهَ العظيمَ بما طغىٰ ... به قلمي أو طالَ فيه لساني

قال ابن حجر: وشعره أكثر انسجامًا، وأقل تكلفًا من شعر الصفدي ومات بالموصل في رمضان سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبعمائة.

٣٠٧ ـ عليّ بن داود بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول الملك المجاهد بن المؤيّد بن المظفّر بن المَنْصُور صَاحِب اليَمن(١): وليَ السلطنة بعد أبيه في ذي الحجة سنة ٧٢١، وثار عليه ابن عمه الظاهر بن المنصور، وجرت حروب بينهما، ثم استقر المجاهد بزبيد، فحاصره الظاهر فخربت من الحصار، ثم كاتب المجاهد الإمام

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢١/ ٩٧.

صلاح الدين صاحب صنعاء فأرسل إليه عسكرًا، فجرت لهم قصص طويلة إلى أن آل الأمر إلى المجاهد، واستولى على البلاد كلها وحجَّ سنة ٧٤٢ وأحضر كسوة الكعبة وبابًا لها على أنه يركبه ويكسو الكعبة، وفرق على المكيين مالاً كثيرًا فلم يمكنوه من ذلك فلما رجع وجد ولده قد غلب على المملكة ولقب المؤيد، فحاربه إلى أن قبض عليه، وقتله ثم حجَّ في سنة ٧٥١ فقدم محمله على محمل المصريين، فاختلفوا ووقع بينهم الحرب، وساعد أهل مكة المجاهد، ثم استمر القتل في أهل اليمن فانهزموا، وأسر المجاهد وأمسك وحمل إلى القاهرة، فأكرمه السلطان النَّاصِر، وحل قيده، وقرر عليه ما لا يحمله وخلع عليه، وجهّزه إلى بلاده، وأرسل معه بعض أمراءه، فلما وصل إلى الينبع فرَّ منه فأمسكه وأُعِيدَ إلى مصر فجُهِّز إلى الكرك، فحبس به إلى أن خلع الناصر حسن فأفرج عنه في شعبان سنة (٧٥٢) وأعيد إلى بلاده ومملكته وكان ذلك بشفاعة بعض امراء ووصل إلى اليمن فأقام في مملكته إلى أن مات وكانت والدته لما حج قد دبرت المملكة ولما بلغها أسره أقامت ولده الصالح كتبت إلى التجار وروي أنه ركب بعد أن أطلق حصاناً ومر على شاطىء النيل فعطش الحصان ونازعه إلى شربه الماء فسقاه ثم بكى أحر بكاء فسأله بعض من كان عنده عن سبب بكائه فقال إن بعض المنجمين ذكر له وهو باليمن أنه يملك الديار المصرية ويسقي فرسه من النيل وكان يظن وقوع ذلك فلما رأى فرسه في ذلك الوقت يشرب من ماء النيل عرف أن ذلك القدر هو الذي أشير إليه ومات في جمادى سنة ٧٦٤ أربع وستين وسبعمائة.

٣٠٨ ـ **الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي**: ولد بهراة ورحل إلى مكة واستقر بها وأخذ عن جماعة من المحققين كابن حجر الهيثمي وله مصنفات منها (شرح المشكاة) و (شرح الشمايل) و (شرح الوترية) و (شرح الجزرية) و (شرح النخبة) و (شرح الشفاء) و (شرح الشاطبية) ولخص القاموس وسماه (الناموس) وله (الثمار الجنية في أسماء الحنفية) وله غير ذلك قال العصامي في وصفه الجامع للعلوم النقلية العقلية والمتضلع من السنة النبية أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والأفهام ثم قال: لكنه امتحن بالاعتراض على الأئمة لا سيما الشافعي أصحابه واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم ومن ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء انتهى. وأقول هذا دليل على علو منزلته فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه سواء كان قائله عظيمًا أو حقيرًا تلك شكاة ظاهر عنك عارها، وكان وفاة صاحب الترجمة سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف.

٣٠٩ ـ عليّ بن سُليمان بن أحْمد بن محمّد العلاء الدمشقي الصالحي الحنبلي[١]: ويعرف بالمرداوي. ولد تقريبًا من سنة ٨٢٠[٢] عشرين وثمان مائة بمراد ونشأ بها فحفظ القرآن، وقرأ في الفقه على أحمد بن يوسف، ثم تحول إلى دمشق، وقرأ على علمائها في الفنون، ثم قدم القاهرة، وأخذ عن علمائها وتصدى للإقراء بدمشق ومصر وللإفتاء وصنَّف التصانيف منها (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) أربع مجلدات كبار واختصره في مجلد و (تحرير المنقول في تمهيد علم الأصول)، وشرحه وسماه (التحبير في شرح التحرير) في مجلدين وله تصانيف غير ذلك.

وهو عالم متقن محقق لكثير من الفنون، منصف منقاد إلى الحق، متعفف ورع، ومات[٣] في جمادى الأولى سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمان مائة.

٣١٠ ـ عليّ بن صَالِح العمَّاري ثم الصّنعاني: ولد تقريبًا سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف أو قبلها بيسير أو بعدها بيسير، وقرأ على علماء عصره في كثير من الفنون، وبرع في علوم الأدب وشارك في التفسير والحديث مشاركة قوية، وتفرد بمعرفة فنون كعلم الهيئة والهندسة والنجوم، وكتب الخط الفائق، ونظم الشعر الحسن.

وهو متفرد بكثير من المحاسن قليل النظير في مجموعه.

ذكي قوي الإدراك بديع التصوّر ضخم الرئاسة، جيد التدبير.

اتصل أول أمره بمولانا الإمام المهدي العبّاس بن الحسين رحمه الله وولاه أعمالاً، وصار بعد ذلك أحد وزرائه وكان يميل إليه ويؤثره لما لديه من الفضائل، ثم انحرف عنه قليلاً، ثم عاد له إلى ما كان عليه وعزم قبل موته على تفويض الوزارة إليه، فمات وبويع مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله، فولاه بندر المخا وهو أكبر ولاية في القطر اليمني، وبقي هنالك نحو خمس سنين وشكر الناس ولايته وحسن تدبيره.

وهو مع ذلك مورد لأهل العلم والفضائل، ويأخذ عن كل من رأى لديه علمًا لا يعرفه ويستفيده في أسرع مدة، ثم عاد من المخا إلى صنعاء وقد جمع دنيا عريضة، وكان يتصل بالخليفة حفظه الله في كثير من الأوقات فحسده جماعة من الوزراء فأبعدوه، ثم

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) في الشذرات ٧/ ٣٤٠: ولد سنة ٨١٧ هـ.

(٣) في الشذرات ٧/ ٣٤١: توفي بصالحية دمشق يوم الجمعة سادس جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون قرب الروضة.

بعد أيام فوّض إليه مولانا الإمام وساطة بعض مدائن اليمن والمشارفة على بعض أملاكه فصار من جملة الوزراء.

واجتمعت به في مقام مولانا الخليفة مرات عديدة، وكان يذاكر هنالك بمسائل مفيدة، وسألني بمسائل أجبت عليها برسائل هي موجودة في مجموع رسائلي. وآخر ما سألني عنه قبل موته عن كلام المفترين في قوله تعالى ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يٓس: ٣٩] وأورد في السؤال اعتراضات على الزمخشري والسعد وأجبت عنه برسالة سميتها (جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل).

وبالجملة فهو متفرد بمواد كتابة الانشاء وما يحتاج إليه من علوم الأدب، وغيرها مع جودة النظم والنثر إلى غاية والاقتدار من ذلك على ما لم يقتدر عليه غيره، ولعمري أنه يفضل كثيرًا من الأفاضل المتقدمين المتفردين بالبلاغة لما له من دقة الذهن وممارسة العلوم الدقيقة، وحسن الخط على حد يقصر عنه الوصف والقدرة على إخراج كثير من الصنائع من القوة إلى الفعل وله من ذلك ما ينبهر له من يعرف الحقيقة، وسأذكر من أدلة تفرده، وصدق ما شرحته في حقه ما لا يستطيع المنكر إنكاره ليعلم المطلع على ذلك: أنه فوق ما وصفته، بل هو ممن يفتخر به العصر على ما تقدمه من العصور، ويكفي في تصحيح هذه الدعوىٰ ذكر النظم والنثر الذي كتبه إلى الإمام المهدي يستعطفه به في سنة ١١٧٩ وقد اشتملت كل فقرة من فقر النثر على تاريخ هذه السنة وكل بيت من بيوت النظم على تاريخين، كذلك في الصدر تاريخ وفي العجز تاريخ مع سلاسة النظم والنثر، وعدم التكلف، وهذا شيء لا يبلغ إليه قرائح أهل هذا العصر بل لا يظن اقتدار أهل العصور المتقدمة عليه وإن قدر عليه فرد من الأفراد جاء به في كلام معقَّد متكلِّف قد روعيت فيه الألفاظ وهجرت المعاني، وهذه الألفاظ التي أشرنا إليها. يقول أفقر عباد الإله على العماري عمته مكارم الحليم الباري: بحمد الله أستهل الانشاء كما بدا وجه الهلال، وبجدي أشكره في البكر والآصال جل جلاله عن مشاركة له في ملكه وعن ندّ. ينشىء السحاب الثقال بمد ويمتن تعالى دائمًا أبدًا بلا عد. وصلاته وسلامه الأكملان أبدًا على سيدنا محمد. وآله ما غاب هلال وجدد، ونادىٰ المهدي مهني بلسانه واستشهد:

مليكُ الورىٰ لا زلتَ في قايم العلىٰ هلالاً منيراً مشرقاً قائماً باهي

لا زلت في نعم توالي وبها نصر من الرب تعالىٰ:

وتبـدىءُ للـدنيـا سـروراً وأنعمـا فدمتَ لنا ركنَ الهدىٰ آمراً ناهي

فلا برحت في عيش جديد نايلاً بجد ما تهوى وتريد لك فوز الأجر في الشهر

السعيد مبشرًا بنيل رجواك به من العزيز الحميد:

تقدَّم شهرُ الصومِ بالفوزِ معلناً وطيبُ الثناء وافاك من طيبهِ الشاهي

بعز ذو الجلال والإكرام. مدَّ لك الأجر بهذا العام. وبهذا هنئت وحزت به ما شئت:

وفي كلِّ عامٍ نلتَ أجراً لربه وما بتَّ عن شكرٍ بجد له لاهي

زادك رب الخلق بجود مما أولى. وبوأك بحد الشرف الرفيع الأعلى وولاك رقاب الخلق أبدًا وأولى. فنعم ما أولاك تعالى وجهًا ونعم المولى:

ودونُكَ قولاً للمحبِّ مؤرخٍ على كلِّ شطرٍ ليس شين ولا لاهي

ولما ورخ به كل سجعه. زيد تمنعًا على من رام منعه. فلهذا جاءه محكم الصنعة. وأعجز فيها من يروم تأليفه وجمعه:

ينبيكَ لما جا بحالي مذكّرا وما صرتَ عني بعد طول الجفا ساهي

عجب فهمك الشريف يفهم لمقالي. لست بالسّاهي عن أمري فأنبهك لحالي. فكمال عافيتك من ربي هو جل مالي. ولئن بقيت بها كملت آمالي:

ودُمْ صاعداً في المجدِ أشرفَ مقعدٍ على حسنِ عيشٍ نورهُ منوَّر زاهي

آمنا به سالمًا من حدوث ريب الزمن. محجوبًا عن بوادي الفتن وشوائب حبك الإحن. فأكثر حمد الله تصلح به كل نية واشكر به دائمًا في السر والعلانية:

فهذا هلالُ الصومِ وافىٰ هلالهُ بمبدأ عُمْر دهرَهُ ليس متناهي

فاستأنف الآن عزًا بدا وعمرًا جديدًا. وعش بدوام نعيم سعد عيشًا حميدًا. وأخلق بدوام أيامه ولياليه عيدًا فعيدا. فتهن أجرًا به دائمًا وعمرًا مديدًا:

تهَنْ بما أعطيتَ فيه مهناء هو الخير بالإقبال والعزِّ والجاه

وأنجز وتم ما كتب بالقلم. وما أبدعه مداده ونظم. وانقضى بجيد المقال. وبعد أن بشر بالنصر والإقبال:

وقد جاءَ نصر الله بالفتحِ قابلاً وتبّت لها الأعداءُ فالحمدُ للّهِ

أسأل من ربنا تعالى بأن يحسن إليك. بإتمام نعمته عليك. ويخولك بكرمه ويجود مهنيًا بما لديك. ويحوطك بأمنه من خلفك ومن بين يديك.

وحساب هذه الفقر ومصاريع الأبيات وافٍ ولا نقصٌ في شيء منه إلا في موضع واحد، فإنه نقص منه واحد فقط فمن ظنَّ أن ثمة نقصًا في غير ذلك فهو إما لتصحيف من الظان، أو تحريف، ومن تأمَّل هذه القطعة بعين الحقيقة علم مقدار منشئها ومرتبته في الفضل.

وبعض الأبيات والفقر وإن كان يظن بعض من لم يمارس علوم الإعراب أن فيه لحنًا فما ذلك إلا من قصور باعه، فإن لكل من ذلك وجهًا وجيهًا في العربية.

ثم لما أراد الحج كتب إلى الإمام المهدي هذا النظم والنثر مودعًا له ومستعطفًا ولفظه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ونحمده تعالى وإن نطقَ القلم بالتشبيب. وعنىٰ عن الغرض البعيد بالقريب، فقصده مناسبة القصد لا النسيب. فلهذا صرخ بالاستهلال. وصرخ بالخفي فقال:

أجـرَمَ مـا يُقَـالُ لـه عثـارٌ وذنـبُ لا يكـون لـه اغتفـارُ
وهـل يُستَـوجَـبُ التعـذيبُ طـرفٌ جـرىٰ منـه انهمـالٌ وانهمـارُ
وقلـبٌ لا يفيـق عـن التصـابـي ولا ينهـاه ضعـفٌ وانكسـارُ
بـه ظبـيٌ لـه الجـوزاءُ قـرطٌ مليـحٌ والهـلال لـه سـوارُ
لـه مـا لـي بـلا مـن وروحـي ولـي منـه المـلالـة والنفـارُ

جرح فؤادي بأسياف العيون. وضعف قلبي بسهام الجفون.

ولما صح له عن القلب حديث الهوى. وروت له الجفون على الطرف مراسيل النوى. وعلم الدهر أن قلبي موثق في يديه. وموصول دمعي موقوف عليه. علل بالجفاء ذلك الوصال. فقال عنه بلسان الحال:

سقـىٰ دهـراً نعمنـا فيـه عيشـاً وأيـامـاً ليـاليهـا قصـارُ
ومـرَّ كـأنـهُ أضغـاثُ نـومٍ فمـا عنـدي لمـاضيـهِ ادكـارُ

أنساني معرفة تنكير الزمن. لما نصبت صروفه على الحال خيام المحن. ولما ولع بخفض عيش المرفوع. أهملت كلام العاذل الموضوع وصرفته عن الإغراء فهو الممنوع. وقلت مبينًا ما كفاه من اتباع العذل عن المتبوع. وأغناه عن المثنى من الملام والمجموع:

أعـاذلُ قـد كفـاكَ العـذلُ دهـرٌ وقـامَ بمـا جنـاه الاغتـرارُ
تلـومُ فتّـى أصـابتـهُ الـرزايـا وفـارقـه الشبـابُ المستعـارُ

أبعدَ الخمسَ والعشرينَ يصبو لعمرِ أبيكَ هذا الاغترارُ

ذهب عنه تصريف الهوى ومعناه. وانقلبت عينه غينًا فتغير مبناه.

جرد الوقار زيادته بتخفيفه. وأسقط الزمان تعديه بتضعيفه وغيّر أصوله بالتصغير من أصله. حتى أنساني بذكر صحيحه ولفيفه ومعتله:

ولم أنسَ التي قامت لعزمي تودعني وأدمعها غزارُ
تخوفني نوىً عرضت وطالت وتخشىٰ أن يكون بلا مزارُ
تقولُ وقد أَجدُ البينَ مهلاً بنفسك لا يشقَّ بك البدارُ
ولم تكسب يداك سوىٰ ثناءٌ فليسَ عليك مهما كنت عارُ
وما لطختَ عرضك بالدنايا ولا دارتْ على فيك العقارُ
سواءٌ والإقامةُ منك عزمٌ وسيّان الخفا والاشتهارُ
ومن شرفت له نفسٌ وعرضٌ فأنىٰ كانَ، كانَ له افتخارُ

تكلمت بمنطق غير ممنوع. تساوىٰ به المحمول والموضوع. ما أقربها إلى القياس بالمحال. وما أبعدها عن الوهم بالخيال. أيظن الفصل يغني عن العرض العام. أو يخال الجنس يعين الحد على التمام. فقلت: لما قصدتْ الخلو بالجمع. وساوت بين الشرط والمنع:

دعيني لا أبا لكِ أنَّ قصدي إلى بابِ الكريمِ هوَ الفَخَارُ
أيرضىٰ بالهوان فؤادُ حرٍ يُعزُّ عليه للضيمِ اضْطِبَارُ
وما دارُ الأحبةِ لي بدارٍ إذا ما نالني فيها احْتِقارُ
فبالأحباب أحبابٌ وداري هي الدنيا وبالجيرانِ جَارُ
وكلُّ الناسِ أَخَواتي وتُرَبي لهمْ تربٌ وكلَّ الأرضِ دارُ

إذا اتّحدت معانيهم في الظاهر. وزالت الغرابة بخلوص التنافر. وكان الأب آدم والأم حواء. فقد اقتضى الحال تطابق الأهواء. بَعد عن جبلتهم من شرّفه خالقه بالمجاز إلى الحقيقة العقلية. وأنشأ اختراعه من أسلوب تعذّر فيه الإخبار عنه بالصفات البشرية. فلذا لذت به من نوائب الزمن. وقلت مصرّحًا باستنكار ما جنته المحن:

معاذَ المجدُ والعلياءُ أنّي أُضَامُ ولي إلى المهدي ائتمارُ
منيعُ الجارِ لو يشكي هلالٌ عليه النقصُ فارقه السِرارُ
ولو وافاه ليلُ خائفاً من هجوم الصبحِ ما طلعَ النهارُ

مليكٌ هذب الأيام حتىٰ خشت سطواته الصمُّ الحجارُ
وطيرٌ في بقاع الأرض قسرا عداه فكل قلبٍ مستطارُ
ولولا سطوةٌ لليثِ تخشىٰ لزاحمه على الغابِ الحمارُ
كريم لا يشوب عطاه منٌّ حليمٌ لا يخففُ له وقارُ
إذا لمستْ يداه لقصدِ جودٍ يبسِ العود عادَ له اخضرارُ
وإن لمستْ يداهُ بيوم فتكٍ نصالُ السيفِ كان له احمرارُ
ففي يمناه للعافين يمنُ وفي يسراهُ للساري يسارُ
يهونُ عليه في كسبِ المعالي وفي أخذِ العدىٰ الذهبِ النضارُ
به اغتفرتْ جنايات الليالي وجادَ بوعده الفلك المدارُ
يضمن صدره حلماً وعلماً غزيراً لا تقاسُ به البحارُ
فلو كشف الغطاء ما ازددتُ علماً على علمٍ هو العلمُ المنارُ
فداؤك عالمٌ لَمْ يبقَ فيهم بجدواك احتياجٌ وافتقارُ

كَرَمَ بنانه المجموع مغنٍ عن البيان. وكمال جوده المفرد غني عن التشبيه بالإمكان. فكيف لا أقوم بشكر بُرِّه وإنعامه. وإن أطلت الثناء فكيف لي أن أمدحه بعشر معشار إكرامه. فهو الذي رباني صغيرًا. وغذّاني بلبان أنعامه كبيرًا (له أياد علي سابقة. أعد منها ولا أعددها) لذا مددت إليه كف الاعتذار. قلت مصرِّحًا بما أشكو من الزمن الجوال:

أميرُ المؤمنينَ فداكَ عبدٌ أناخت عنده النوبُ الكبارُ
رماهُ الدهرُ محتالاً بقوسٍ من الحدثان أسهمهُ البوارُ
أينسفني الزمانُ ولي انتماءٌ إليك ولي بخدمتكَ انتصارُ
إذا ما كنتَ والأيامُ عوناً عليَّ وجورها فلك الخيارُ
فإما أن أقيم بضنكِ عيشٍ وثوباي المذلة والصغارُ
وإما أن أُقِيمَ بشوب عزٍ خلت عنه المضرة والضرارُ

عبد رفعته على يقين الابتداء. وخفضته على توهم الاعتداء. رق له الحاسد ورثىٰ له الشامت. وكادت أن تتحرّك رحمة له النجوم الثوابت. نصبت بربعه خيام المصائب، وركضت في ميدانه خيول النوايب، وهل يفزع الخائف إلى غير حضرتك، أو يعزّ الذليل بغير سدتك:

وأنتَ أحقَّ مَنْ يرعىٰ ذماما ومَنْ تُحمىٰ بحضرته الذمارُ

نِعمَ من ذا الذي ما حاز نقصاً ومن أغناه عن قدرٍ حذارُ
أليس المرأُ من ماءٍ وطينٍ وقد نقصَ الهلالُ المستنارُ
إذا ما لم تخنكَ يدٌ وعينٌ ولا قلبٌ فقد خفَّ القطارُ

كيف تخونه يده أو قلبه؟ من ملىء من قرنه إلى قدمه من حبه. تبت يدٌ مُدَّتْ إلى ما لا يشتهيه، وعميت عين لحظت ما لا يرتضيه. وخرست لسان فاهت بغير المدح فيه:

أميرُ المؤمنينَ فأيَّ ذنبٍ أتيتَ وكان لي فيه اختيارُ
لقد كثرتْ حسّادي فجازوا على حسّاد آدم حين جاروا
وقد ألبست من علياك فخراً ومجداً لا يباعُ ولا يعارُ
ولم يكسبني الإقلالُ ذلاً وأني ذا وجودك لي عقارُ

ما أكأبني غير سخطك، ولا أهمني سوىٰ عتبك. وأن العفو ثمرة الذنوب والخطا.

وكمال الإحسان التجاوز عن الاعتداء:

أميرُ المؤمنينَ أطلت سخطاً ومثلي مَنْ يُقَالُ له العثارُ
لسخطكَ لا أقيمُ بأرضِ عزٍ وإنْ عزَّتْ فلي عنها نفارُ
وإني إن نأيت فغير ناءٍ بودكَ وهو لي أبداً شعارُ
وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواكَ عيشي والدثارُ
مقيمُ الظن عندكَ والأماني وإنْ شطّتْ بيَ النوقُ العشارُ
مقامك كعبتي وحماك ركني ولي حج ببابكَ واعتمارُ
أطوفُ به وأرمي كلَّ يومٍ جمارُ الهمِّ إنْ رمىٰ الجمارُ
أميرُ المؤمنينَ إليكَ وافت تهادي والمديح لها شنارُ
مودَّعةٌ وما التوديعُ فيها قلاء أو ملال أو نفارُ
برغمِ المجدِ أَنْ يرضىٰ فراقٌ لحضرتك العلية أو سفارُ
ودون بعاد يوم منك عندي يهونُ الصابُ أكلاً والمرارُ
وهذا إنْ تَعذرْ مدَّ كفٍ لتوديعي وداعٍ واختصارُ
ودمْ للملكِ ما هبَّت شمالٌ وما غنىٰ على الغصن الهزارُ

أنظر ما اشتملت عليه هذه القطعة من الانسجام والسهولة والسلامة من الحشو والتكلّف مع ما في ضمن النثر من التوجيه بالعلم، فشرع بالتوجيه بعلم اصطلاح الحديث، ثم النحو، ثم الصرف، ثم المنطق، ثم المعاني والبيان، ومع هذا فسنه إذ ذاك

خمس وعشرون سنة كما يفيده قوله:

أبعد الخمسَ والعشرينَ يصبو لعمرِ أبيكَ هذا الاغترارُ

والقطعة الأولى المشتملة على التواريخ هو أنشأها أيضًا قبل أن يستكمل ثلاثين من عمره، وله أشعار في آخر عمره أعلى من هذه القطعة المذكورة سابقًا، وقد أنشدني من ذلك كثيرًا، وما أحسن قوله في بعض قصائده:

وإذا رامتِ الذبابةُ للشمـ ـسِ غطاءً مدّتْ عليها جناحا

واستمر على اتصاله بالإمام المهدي، ثم بمولانا خليفة العصر حتى توفاه الله تعالى في يوم الثلاثاء سابع شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف قبل تحرير هذه الترجمة بنحو نصف سنة، فرحمه الله وتجاوز عنه فلقد كان من محاسن العصر، ومفاخر الدهر، وله أولاد أكبرهم (أحمد)، وهو الذي قام مقامه، وهو ماش على طريقته في الكمالات له النظم الفائق والنثر الرائق، والخط الحسن، والعرفان التام وتلوه في العمر (حسين) وقد تقدَّمت ترجمته، ثم (إسماعيل) و (محمّد) و (قاسم) وهؤلاء كل واحد منهم على حداثة أسنانهم له شغلة بالعلم، والبلاغة والنظم والنثر والكمال في فنون الأدب.

٣١١ ـ **عليّ بن صَالِح بن محمّد بن أبي الرجال الصّنعاني**: الشاعر المجيد. من شعره:

ولقد أقولُ وقد تغنَّتْ في الحمىٰ ورقاءُ ذاتَ صبابةٍ وولوعُ
والعودُ في يدها يميلُ والفها يختالُ بين خمائلٍ وفروعُ
والعينُ قد سفحتْ وهاجَ لها البُكا تذكارها لأحبةٍ وربوعُ
أحمامةُ الأيكِ التي قد هيَّجتْ شجو الكئيبِ بأنةٍ وسجوعُ
مهلا فنفضكِ للسوالفِ في الفضا أذكى غضا الأشجان بين ضلوعي
فدعي الهوىٰ ثم اسبحي فتخيري درا لطوقكِ من بحارِ دموعي

وله أشعار كثيرة وقد ترجم له صاحب طوق الصادح وصاحب نسمة السحر ولم أقف على تاريخ وفاته.

٣١٢ ـ **السيّد عليّ بن صلاح بن محمّد العبّالي**: بالمهملة مضمومة بعدها موحدة أصله من الحُرَجَة بمهملتين مفتوحتين ثم جيم قرية ما بين الحجاز وصعدة، وهو من أكابر العلماء ومن جملة أنصار الإمام القَاسِم بن محمّد.

كان يبعثه في مهماته ويصفه بالأوصاف الجميلة حتى قال فيه: لا أخاف على أهل اليمن وفيهم هذا. يعني صاحب الترجمة، وأرسله في أول دعوته إلى القاضي العلاَّمة يوسف الحماطي ليأخذ منه البيعة. فقال القاضي: لا معرفة لي بمقدار الإمام في العلم ولا بد أن أورد عليه مسائل فقال: هات ما تريد إيراده عليه من المسائل، فذكر له مسائل مشكلة فأجابه في الحال بجوابات ارتضاها. فقال له: أمدد يدك أبايعك فأنت أهلٌ للإمامة. فقال له: لا تفعل فليس علمي بالنسبة إلى علم الإمام شيئًا فاطمأنت نفس القاضي، وبايع ومات في شهر رجب سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف بشهارة وله أولاد أمجاد منهم: (الحسين) وهو من العلماء المبرزين وهو الذي كمّل شرح الشيخ لطف الله الغياث على الكافية وولده (الحسن بن علي) من أكابر العلماء المدرسين المفيدين وولده (محمد بن علي) هو القائل:

مَنْ خالفتْ أقوالهُ أفعالهُ ... تحوّلتْ أفعاله أفعىٰ لهُ
من أظهرَ السرَّ الذي في صدره ... لغيره وهاله وهي لهُ
مَنْ لم يكنْ لسانَهُ طوعاً له ... فتركه أقوالهُ أقوىٰ لهُ
ومن نأىٰ عن الحرام طالباً ... من رشدهِ حلاله حلى لهُ

وهي أبيات جيدة، وفي البيت الأول نظر، لأن أفعاله فاعل تحولت فهو مرفوع، وأفعى له لامه مفتوح بخلاف بقية الأبيات، فهي متوافقة الجناس بالحروف والحركات، وجرى القلم عند كتب هذه الأبيات بشيء من جنسها مثل عددها وهو:

لا تشتغل بملبسٍ فكل ذي ... فضلٍ ترىٰ أسماله أسمىٰ لهُ
مَنْ يطلبْ الشيء العظيمَ عاجزاً ... عن حمله ونالـه ونىٰ لهُ
مَنْ لَمْ يذد رقيبهُ عن مربعٍ ... يلقىٰ به غزاله غزىٰ لهُ
في راحةِ المرءِ وفي ترويحهِ ... فؤادهِ وبالهُ وبا لهُ

٣١٣ ـ السيّد علي بن الإمام شرف الدين بن شمس الدين: ولد في رجب سنة ٩٢٧ سبع وعشرين وتسعمائة وأخذ عن والده وغيره، وفاق في فنون كثيرة واشتهر بالعلم.

ومات في رجب سنة ٩٧٨ ثمان وسبعين وتسعمائة بحصن حب مسمومًا في سفرجلة أهداها له رجل، وولده إبراهيم من أكابر العلماء، أخذ عن والده وغيره، وأخذ عنه جماعة من الأكابر منهم: الشيخ لطف الله بن محمد الغياث وقبره بشبام.

٣١٤ ـ مولانا الإمام خليفَةُ العصر أمير المؤمنين المَنْصُور باللّهِ ربِّ العالمين

علي بن الإمام المهديّ[1] : العبّاس بن المنصور حُسَين بن المتوكل القاسم بن حُسين بن المهدي أحمد بن الحَسَن بن الإمام المَنْصُور القاسِم بن مُحمَّد. قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جده الحسن بن القاسم، ولد حسبما سمعته منه حفظه الله في سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف بصنعاء، ونشأ بها وفي سنة ١١٧٢ أو في التي قبلها فوض إليه والده الإمام المهدي ولاية صنعاء، وجعله أمير الأجناد وأمره بسكون قصر صنعاء، فقام بذلك قيامًا تامًا بحزم، ومهابة وحرمة وافرة، ومكارم واسعة، وحسن أخلاق، وصبر على الأمور، وسياسة لأحوال الجمهور، فاستمر على ذلك ودام فيه مدة أيام والده واتفق في سنة ١١٨٤ أن حسن العنسي الساكن بجبل برط المترئس على ذوي محمد وذوي حسين الساكنين في جبل برط، وهم جمهرة عرب اليمن إذ ذاك وأهل الشوكة منهم ومَنْ لا يقوم لهم غيرهم من سائر القبائل وقع بينه وبين الإمام المهدي رحمه الله خطوب، كانت سببًا لخروجه عليه فخرج بجيش من المذكورين، ومن غيرهم لم يخرج بمثله أحد من أهل تلك الجهات فاستعد له مولانا الإمام المهدي وجمع العساكر، وأرسل أحد أمراء أجناده، وهو الأمير سندروس بمعظم جيوشه من خيل ورجل وسائر العساكر المطلوبة من القبائل، حتى اجتمع له جيش كثير وأمر أمير الأجناد، ومن معه من الجيوش أن يلتقي حسن العَنَسي إلى بعض الطريق، فلما علم بذلك حسن العنسي، سلك طريقًا أخرى، فلم يشعر أهل صنعاء إلا وهو في سعوان وهو محل شرقي صنعاء قريب منها فحصلت بذلك رجّة في صنعاء كبيرةً وكان الإمام المهدي ساكنًا في الجانب الغربي من صنعاء ومولانا ولده صاحب الترجمة ساكنًا في القصر وهو في الجانب الشرقي فخرج عند أن بلغه ذلك الخبر في طائفة يسيرة من أصحابه لا يبلغون خمس مائة رجل، وطائفة يسيرة من الخيل أكثرهم لا نفع فيه لكون معظم الخيل المنتخبة، قد صارت صحبة الأمير سندروس فاصطف له حسن العنسي، وأصحابه وهم ألوف مؤلفة، وفيهم من أهل الشجاعة والتجربة للحروب، والاعتياد للشرّ من هو أضعاف أضعاف من مع مولانا، بل ما زال ذلك المقدار اليسير يتناقص بفرار من لا يستحي من العسكر وتسترهم بين الإثل ونحوه قبل الوصول إلى المعركة فلما تراءى الجمعان كان من بين يدي مولانا بالنسبة إلى الجمع الآخر كلا شيء، وهو يقدم ولا ينثني، ويحث من بين يديه على المصابرة والإقدام ويحول بينهم وبين الإحجام، حتى وصل بهم إلى نحر العدو وضايقوهم غاية المضايقة، وقتلوا منهم كثيرًا، ولكنهم انثالوا عليهم من جميع الجوانب كأنهم الجراد، فتأخر

(١) ترجم له صاحب التاج ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠.

بأصحابه قليلاً قليلاً وهو يدافع عنهم وخرج والده الإمام المهدي مغيرًا إليه ومغيثًا له، فالتقاه وهو يتهلهل.

لم يظهر عليه فزع ولا جزع ولا طيش ولا خفة ولا وجل ولا خطل، بل من رآه ظن أنه جاء من بعض المتنزهات وهو قد خرج من معركة تطير لها العقول، وتشيب لها الولدان، وترجف منها الأفئدة، وتخرس عندها الألسن، وهكذا فلتكن الشجاعة وبعد هذه الموقعة اعترف له الكبير، والصغير، والجليل والحقير، حتى خصومه بأنه بمكان من ثبات الجنان يقصر عنه أبناء الزمان. ثم إنه استمر على إمارة الجيش وولاية صنعاء وما يرجع إليه حتى مات والده الإمام المهدي في شهر رجب سنة ١١٨٩ فبايعه العلماء والحكام وآل الإمام، وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم، ولم يتخلف عنه أحد وفرحوا به، واغتبطوا بخلافته وأحبهم وأحبوه وتولىٰ وزارته جماعة منهم السيّد علي بن يحيى الشامي إلى عند موته ثم الفقيه الحسن بن عثمان القرشي ثم ولده الفقيه حسن بن حسن ومن جملة وزرائه السيّد أحمد بن إسماعيل فايع وولي القضاء الأكبر عند مبايعته القاضي العلاّمة يحيى بن صالح السحولي، وأما أمراء أجناده فهم في أول خلافته الأمراء الذين كانوا في أيام والده الأمير فيروز والنقيب ريحان وغيرهما، ثم ماتوا وصارت الإمارة إلى الأمير سرور المنصور أيامًا وإلى النقيب جوهر، وأما ولاية صنعاء وإمارة الجيش الذي كان أميرًا عليهم قبل خلافته، فصارت أيامًا يسيرة إلى أخيه القاسم بن المهدي ثم بعد ذلك صارت إلى ولده الهمَّام صفي الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين، وهو الآن القائم بتدبير الأجناد والمتولي لجميع الأمور بصنعاء وما يليها وله من كمال الرئاسة، وحسن مسلك السياسة، والمهابة، والصرامة، والفطنة بدقائق الأمور، والاطلاع على أحوال الجمهور وجودة التدبير والخبرة بالجلي والخفي ما لا يمكن وصفه مع النقادة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة والمعرفة للأدب ومطالعة كتبه والإشراف على كتب التاريخ ومحبة أهل الفضائل، وكراهة أرباب الرذائل، والنزاهة والصيانة، والميل إلى معالي الأمور، وهو أكبر أولاد الإمام، وقد تقدّمت له ترجمة مستقلة، ويليه في السن أخوه (شرف الإسلام الحسن بن أمير المؤمنين) وهو حسن الأخلاق، عظيم الهمة كريم السجية، شريف النفس، مطلع على ما تمس إليه الحاجة من أمور الدين والدنيا ويليه أخوه (فخر الإسلام عبد الله بن أمير المؤمنين) وهو أحد أمراء الأجناد، وجعل إليه والده الإمام الإشراف على الديوان واستنابه في الحضور مع الحكّام عند فصل الخصام في يومي الاجتماع من كل أسبوع، وجعل إليه ولاية بعض البلاد كالحيمة وبلاد البستان وفيه من حسن الخلق ومزيد التواضع وكرم السجايا ومعرفة حقائق القضايا ما هو غاية نهاية

ولوالده إليه ميل عظيم، ومحبة زائدة وفيه خبرة كاملة، ومحبة لقضاء حوائج المحتاجين، والتبليغ إلى والده بمطالب الطالبين والشفاعة لمن يلوذ به من القاصدين، والدلالة على سبيل الخير بكل ممكن ويليه أخوه (عز الإسلام محمد بن أمير المؤمنين)، وهو أحد أمراء الأجناد، وهو من فحول الرجال في جميع الأحوال، وله من معرفة الحقائق ومحبة معالي الأمور ونزاهة النفس، والعفة، والصيانة ما هو متفرد به.

وقد ولاه والده الإمام الجهات العمرانية فعزم بجنده إلى هنالك، وهو الآن مقيم بها وهؤلاء الأربعة هم البالغون مبالغ الرجال من أولاد مولانا الإمام وأما الباقون فهم صغار، لم يبلغوا سن التكليف عند تحرير هذا التاريخ ولهم جميعًا في الفروسية طرائق يعجز عنها غيرهم ولا يدانيهم فيها سائر الناس فكل واحد منهم، إذا لعب بفرسه بين الفرسان صار نزهة للناظرين ولا يفوقهم في هذا الشأن أحد إلا والدهم مولانا الإمام، فإنه في ذلك لا يبارىٰ ولا يساويه أحد من الناس فإنه إذا طارد الفرسان، وحرك حصانه بجانب الميدان.

صار المتفرد بهذا الشأن الفائق فيه جميع نوع الإنسان. بحيث لا يستطيع من رآه كذلك أن يميل نظره عنه لما يراه من حسن الصناعة والفروسية البالغة إلى غاية البراعة وله في التواضع ما لا يساويه فيه أحد ولا يصدق بذلك إلا من تاخمه وجالسه، فإنه لا يعدّ نفسه إلا كأحد الناس بل قد رأينا كثيرًا ممن هو أصغر خدمه بل ممن هو متعلق بأحقر عمل من عند بعض خدمه يترفع فوق ترفعه، ويرى لنفسه من الحق فوق ما يرى لنفسه، وهذه خصيصة اختصه الله بها ومزيّة شرّفه الله بالتحلي بها فإن التواضع مع مزيد الشرف أحب من الشرف ثم له من حسن الأخلاق أوفر حظ وأكرمَ نصيب قلّ أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته مع ما جبل عليه من حسن النية، وكرم الطوية، وتفويض الأمور إلى خالقه، والوقوف تحت المشيئة وبهذا السبب ظفره الله بمن يناويه ونصره على جميع من يعاديه فلم تقم لباغ عليه قائمة. وهو مجبول على الغريزتين اللتين يحبهما الله ورسوله الكرم والشجاعة وإذا وقع في الظاهر شيء مما يظن من لم يطلع على الحقيقة أنه يخالف ذلك فهو لعذرٍ لو اطّلع عليه لوجده الصّواب الذي لا ينبغي سواه ولا يليق غيره وقد يكون ذلك لسبب بعض المتصلين بمقامه العالي وهكذا إذا وقع في جانب الرعية ما لا يناسب الشرع فهو بسبب من غيره وأما هو فلا يحب إلا الخير، ولا يريد إلا العدل، وإذا اتضح له ذلك أبطله ولم يرضَ به وكثيرًا ما يخفى عليه ذلك بسبب مصانعة بعض من يتصل به للبعض الآخر، فمن هذه الحيثية قد يقع أمر لا يريده ولا يرضىٰ به وقد اشتهر هذا بين الناس حتى لا يقع التوجّه منه في شيء أبدًا بل لجميع الرعية فيه غاية المحبة بحيث أنه مرض في بعض السنين فكانوا يجتمعون ويبكون ويدعون له

بالبقاء وقلَّ أن يتفق مثل هذا لأحد من الأئمة والسلاطين في المتقدمين والمتأخرين وهو آخذ من علم الشرع بنصيب قرأ قبل مصير الخلافة إليه في الفقه والنحو على العلاَّمة الحسن بن علي حنش الذي صار وزيرًا له كما تقدم، وله شغف شديد بالكتب النفيسة، ومطالعتها بحيث لا يقف في مكان إلا وعنده منها عدة.

ولما كان في شهر رجب سنة ١٢٠٩ مات قاضيه المتقدم ذكره وكان صدرًا من الصدور، وعارفًا بقوانين الأمور وقد تولىٰ القضاء الأكبر في أيام جده المنصور بالله الحسين بن القاسم وفي أيام والده الإمام المهدي، وضم إليه الوزارة ثم نكبه وأعاده مولانا الإمام بعد أن بويع بالخلافة، وولاه القضاء الأكبر فكان يقوم بأمور القضاء، وينتفع الإمام ووزراءه بسديد رأيه لمزيد اختباره، وكمال ممارسته وكان يقصده الوزراء إذا نابهم أمر إلى بيته ويطلبه الخليفة إذا عرض مهم فكان أكثر الأمور تصدر عن رأيه وله في الصدور مهابة عظيمة، وحرمة وافرة، وجلالة تامة، ولعلها تأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى فلما مات في ذلك التاريخ وكنت إذ ذاك مشتغلاً بالتدريس في علوم الاجتهاد والإفتاء والتصنيف منجمعًا عن الناس لا سيما أهل الأمر وأرباب الدولة فإني لا أتصل بأحد منهم كائنًا من كان، ولم يكن لي رغبة في سوى العلوم وكنت أدرس الطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درسًا، منها ما هو في التفسير، كالكشاف وحواشيه، ومنها ما هو في الأصول، كالعضد وحواشيه والغاية وحاشيتها، وجمع الجوامع وشرحه وحاشيته، ومنها ما هو في المعاني والبيان كالمطوَّل والمختصر وحواشيهما ومنها ما هو في النحو كشرح الرضيٰ على الكافية والمغني ومنها ما هو في الفقه كالبحر وضوء النَّهار ومنها ما هو في الحديث كالصحيحين وغيرهما مع ما يعرض من تحرير الفتاوى، ويمكن من التصنيف فلم أشعر إلا بطلاب لي من الخليفة بعد موت القاضي المذكور بنحو أسبوع، فعزمت إلى مقامه العالي فَذُكِرَ لي أنَّه قد رجَّح قيامي مقام القاضي المذكور، فاعتذرت له بما كنت فيه من الاشتغال بالعلم فقال القيام بالأمرين ممكن وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماع الحكام فيه فقلت: سيقع مني الاستخارة للّه والاستشارة لأهل الفضل، وما اختاره الله ففيه الخير، فلما فارقته ما زلت مترددًا نحو أسبوع، ولكنه وفد إليَّ غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة وأنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يوثق بدينه وعلمه وأكثروا من هذا وأرسلوا إليّ بالرسائل المطوّلة فقبلت مستعينًا بالله ومتكلاً عليه ولم يقع التوقف علىٰ مباشرة الخصومات في اليومين فقط بل انثال الناس من كل محل فاستغرقت في ذلك

جميع الأوقات إلا لحظات يسيرة قد أفرغتها للنظر في شيء من كتب العلم، أو لشيء من التحصيل وتتميم ما قد كنت شرعت فيه، واشتغل الذهن شغلة كبيرة وتكدَّر الخاطر تكدرًا زايدًا، ولا سيما وأنا لا أعرف الأمور الاصطلاحية في هذا الشأن ولم أحضر عند قاضٍ في خصومة، ولا في غيرها، بل كنت لا أحضر في مجالس الخصومة عند والدي رحمه الله من أيام الصغر فما بعدها، ولكن شرح الله الصدر، وأعان على القيام بذلك الشأن، ومولانا الخليفة حفظه الله ما ترك شيئًا من التعظيم إلا وفعله وكان يجلني إجلالاً عظيمًا وينفذ الشريعة على قرابته وأعوانه بل على نفسه وأنا حال تحرير هذه الأحرف في سنة ١٢١٣ مستمر على مباشرة تلك الوظيفة مؤثر للتدريس للطلبة في بعض الأوقات في مصنفاتي وغيرها وأسأل الله بحوله وطوله أَنْ يرشدني إلى مراضيه ويحول بيني وبين معاصيه، وييسّر لي الخير حيث كان ويدفع عني الشر، ويقيمني في مقام العدل، ويختار لي ما فيه الخير في الدين والدنيا.

ولمولانا حفظه الله في خلافته الغراء من الأمور العظيمة ما لا يتسع له إلا سيرة مستقلة في مجلدات.

سدده الله في جميع أموره وأعانه على ما فيه رضاه وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

وفي آخر شهر رجب سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين بعد المائتين والألف. اتفقت حادثة عظيمة في صنعاء وهي أن وزير مولانا الإمام الفقيه حسن بن حسن عثمان العلفي تمكن تمكنًا كبيرًا، وصارت الأمور مقرونة به، وجميع التدبيرات مقصورة عليه، وكان بينه وبين سيدي أحمد بن الإمام مواحشة بسبب أمور تصدر في مقام الخليفة وبسبب تقصيره في أرزاق الأجناد، ثم تزايدت الوحشة ولم يسمع الوزير المناصحة مني له ادلالاً بما له من الحظ عند الخليفة، وصدرت منه أمور مشعرة بالاستخفاف بكثير من أقارب الخليفة وأصحابه، وتقصير في الجرايات التي لقبائل بكيل حتى كانوا يقطعون الطرق حول صنعاء، وينهبون الأموال، ويسفكون الدماء، وطال ذلك وأضرَّ بالناس، وتقطعت الطرق، ووثب كثير من القبائل على الطرق التي بقرب منهم، فجمع سيدي أحمد بن الإمام أصحابه في التاريخ المتقدم وطلب الوزير المذكور فأبىٰ فأرسل إليه جماعة من الجند فوصل وقبض عليه، وعلى جماعة من قرابته فعظم ذلك على الخليفة وأراد استخلاصه.

فأرسل سيدي أحمد جماعة من الجند وأحاطوا بدار الخلافة، وقد كان فيها سيدي عبد الله بن الإمام بجماعة من أصحابه فوقع حرب وأرسل إلى الخليفة وأصلحت الأمر

على أنَّ سيدي أحمد يكون تدبير البلاد الإمامية إليه ويكون لوالده بمنزلة الوزير ويبقىٰ الوزير في اعتقاله. وفي أول ساعة من ليلة الأربعاء لعله خامس عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف توفي مولانا الإمام رحمه الله بداره بصنعاء المسماة بدار الإسعاد ثم صلىٰ عليه في قبة والده المهدي في جمع جم، وكان الذي صلى عليه راقم هذه الأحرف، وقبر في طرف بستان المتوكل، ووقعت البيعة لولده مولانا الإمام المتوكل على الله أحمد بن المنصور في الليلة التي مات فيها الإمام، وكنت أول من بايعه، ثم كنت المتولي لأخذ البيعة له من أخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم، وجميع أعيان العلماء والرؤساء وكانت البيعة منهم في أوقات والله المسؤول أن يجعل للمسلمين فيه صلاحًا وفلاحًا.

٣١٥ ـ عليّ بن عَبْد الكافي بن عليٍّ بن تمام بن يوسف بن موسىٰ بن تمام بن حَامِد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن عليٍّ بن سِوَار بن سليم السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي[1]: ولد أول يوم من صفر سنة ٦٨٣ ثلاث وثمانين وستمائة، وتفقَّه على والده ودخل القاهرة، فاشتغل على ابن الرفعة وأخذ الأصلين عن القاضي والخلاف عن السيف البغدادي، والنحو عن أبي حيان، والتفسير عن العلم العراقي والقراءات عن التقي الصايغ، والحديث عن الدمياطي، والتصريف عن ابن عطاء، والفرائض عن الشيخ عبد الله العماري، وطلب الحديث بنفسه ورحل فيه إلى الشام والاسكندرية والحجاز، فأخذ عن الحفاظ ووليَ بالقاهرة تدريس المنصورية وغيرها وكان الأكابر من أركان الدولة يعظمونه، ولما توفي القاضي جلال الدين القزويني بدمشق طلبه الناصر في جماعة ليختار منهم من يقرره مكانه فوقع الاختيار على صاحب الترجمة فوليها في جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ فباشر القضاء بحرمة وعفة ونزاهة وأضيفت إليه الخطابة، وولي التدريس بدار الحديث الأشرفية، وطُلِبَ إلى القاهرة لتولية قضائها فبقي قليلاً ولم يتم، فأعيد، وكان لا يقع له مسألة مشكلة أو مستغربة إلا ويعمل فيها تصنيفًا، وقد جمع مسائله ولده تاج الدين في أربعة مجلدات.

قال الصفدي: ما تعرض له أحد من نوّاب الشام أو غيرهم إلا أصيب إما بعزل، أو موت. قال الأسنوي في الطبقات: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلامًا في الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان أحد الطلبة مواظبًا على وظائف

---

(١) ترجمته في الوافي للصفدي ٢١/ ٢٥٣ وفي شذرات الذهب ٦/ ١٨٠.

العبادات، مراعيًا لأرباب الفنون، وتوفي رحمه الله في ثالث جمادىٰ الآخرة سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة وله شعر جيد فمنه:

إن الولايةَ ليسَ فيها راحةٌ ... إلا ثلاثٌ يبتغيها العاقلُ
حكمٌ بحقٍ أو إزالةُ باطلٍ ... أو نفعَ محتاجٍ سواها باطلُ

ومن شعره:

لعمركَ إنّ لي نفساً تساميٰ ... إلى ما لم ينل دارا بن دارا
فمن هذا أرى للدنيا هباءً ... ولا أرضىٰ سوىٰ الفردوسِ دارا

وكان قد نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض ثم عوفي ومات بعد أيام في تاريخه المتقدم.

٣١٦ ـ **السيّد عليّ بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن محسن الجلال**[1]: الصّنعاني المولد والدار والنشأة، ولد في شوال سنة ١١٦٩، وقرأ على علماء صنعاء كالسيّد العلاَّمة إسماعيل بن هادي المفتي، وشيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، وشيخنا العلاَّمة السيّد عبد القادر بن أحمد، وله مشائخ في فنون عديدة، وبرع في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والحديث، والتفسير، وشارك في الفروع مشاركة قوية، وتتبع الأدلة فعمل بها ولم يقلد أحدًا، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون، وأخذوا عنه في جميع علوم الاجتهاد، وفيهم من النبلاء جماعة كثيرة، وهو من محاسن العصر وإفراد الدهر مكبٌّ على العلوم في جميع الأوقات قوي الحفظ سريع الفهم صحيح الذهن مع مزيد التواضع والتودد والبشاش وحسن الأخلاق والسكينة، والوقار، ورصانة العقل، وصيانة الدين، والتعفف.

وفي عام تحرير هذه الأحرف جعله مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله من جملة قضاة صنعاء، وعظَّمه بما يستحقه، بعد أن عرفته حفظه الله بجلالة مقدار صاحب الترجمة وأشرت عليه بنصبه فباشر القضاء مباشرة حسنة مشكورة، وابتهج الناس بقبوله لذلك وأثنوا على الخليفة حفظه الله بانتخاب مثله فإنه من أكابر علماء العصر، وأفاضل أبناء الدهر، والحمد لله رب العالمين وهو مع اشتغاله بمنصب القضاء لم يدع الاشتغال بالعلم، بل هو مستمر على التدريس للطلبة في الكتب الحافلة، وقد دار بيني وبينه مباحثات نافعة ومراجعات جيدة وترافقنا في القراءة على شيخنا المغربي في الكشاف وفي

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠١.

شرح بلوغ المرام، وبيني وبينه مطارحات أدبية فمن ذلك أني كتبت إليه قصيدة أيام الطلب مطلعها:

برق شرىٰ فأثارَ في أحشائي ... نارَ الهوىٰ بعد اندراسِ هوائي

فأجاب صاحب الترجمة بقصيدة طويلة أولها:

أرياضُ روضٍ أشرقت أزهارهُ ... تفترُّ عن بشرٍ وعن سرآءِ
أم لؤلؤَ الأصدافِ قد صادفتهُ ... في رقَّةٍ وملاحةٍ وبهاءِ
أم يوشعَ في العصرِ قد ردت له ... شمس النهارِ بحندسِ الظلماءِ
أم هذه عين البلاغةِ قلدت ... بقلائدِ العقيانِ للبلغاءِ
ودلائل الأعجازِ في تبيانها ... تبدوا بإيضاحٍ لدىٰ الفصحاءِ
أسرارُ لطفِ الله حلّتْ لفظها ... فتنزَّهتْ عن وصمةٍ وخطاءِ
والسعدُ لما لاحَ في إيجازها ... صارَ الشريفُ لها من الخدماءِ

وهي أبيات طويلة كالأصل، ونظمه الآن عافاه الله أعلى من هذه الطبقة، فهي من أوائل نظمه، وله رسائل يحررها إذا ورد إليه سؤال أو وقعت المباحثة بينه وبين أحد العلماء، وقد كان شرع في جمع تاريخ ولعله لم يكمل.

٣١٧ ـ السيّد علي بن عبد الله بن أحمد بن عليّ بن عيسى الحسيني الملقب نور الدين المعروف بالسّمهودي[١]: ولد سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمان مائة بسمهود، ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاج، ولازم والده وقرأ عليه، وقدم القاهرة وقرأ على جماعة منهم الجوجري والمناوي وزين زكريا والبلقيني والمحلي، ثم حج وجاور وسمع من السخاوي، وتردد ما بين مكة والمدينة، وعمل للمدينة تاريخًا، وصنّف حاشية على إيضاح النووي في المناسك، وعاد إلى القاهرة، ولقي السلطان فأحسن إليه وجعل له جراية ووقف على المدينة كتبًا لأجله، ثم سافر لزيارة والدته وزار بيت المقدس وعاد إلى المدينة، ثم إلى مكة فحج ورجع إلى المدينة، وصار شيخها غير مدافع، وله فتاوى مجموعات ومؤلفات غير ما ذكر وموته تقريبًا سنة اثنتي عشر وتسعمائة.

٣١٨ ـ عليّ بن عبد الله بن عليّ بن رَاوع العلاَّمة الزيدي القاضي: أخذ عن الإمام شرف الدين وغيره، وبرع في فنون لا سيما علم الفقه وتولى القضاء بصنعاء للإمام شرف الدين، وله شرح على الأثمار، وقيل أنَّ له شرحًا على الأزهار، ومات سنة ٩٥٩

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٨/ ٥٠.

تسع وخمسين وتسعمائة، وقبر ببلد عاشر من بلاد خولان، وكان سبب موته أنه سقط من صرح داره بعاشر.

٣١٩ - علي بن قاسِم حَنَش[1]: ولد في شهر محرم سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف، ونشأ بوطنه ذيبين.

ثم ارتحل إلى كوكبان وقرأ على علمائها، ثم وصل إلى صنعاء، وأخذ عن أهلها، وتردد في الديار اليمنية حتى عرف أكثرها، أو كلها واختبر بأهلها خاصتهم وعامتهم، وحج وعاد، ووصل إلى صنعاء فاتصل بالإمام المهدي العبّاس بن الحسين فقرّبه وأدناه، وجالسه، وشرع في ترشيحه للوزارة لما رأى من تأهله لذلك مع فصاحته، ورجاحة عقله واختباره بالناس ومعرفته بطبقاتهم وحفظه لأخبارهم وامتناعه في جميع ذلك وحسن محاضرته وذلاقة لسانه، وفرط ذكائه فحسده جماعة من الوزراء فأغروا به الإمام حتى أبعده عنه، وحبس دهرًا طويلاً، ثم أفرج عنه، وسكن صنعاء وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه، لا تخفى عليه من أحوال أبناء دهره خافية ولا يسمع متكلم يتكلم في علم أو أدب أو تاريخ من تقدم أو تأخر إلا ويجري معه ويحكي مثل حكايته، وله في العلم حظ وافر وفي الأدب سهم قامر، وفيه كرم مفرط يجود بموجوده مع قلة ذات يده، وقد يتصدق في بعض أوقاته بثيابه ولا يمسك شيئًا وقد كان يصل إليه عند اتصاله بالإمام المهدي شيء واسع فينفقه ولا يدخر منه شيئًا، وهو من رجال الدهر قد حنكته التجارب وحلب الدهر أشطره، ومارس ما لم يمارسه غيره من محبوب ومكروه وصديق وعدو، وشدة ورخاء، وهو أسرع الناس جوابًا في كل ما يرد عليه لا يعجم ولا يتلعثم ولا يعتريه خور وكثيرًا ما يتفرس في الحوادث قبيل وقوعها فيتفق وقوعها في الغالب كما يحدث وله اتصال بأكابر الناس وأصاغرهم وقد استوت لديه طبقاتهم كما استوت لديه الشدة والرخاء والإقبال والإدبار والمحبوب والمكروه قد رأى نفسه أميرًا كما رآها فقيرًا، ورآها تارة في اليفاع، وتارة في أخفض البقاع.

وهو الآن في الحياة قد جاوز السبعين، ولم يفتر نشاطه، ولا خف ضبطه، ولا تكدرت أخلاقه.

وبالجملة فهو قليل النظر في مجموعه. ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه (الناس على طبقات ثلاث فالطبقة العالية: العلماء الأكابر وهم يعرفون الحق والباطل وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضًا. والطبقة السافلة: عامة

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٣.

على الفطرة لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقًا كانوا مثله، وإن كان مبطلاً كانوا كذلك. والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة فإنهم إذا رأوا أحدًا من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوقوا إليه سهام التقريع، ونسبوه إلى كل قول شنيع وغيَّروا فِطَرَ أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق) هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه، وقد صدق فإنَّ من تأمَّل ذلك وجده كذلك ثم مات رحمه الله تعالىٰ في شهر محرم سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف.

وقد كان اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العبّاس بن المنصور فأملى حوادثها من حفظه بما يتعجب منه، ثم شرع في تاريخ ولده مولانا إمام العصر حفظه الله فمات بعد الشروع في ذلك.

٣٢٠ ـ **عليّ بنَ قاسِم السنحاني**: بالمهملة والنون بعدها مهملة نسبة إلى بلاد سنحان اسم لقبيلة قريبة من مدينة صنعاء، كان صاحب الترجمة هو القائم بمذهب الزيدية أيام ولاية الأتراك على صنعاء، وكانوا يجتمعون إليه إلى مسجد داود أحد مساجد صنعاء ويأخذون عنه فقه الزيدية ويقصده أهل الأموال منهم بالنذور الواسعة فيصرف ذلك في تلامذته، وبالغ أمراء الأروام في اتصاله بهم فلم يفعل، واتفق في أيامه قضية هي: أن بعض أولاد الأشراف من أهل صنعاء دخل يتوضأ في ذلك المسجد فلم يشعر إلا بتركي قد دخل عليه وأراد به الفاحشة فطعنه بسكين فمات، وخرج من مطاهير الماء إلى المسجد وصاحب الترجمة يُقرىء الطلبة فسارَّه بما وقع، ثم طلب الساني الذي يسنىٰ من البئر إلى المطاهير وأمره أن يكثر المسنى إلى المطاهير، وأمر بتغليق أبواب المطاهير فانتصب الماء حتى ملأ ساحات المطاهير، ثم أمر بتقطيع التركي قطعًا صغارًا وأخرج إلى محل بعيد.

ومما يحكى عنه أنه بلغه أَنَّ رجلاً من أهل صنعاء له ولدان أمردان جميلان وأن لهما دكانين يقعدان فيهما، ويصل إليهما أهل الفساد من الأتراك فتقع المعاصي، والمغاني ونحوها هنالك فقال صاحب الترجمة لرجل من أهل الصلاح هل يمكنك أن تدّعي أن الدكانين لك وأحكم لك بذلك فقال: ليس لي فيهما ملك! فقال: قد علمت ذلك ولكن هذا مما يسوّغه الشرع، ففعل الرجل ذلك وحكم له صاحب الترجمة وكان له في إنكار المنكرات قضايا مستحسنة وله تلامذة نبلاء منهم القاضي يوسف الحماطي،

وكان اعتماد أهل صنعاء في الفتاوىٰ عليه ولهم فيه اعتقاد عظيم. ولعل موته في حدود الألف من سني الهجرة.

٣٢١ ـ عليّ بن محمّد بن أحْمد العنسيِّ الصّنعاني: الشاعر البليغ القاضي المشهور أخذ العلم عن جماعة من أعيان عصره وقال الشعر الحسن فمن مقطعاته الفائقة قوله:

لا ما عـذارَ الحبيـبِ قـد أَسـرا ... قلبـي المعنـىٰ وأرّقَـا عينـي
ملّكتـه القلـبَ إذ نظـرتهمـا ... فـالقلـبُ ملـك لـه بـلاميـنِ

ومن قصائده القصيدة التي مطلعها:

أما ودموعٌ فيك تكتبُ ما أملي ... لقد صد حتى شحّ بالكتب والرسلِ

وهي قصيدةٌ جيدة. ومن بدائع قصائده القصيدة المشهورة وهي:

يـا سميـري وللفتـوة قـومٌ ... خلقـوا مـن سـلافـةِ الانسجـامِ
بطـرازِ الـرفـا بتشبيـبِ مهيـا ... رِ بلطـفِ البهـا بطبـعِ السـلامـي
قم فعرِّج بنا على مرقصِ الشعـ ... ـرِ وفتّـش بنـا طـريـق الغَـرامِ
(كعيـون المهـا) و (يـا ظبيـة البـا ... ن) (ألا فاسقني) (أدر يا غلامي)
وأرحنـي مـن الكـلام الـذي يشمـ ... ـخُ أنفـاً بـالبـأسِ والإقـدامِ
(كلبسنـا الحـديـد ثـم اعتنقنـا) ... ألفـاً مـن مثقـفٍ فـوقَ لأمِ
ومِـنَ النـاسـك المشمّـرَ كمّيـ ... ـه كنظـمِ الفقيـه فـي الأحكـامِ
ثم دعني من الصعود إلى رضو ... ىٰ وأعنـي بـذا وعـورَ الكـلامِ
(كقفـا نبـك) أو (أقيمـوا بنـي أ ... مي) وتلك الصخور فوقَ الآكامِ
مـا لنـا والبكـا علـى رسـمِ دارِ ... خـلٍ هـذا لعـروة بـن حـزامِ
مـا تـرىٰ رقـة النسيـم وقـد هـبَّ ... كشكـوىٰ متيَّـم مستهـامِ
وريـاضٌ بـرزن كـالغيـدِ حتـى ... إنهـا مـا خلـت مـن النمـامِ
وكـأن الـوسمـي صـبٌّ شكـىٰ البيـ ... ـن إليهـا بلـوعـةٍ وغـرامِ
وعـلا بـالـرعـودِ منـه نحيـبٌ ... عـن حشا بـالبروقِ ذاتِ اضطـرامِ
وكـأنَّ الـزهـورَ حيـن تغطَّـتْ ... عنـد ذاكَ النحيـبِ بـالأكمـامِ
خجلـتْ والشقيـقُ فيهـا خـدودٌ ... صبغـت بـالحيـاءِ فهـي دوامِـي
فبحسـن الـريـاض بـل بـودادي ... لـكِ يـا منيتـي علـىٰ الأيـامِ
لا تقـلْ أطلعـت سمـاء الـديـاجي ... شفقـاً عنـد روضنـا البسَّـامِ

غيـرَ أنَّ المـريـخَ غـارَ مـن الـور دِ فـأغـرىٰ بـه نجـومَ الظـلامِ
فـاستعـارَ الـذراعُ كـفَّ الثـريـا واجتنـاهُ مـن تحـت كـم الغَمـامِ

أنظر ما في هذه القصيدة من الانسجام، والرقة، والمسلك العذب والمعاني الجزلة. وغالب شعره على هذا الأسلوب، وهو مجموع في مجلد لطيف وكان له تعلق بالعلم وتدريسٌ في فنون فمن تلامذته السيّد العلاَّمة محمد بن إسماعيل الأمير، وذكر أنه قرأ عليه في النحو والمنطق ومات فجأة في شهر جمادى الأولى أو الآخرة سنة ١١٣٩ تسع وثلاثين ومائة وألف.

٣٢٢ ـ عليٌّ بن محمّد بن سعد بن محمّد بن عليّ بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يَعْقُوب بن عليٍّ بن هبة الله بن ناجية المشهور بابن خطيب النَّاصرية الحَلَبي الشَّافعي[١]: ولد سنة ٧٧٤ أربع وسبعين وسبعمائة بحلب، ونشأ بها وأخذ عن والده والسراج البلقيني.

رحل إلى مِصْر والقدس وأخذ على علماء ذلك الزمن، وكان إمامًا في الفقه والحديث، عالمًا بالأصول والعربية، حافظًا للتاريخ اشتهر ذكره في الأقطار، وترجم أعيان حلب وجميع من دخل إليها، وجمع لها تاريخًا حافلاً جعله ذيلاً على تاريخ الكمال بن العديم وهو نظيف اللسان والقلم، وله تصانيف كالطيبة الرائحة في تفسير الفاتحة، وسيرة المؤيد وشرح حديث أم زرع وغير ذلك ووليَ قضاء بلده غير مرة ثم وليَ قضاء طرابلس وحمدت سيرته في جميع مباشراته ووليَ الخطابة ببلده ودرس وأفتىٰ واستمر على ذلك حتى مات بحلب يوم الخميس نصف[٢] ذي القعدة سنة ٨٤٣ ثلاث وأربعين وثمان مائة وخلف دنيا واسعة.

٣٢٣ ـ عليٌّ بن محمّد بن عَبْد العزيز بن فتّوح بن إبراهيم بن أبي بَكر بن القَاسِم بن سَعد بن محمّد بن هِشام بن عُمَر الثعلبي[٣]: الدمشقي الشافعي الموصلي تاج الدين المعروف بابن الدَّريهم وبابن أبي الخير. ولد في شعبان سنة ٧١٢ اثنتي عشرة وسبعمائة، وقرأ على ابن الشيخ القوفية المقدم ذكره وعلاء الدين التركماني وأبي حيان، وارتحل إلى القاهرة وكان يتجر ويبيع من ملوك ذلك العصر، وله مال كثير، ثم درس بدمشق ثم دخل مصر، فبعثه الناصر رسولاً إلى ملك الحبشة، وكان ماهرًا في الأحاجي والألغاز والأوفاق

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٢٤٧.
(٢) في شذرات الذهب ٧/ ٢٤٧: توفي يوم الخميس حادي عشر من شهر ذي القعدة بحلب سنة ٨٤٣.
(٣) انظر هدية العارفين ٥/ ٧٢٣.

والكلام على الحروف، وخواصها وكانت له معرفة بالفقه، والحديث، والأصول، والقراءات، والتفسير والحساب، ويتكلم في جميع ذلك، وله تصانيف كثيرة منها (النسمات الفائحة لما في آيات الفاتحة) (إشراف النفس في الحمدلات الخمس) (الآثار الرائعة في أسرار الواقعة)، (كنز الدرر في حروف أوائل السور)، (غاية النعم في الاسم الأعظم)، (نفع الجدوى في الجمع بين أحاديث العدوى)، (المبهم في حل المترجم) و (غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز) و (سلم الحراسة في علم الفراسة) و (بسط الفوائد في حساب القواعد) وغير ذلك ومات في سنة ٧٦٦ ست وستين وسبعمائة.

٣٢٤ ـ عليّ بن محمد الشوكاني[1]: والد جامع هذا الكتاب غفر الله لهما وسياق نسبه هكذا علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن رزق. ينتهي إلى خَيْشَنة بخاء معجمة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فشين معجمة مفتوحة فنون فهاء ابن زبّاد بالمعجمة ثم موحدة مشددة وبعد الألف مهملة ابن قاسم بن مرهبة الأكبر بن مالك بن ربيعة بن الدعام الذي كان يذكره الهادي عليه السلام في خطبته لكونه من أنصاره وممن له العناية في خروجه من الرسّ إلى اليمن بن إبراهيم بن عبد الله بن ردي بن مالك هكذا وقع سياق نسب خيشنة في بعض كتب الأنساب ووقع سياق نسبه في كتاب الشريف أبي علامة المؤيدي المعروف بروضة الألباب في معرفة الأنساب هكذا: خيشنة بن زباد بن قيلم بن ربيعة بن مرهبة بن أجدع بن سعيد بن مسعود بن وائل بن الحارث الأصغر بن ربيعة بن [illegible] الأكبر بن ربيعة بن مرهبة الأكبر بن الدعام بن مالك بن ربيعة انتهى.

وفي مشجر الأشرف الغساني أن الدعام بن إبراهيم هو ابن عبد الله بن ياسين بن حجيل بن عمارة بن زاهر بن ثمامة بن سعد بن عمارة بن عبد بن عليان بن الدعام بن رومان بن بكيل انتهى. وفي كتاب أبي نصر النهلاوي أن الدعام بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الحسين بن عبد الله بن الأزهر بن ناشر بن حجل بن عميرة بن عَبْد بن عليان بن أرحب بن الدعام بن معاوية انتهى.

ثم اتفقوا فقالوا ابن صعب بن رومان بن بكيل بن خيران بن نوف بن تبع بن زيد بن عمر بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة. وفي بعض الكتب المذكورة سابقًا ابن الخيار مكان ربيعة، ثم اتفقوا فقالوا ابن النيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٢.

لمك بن متوشلح بن أخنوخ بن لود بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وحوى سلام الله عليهما.

وذكر المسعودي في المروج أن هشام بن الكلبي حكى عن أبيه عن شرقي القطامي: أنهما كانا يذهبان إلى أن قحطان هو ابن الهميسع بن نبت وهو نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرَّحمٰن عليه السلام.

ثم ذكر المسعودي بعد ذلك أن أنساب اليمن تنتهي إلى حمير وكهلان ابني سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأن قحطان هو ابن عابر قال: هذا هو المتفق عليه عند أهل الخبرة قال: وكان الحيثم بن عدي ينكر أيضًا أن يكون قحطان من ولد إسماعيل، وقد أطال البحث في ذلك فليرجع إليه ولا شك أن قول من زعم أن قحطان ليس هو ابن هود مخالف للصواب ولما أطبق الناس عليه قديمًا وحديثًا حتى ذكر ذلك في الأشعار كما قال بعض القحطانية يفتخر على بعض العدنانية:

أبونا نبيَّ الله هودَ بن عابر ... فها نحن أبناء النبي المطهّرِ
ملكنا بلاد الله شرقاً ومغرباً ... ومفخرنا يسمو على كل مفخرِ

وإنما قلت إن رزق ينتهي نسبه إلى خيشنة، ولم أقل رزق بن خيشنة لقصد الاحتياط، لأن الشك معي حاصل في رزق هل ابن خيشنة بلا فصل كما سمعت من بعض أكابر القرابة وهو المشهور عند جميع من له فطنة من أولاد رزق المذكور أو بينه وبينه واسطة فالله أعلم.

هذا سياق نسب والدي المترجم له رحمه الله، ومولده تقريباً في سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف وعرف في صنعاء بالشوكاني نسبة إلى شوكان وهي قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وهو أحد المواضع التي يطلع عليها شوكان. قال: في القاموس «شوكان» موضع بالبحرين وحصن باليمن وبلدة بين سرخس وأبيورد منه عقيق بن محمد بن عنيس وأخوه أبو العلاء عنيس بن محمد الشوكاني انتهى، وهو الحصن الذي ذكره فإن هذه القرية التي ينسب إليها صاحب الترجمة من أعظم الحصون باليمن وقال الخيضري في كتابه الذي سماه (الاكتساب في الأنساب) في حرف الشين المعجمة ما لفظه الشوكاني بفتح أوله وسكون ثانيه وكاف بعدها ألف ونون نسبة إلى بلدة من ناحية جازان بين سرخس وأبيورد منها أبو العلاء عنيس بن محمد بن عنيس الشوكاني كان شيخًا عالمًا دخل مرو، وتفقه بها على أبي المظفر السمعاني وسمع منه الحديث ومن والد محمد بن عنيس، ثم ولي القضاء ببلاده مدة سمع منه المصنف ومات في حدود الثلاثين وخمس مائة.

(وأما الفضل كريمة) بنت أبي الحسن علي بن إسْحَق بن علي بن محمد المالكي الشوكاني امرأة من بيت الحديث والدها أبو الحسن كان له رحلة إلى نيسابور، وسمع الكثير بقراءة أبي المظفر السمعاني، وحصل بها الإجازة عن جماعة من الشيوخ مثل أبي محمد عبد الحميد بن عبد الرحمٰن البحري. وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني المالكي من أهل شوكان كان من أهل الخير والصلاح.

ووالده أبو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان سمع أباه وأبا طاهر وأبا الفضل محمد بن أحمد بن أبي الحسن العارف المهيني، ولد في حدود ستين وأربع مائة وتوفي في شعبان سنة ٥٣٢ بشوكان انتهى ما في الاكتساب.

وهو وإن كان خارجًا عن الترجمة غير أنه لا يخلو فائدة وثمة موضع باليمن آخر يقال له شوكان بقرب مدينة ذمار، وسمعت من بعض الثقات أن ثمة موضعًا ثالثًا ببلاد وادعة يقال له شوكان، فإن لم يكن أحد المحلين حصنًا كان مراد صاحب القاموس هو الموضع الذي ينسب إليه صاحب الترجمة وإن كان حصنين أو أحدهما لم يحسن الجزم بأن مراده أحدهما دون الآخر، وفي سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين أنه نزل بمحل يقال له شوكان من بلاد نجران.

وهذا يفيد أن باليمن أربعة مواضع يسمى كل واحد منهما شوكان، ونسبة صاحب الترجمة إلى شوكان ليست حقيقية لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته هو مكان عدني شوكان بينه، وبينها جبل كبير مستطيل يقال له الهجرة، وبعضهم يقول له هجرة شوكان فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان، وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن ولكنه يكون تارة في بعض البطون وتارة في بطن أخرى، ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة، وفيهم رؤساء كبار ناصروا الأئمة ولا سيما في حروب الأتراك، فإن لهم في ذلك اليد البيضاء، وكان فيهم إذ ذاك علماء وفضلاء يعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة، وكانوا يتفرقون في القبائل، ويدعونهم إلى الجهاد ويحثونهم على حرب الأتراك وكان من بصنعاء من الأتراك يغزون إلى هذا المحل غزوة بعد غزوة ويخربون فيه البيوت ويعودون إلى صنعاء وغزوهم في بعض السنين في يوم العيد وتركوهم حتى اجتمعوا في المسجد لصلاة العيد، فلم يشعروا إلا وجنود الأتراك قائمون على أبوابه فقاتلوهم فقتل منهم جماعة وفر آخرون وأسر الأتراك أكابرهم ودخلوا بهم صنعاء وقد أخبرني عمي الحسن بن محمد بن عبد الله أخو صاحب الترجمة بعجائب وغرائب مما اتفق وهو يروي ذلك عن جده عبد الله وكان ممن قاتل الأتراك وعمره مائة وعشرين سنة وعمي الحسن المذكور عاش زيادة على

تسعين سنة فأنا أروي قتال الأتراك بواسطة واحد بيني وبين من قاتلهم، وبين تحرير هذه الأحرف، وبين إخراج الأتراك من جميع الأقطار اليمنية زيادة مائة وسبعين سنة وهذا علو في الرواية قل أن يتفق مثله فإن بين كثير من أهل العصر وبين من حضر قتال الأتراك من سلفهم سبعة أبًا وثمانية وهذا عارض من القول ولكنه لا يخلو عن فائدة وقد اشتهر جماعة من أهل المحل المذكور أعني هجرة شوكان بالعلم فمنهم العلاَّمة الحُسين بن علي الشوكاني.

كان من أكابر العلماء المحققين لعلم الفروع.

وقد ترجم له السيّد العلاَّمة إبراهيم بن القاسم بن المؤيد في كتاب (طبقات الزيدية) فقال ما لفظه الحُسين بن علي الشوكاني بمعجمة والفقيه العلاَّمة قرأ في الفقه على القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي وأحمد بن سعيد الهبل وقرأ عليه أبناء الزمان كالشيخ هادي الشاطبي ومحمد بن أحمد الهبل، وكان فقيهًا إمامًا في الفروع، ثم بيّض لباقي الترجمة انتهى.

ومنهم القاضي العلاَّمة الحسين بن صالح الشوكاني كان من المتقنين لعلم الفقه وغيره وهو أحد قضاة المتوكل على الله إسماعيل فمن بعده من الأئمة، ورأيت له مكاتبات ومراجعات إلى الأئمة وكان يقصد بالمشكلات من الفتاوىٰ إلى تلك الهجرة، وكان مولد والدي رحمه الله في ذلك التاريخ بتلك الهجرة ونشأ بها فحفظ القرآن، ثم ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم فقرأ على جماعة من علمائهم منهم السيّد العلاَّمة محمد بن عبد الرحمٰن الكبسي والسيّد العلاَّمة علي بن حسن الكبسي والسيّد العلاَّمة الحسن بن مُحمد الأخفش، والقاضي العلاَّمة محسن بن أحمد العابد وجماعة كثيرة وبرع في علم الفقه والفرائض فحقق الأزهار وشرحه لابن مفتاح وحواشيه، وبيان ابن مظفر والبحر الزخار ومختصر الفرائض للعصيفري وشرحه للناظري وشرح الخالدي وعلم الضرب والمساحة، وقرأ في كتب الحديث الشفاء للأمير حسين والشمائل للترمذي ومن كتب التفسير الثمرات للفقيه يوسف وشرح الآيات للنجري وفي النحو الملحة، وبعض شروحها والحاجبية وشرحها للسيد المفتي وفي الأصول الكافل لابن بهران وشرحه لابن لقمان وغير هذه المسموعات مما لا يحضرني الآن، وما زال يدأب في تحصيل العلم مفارقًا لأهله ووطنه مغتربًا عنهما أيامًا طويلة، ودرس، وأفتى في صنعاء في أواخر أيام طلبه وولاه الإمام المهدي العباس بن الحسين القضاء بالجهات الخولانية خولان صنعاء ثم اعتذر عنه فولاه القضاء بصنعاء المحروسة واستقر بها هو وأهله وما ترك الطلب في أيام توليته للقضاء ولا رغب عن التدريس للطلبة بل كان يقرىء في مسجد صلاح الدين

وفي مسجد الأبزر في الفقه وفي الجامع الكبير في الفرائض في شهر رمضان وكان رحمه الله محمود السيرة والسريرة متعففًا قانعًا باليسير طارحًا للتكلف منجمعًا عن الناس مشتغلاً بخاصة نفسه صابرًا على نوائب الزمن، وحوادث الدهر مع كثرة ما يطرقه من ذلك محافظًا على أمور دينه مواظبًا على الطاعة مؤاثرًا للفقراء بما يفضل عن كفايته غير متصنع في كلامه، ولا في ملبسه لا يبالي بأي ثوب برز للناس، ولا في أي هيئة لقيهم وكان سليم الصدر لا يعتريه غل ولا حقد، ولا سخط، ولا حسد، ولا يذكر أحدًا بسوء كائنًا من كان محسنًا إلى أهله قائمًا بما يحتاجونه متعبًا نفسه في ذلك صابرًا محتسبًا لما كان يجري عليه من بعض القضاة الذين لهم كلمة مقبولة وصولة مع كونه مظلومًا في جميع ما يناله من المحن ونوائب الزمن. والحاصل أنه على نمط السلف الصالح في جميع أحواله ولقد كان تغشاه الله تعالى برحمته ورضوانه من عجائب الزمن ومن عرفه حق المعرفة تيقن أنه من أولياء الله، ولقد بلغ معي إلى حد من البر والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغًا عظيمًا بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب فجزاه الله خيرًا وكافاه بالحسنى.

وهو زاهد من الدنيا ليس له نهمة في جمع ولا كسب، بل غاية مقصوده منها ما يقوم بكفاية أرحامه فإنه استمر في القضاء أربعين سنة، وهو لا يملك بيتًا يسكنه فضلاً عن غير ذلك، بل باع بعض ما تلقاه ميراثًا من أبيه من أموال يسيرة في وطنه ولم يترك عند موته إلا أشياء لا مقدار لها، وقرأت عليه رحمه الله في أيام الصغر في شرح الأزهار، وشرح الناظري مع غيري من الطلبة، وهو في آخر أيامه قرأ عليّ في صحيح البخاري، ولم يزل مستمرًا على حاله الجميل معرضًا عن القال والقيل ماشيًا على أهدى سبيل حتى توفاه الله تعالى بصنعاء ليلة الاثنين بعد أذان العشاء، وهي الليلة المسفرة عن رابع شهر القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف، ولم يباشر شيئًا مما يتعلق بالقضاء قبل موته بنحو سنتين، بل تجرد للاشتغال بالطاعة والمواظبة على الجمعة والجماعة ولم يكن له التفات إلى غير أعمال الآخرة رحمه الله وترك ولدين أكبرهما محمد وهو جامع هذا الكتاب ويحيى وهو الآن مشتغل بقراءة علوم الاجتهاد قد انتفع في أنواع منها مع كمال اشتغاله بعلم الفروع، وهو ذو فَهم صادق وعقل رصين، ودين متين، ولعلها تأتي له ولأخيه المذكور ترجمة مستقلة لكل واحد منهما في حرفه إن شاء الله تعالى.

٣٢٥ ـ السيّد عليّ بن محمّد بن أبي القَاسِم[1]: ابن محمّد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن الناصر بن الهادي يحيى بن الحسين

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٣.

العلاَّمة الكبير مؤلف تجريد الكشاف التفسير المشهور، وروي أن له تفسيرًا حافلاً في ثمانية مجلدات من جملة تلامذته السيّد العلاَّمة محمد بن إبراهيم الوزير، ولكنه لما اجتهد السيّد محمّد المذكور ورفض التقليد وتبحَّر في المعارف قام عليه صاحب الترجمة في جملة القائمين عليه، وترسَّل عليه برسالة تدل على عدم إنصافه ومزيد تعصبه سامحه الله، وأجاب السيّد محمد عن هذه الرسالة بالعواصم والقواصم الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في هذه الديار اليمنية مثله، وهو في ثلاثة مجلدات كبار وكان صاحب الترجمة يقرىء الطلبة في جميع علوم الاجتهاد وفي الأمهات وسائر كتب التفسير ومات سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمان مائة.

٣٢٦ ـ الإمام المهدي عليٍّ بن محمّد بن عليّ: ابن منصور بن يحيى بن منصور بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن المنصور بن أحمد بن الناصر بن الهادي يحيى بن الحسين ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة في هجرة من جهات الهان، ونشأ على ما نشأ عليه سلفه الصالح من الاشتغال بالعلم والعمل، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٥٠ في مدينة ثلا، واجتمع الناس عليه حتى قيل إن العلماء الذين حضروا بيعته يزيدون على خمس مائة، وعارضه الواثق بالله المطهر بن محمد وشمس الدين أحمد بن علي بن أبي الفتح، ثم أذعن له الواثق وأما السيّد شمس الدين فلم يزل على دعوته، وافتتح صنعاء وملكها وملك صعدة وذمار وما بين هذه المدن، ودانت له البلاد، واستمر على ذلك حتى ابتدأه الفالج في سنة ٧٧٢ في ذمّار، وكان ولده محمد قائمًا بالأمور ناظمًا للأحوال ثم نهض القاضي العلاَّمة عبد الله بن الحسن الدواري من صعدة في المحرم سنة ٧٧٣ فوصل إلى ذمّار ومعه جماعة من السادة والعلماء وأجمع رأي القاضي ومن معه على أن لا يصلح للإمامة إلا ولده الإمام محمد المذكور فلما سمع ذلك تباعد عنه واعتذر فلم يعذروه، وألزموه الحجة فقام بالإمامة بعد أن بايعوه وتكنى بالناصر، واشتهر بصلاح الدين وستأتي له إن شاء الله ترجمة مستقلة في حرفه.

٣٢٧ ـ الإمام المَنْصُور عليٍّ بن محمّد النَاصِر صلاح الدِّين ابن عليّ المهدي المذكور قبله: ولد سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة ولما مات والده الإمام صلاح الدّين محمد بن علي بن محمد في سنة ٧٩٣ وكانت خلافته قد تمكنت في الديار اليمنية وعظمت سطوته، وكثرت جيوشه، وبعد صيته أرسل أمراءه ووزراءه إلى القاضي العلاّمة عبد الله بن الحسن الدواري إلى صعدة فوصل إلى صنعاء، ثم أجمع رأيه ورأي أرباب الدولة على مبايعة صاحب الترجمة ورأوا في ذلك صلاحًا لكونه ناهضًا بالملك،

وإلا فهو لم يكن قد نال من العلم في ذلك الوقت ما هو شرط الإمامة عند الزيدية ولكن جعل الله في هذا الرأي الخير والبركة، فإنه وليَ الخلافة وحفظ بيضة الإسلام ودفع أهل الظلم، وأحسن إلى العلماء، وقمع رؤوس البغي واشتغل بالمعارف العلمية في خلافته حتى فاق في كثير من المعارف، ولقد أثنى عليه السيّد الإمام العلاّمة محمد بن إبراهيم الوزير ثناءً طائلاً وصنَّف في ذلك مصنفًا سماه (الحسام المشهور في الذب عن دولة الإمام المنصور) وذكر أنه أخذ عن صاحب الترجمة وناهيك بهذا من مثل هذا المجمع على إمامته في جميع العلوم، وقد تعارض صاحب الترجمة هو والإمام المهدي أحمد بن يحيى المتقدم ذكره ووقع ما تقدمت الإشارة إليه وقد طالت أيامه وعظمت مملكته واتسعت بلاده، وتكاثرت أجناده حتى مات في سابع وعشرين شهر صفر سنة ٨٤٠ أربعين وثمان مائة.

٣٢٨ ـ **السيّد عليّ بن محمّد بن عليّ الحسينيّ الجرجاني**[١]: عالم الشرق. ويعرف بالسيّد الشريف وهو من أولاد محمد بن زيد الداعي بينه وبينه ثلاثة عشر أبًا ولد سنة ٧٤٠ أربعين وسبعماية اشتغل ببلاده، وقرأ المفتاح على شارحه، وكذا أخذ شرح المفتاح للقطب عن ابن مؤلفه مخلص الدين بن أبي الخير علي، وقدم القاهرة وأخذ بها عن أكمل الدين وغيره، وأقام بسعيد السعداء أربع سنين، ثم خرج إلى بلاد الروم، ثم لحق ببلاد العجم، وصار إمامًا في جميع العلوم العقلية وغيرها متفرِّدًا بها مصنفًا في جميع أنواعها متبحرًا في دقيقها وجليلها، وطار صيته في الآفاق وانتفع الناس بمصنّفاته في جميع البلاد وهي مشهورة في كل فن يحتج بها أكابر العلماء وينقلون منها ويوردون ويصدرون عنها فمن مصنفاته المشهورة شرح المفتاح وشرح المواقف العضدية وشرح تذكرة الطوس وشرح الجغميني في علم الهيئة، وشرح فرائض الحنفية وشرح الوقاية وشرح الكافية بالعجمية، وله من الحواشي حاشية على أوائل الكشاف وعلى أوائل شرح مختصر المنتهى للعضد، وعلى أوائل البيضاوي وعلى الخلاصة للطيبي، وعلى العوارف والهداية وعلى التجريد لنصير الدين، وعلى المطالع وعلى المطول وعلى شرح الشمسية، وعلى الطوالع للأصبهاني، وعلى شرح هداية الحكمة، وعلى شرح حكمة العين وحكمة الإشراق وعلى الرضي في النحو، وعلى الخبيصي، وعلى العوامل الجرجانية، وعلى رسالة الوضع وعلى شرح الإشارات للطوسي، وعلى التلويح والتوضيح، وعلى أشكال التأسيس، وعلى تحرير إقليدس، وله تفسير الزهراوين، وله مقدمة في الصرف بالعجمية، ورسالة في الوجود وله كتاب التعريفات وله مصنفات غير هذه، وتصدى

(١) انظر هدية العارفين ٥/٧٢٨.

للإقراء والإفتاء، وأخذ عنه الأكابر وبالغوا في تعظيمه لا سيما علماء العجم والروم فإنهم جعلوه هو والسعد التفتازاني حجة في علومهما وقد جرىٰ بينهما مباحثات في مجلس تيمورلنك واختلف الناس في عصرهما وفيما بعده من العصور من المحق منهما وما زال الاختلاف بين العلماء في ذلك دائرًا في جميع الأزمنة، ولا سيما علماء الروم فإنهم يجعلون من جملة أوصاف أكابر علمائهم أنه كان يميل إلى ترجيح جانب الشريف أو إلى ترجيح جانب السعد لما لهم بهما وبما جرىٰ بينهما من الشغلة، وقد كان أهل عصر صاحب الترجمة يفتخرون بالأخذ عنه، ثم صار من بعدهم يفتخرون بالأخذ عن تلامذته ومصنفاته نافعة كثيرة المعاني واضحة الألفاظ قليلة التكلف والتعقيد الذي يوقع فيه عجمة اللسان كما يقع في مصنفات كثير من العجم وتوفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة ٨١٦ ست عشرة وثمان مائة بشيراز، وقيل في أربع عشرة وثمان مائة.

ويروى أنه رحل إلى القطب الشيرازي شارح الشمسية فطلب منه القراءة عليه في شرحه فاعتذر عنه بعلو السن وضعف البصر، ثم دله على بعض تلامذته المحققين الذين أخذوا عنه ذلك الشرح وهو ببلاد أخرى فرحل إليه فوصل وبعض أبناء الأكابر يقرأ على المذكور في ذلك الشرح، فطلب منه أن يقرأ عليه فأذن له في الحضور بشرط أن لا يتكلم، وليس له درس مستقل بل شرط عليه أن يحضر فقط مع ذلك الذي يقرأ على الشيخ من أولاد الأكابر فكان الشريف يحضر ساكتًا، وفي الليل يأوي إلى خلوة في المسجد وكان يقرر في أكثر الليل ما سمعه من شرح الشمسية ويرفع صوته فيقول قال المصنِّف كذا يعني صاحب الشمسية وقال الشارح كذا يعني القطب وقال الشيخ: كذا يعني الذي يقرأ عليه وقلت أنا: كذا ثم يقرر كلامًا نفيسًا ويعترض اعتراضات فائقة فصادف مرور ذلك الشيخ من باب خلوته، فسمع صوته فوقف فطرب لذلك حتى رقص، ثم أذن له أن يتكلم بما شاء فيقال إنَّ صاحب الترجمة حصل حاشية شرح الشمسية حال قراءته على ذلك الشيخ.

٣٢٩ ـ السيّد عليّ بن محمّد بن عليٍّ بن أَحْمد بن النَّاصِر الكوكباني المولد والدار والوفاة: ولدَ في شهر شوال سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، وأخذ عن شيخنا: العلاَّمة السيّد عبد القادر بن أحمد وعن غيره من علماء كوكبان بورع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول وشارك في غير ذلك وله نظم جيد فمنه ما كتبه إلي وقد اطلع على بعض رسائلي:

أيَّ بحثٍ قد جاءني من فريدِ الـ ـعصـرِ محيـي معـالـم التبيـانِ
الهمّـام الـذي إذا التبـس الأمـ ـرَ جـلاَّه بـواضـحِ البـرهـانِ

عنـــده سلـــمُ المجـــاري إذا جـ ـــلىٰ فصلى مسلماً في الرهـانِ

فأجبت عليه بقولي:

قلَّــد الجيــد وهــو ربُّ اجتهـاد وانتقـــادٍ قـــلائـــدَ العقيـــانِ

نظمــه الــدرَّ دلَّ مــن غيــر شــكٍ أنَّــهُ البحــر فــي علــومِ البيــانِ

قــد تيقنــتُ أننــي السعــد لمــا صار هـذا الشريف من خلاني

يــا قــريــع الأوان يــا سيــد الأقـ ــران يا فرد أهلِ هذا الزمانِ

دمــتَ تحيـي علـوم أبائـك الغـر وتجلـــي بهـــا صـــدا الأذهـــانِ

وعليــك الســـلامَ يــا زينــة الأعـ ــلامِ يا ابـن الكرامِ مـن عـدنـانِ

وله تلامذة أخذوا عنه هنالك في علوم الآلات ولعل من جملة شيوخه السيّد العلاَّمة عيسى بن محمد بن الحسين أمير كوكبان ومنهم السيّد العلاَّمة الحسين بن عبد الله الكبسي المتقدم ذكره، وله شعر سائر وعند تحرير هذه الأحرف قد توفي رحمه الله وموته سنة ١٢١٢ اثنتي عشرة ومائتين وألف في شهر جمادى الأولى منها.

٣٣٠ ـ الشَّيخ عليٌّ بن محمّد بن علي المقدّسي الخَزرَجي الحَنَفي المعروف بأبي غانم: قال العصامي: هو شمس العلوم والمعارف بدر الفهوم واللطائف قرة عين أصحاب أبي حنيفة الراقي من معارج التحقيق حقيقة وقال الشيخ عبد الرزاق المناوي: هو شيخ الوقت حالاً وعلمًا وتحقيقًا وفهمًا وإمام المحققين حقيقة ورسمًا وكانت وفاته سنة ١٠٠٤ أربع وألف.

٣٣١ ـ عليّ بن محمّد بن عيسى بن يوسف بن محمّد الأشموني الأصل ثم القاهري الشافعي[١]: ولد في شعبان سنة ٨٣٨ ثمان وثلاثين وثمان مائة، وأخذ على المحلي والبلقيني، والمناوي، والكافياجي، وبرع في جميع العلوم، وتصدى للإقراء وصنّف شرحًا للألفية وشرح بعض التسهيل، ونظم جمع الجوامع وايساغوجي قال السخاوي: وراج ورجح على الجلال السيوطي مع اشتراكهما في الحمق غير أن ذاك أرجح. انتهى. قلت: وهذا غير مقبول من السخاوي في كلا الرجلين على أن صاحب الترجمة ليس ممن ينبغي أن يجعل قرينًا للجلال فبينهما مفاوز وتوفي صاحب الترجمة يوم السبت سابع عشر ذي الحجة سنة ٩١٨ ثمان عشرة وتسعمائة.

٣٣٢ ـ علي بن محمّد بن أحْمد بن علي بن يحيىٰ البكري الزيدي: أحد العلماء

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٦/ ٥.

اليمنيين المحققين، له مصنَّفات منها شرح مقدمة بيان ابن مظفر وشرح منهاج القرشي، وشرح مقدمة الأزهار وكان بعض أهل العلم يفضله على عبد الله النجري المتقدم ذكره وقد كتب إليه الإمام عز الدين بن الحسن كلامًا في مسألة الإمامة وأجاب عنه بجواب هو موجود في فتاوىٰ الإمام عز الدين، وكان متصلاً بالإمام المطّهر بن محمد بن سليمان، وقائمًا بكثير من أمور خلافته.

قال صاحب مطلع البدور وهو الذي حكىٰ صفة الكتاب الواصل إلى الإمام المطَّهر من الفقيه محمّد بن الأصم أنها اتفقت في زمن الإمام المذكور قصة عجيبة ونكتة غريبة في بلدة شامي الحرجة تسمى الحمرة، وذلك أنه كان فيها رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة فاتفق أنه بنى مسجدًا يصلي فيه وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء وإلا أكله وصلىٰ صلاته واستمر على ذلك الحال، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار وكانت له بير فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده فخربت تلك البير والرجل في أسفلها خرابًا عظيمًا حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فآيس منه أولاده ولم يحفروا له وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه فأقام في ظلمة عظيمة ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذي كان يحمله إلى المسجد وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة وكان به يفرق ما بين الليل والنهار واستمر له ذلك مدة ست سنين، والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال، ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها، فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حيًا فسألوه عن حاله فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة فعجبوا من ذلك فصارت قضية موعظة يتوعّظ بها الناس في أسواق تلك البلاد وقال في مطلع البدور: ومن جملة من زار هذا الرجل محمّد بن الأصم انتهى. وتوفي صاحب الترجمة يوم الأحد ثامن وعشرين رمضان سنة ٨٨٢ اثنتين وثمانين وثمان مائة.

٣٣٣ ـ علي بن محمّد المعروف بابن هَطِيل النجري المشهور اليماني[١]: صاحب التصانيف كشرحه للمفصل، وله شرح على الظاهرية صنفه للإمام المنصور علي بن صلاح الدين المتقدم ذكره، وكان ساكنًا بصنعاء، وقد طار صيته في الآفاق، وكان مديمًا لمطالعة شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، لا يفارقه في غالب أوقاته ويحكى أنه لما

---

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٧٢٩.

حضرته الوفاة أمر من يدفع إليه شرح الرضي فدفعه إليه فوضعه على صدره ثم أنشد:

تمتَّع من شميمِ عَرارِ نجدٍ ... فما بعدَ العشيةِ من عِرارِ

ويحكىٰ عنه: أنه دخل مكة للحج فأخبر أن قاضي المحمل الشامي من أكابر العلماء فتلقاه إلى الطريق ووجده في محمل فناداه وقال مسألة أيها القاضي فكشف عن المحمل وقال قل: فسأله كذلك وأجاب بجواب حسن ثم سأله بمسألة ثانية كذلك وأجاب بجواب أحسن وقال له لعلك من اليمن؟ قال: نعم. قال: أنت من صنعاء؟ قال: نعم. قال: أنت ابن هطيل؟ قال: نعم. قال: قد ألفت كذا وكذا؟ قال: نعم. وما يدريك بهذا؟ فإن جيران داري لعلهم لا يعرفون ذلك فقال له أنتم يا علماء صنعاء وضعتم أنفسكم بالسكون فيها في مضيعة، توفي سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمان مائة في يوم الأربعاء حادي عشر ذي الحجة منها بمدينة صنعاء وكان منشؤه وطلبه بمدينة حوث ثم فارقها لأمر جرىٰ بينه وبين أهلها، وقال قصيدة يذمها مطلعها:

قوِّض خيامكَ راحلاً عن حوثٍ ... حوثُ الخبيثِ محلُّ كلَ خبيثِ

ومن مشائخهِ إبراهيم بن عطية النجراني، ومن تلامذته المرتضىٰ ابن الهادي بن إبراهيم.

٣٣٤ ـ **علي بن محمّد القَوْشَجي**[١]: بفتح القاف وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها جيم وياء النسبة. ومعنى هذا اللفظ بالعربية حافظ البازي، وكان أبوه من خدام ملك ما وراء النهر يحفظ البازي، قرأ على علماء سمرقند، ثم رحل إلى الروم وقرأ على قاضي زاده الرومي، ثم رحل إلى بلاد كرمان، فقرأ على علمائها وسود هنالك شرحه للتجريد، ثم عاد إلى ملك ما وراء النهر، ولم يدرِ أين ذهب فلما وصل إليه عاتبه على الاغتراب فاعتذر بأنه اغترب لطلب العلم فقال له: بأية هدية جئت؟ قال: رسالة حللت بها إشكال القمر، وهو إشكال تحير في حله الأقدمون. فقال: هات أنظر فيها فقرأها قائمًا فأعجبته.

وقد كان ذلك الملك بنىٰ رصدًا وأمر جماعة من العلماء بعلمه فماتوا. فأمر صاحب الترجمة فأكمله وكتبوا عنه ما حصل، وهو المشهور بالزيج الجديد وهو أحسن الزيجات ثم لما توفي ذلك الملك وتولى مكانه بعض أولاده لم يعرف قدر صاحب الترجمة فاستأذنه للحج فلما وصل إلى تبريز أكرمه سلطانها إكرامًا عظيمًا وأرسله إلى سلطان الروم محمد خان فلما وصل إليه أكرمه إكرامًا زائدًا على إكرام سلطان تبريز له

(١) انظر هدية العارفين ٥/٧٣٦.

وسأله أن يسكن لديه فأجابه إلى ذلك ووعده الرجوع بعد أن يوصل جواب الرسالة وأخذ عليه عهدًا على ذلك فلما أدى الرسالة أرسل السلطان محمد خان إليه من خدامه جماعة فخدموه وأكرموه، وصرفوا إليه في كل مرحلة ألف درهم بأمر السلطان محمد خان فوصل إلى مدينة قسطنطينية في حشمة وافرة، وعند ملاقاته للسلطان أهدى إليه رسالة في علم الحساب سمّاها المحمّدية ثم صنّف رسالة أخرى في علم الهيئة باسم السلطان محمد خان وسماها الرسالة الفتحية لمصادفتها لفتح عراق العجم وجعله السلطان مدرسًا في بعض المدارس وعين له كل يوم مائتي درهم، وعين لكل من أولاده وأتباعه شيئًا خارجًا عن ذلك وكانوا كثيرين يزيدون على مائتي نفس، ولما قدم قسطنطينية أول قدمة تلقاه علماؤها فذكر لهم ما رآه من الجزر والمد في البحر، فتكلم أكبر علماء الروم في ذلك الزمن، وهو خواجة زاده الآتي ذكره إنْ شاء الله في سبب ذلك ثم ذكر صاحب الترجمة ما جرى بين السعد والشريف من المباحثة ورجح جانب السعد، فخالفه خواجة زاده ورجح جانب الشريف، وله تصانيف منها شرح التجريد الذي تقدمت الإشارة إليه وهو شرح عظيم سائر في الأقطار كثير الفوائد، وله حاشية على أوائل حاشية السعد على الكشاف، وله كتاب عنقود الزهور في الصرف وهو من مشاهير العلماء، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولكنه كان موت السلطان محمد خان الذي قدم الروم في زمنه سنة ٨٨٦ ست وثمانين وثمان مائة.

٣٣٥ ـ **علي بن محمّد العقيني الأنصاري التّعزي الشّافعي**: ولد سنة ١٠٣٣ ثلاث وثلاثين وألف، وقرأ بتعز على محمّد بن عبد العزيز المفتي وقرأ في غيرها على محمّد بن علي مطير وجماعة آخرين، ورحل إلى مكة فقرأ على ابن علان وغيره، وبرع في فنون وصنَّف تصانيف: منها شرح ألفية ابن مالك وشرح المدخل في المعاني والبيان، وشرح زيد ابن رسلان وشرح على المنظومة في شعب الإيمان وشرح على النخبة وحاشية على التيسير.

ومات في ثالث ربيع الآخر سنة ١١٠١ إحدى ومائة وألف بتعز.

٣٣٦ ـ **علي بن مجلد الدّين محمّد بن مسعود بن محمود بن محمّد بن محمّد بن عُمَر المعروف بالمولىٰ مصنفك**[1]: لقب بذلك لاشتغاله بالتصنيف في حداثة سنه والكاف للتصغير في لغة العجم، وهو من أولاد الإمام فخر الدين الرازي وفخر الدين هو عمر المذكور في النسب وكان الإمام يصرح في مصنفاته بأنه من أولاد عمر بن الخطاب. ولد

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٣١٩/٧ ـ ٣٢١.

صاحب الترجمة في سنة ٨٠٣ ثلاث وثمان مائة بخُراسان وسافر مع أخيه إلى هراة لطلب العلم في سنة ٨١٢، وصنف الإرشاد في سنة ٨٢٣، وشرح المصباح في النحو سنة ٨٢٥، وشرح آداب البحث في سنة ٨٢٦، وشرح اللباب في سنة ٨٢٨، وحاشية المطول في سنة ٨٣٢، وحاشية شرح المفتاح للتفتازاني سنة ٨٣٤، وحاشية التلويح سنة ٨٣٥، ثم ارتحل في سنة ٨٣٩ رحلة أخرى إلى هَرَاة وصنف هُنالك الوقاية، وشرح الهداية في سنة ٨٣٩ وارتحل في سنة ٨٤٨ إلى ممالك الروم وصنّف هنالك في سنة ٨٥٥ شرح المصابيح للبغوي، وشرح تلك السنة أيضًا شرح المفتاح للشريف وصنف في هذه السنة حاشية شرح المطالع، وشرح أيضًا بعض أصول فخر الإسلام البزدوي، وصنف في سنة ٨٥٦ حاشية الكشاف، وله مصنفات فارسية كأنوار الأحداق، وحدائق الإيمان، وتحفة السلاطين، وله غير ذلك من المصنفات كحاشية شرح العقائد.

ومن مشايخه جلال الدين يوسف أحد تلامذة سعد الدين التفتازاني ودرس ببلاد الروم وغيرها ثم وقع له صمم في آخر مدته وعين له السلطان محمد خان كل يوم ثمانين درهمًا ومات بقسطنطينية سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمان مائة[١].

٣٣٧ ـ عليّ بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد الوادعي الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي[٢]: ولد سنة ٦٤٠ أربعين وستمائة تقريبًا، وسمع من جماعة نحو مائتين واشتغل بالأدب، فمهرَ في العربية وقال الشعر فأجاد ثم دخل ديوان الإنشاء في آخر عمره، وكان كثير الهجاء فنفر الناس عنه وكان يتشيَّع من غير سب ولا رفض، وجمع التذكرة في عدة مجلدات تقرب من الخمسين وفيها فوائد كثيرة ومن شعره:

فُتِنتُ بمَنٍّ محاسنه ... إلى عرب النقا تنمي
عذارٌ من بني لام ... وطرفٌ من بني سهمِ
وعذالي بنو ذهلٍ ... وحسّادي بنو فهمِ

وله في هذا الجنس:

قسماً بمرآكَ الجميلِ فإنهُ ... عربي حسنُ من بني زهران
لا حلّت عنك ولو رأيتك من بني ... لحيان لا بل من بني شيبان

ومن مقطعاته الرائقة:

قالَ لي عاذلي المفنّد فيها ... حين وافت وسلّمت مختالةً

---

(١) في الشذرات ٧/ ٣٢١: ودفن قرب مزار أبي أيوب الأنصاري.

(٢) انظر الشذرات ٦/ ٣٩.

قـم بنـا نـدعـي النبـؤة فـي العشـ ـــق فقـد سلمـت علينـا الغـزالـة

ومنها:

إذا رأيـــتَ عــارضــاً مسلســلاً فـي وجنـة كجنـةٍ يـا عـاذلـي
فـاعلـم يقينـاً أننـي مـن أمـة تقـادُ للجنـةِ بـالسـلاسـلِ

ومنها:

وفـي أسـانيـدِ الأراكِ حـافـظٌ للعهـدِ يـروي صبـره عـن علقمـة
فكلمـا نـاحـت بـه حمـامـةٌ روىٰ حـديـث دمعـه عـن عكـرمـة

وفي هذا من اللطافة ما لا يخفىٰ لأن عكرمة من أسماء الحمامة، وهو شاعر مجيد مبدع قد ذكر جماعة من متأخري الأدباء أن ابن نباتة كان يتطفل على معانيه الرائقة، وقد أورد ابن حجة في كشف اللثام عن التورية والاستخدام جملة مما وقع فيه ذلك.

قال الذهبي: كان يخل بالصلاة ويرمي بعظائم، وكانت الحماسة من بعض محفوظاته حملني الشره على السماع من مثله وقال ابن رافع سمع منه الحافظ المزي وغيره وكان قد سمع الكثير وقرأ بنفسه وحصل الأصول ومهر في الأدب وكتب الخط المنسوب وكان يكتب للوزير ابن وداعة ويلازمه وإنما قيل له الوادعي نسبة إليه وكان يباشر مشيخة دار الحديث النفيسة إلى أن مات في شهر رجب سنة ٧١٦ ست عشرة وسبعمائة.

٣٣٨ ـ عَليّ بن هَادي عرّهبْ: الصّنعاني المولد والدار والمنشأ، أحد علماء العصر المشاهير ولد سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة، وألف، وقرأ على جماعة من العلماء كالقاضي العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وعلى والده وعلى السيّد العلاَّمة شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق وعلى جماعة آخرين وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول، والحديث، والتفسير، وأخذ عنه أهل العلم، وقرأت عليه في أوائل أيام الطلب في شرح التلخيص الصغير للتفتازاني، وفي حواشيه فاستمرت القراءة إلى بعض المقدمة ثم انقطعت لكثرة عروض الأعذار من جهته، فأتممته على شيخنا العلاَّمة القاسم بن يحيى الخولاني رحمه الله.

ولصاحب الترجمة في قوة الفهم وسرعة الإدراك وتحقيق المباحث الدقيقة ما لا يوجد لغيره ولكنه كثير العوارض الموجبة لانقطاع التدريس، ولولا ذلك لعكف الطلبة عليه وفاق معاصريه وصار متفردًا برئاسة التدريس، ولكن العلم تكثر موانعه وهو غير مقلد بل يجتهد رأيه في جميع ما يحتاج إليه من مسائل العبادة وغيرها وما أحقه بذلك

فإن العلوم الاجتهادية حاصلة لديه وزيادة عليها وهو الآن حي وأكثر سكونه بالروضة.

وفي سنة ثلاث عشرة ومائتي وألف استمديت له رأيًا شريفًا من حضرة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله في توليته للقضاء بالروضة وهو أكبر من مثل هذا وأجل فإن كثيرًا من أكابر قضاة العصر المتولين للقضاء في الحضرة الإمامية وغيرها ليس علمهم بالنسبة إلى علم هذا شيئًا، ولم يبقَ لأحد من قضاة الروضة معه كلام. ثم في شهر رمضان سنة ١٢١٤ وصلت مكاتبة من أمير كوكبان السيّد الأجل شرف الدين بن أحمد بن مُحمد يتضمن أن كوكبان وجهاته يحتاج إلى عالم من أكابر علماء صنعاء للاحياء بالتدريس وللقيام بعهد القضاء هنالك، فأرسلت بصاحب الترجمة، وهو إلى الآن هنالك.

٣٣٩ ـ علي بن يحيى بن علي بن راجح بن سعيد الكينعي: الصّنعاني المولد والمنشأ والدار ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف، وقرأ على السيّد العلاَّمة الحسن بن زيد الشامي، وعلى شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، وحضر على جماعة من علماء صنعاء وحفظ المسائل المهمة المتعلقة بأمر الدين ومال إلى العمل والزهد وله يد طولى في علم التاريخ وحفظ غرائب الأخبار، وطرائف الأشعار وحسن المحاضرة، وجميل المذاكرة مع شهامة نفس وعلو همة وخبرة تامة بأبناء عصره لا يخفى عليه منهم خافية مع انجماعه، وميله إلى الخمول، وهو من الأجواد الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخير فإنه مع قلة ذات يده يجود بموجوده ويؤثر على نفسه وقد رأيت من مكارمه ما لا يقدر عليه غيره وهو في هذا الشأن من محاسن الزمان، ولو اتسع نطاق ما له لطار له من الذكر واشتهر له من الصيت ما يزاحم به البرامكة فضلاً عمن هو دونهم ولكنه يؤثر الخمول، ويميل إلى القنوع من الدنيا بالبلغة ونعمت الخصلة وما أحقه بما قلته من أبيات:

تـراهُ وهـو ذو طمـريـن يمشـي ... بهمتـهِ علـى هـامِ السّمـاكِ

وهو حال تحرير هذه الأحرف حي ومنزله نزهة أرباب الألباب وحديثه روح أرواح بني الآداب.

٣٤٠ ـ عليّ بن يَحْيىٰ بن أحمد بن مضمون البرطي: ثم الصّنعاني العالم الكبير المشهور بالتحقيق في أنواع من العلوم. ولد سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف، وكان له بالعلم شغف شديد حتى قيل إنه كان يقطع الليل جميعًا في المطالعة بمسجد البستان من صنعاء وإذا غلبه النوم اغتسل بالماء، ومِمن مشائخه القاضي العلاَّمة أحمد بن علي بن أبي الرجال والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي، والإمام المتوكل على الله إسماعيل وغيرهم

وأخذ عنه جماعة منهم السيّد العلاّمة زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم، والقاضي العلاّمة الحسين بن محمد المغربي، وأخوه العلاّمة الحسن بن محمّد والسيّد العلاّمة عبد الله بن علي الوزير ولازمه ملازمة طويلة نحو اثنتي عشرة سنة وغيرهم، وكان يكثر منه التخلف عن الدرس ويتضجر لذلك الطلبة وسبب ذلك شدة عنايته بمطالعة ما يدرس فيه الطلبة، وكان له بتصحيح النسخ عناية عظيمة، بحيث لا يلحق في ذلك ورأيت فتاويه مجموعة في مجلد وجمع تلميذه السيّد عبد الله بن علي الوزير ترجمته في مصنف سماه (نشر العبير) ومات في سنة ١١١٩ تسع عشرة ومائة وألف في ثاني وعشرين من شهر صفر منها وقيل سنة ١١١٥ خمس عشرة ومائة وألف.

٣٤١ ـ **السيّد علي بن يحيىٰ أبو طالب**: ولد سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف أو في التي قبلها أو في التي بعدها، وقرأ على جماعة من المشائخ المتقدمين كالقاضي العلاّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والسيد العلاّمة إسماعيل المفتي وغيرهما ممن هم مشائخ مشائخنا، واستفاد في العلوم الآلية والحديثية وسائر الفنون ودرس للطلبة في كتب الآلة وغيرها، وقرأ عليّ أخيرًا في التفسير للزمخشري، وفي تفسيريّ، وفي الصحيحين وسنن أبي داود هو الآن من محاسن الزمن ومن بقية شيوخ العترة المطهرة منح الله له في مدته.

٣٤٢ ـ **عليّ بن يعقوب بن جبريل البكري نور الدين المصري الشافعي**(١): ولد سنة ٦٧٣ ثلاث وسبعين وستمائة واشتغل بالفقه والأصول وقرأ بنفسه على ست الوزراء، وجرت له محنة بسبب القبط، وهي أنه لما كان في النصف من محرم سنة ٧١٤ بلغه أن النصارىٰ قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر شيئًا وعلقوه بكنيسة فأخذ معه طائفة كثيرة من الناس، وهاجم الكنيسة، ونكل النصارى، وبلغ منهم مبلغًا عظيمًا وعاد إلى الجامع وأهان من فعل ذلك وكثر من الوقيعة في خطيبه فبلغ السلطان، فأمر بإحضار القضاة وفيهم ابن الوكيل وأحضر صاحب الترجمة فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث واتفق أنه أغلظ في عبارة السلطان. ثم قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير فاشتد غضب السلطان وقال له: أنا جائر قال: نعم أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقوّيت أمرهم، فلم يتمالك السلطان أن أخذ السيف وهمّ بالقيام ليضربه، فبادر بعض الأمراء، وأمسك يده فالتفت إلى قاضي المالكية وقال: يا قاضي تجرأ عليّ هذا ما الذي يجب عليه فقال القاضي لم يقل شيئًا يوجب عقوبة فصاح السلطان بصاحب الترجمة وقال أخرج عني فقام وخرج فقال ابن جماعة: قد تجرأ وما بقي إلا أن يزاحم السلطان

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٦٤.

فانزعج السلطان. وقال: اقطعوا لسانه فبادر الأمراء ليفعلوا به ذلك وأحضروا صاحب الترجمة فارتعد، وصاح واستغاث بالأمراء، فرقوا له وألحوا على السلطان في الشفاعة ودخل ابن الوكيل وهو ينتحب ويبكي فظن السلطان أنه أصابه شيء فقال له: خير خير؟ فقال: هذا رجل عالم صالح لكنه ناشف الدماغ. قال: صدقت وسكن غضبه.

فانظر ما فعله ابن جماعة بكلمته الحمقاء وما فعله صدر الدين بن الوكيل رحمه الله من التوصل إلى سلامة هذا المسكين، وهكذا ينبغي لمن كان له قبول عند السلطان أن يتحيل عليهم في منافع المسلمين وحقن دمائهم بما أمكنه، فإن صاحب الترجمة لم يكن ناشف الدماغ ولكنه كان في هذه الوسيلة سلامته من تلك البلية ومات في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤ أربع وعشرين وسبعمائة.

٣٤٣ ـ **علي بن يُوسف بن شمس الدِّين الفناري الرومي**[١]: ارتحل من الروم إلى بلاد العجم فقرأ على مشايخ هراة وسمرقند وبخارىٰ وبرع في جميع العلوم ودرس هنالك ثم عاد إلى الروم في سلطنة محمد خان فأمره السلطان أن يدرس بمدرسة بروسة وعين له كل يوم خمسين درهمًا ثم نقل إلى مدرسة أخرى وعين له ستين درهمًا، ثم جعلهُ قاضيًا بمدينة بروسة ثم جعله قاضيًا بالعسكر، ومكث فيه عشر سنين، وارتفعت بسبب ولايته منزلة العلماء والقضاة، ثم عزله السلطان مُحمد خان وعين له كل يوم خمسين درهمًا ولأولاده تسعين درهمًا في كل يوم وعين له في كل سنة عشرة آلاف درهمًا فلما مات السلطان مُحمد، وقام ولده بايزيد مقامه أعاده على قضاء العسكر ومكث فيه مقدار ثمان سنين.

ثم عزل عنه ثم عين له كل يوم سبعين درهمًا وعشرة آلاف درهم في كل سنة وصار مشتغلاً بالعلم في جميع أوقاته لشدة شغفه بالعلم لا ينام على فراش، وإذا غلب عليه النوم استند إلى الجدار والكتب بين يديه، فإذا استيقظ نظر فيها وله شرح على الكافية نفيس، وكان فيه كرم مفرط وربما ضاقت يده في بعض الأحوال فلا يجد ما يُريد، فقيل له: إنك قد توليت قضاء العسكر وهو منصب عظيم، فكيف لم تحفظ ما يحصل لك إذ ذاك قال: كنتُ رجلاً سكران فلم أحفظ شيئًا، فقيل له: إذا عاد إليك المنصب فعليك بحفظ المال فقال: إذا عاد المنصب عاد السكر معه، وكان يغلب عليه الصمت إلا إذا سأله أحد عن خدمته للسلاطين سرد من ذلك حكايات عجيبة.

ومن ذلك أنه سأله بعض الناس عن أعظم لذة وجدها في أيام اتصاله بالسلطان

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ١٨/٨ ـ ١٩.

فقال: سافر السلطان محمد خان في أيام الشتاء وكان ينزل ويبسط له بساطًا صغيرًا يجلس عليه إلى أن تضرب الخيمة وإذا أراد الجلوس على البساط يخرج واحد من غلمانه الخف عن رجليه، وعند ذلك يستند إلى شخص معين وكانت تلك عادته، فاتفق في بعض الأيام أنه لم يحضر ذلك الرجل فاستند إليّ وهذا أعظم لذة وجدتها في صحبة السلاطين، وحكى عنه بعض تلامذته أنه قرأ عليه في المطول، فكانوا يقرأون عليه كل يوم مقدار سطر أو سطرين من ضحوة النهار إلى وقت العصر، ولما مضت على ذلك ستة أشهر قال: إنَّ الذي قرأتموهُ عليّ إلى الآن يُقال له: قراءة كتاب وبعد هذا اقرأوا قراءة الفن فقرأنا بعد ذلك كل يوم ورقتين وأتممنا بقية الكتاب في ستة أشهر. واستمر يفيد الطلبة حتى مات في سنة ٩٠٣ ثلاث وتسعمائة.

٣٤٤ ـ عُمَر بن إسحاق بن أحمد الغَزْنَوي العلاَّمة الحَنَفي سِرَاج الدين الهندي صاحب التَّصانيف(١): قدم القاهرة قبل الأربعين وسبعمائة وسمع من بعض أصحاب النجيب. وكان علاّمة في الأصول والمنطق، والفروع تخرج في ذلك بالشمس الأصبهاني، وابن التركماني، ومن مصنفاته شرح المغني وأصول الفقه وشرح البديع لابن الساعاتي وشرح الهداية وهو مطول لم يكمل وكان دمث الأخلاق طلق العبارة ولي قضاء العسكر ثم وليَ القضاء استقلالاً في شعبان سنة ٧٦٩ ومات رابع شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة.

٣٤٥ ـ عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق السراج البلقيني(٢): ثم القاهري الشافعي ولد في ليلة الجمعة(٣) سنة أربع وعشرين وسبعمائة ببلقينة فحفظ بها القرآن وهو ابن سبع والشاطبية والمحرر والكافية والشافية والمختصر الأصلي ثم أقدمه أبوه القاهرة وهو ابن اثنتي عشرة سنة فعرض محافيظه على جماعة كالتقي السبكي، والجلال القزويني، وفاق بذكائه وكثرة محفوظاته وسرعة فهمه، ثم رجع به أبوه، ثم عاد معه وقد ناهز الاحتلام، فاستوطن القاهرة، وقرأ على أعيان العلماء في الفنون كالشيخين المتقدمين والعز بن جماعة وابن عدلان، وسمع من خلق وأجاز له الأكابر.

ومما يحكىٰ من حفظه أنه أول ما دخل الكاملية طلب من ناظرها بيتًا، فامتنع، واتفق مجيء شاعر الناصر بقصيدة وأنشده إياها بحضرة صاحب الترجمة فقال للناظر قد

---

(١) انظر وفيات ابن رافع الترجمة ٩٣٤.

(٢) ترجمته في النجوم الزاهرة ١٣/٢٩.

(٣) في الشذرات ٧/٥١: ولد ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ٧٢٤ هـ.

حفظتها فقال له الناظر إن كان كذلك أعطيتك بيتًا فأملاها له من حفظه جميعها فأعطاه البيت، وما زال يطلب العلم على علماء القاهرة حتى برع في جميع العلم، وفاق الأقران، وتفرد بكثير من المعارف قال له ابن كثير أذكرتنا ابن تيمية وكذلك قال له ابن شيخ الجبل ما رأيت بعد ابن تيمية أحفظ منك، ودخل حلب في سنة ٧٩٣ صحبة الظاهر برقوق، وأخذ بها عن جماعة وعين لقضاء مصر غير مرة، ولم يتم مع كونه في ذلك يترفع عنه ويجلس فوق كبار القضاة بل ولى ابنه في حياته وشاع ذكره في الممالك وعظمته الأكابر فمن دونهم وأثنى عليه أكابر شيوخه قال ابن حجي كان أحفظ الناس لمذهب الشافعي واشتهر بذلك وشيوخه موجودون قدم علينا دِمَشْق قاضيًا، وهو كهل فبهر الناس بحفظه وحسن عبارته وجودة معرفته، وخضع له الشيوخ في ذلك الوقت، واعترفوا بفضله ثم بعد ذلك تصدر للفتيا والتدريس فكثرت طلبته، وصاروا شيوخًا في حياته، وله تصانيف كثيرة لم تتم لأنه يبتدىء كتابًا فيصنّف منه قطعة ثم يتركه.

قال البرهان الحلبي: رأيته رجلاً فريد دهره لم ترَ عيناي أحفظ منه للفقه وأحاديث الأحكام وقد حضرت درسه مرارًا وهو يقرىء في مختصر مسلم للقرطبي، يقرأه عليه شخص مالكي ويحضر عنده فقهاء المذاهب الأربعة فيتكلم على الحديث الواحد من بكرة إلى قريب الظهر، وربما أذن الظهر، ولم يفرغ من الحديث. انتهى. وهذا تبحّر عظيم وتوسع باهر فإن استغراق هذا الوقت الطويل في الكلام على حديث واحد يتحصل منه كراريس، وقد كان وقع الاتفاق على أنه أحفظ أهل عصره وأوسعهم معارفًا وأكثرهم علومًا ومع هذا فكان يتعانىٰ نظم الشعر فيأتي بما يستحى منه بل قد لا يقيم وزنه والكمال للّه. قال ابن حجر وكانت آلات الاجتهاد فيه كاملة.

قال: ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل لأنه كان يشرع في الشيء فلسعة علمه يطول عليه الأمر حتى إنه كتب من شرح البخاري على نحو عشرين حديثًا مجلدين وعلى الروضة عدة مجلدات تعقبات وعلى البدر للزركشي مجلدًا ضخمًا.

قال البدر البشبكي أنّ الشيطان وجد طرقه عن البلقيني مسدودة فحسن له نظم الشعر، وله مصنفات كثيرة قد سردها ولده الجلال في ترجمته ولم يزل متفردًا في جميع الأنواع العلمية حفظًا وسردًا لها كما هي حتى توفاه الله تعالىٰ في يوم الجمعة حادي عشرين[1] القعدة سنة ٨٠٥ خمس وثمان مائة.

---

(١) في شذرات الذهب ٥٢/٧: توفي نهار الجمعة حادي عشر ذي القعدة، وصلى عليه ولده جلال الدين عبد الرحمٰن ودفن بمدرسته التي أنشأها.

٣٤٦ ـ عُمَر بن علي بن أحمد بن محمّد بن عبد الله السراج[١]: الأنصاري الأندلسي التكروري الأصل المصري الشافعي المعروف بابن الملقن. ولد[٢] في ربيع الأول سنة ٧٢٣ ثلاث وعشرين وسبعمائة بالقاهرة وكان أصل أبيه من الأندلس فتحول منها إلى التكرور ثم قدم القاهرة ثم مات بعد أن ولد له صاحب الترجمة بسنة فأوصىٰ به إلى الشيخ عيسى المغربي، وكان يلقن القرآن، فنسب إليه، وكان يغضب من ذلك لم يكتبه بخطه إنما كان يكتب ابن النحوي بها اشتهر في بعض البلاد كاليمن ونشأ في كفالة زوج أمه ووصيه وتفقه بالتقي السبكي والعز بن جماعة وغيرهما وأخذ في العربية عن أبي حيان والجمال ابن هشام وغيرهما وفي القراآت عن البرهان الرشيدي. قال البرهان الحلبي أنه اشتغل في كل فن حتى قرأ في كل مذهب كتابًا وسمع على الحفاظ كابن سيد الناس والقطب الحلبي وغيرهما وأجاز له جماعة كالمزي، ورحل إلى الشام، وبيت المقدس، وله مصنفات كثيرة. منها تخريج أحاديث الرافعي سبع مجلدات ومختصر الخلاصة في مجلد ومختصره للمنتقى في جزء وتخريج أحاديث الوسيط للغزالي المسمىٰ بتذكرة الأخبار بما في الوسيط من الأخبار في مجلد وتخريج أحاديث المهذب المسمى بالمحرر المذهب في تخريج أحاديث المذهب في مجلدين، وتخريج أحاديث المنهاج الأصلي في جزء وتخريج أحاديث مختصر المنتهى لابن الحاجب في جزء وشرح العمدة المسمى بالأعلام في ثلاث مجلدات، وأسماء رجالها في مجلد وقطعة من شرح المنتقى في الأحكام للمجد ابن تيمية ولكنه قال صاحب الترجمة في تخريج أحاديث الرافعي: أنه إنما كتب شيئًا من ذلك على هوامش نسخته كالتخريج لأحاديث المنتقى، ثم رغب من يأتي بعده في شرح هذا الكتاب حسبما نقلته من كلامه في أوائل شرحي للمنتقىٰ. ومن مصنفاته (طبقات الفقهاء الشافعية) و (طبقات المحدثين) وفي الفقه (شرح المنهاج) ست مجلدات، وآخر صغير في مجلدين ولغاته في مجلد والتحفة في الحديث على أبوابه كذلك، والبلغة على أبوابه في جزء لطيف، والاعتراضات عليه في مجلد وشرح التنبيه في أربع مجلدات وآخر لطيف سماه (هادي النبيه إلى تدريس التنبيه) والخلاصة على أبوابه في الحديث في مجلد، و (أمنية النبيه فيما يرد على النووي في التصحيح والتنبيه) في مجلد ولخصه في جزء وشرح الحاوي الصغير في مجلدين ضخمين وآخر في مجلد وشرح التبريزي في مجلد، وشرع في كتاب جمع فيه بين كتب الفقه المعتمدة في عصره للشافعية ونبه على ما أهملوه وسماه (جمع الجوامع) وله في علم الحديث (المقنع) في مجلد.

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٤٤.

(٢) في الشذرات ٧/ ٤٤: ولد يوم ٢٤ ربيع الأول سنة ٧٢٣ بالقاهرة.

قال ابن حجر إن صاحب الترجمة شرح المنهاج عدة شروح أكبرها في ثمانية مجلدات وأصغرها في مجلد والتنبيه كذلك والبخاري في عشرين مجلدًا وشرح زوائد مسلم على البخاري في أربعة أجزاء وزوائد أبي داود على الصحيحين في مجلدين وزوائد الترمذي على الثلاثة كتب منه قطعة وزوائد النسائي على الأربعة كتب منه جزءًا وزوائد ابن ماجه على الخمسة في ثلاث مجلدات وإكمال تهذيب الكمال قال ابن حجر: إنه لم يقف عليه. وقال السخاوي: إنه وقف منه على مجلد وله مصنفات غير هذه كشرح ألفية ابن مالك وشرح المنهاج الأصلي وشرح مختصر المنتهى لابن الحاجب، وقد رزق الإكثار من التصنيف وانتفع الناس بغالب ذلك ولكنه قال الحافظ ابن حجر إنه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه قال ولم يكن في الحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن وقال إنّ الذين قرأوا عليه قالوا: إنه لم يكن ماهرًا في الفتوى، ولا التدريس، وإنما كانت تقرأ عليه في مصنفاته في الغالب فيقرر ما فيها. وقال ابن حجر: كان لا يستحضر شيئًا ولا يحقق علمًا وغالب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس، وفي هذا الكلام من التحامل ما لا يخفى على منصف فكتبه شاهدة بخلاف ذلك منادية بأنه من الأئمة في جميع العلوم، وقد اشتهر صيته وطار ذكره وسارت مؤلفاته في الدنيا.

وحكى السخاوي: أنه طلب الاستقلال بالقضاء وخدعه بعض الناس، حتى كتب بخطه بمال على ذلك فغضب برقوق عليه لمزيد اختصاصه به وكونه لم يعلمه بذلك، ولو أعلمه لكان يأخذه له بلا بذل وأراد الإيقاع به فسلمه الله من ذلك، ثم استقر في التدريس بأماكن وقد ترجمه جماعة من أقرانه الذين ماتوا قبله كالعثماني قاضي صفد فإنه قال في طبقات الفقهاء: إنه أحد مشائخ الإسلام صاحب التصانيف التي ما فتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات وقال البرهان الحلبي كان فريد وقته في كثرة التصنيف، وعبارته فيها جلية جيدة وغرايبه كثيرة وقال ابن حجر في أنبائه أنه كان موسعًا عليه في الدنيا مشهورًا بكثرة التصانيف حتى كان يقال: إنها بلغت ثلثمائة مجلدة ما بين كبير وصغير وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر، منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس، ثم إنها احترقت مع أكثر مسوداته في آخر عمره ففقد أكثرها وتغيَّر حاله بعدها فحجبه ولده إلى أن مات.

قال راويًا عن بعض من حكى له: أنه دخل على صاحب الترجمة يومًا وهو يكتب فدفع إليه الكتاب الذي يكتب منه وقال له أملي عليّ قال: فأمليت عليه وهو يكتب إلى أن فرغ فقلت له: يا سيدي أتنسخ هذا الكتاب فقال بل أختصره قال ابن حجر: إن العراقي والبلقيني وصاحب الترجمة كانوا أعجوبة ذلك العصر الأول في معرفة الحديث وفنونه.

والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي. والثالث في كثرة التصانيف وكل واحد من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة فأولهم ابن الملقن ثم البلقيني ثم العراقي ومات في ليلة الجمعة سادس عشر[(١)] ربيع الأول سنة ٨٠٤ أربع وثمان مائة.

٣٤٧ ـ عُمَر بن محمّد بن عُمَر[(٢)]: ابن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي الحنفي الحلبي نجم الدين بن جمال الدين بن صاحب كمال الدين العديم. ولد سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة. سمع الحديث، وتفقه، ووليَ عدة تداريس، ثم ولي القضاء وكان حافظًا للسانه لم يسمع منه سب أحد وله نظم جيد فمنه:

كأنَّ وجهَ النهرِ إذ حفَّتْ به أشجارهُ فصافحتهُ الأغصنُ
مرآةُ غيدٍ قد وقفنَ حولها ينظرن فيها أيّهن أحسنُ

وهذا غاية في بابه وقد كنت نظمت قبل الوقوف عليه بأعوام بيتين في المعنى هما:

كأنما الأغصانُ إذ أحدقتْ بالنهرِ من بَعدِ بُكاء الغمامِ
غيدٌ على مرآة حسنٍ تنا فسنَّ فأذرين دموع الخصامِ

فلما وقفت على بيتي صاحب الترجمة هممت بأن أضرب على هذين لكني رأيتهما قد اشتملا على ما لم يشتمل عليه بيتا المترجم له، وذلك زيادة بكاء الغمام في المشبه ومقابلتهما ببكاء الغواني في المشبه به مع ذكر التنافس والخصام، ورأيت بعد نظم البيتين أن ما يقرب من معناهما في طيب السمر للحيمي ولا أحفظه حال تحرير هذه الأحرف ولا أحفظ قائله ولكنه لا يشتمل على ما اشتمل عليه البيتان المذكوران ومات صاحب الترجمة في صفر سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة ورثاه ابن الوردي بقوله:

قد كانَ نجمُ الدينِ شمساً أشرقت بحماة للداني بها والقاصي
عدمتَ ضياءَ ابن العديمِ فأنشدتُ ماتَ المطيعُ فيا هلاكَ العاصي

وما أحسن من التورية في قوله في هلاك العاصي لأن بحماة نهرًا يقال له العاصي.

٣٤٨ ـ عُمَر بن محمّد بن محمّد بن أبي الخير محمّد بن محمّد بن عبد الله بن فهد[(٣)]: النجم القرشي الهاشمي المكي الشافعي المعروف كسلفه بابن فهد. ولد ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمان مائة ونشأ بها فحفظ القرآن

---

(١) في شذرات الذهب ٧/ ٤٥: مات في سادس شهر ربيع الأول بالقاهرة سنة ٨٠٤ هـ.
(٢) انظر هدية العارفين ٥/ ٧٨٤.
(٣) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٦٤.

وكتابًا في الحديث ألفه له والده، وشرع في قراءة فقه الإمام أحمد فحوله أبوه شافعيًا وحفظ النصف الأول من المنهاج وبعض الألفية لابن مالك وبعض ألفية العراقي، وسمع في صغره بمكة على مشائخها والقادمين إليها كالمراغي، والجمال بن ظهيرة والولي العراقي، وابن الجزري والنجم بن حجي والكازروني، وأجاز له جماعة من جهات شتى وأقبل على الطلب بنفسه وتخرج بوالده ورحل إلى القاهرة فسمع من أهلها ولازم الحافظ ابن حجر ودخل الشام فسمع على علمائها ولازم الحافظ ابن ناصر وسافر إلى القدس والخليل وسمع ممن هنالك وطاف البلدان وطول الرحلة وتردد في جميع مداين مصر والشام وغيرهما وكتب الكثير بخطه وسمع العالي والنازل، ومهر في الحديث، وصنّف فيه مصنفات، وخرّج لنفسه معجمًا وعمل مسلسلاً وذيل على تاريخ مكة للتقي الفاسي، وله كتاب المدلسين ثم المخضرمين، ثم المغير اسمهم، ثم المواخا بينهم، ثم اللباب في الألقاب، ثم بذل الجهد في من سمي بفهد وابن فهد. والمشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة. وله في كل بيت من بيوت مكة المشهورة بالعلم مصنف وله غير ذلك من المصنّفات ومات يوم الجمعة سابع شهر رمضان سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمان مائة.

٣٤٩ ـ عُمَر بن مجد السّراج أبو حفص اليماني الزبيدي الشافعي[١]: ويُعرَفُ بالفتىٰ من الفتوة وهو لقب أبيه. ولد سنة ٨٠١ واحدة وثمان مائة بزبيد، ونشأ بها، وقرأ على الفقيه محمد بن صالح والشرف بن المقري ولازمه أتم ملازمة دهرًا طويلاً، ثم انتقل إلى بلاد أصاب فمكث ببعض قراها وارتحل إليه الطلبة واشتغل بالتدريس والتصنيف وقصده الطلبة من الأماكن البعيدة كل ذلك في حياة شيخه، ولما استولى علي بن طاهر على اليمن أكرم صاحب الترجمة ورتب له من الوقف ما يكفيه ثم قلّده أمر الأوقاف وصرفها لمستحقها والإذن في النيابة لمن لا يحسن المباشرة وله تصانيف منها (مهمات المهمات) اختصر فيها مهمات الأسنوي و (الإبريز في تصحيح الوجيز) و (الإلهام لما في الروض من الأوهام) مصنّف شيخه ابن المقري، وأفرد زوائد الأنوار على الروضة وسماه (أنوار الأنوار)، وكذا فعل في جواهر القمولي، وشرح المنهاج لابن الملقن، وقد انتفع به في الفقه أهل اليمن طبقة بعد طبقة حتى صار غالبهم من تلامذته ومات في صفر سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمان مائة وارتجت النواحي لموته.

٣٥٠ ـ عُمَر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس زين الدين ابن الوردي الفقيه الشافعي الحلبي[٢]: نشأ بحلب وتفقَّه بها، ففاق الأقران وأخذ من شرف الدين ابن

---

(١) له ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ٧/ ٣٤٧.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٦١.

البارزي وغيره ونظم (البهجة الوردية) في خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتًا أتى على (الحاوي الصغير) بغالب ألفاظه. قال ابن حجر: وأقسم بالله ما نظم أحد بعده الفقه إلا وقصَّر دونه (وله ضوء الدرة) على ألفية ابن معطي وشرح الألفية لابن مالك، وله مقامات، ومنطق الطير نظم ونثر وله في الكلام على مائة غلام مائة مقطوع لطيفة والدراري السارية في مائة جارية مائة مقطوع كذلك، وضمن كثيرًا من الملحة للحريري في أرجوزة غزل واختصر الألفية لابن مالك في مائة وخمسين بيتًا، وشرحها وكان ينوب في الحكم بحلب وولي قضاء منبج ثم أعرض عن ذلك ومات[1] في الطاعون آخر سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة وديوان شعره في مجلد لطيف. وذكر الصفدي: في أعيان النصر أنه اختلس معاني شعره وأنشده من ذلك شيئًا كثيرًا، ولم يأتِ بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس قال الحافظ ابن حجر: بل المتبادر العكس، واستشهد الصفدي على صحة دعواه بقول صاحب الترجمة:

وأسرق ما أردت من المعاني ... فإنْ فقت القديم حمدت سيري
وإن ساويته نظماً فحسبي ... مساواة القديم وذا لخيري
وإن كان القديم أتـمّ معنىٰ ... فهذا مبلغي ومطار طيري
وإن الدرهم المضروب عندي ... أحبَّ إليّ من دينار غيري

ومن جملة ما أورده الصفدي لصاحب الترجمة:

سلِ الله ربَكَ من فضله ... إذا عرضت حاجةٌ مقلقة
ولا تقصد الترك في حاجةٍ ... فأعينهم أعينٌ ضيقة

قال الصفدي وهما مأخوذان من قولي:

أترك هوى الأتراك إن رمت أن ... لا تبتلي فيهم بهمّ وضير
ولا ترجّ الجودَ من وصلهم ... ما ضاقت الأعين فيهم لخير

ومن شعر صاحب الترجمة:

قيلَ لي تبذل الذهبَ ... بتولي قضا حلب
قلتُ همْ يحرقونني ... وأنا أشتري الحطب

ومنه أخذ ابن عشاير:

قيل برطل على القضا ... ترغم الحسد العدىٰ

---

(١) في شذرات الذهب ٦/ ١٦١: مات في سابع ذي الحجة بحلب سنة ٧٤٩ هـ.

قلت هم يذبحونني وأنا أشحذ المدىٰ

ومن شعر صاحب الترجمة:

إني تركتُ عقودهم وفسوخهم وفروضهم والحكم بين اثنينِ
ولزمت بيتي قانعاً ومطالعاً كتب العلوم وذاك زين الدينِ

٣٥١ ـ عيسى بن عثمان بن عِيْسى الغزّي شرف الدين الشّافعي[1]: ولد قبل الأربعين[2] وسبعمائة، وقدم دمشق فأخذ عن علمائها ولازم تاج الدين السبكي ودرس بالجامع الأموي وأفتى وصنف.

فمن مصنفاته شرح المنهاج الشرح الكبير، والمتوسط، والصغير، واختصر الروضة مع زيادات، واختصر مهمات الأسنوي، وله كتاب في آداب القضاء ولخص زيادات الكفاية على الرافعي في مجلدين مات في شهر رمضان سنة ٧٩٩ تسع وتسعين وسبعمائة.

٣٥٢ ـ السيّد عيسىٰ بن لطف الله بن المطّهر ابن الإمام شرف الدين اليماني الكوكباني: الشّاعر المنجّم المؤرِّخ له تاريخ سمّاه (روح الروح) صنَّفه للأروام واختص بالوزير محمد باشا فصنف هذا التاريخ بعنايته، وذكر فيه ما كان بعد المائة التاسعة من الفتوح وصنَّف له (النفحة اليمنية في الدولة المحمدية) ومن نظمه:

لا تلمني في حبِّ أهيفَ كالغصـ ـنِ يغيِّرُ الشموسَ في الإشراقِ
لدغتني في حبهِ حبةُ الوجـ ـه فما غيرَ وصله من راقِ

وكان يهوىٰ غلامًا جميلاً فقتله الأتراك في بعض الحروب. فقال: في ذلك قصيدة منها:

قد كنتُ أهوىٰ بأن تأوي إلى نظري فالآن مَنْ لي بجعلِ القلب تابوتا
عذبتني بالجفا وقتَ الحياةِ وفي مماتكَ اليومَ قد أحرمتني القوتا
قتلتُ منك غداة الحالتين معاً حياً وميتاً فيا طول الجو هيتا
يا زهرةً قطفت من بعدما بسمت وزهرةٌ غربت مذ وافت الحوتا
لهفي على المقلةِ الكحلا التي قصرت عن سحرِ نفثتها أسحارَ هاروتا

وله قصيدة كتبها إلى الإمام القاسم بن محمد يتنصل فيها عما ينسب إليه من تفضيله

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) في شذرات الذهب ٦/ ٣٦ ـ ولد سنة ٧٥٩ هـ.

للدولة التركية على الدولة القاسمية ومطلعها:

مـا شـاقنـي سجـعَ الحمـامـة   سحـــراً ولا بـــرق الغمـــامـــة

وكان موته في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف وكان يفد إليه ويكرمه.

٣٥٣ ـ السيّد عيسى بن محمد بن الحسين الكوكباني: قد تقدم تمام نسبه. ومولده على التقريب بعد سنة ١١٣٠ وله يد في علوم الاجتهاد قوية، وكان مكبًا طول عمره على المعارف العلمية وأفاده الطلبة حتى شاخ وعلت سنه فصار عند ذلك أميرًا لكوكبان وبلادها من غير سعي منه في ذلك، بل قصده أقاربه بالإمارة، وذلك أنه اتفق أن السيّد إبراهيم بن محمد أمير كوكبان وهو أخو صاحب الترجمة مات فصارت الإمارة بعده إلى ولده الأكبر العبَّاس بن إبراهيم فنافسه على ذلك أخوه يحيى بن إبراهيم، وما زال يترقب له الفرص حتى صادف منه غرة وهم في دار واحدة فدخل عليه هو وجماعة معه، وضربوه ضربًا مبرحًا، ثم كتفوه وأخرجوه من داره على رؤوس الأشهاد بعد أن قيَّدوه فخرج مقيدًا مكتوفًا والناس ينظرونه وسجنوه في دار هنالك معدة لمثل ذلك، ثم إن أخاه يحيى المذكور علم أن أهل كوكبان لا يفوضون الإمارة إليه وفيهم صاحب الترجمة لعلو سنه فقصده وعرض عليه الإمارة فقبلها وكانت الأمور في أيام إمارته منوطة بالسيّد شرف الدين بن أحمد الذي صار بعد صاحب الترجمة أميرًا ثم إن السادات وسائر الأعيان أجمع أمرهم على اعتقال السيد يحيى بن إبراهيم في اليوم الثاني من اعتقاله لأخيه فعقدوا مجلسًا وأرسلوا للمذكور فجاء وبين يديه الجند وعليه أبهة الإمارة فكتفوه وقيدوه وأخرجوه كما أخرجوا أخاه وأدخلوه الدار التي أدخل أخاه فيها وكان ذلك من أعظم العبر، وفي أثناء هذه الأمور قتل السيّد عبد الله بن إبراهيم وكان عند اعتقال أخيه يحيى لأخيه عباس بشبام، فلما بلغه ذلك جمع جماعة من أهل شبام، وطلع بهم إلى كوكبان قاصدًا لنصر أخيه عباس فلقيَ في الطريق عبّاس بن محمّد بن يحيى وهو ممن أعان السيّد يحيى بن إبراهيم على اعتقال أخيه بل لولاه ما تم ذلك، فلما رأى السيّد عبد الله المذكور السيّد عبّاس بن محمد في عقبة كوكبان، سلَّ سيفه وحمل عليه على دهش وطيش فوصل إليه وضربه بالسيف ضربة غير طائلة فأخذ السيد عباس ابن محمد الجنبية وطعنه بها طعنة كان بها موته، ولم ينفع السيّد عبد الله من معه من الجيش ثم إن السيّد عباس بن محمد سجن بقصر صنعاء نحو سبع سنين، وصحَّ عندي أنه مدافع فأطلقه مولانا الإمام حفظه الله وأما صاحب الترجمة، فاستمر على إمارته حتى مات يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف، ثم صارت الإمارة بعده إلى السيّد

شرف الدين المتقدم ذكره وهو من أكابر العلماء المتوسعين في عدة فنون، وولده العلاَّمة عبد الله قد سبقت ترجمته.

٣٥٤ ـ عيسىٰ بن مسعود بن مَنْصُور بن يحيى بن يونس الزواوي المالكي(١): ولد سنة ٦٦٤ أربع وستين وستمائة بزواوة، وتفقَّه على أبي يوسف الزواوي، ثم قدم الإسكندرية فتفقه بها، ثم رجع إلى قابس وولي القضاء بها ثم رجع إلى الاسكندرية، ثم دخل مصر فقرأ عليه الناس بالجامع الأزهر وسمع من جماعة منهم الدمياطي، وكان يذكر أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في ستة أشهر، وأنه حفظ الموطأ، ثم دخل أيضًا دمشق وناب عن حاكمها المالكي، ورجع إلى مصر وناب أيضًا عن حاكمها المالكي، ثم أعرض عن ذلك وأقبل على التصنيف فصنَّف شرحًا لمسلم في اثني عشر مجلدًا جمع فيه بين المعلم وإكماله وشرح النووي عليه وسمّاه (إكمال الإكمال) وزاد فيه فوائد ومسائل من كلام الباجي وابن عبد البر وأبدى فيه سؤالات مفيدة وأجاب عنها وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي فوصل إلى الصيد في سبعة أسفار، وشرح مختصر ابن يوسف في ستة أسفار، وله كتاب في المناسك ورد على ابن تيمية في مسألة الطلاق وشرع في جمع تاريخ كتب منه عشر أسفار ومات في مستهل رجب سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة.

---

(١) انظر وفيات ابن رافع الترجمة ٣٧٦.

حرف الغين المعجمة

٣٥٥ ـ غازان[١] **بن آرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولي بن جنكز خان:** السلطان معز الدين سلطان التتار كان جلوسه على تخت الملك سنة ٦٩٣ وحسن له نايبه نوروز الإسلام، فأسلم في سنة ٦٩٤ ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس، وفشا الإسلام في التتار، وكان ملك خراسان بأسرها والعراق وفارس والروم وأذربيجان، والجزيرة، وكان يتكلم بالفارسية، ويفهم أكثر اللسان العربي.

ولما ملك أخذ نفسه بطريق جده الأعلى جنكيزخان الطاغية الذي أهلك العباد والبلاد، وصرف همته إلى توفير العسكر وسد الثغور وعمارة البلاد، والكف عن سفك الدماء، ولما أسلم قيل له إنَّ دين الإسلام يحرم نكاح نساء الآباء، وقد كان استضاف نساء أبيه إلى نسائه وكان أحبهن إليه خاتون وهي أكبر نساء أبيه فهم أن يرتد عن الإسلام فقال له بعض خواصه: إن أباك كان كافرًا، ولم تكن خاتون معه في عقد صحيح إنما كان مسافحًا بها. فاعقد أنت عليها، فإنها تحل لك ففعل ولولا ذلك لارتد عن الإسلام واستحسن ذلك من الذي أفتاه به لهذه المصلحة بل هو حسن، ولو كان تحته ألف امرأة على سفاح فإن مثل هذا السلطان المتولي على أكثر بلاد الإسلام في إسلامه من المصلحة ما يسوغ ما هو أكبر من ذلك حيث يؤدي التحريج عليه والمشي معه على أمر الحق إلى ردته فرحم الله ذلك المفتي.

وكان والد صاحب الترجمة ومن قبله من الملوك يعدون أنفسهم نوابًا لملك السراي فلما استقرت قدم غازان في الملك تسمى بالخان وقطع ما كان يحمله إليهم أتاوة وأفرد

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٩.

نفسه بالذكر والخطبة وضرب السكة باسمه وطرد نائبهم من بلاد الروم وقال: أنا أخذت البلاد بسيفي لا بغيري، وكان إذا غضب خرج إلى الفضاء ويقول أن الغضب إذا خزنته زاد، فإن كان جائعًا أكل أو بعيد عهد بالجماع جامع ويقول: آفة العقل الغضب ولا يصلح للملك من يتعاطى ما يضر عقله. وأول ما وقع له القتال مع نوروز بن أرغون الذي كان حسن له الإسلام فإن نوروز خرج عليه فحاربه، ثم لجأ نوروز إلى قلعة خراسان. ثم إن غازان قتل الأكراد الذين قاموا مع نوروز، وكان جملة من قتل منهم في المعركة خمسين ألفًا، وأسر منهم أسرًا كثيرًا، حتى بيع الصبي الجميل المراهق ومن هو أكبر منه باثني عشر درهمًا. ثم إن غازان طرق البلاد الشامية في سنة ٦٩٩ وكانت ملحمة عظيمة ظفر فيها غازان ودخل دمشق وخطب له بها واستمرت له الخطبة أيامًا، وحصل في تلك الأيام لأهل الشام من القتل، وسبي الحريم والذرية، والتعذيب ما لا يوصف بسبب ما صودروا به من الأموال، وهلك خلائق من العذاب والجوع. ثم رجع ثم عاد مرة أخرى سنة ٧٠٠ فأوقع ببلاد حلب. ثم أرسل بعض أمرائه بالعساكر إلى مصر فوقعت على عسكره كسرة عظيمة، وقتل منهم من لا يحصى وكان ذلك في سنة ٧٠٣. ولما بلغ ذلك غازان حصل له غم شديد كان سبب موته، كما قال ابن حجر: فمات في شهر شوال سنة ٧٠٣ ثلاث وسبعمائة. قال الذهبي: كان شابًا عاقلاً شجاعًا مهيبًا مليحَ الشكلِ ماتَ ولم يتكهل واشتهر أنه سم في منديل يمسح به بعد الجماع فتعلل وهلك انتهى. وقد امتحن أهل الشام بهذا على رأس القرن السابع كما امتحنوا هم وغالب بلاد الإسلام بجده الأعلى على رأس القرن السادس وكما امتحنوا بتيمورلنك على رأس القرن الثامن وكلهم من التتار والحكم للّه القادر المختار.

٣٥٦ ـ السيّد غالب بن مساعد شريف مكة وأميرها: عند تحرير هذه الأحرف وليَ الإمارة بعد أبيه مساعد أخوه (سرور ابن مساعد) الذي طارَ صيته في الآفاق، وبلغ من المجد والسعي في أعمال الخير وتأمين السبل ما لم يبلغ إليه أحد من آبائه. ولقد كانت أحاديث الوافدين للحج إلى بيت الله الحرام تخبر عنه بأخبار تسر القلوب، وتشنّف الأسماع وتروِّح الطباع، وكان عظيم السّطوة شديد الصولة قامعًا للفساد، راعيًا لمصالح العباد، كثير الغزو لمردة الأعراب الذين يتحفظون الناس في الطرقات ثم مات في شهر رجب سنة ١٢٠٢ اثنتين ومايتين وألف. وقام مقامه أخوه عبد المعين ثم رغب عن الأمر لصاحب الترجمة بعد أيام يسيرة من ولايته. فقام به هذا أتم قيام، وهو الآن في سن الشباب حسبما نسمعه من الحجاج وله شغلةٌ عظيمةٌ بصاحب نجد عبد العزيز بن سعود المستولي الآن على البلاد النجدية وغيرها مما هو مجاور لها، وكثيرًا ما يجمع صاحب

الترجمة الجيوش ثم يغزو أرض نجد فيصل أطرافها. فيبلغنا أنه يقوم لحربه طائفةٌ يسيرةٌ من أطرافِ البلاد فيهزمونه ويعود إلى مكة. وآخر ما وقع منه ذلك سنة ١٢١٢ فإنه جمع جيشًا كثيرًا وغزا نجدًا وأوقع ببعض البلاد الراجعة إلى سلطان نجد المذكور فلم يشعر إلا وقد دهمه جيش لا طاقة له به أرسله صاحب نجد فهزمه، واستولى على غالب جيشه قتلاً وأسرًا بل جاءت الأخبار بأنه لم يسلم من جيش صاحب الترجمة إلا طائفة يسيرة، وقتل جماعة من أشراف مكة في المعركة، وتمت الهزيمة إلى مكة. ولو ترك ذلك واشتغل بغيره لكان أولىٰ له، فإن من حارب من لا يقوىٰ لحربه جرَّ إليه البلوىٰ، فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة.

فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف، وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئًا ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا. ثم صاروا الآن يصلّون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أنَّ مَنْ لمْ يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام. ولقد أخبرني أمير حجاج اليمن السيّد محمد بن حسين المراجل الكبسي أن جماعة منهم خاطبوه هو ومن معه من حجاج اليمن بأنهم كفار وأنهم غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد لينظر في إسلامهم فما تخلصوا منه إلا بجهد جهيد. وقد صارت جيوش صاحب نجد في بلاد يام، وفي بلاد السراة المجاورين لبلاد أبي عريش ومن تبعه من هذه الأجناس، اغتبط بمتابعته وقاتل من يجاوره من الخارجين عن طاعته، فبهذا السبب صار معظم تلك البلاد راجعًا إليه وتبلغنا عنه أخبار الله أعلم بصحتها.

من ذلك أنه يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي أو ولي وغير ذلك، ولا ريب أنَّ ذلك إذا كان عن اعتقاد تأثير المستغاث كتأثير الله كفر، يصير به صاحبه مرتدًا كما يقع في كثير من هؤلاء المعتقدين للأموات الذين يسألونهم قضاء حوائجهم ويعولون عليه زيادة على تعويلهم على الله سبحانه، ولا ينادون الله جل وعلا إلا مقترنًا بأسمائهم ويخصونهم بالنداء منفردين عن الربِّ فهذا أمرُ الكفر الذي لا شك فيه ولا شبهة، وصاحبه إذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين ومن جملة ما يبلغنا عن صاحب نجد، أنه يستحل سفك دم مَنْ لم يحضر الصلاة في جماعة، وهذا إن صح غير

مناسب لقانون الشرع نعم من ترك صلاة فلم يفعلها منفردًا، ولا في جماعة فقد دلت أدلة صحيحة على كفره وعورضت بأخرى، فلا حرج على من ذهب إلى القول بالكفر إنما الشأن في استحلال دم من ترك الجماعة! ولم يتركها منفردًا. وتبلغ أمور غير هذه الله أعلم بصحتها. وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحًا.

فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبليًا ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد إلى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيّم وأضرابهما. وهما من أشد الناس على معتقدي الأموات، وقد رأيت كتابًا من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به على بعض أهل العلم، وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنّة فالله أعلم بحقيقة الحال.

وأما أهل مكة فصاروا يكفّرونه ويطلقون عليه اسم الكافر. وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين. وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور. وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة، والمجلد الآخر يتضمن الرّدّ على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنّة.

وقد هدِم عليهم جميع ما بنوه، وأبطل جميع ما دونوه لأنهم مقصرون متعصبون فصارَ ما فعلوه خزيًا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه، وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه إلى سيدي المولىٰ الإمام فدفع حفظه الله جميع ذلك إليّ فأجبت عن كتابه الذي كتب إلى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه أن الجماعة الذين أرسلوا إليه بالمذاكرة لا ندري من هم وكلامهم يدل على أنهم جهال والأصل والجواب موجودان في مجموعي. وفي سنة ١٢١٧ دخلت بلاد أبي عريش وأشرافها في طاعة صاحب نجد، ثم تزلزلت الديار اليمنية بذلك واستولىٰ أصحابه على بعض ديار تهامة، وجرت أمور يطول شرحها وهي الآن في سريان، وقد أفردت ما بلغنا من ذلك في مصنف مستقل لأن هذه الحادثة قد عمت وطمت وارتجفت لها أقطار الديار الشامية، والمصرية والعراقية والرومية، بل وسائر الديار، لا سيما بعد

دخول أصحاب النجدي مكة المشرفة وطرد أشرافها عنها ولله أمر هو بالغه. ثم في سنة ١٢٢٢ وصل إلينا جماعة من صاحب نجد سعود بن عبد العزيز لبعضهم معرفة في العلم، ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمام المنصور بالله رحمه الله تعالى وإليّ أيضًا، ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة ١٢٢٧ ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة ١٢٢٨ ودار مع هؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة ما لا يتسع المقام لبسطه، ثم بعد هذا في سنة ١٢٢٩ خرج باشة مصر الباشا محمد علي بجنود السلطان ووصل إلى مكة وأسر الشريف غالب وجهزه إلى الروم ثم بلغ موته هنالك.

وهذا عارض من القول فلنرجع إلى ترجمة الشريف غالب فنقول:

ومما ينبغي ذكره ههنا أنه وصل من الشريف المذكور في عام تحرير هذه الأحرف وهو سنة ١٢١٣ في شهر رجب منها، كتاب إلى مولانا خليفة العصر المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله يتضمن الإخبار بالرزية العظمى، والمصيبة الكبرىٰ، والبلية التي تبكي لها عيون الإسلام والمسلمين، وهي استيلاء طائفة من الفرج يقال لهم الفرنسيس على الديار المصرية جميعها ووصولهم إلى القاهرة وحكمهم على من بتلك الديار من المسلمين، وهذا خطب لم يصب الإسلام بمثله. فإن مصر ما زالت بأيدي المسلمين منذ فتحت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الآن ولم نجد في شيء من الكتب التاريخية ما يدل على أنه قد دخل مدينة مصر دولة كفرية والإفرنج الذين وصلوا إليها في أيام العاضد ووزيره شاوور وكذلك الذين وصلوا إليها في دولة بني أيوب لم يدخلوا مدينة مصر، بل غاية ما بلغوا إليه دمياط ونحوها، وما زالت تلك المدينة وسائر بلادها محروسة عن الدول الكفرية، فإن التتار دوخوا جميع بلاد الإسلام ولم يسلطهم الله على مصر، بل عادوا عنها خائبين مقهورين مهزومين، وكذلك تيمورلنك مع تدويخه لسائر الممالك لم يُسلَّط عليهم والله ينصر الإسلام وأهله.

وأرسل الشريف في طي كتابه بكتابٍ من سلطان الروم ثم بعد ذلك وصل من الشريف كتاب فيه التبشير باستيلاء المسلمين على من بالقاهرة فضلاً عن الذين منهم بسائر الأقطار المصرية وبالإسكندرية وسنذكر ههنا كتاب السلطان ثم كتاب الشريف الأول ثم كتابه الثاني ثم الجواب من مولانا الإمام حفظه الله تكميلاً للفائدة وتبيينًا للقضية فإنها من الحوادث العظيمة التي ينبغي التعريف بها والإعلام بشأنها، فلفظ كتاب السلطان ملك الروم إلى شريف مكة غالب بن مساعد هكذا:

«وبعد فهذا مرسومنا المبجَّل الشريف، وخطابنا المعظَّم المنيف لا زال نافذًا بعون الله في سائر الأرجاء والأقطار، ما دام الفلك الدوار، أصدرناه مبنيًا على نظيم فرائد

التحية والتسليم، ومنصوبًا على قلائد التبجيل والتكريم، محتويًا على قواعد صيانة الدين، مؤكدًا لمعاقد حماية سنن سيد المرسلين، صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

«أصدرنا إلى عالي جناب الأمير الأمجد، المبجّل الأجلّ الأوحد، المقتفي آثار أسلافه الأشراف، من آبائه الغرِّ صناديد آل عبد مناف، وأجداده السعيدي السير الجميلي الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصابة العلوية المصطفوية، قرة عين الزهراء البتول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الماجد، حالاً شريف مكة المشرفة الشريف غالب بن مساعد، لا زالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلاية الصمدانية عليه حافظة.

وإلىٰ قدوة العلماء وعمدة الفضلاء، نائب مكة المشرفة وكافة السادات الأشراف الأجلاء الميامين، ومفاتي المذاهب الأربعة والعلماء والأئمة المحترمين، ووجوه كافة المسلمين، من ساكني بلد الله الأمين، من حاضر وباد، وفقهم الله إلى سبيل الرشاد.

يحيطون علمًا أن طائفة كفار الفرانسة، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة، قد نقضوا العهود، وخانوا مواثيق المعبود، وخرجوا من أطور الحدود، وهجموا على بدوان مصر وسكانها، على حين غفلة من أهلها، فملكوا البلاد، وأفشوا الكفر والفساد، وخاضوا بحر الضلال والطغيان، وتحشدوا تحت راية الشيطان. وتمكن البغي في أحشائهم، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم، لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم. يعدون النهب غنيمة، النميمة أكمل شيمة، قد اتفقت آراؤهم، وارتبطت أشوارهم، على الهجوم على سائر بلدان المسلمين، وأقطار عباد الله الموحدين، بأن أهل الإسلام قويين، ولهم مزيد الصلابة في الدين، فإذا وصلنا أقطارهم، وحللنا ديارهم، فالضعيف منهم نباشره بالحرب والضرب والقتل والنهب، والقوي منهم ننصب له شرائك المكر والحيل حتى تطمئن خواطرهم وتأمن ضمائرهم إلى أن يقعوا في أشراكنا، ونعمل فيهم ما شئنا من مقاصدنا ونلقي بين سائر المسلمين المكايد الخفية بالفساد، لإيقاع العداوة المباينة للاتحاد، في أحوالهم وأديانهم، ولم يعلموا لعنهم الله أن الإسلام مغروس في قلوبنا، والإيمان ممزوج بلحمنا ودمنا، أكفر بعد إيمان، أضلال بعد هدى.

كلا وربِّ الأرض والسماء، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وخصوصًا في طوائف العرب، لنبلغ فيهم أقصى مرام وأعزَّ مطلب، ونبذل الجهد في تخريج الرعايا من الإسلام عن طاعة من وليَ عليهم من الحكام حتى يكون لنا الصولة العظمىٰ ويصيرون الجميع لنا مغنمًا، فينقطع بذلك سلك نظامهم ينفصم عقد انتظامهم، فنملك حينئذ رقابهم وأموالهم، فإن العرب أسرع ما يستولي على ديارهم، لتفرقهم في أوديتهم من أقطارهم،

وغفلتهم عن حزم أحوالهم فإن أعظم ما يشتت جموع الإسلام، ويفل حد سنانهم عن الانتظام هدم قبلتهم، وحرق مساجدهم، فإذا ظفرنا بأقطارهم، وهدمت كعبتهم، ومسجد نبيهم، وبيت مقدس عزهم، انقطع أملهم وتفرق شملهم، وملكنا ديارهم، فإن الأمور لا يدركها إلا اتفاق الجمهور.

فنقتل جميع رجالهم، ومن يعقل من صبيانهم، فحينئذ نقتسم ديارهم، وأموالهم، وأملاكهم، ونحول بقية الناس إلى أصولنا وقواعدنا ولساننا وديننا، فبه يمحىٰ الإسلام، وقواعده وشرائعه ويندرس رسومه، وآثاره من جه الأرض من شرقها، وغربها، وجنوبها، وشمالها، وعربها، وعجمها.

فهذا ما اتفق رأي الفرنسيس اللعين من سوء المقاصد في المسلمين، جعل الله دائرة السوء عليهم فلا يستطيعون صرفًا ولا نصرًا، ونرجو الله أن يعاملهم بعدله في قوله ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] فهذا حال الفرانسة، في إلحادهم، وجدالهم، وعنادهم، وما اقتضاه فاسد اجتهادهم ﴿يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨] فكيف لا يكون فرضًا على كل أحد من مسلم موحد، أن يشمر عن ساعد الجد، ويبذل نفسه وماله في مرضاة الواحد الفرد، ويمتثل قول أصدق القائلين: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويكون رابحًا في بيعه عن الخسران، مستبشرًا ببذل نفسه في سبيل الرحمٰن، لقوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ [التوبة: ١١١] إلى غير ذلك من الآيات البينات والأحاديث الصحيحة المروية عن الثقات، مما يحث على نصرة الدين، ويلم شعث الموحدين.

فالآن يا شريف مكة، ويا سادات الأشراف وقادات العرب، وحماة الدين، وكماة المسلمين، وغزاة الموحدين وأبطال الحروب، الماحين بصوارم عزمهم عن الدين ظلام الكروب. يا رجال الغارات، ويا أركان الشريعة، والعبادات، ويا حفظة الدين والأمانات ويا باذلين النفوس عند انتهاك الحرمات، ويا كافة أخواننا في الدين، والذين هم لشريعة ربهم ناصرين، البدار البدار، إلى طاعة الملك الغفار لمحافظة قبلتكم، ومحتد نبيكم، منشأ الإسلام، ومسجد نبيكم عليه السلام، ومواطن مضاعفة عبادتكم من ساحة بيت الله الحرام فالغيرة الغيرة، والحمية الحمية، من صولة أعداء الدين، الذين هم عن كل ملة فارقين ولكتب رسل الله مكذبين، فشدوا عزائمكم للقائهم، واحفظوا جهاتكم وسواحلكم، ومنافذ بلدانكم، وسارعوا إلى الرباط، إلى حدود الكفرة اللئام، ببندر جدة

وينبع وما والاهما، مما فيه صيانة المسلمين وحفظ أعراض الموحدين، وكونوا عباد الله أخوانًا ولا تنازعوا فتفشلوا، وفي سبيل الله أنفقوا وتجملوا، وكونوا كلمتكم واحدة، وأيديكم متناصرة.

ولتكن سيوفكم بارقة، وسهامكم راشقة، وأسنتكم في الطعن متلاحقة، ومدافعكم صاعقة، ونبالكم إلى أفئدتهم متسابقة، ولتقصدوا بذلك إعلاء كلمة الدين، والذب عن بيت الله ومسجد رسول الله، ونرجو الله أنكم مؤيدون بنصر الله، محفوظون بروحانية رسول الله، ولا يكون لكم تخلف عن ذلك، ولا تراخ في حفظ تلك المسالك، ونحن في طرف السلطنة السنية. ننشر رايتنا العلية. فبحول الله وقوته وباهر عظمته تملكهم عساكرنا المنصورة. وتقطعهم سيوفنا المشهورة. وقد سيَّرنا عليهم شجعانًا لا يبالون بالموت لإعلاء كلمة الدين. وغزاة يقتحمون على النار محبة في دين الله. فنتعقب بقدرة الله أدبارهم. لعل الله يرزقنا هلاكهم ودمارهم فنجعلهم إن شاء الله هباءً منثورًا. كأن لم يكونوا شيئًا مذكورًا. فبادروا أيها المسلمون. إلى الرباط بجدة وينبع. ومن تخلَّف فقد عصىٰ الله وخالف أمرنا. فإن ذلك أمرنا إليكم وحتمنا عليكم ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠] واستجلبوا صالح الدعوات من عجازكم وصالحيكم وأفاضلكم عند البيت الحرام. وقد قال تعالى: ﴿انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ [التوبة: ٤١] وقال عليه السلام: «المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضًا» وهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تسود وجوه وتبيض وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلمًا للعالمين. ولله ما في السمٰوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم

يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

فالبدار البدار إلى ما أمرناكم من الرباط الحذار الحذار من خلاف ذلك هذا ما انتهى أمرنا إليكم لا زلتم موفقين. بعون الملك المعين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم». انتهى كتاب السلطان. لا برح في حماية الملك الديان.

وهذه صورة كتاب مولانا شريف مكة غالب بن مساعد: إلى مولانا الإمام المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله وفي طيه كتاب السلطان السابق ذكره ولفظ كتاب الشريف:

«الحمد لله الذي كل يوم هو في شأن. والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وعلى آله الطاهرين وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم نهدي مزيد سلام نشأ من خالص الفوائد. وأعرب عن صدق المحبة والاتحاد. مع تحيَّات طاب نشرها من المآثر العظام. وبيت الله الحرام. وزمزم والمقام. إلى الحضرة الباهرة المنصورية. والعقوة الزاهرة الهاشمية والسدة العلية العلوية. ساحة الخلافة اليمنية. واسطة نظام السادة الحسنية الجناب العالي الكريم. والمآب الغالي الوسيم. أخينا الأكرم وعالي الهمم الإمام ابن الإمام حضرة الإمام المنصور. وفقه الله لصلاح الجمهور. ولا زالت العناية الربانية له ملاحظة. والكلاية الصمدانية عليه حافظة. آمين بجاه سيد المرسلين. وبعد إهداء شريف السلام. وإسداء واجب التحية والإكرام. فالسؤال عن حالكم كثير. لموجب ما لكم عندنا من جميل الوداد الوافر. وإن سألتم عنا فنحمده سبحانه على جزيل فضله وعظيم امتنانه.

طيبين بخير وعافية ونعمة من المولى وافية. والذي نبديه إلى مسامعكم العلية. وأفهامكم الزكية. من الأمور الحادثة في الوجود. وجزيل أحكام الملك المعبود. لموجب احتياج أهل الإسلام. إلى الترفهات عن نهج المهام. وترك حزم الأمور. وغفلتهم عن حفظ الثغور.

حتى صار ما صار. من شرذمة أهل البغي والإنكار. من التهجم على بلاد الإسكندرية ومصر والقاهرة. بجنود من البحر على سفاين متواترة. وهم طائفة من جمهور الفرانسة. والملة الباغية التي بفضل الله أعلامهم ناكسة. لمشاهدتهم في أحوال المسلمين. ترك الثغور عن التحصين. فهجموا على تلك البلاد. فلم يجدوا لجامحهم مدافع ولا راد. فأفسدوا كافة من بجوارها من العربان. بأنواع السياسة الموهمة بأنهم من طائفة السلطان. وأبرزوا للبوادي كتبًا مزورة بألفاظ عربية. بتعظيم الله ورسوله مصدرة. حتى انقادوا له بالطاعة. ظنًا منهم بأنهم من جنود الدولة المطاعة. وليس يخفى عليكم

حال البوادي الطغام. الذين لا يعقلون إن هم إلا كالأنعام. فسلكوا بهم الطريق. وصاروا للمشركين أعظم مساعد وأعز رفيق. فجرىٰ قدر ربنا سبحانه باستدراج جند الشيطان أرباب الخيانة. بتملكهم للقاهرة. ودخولهم إلى مصر بحكمته الباهرة. فلا راد لقضائه. ولا محيص عما ارتضاه. فهو الملك المختار. وله المشية فيما يختار. فحينئذ بلغ ذلك الخبر. حضرة سلطان الإسلام. أدحض الله بصوارم سطوته جنود اللئام. فجهّز عليهم من أبطال الأجناد. ما يعجز عن حصره جموع الأعداد. وسير عليهم من جيوش الإسلام. ووزرائه العظام. وجعل مقدمهم الوزير الشهير الجزار أحمد باشا. بلغه الله من الخير ما شاء. فاجتمعت عليه طوائف العربان. وتحشدت تحت رايته كافة أهل الإيمان. وهرع إلى جهادهم المسلمون من كل مكان. حتى أقطارنا الحرمية ظهرت منا للجهاد سبعة آلاف. يردون في طاعة الله موارد الموت والإتلاف. ونرجو العظيم من فضله العميم. أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين. ويبدد بالقهر شمل الكفرة الملحدين. والحمد لله قد وردت إلينا الأخبار بتضايق حال المشركين من الحصار. لتزاحف جنود أهل الإسلام. وإحاطتهم بجميع المنافذ المصرية والمسام فانتظم أمر التجهيز. وانتدب لنصرة الإسلام كل ذليل وعزيز. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. وفي هذا الأوان ورد إلينا هذا الفرمان الصادر إليكم منه صورتان. المعلن بدواعي الفلاح. والمحرض لكافة المسلمين على ما يرجى منه النجاح. من استعداد القوة للمصادمة والكفاح. كما هو متحتم على أهل الإسلام. خصوصًا في مثل هذه الأيام. ومن أعظم الشيم والمروءة. امتثال قول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال: ٦٠] فبذل غاية المجهود. لمحافظة الثغور. وتحصين الحدود. والمرابطة في بلدان السواحل. والذبِّ على الأديان بسهم المرامي. وبيض الصواهل. أمر محتوم على كافة ملوك الإسلام وسائر القبائل. فوصلكم صورة الأمر الشريف والخطاب المنيف وما القصد من إرساله إلا تنبيهكم لحفظ البلاد. والتحذير من أرباب الكفر والعناد. كما هو مصرح في الفرمان السلطاني. من ذكر مكايد الكفرة في جميع المغاني. ولا يغرب عن فهمكم الثاقب. أنَّ ملوك الروم أحس بما يبني الكفرة أمورهم من المعاطب. فحثوا على المرابطة جميع المسلمين. وقووا ثغور بلدانكم بالتحصن الرصين من البنيان. وتشييد بروج المناتق بذوي البأس من الفتيان. فإن بحر الهند تجري فيه سفاينهم. وقد ظهرت فيه بأحد المواسم ضرايرهم. فيجب من عزيز جنابكم كمال التحري لدفع مفاسدهم. والاستعانة بالله تعالى في إدحاض مكايدهم. ومن آكد اللوازم نشر هذين الفرمانين في كافة أقطار أوامركم. وأقصى ما يحادد بلدانكم ومحاكمكم. هذا ما عن لنا به الاخبار. لا زلتم في كلاية الملك الستار. وإن شاء الله عن قريب نفيدكم بمسرة نصرة الإسلام. فالمرجو من جنابكم عدم

إخراجنا من الضمير المنير. بأسنىٰ صحة أخباركم. لا سيما تفيدو بما تجدد وحدث وبلغكم من الإعلام والإخبار. ودمتم سالمين. وبعين عناية الله ملحوظين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم». انتهى كتاب الشّريف عافاه الله.

وهذه صورة كتاب آخر وصل من الشريف غالب بن مساعد حماه الله بعد وصول الكتاب الأول ولفظه:

«نهدي سلامًا أعبق الكون شذاه. وأخجل البدر بحسن طلعته ورياه. وتحيات كية الأرج. مدنية المدد تحمل النصر والفرج. إلى جناب معدن الخلافة العلوية. ومنبع الكمالات الحسنية. وطراز عصابة الهواشم. وصفوة القادة الفواطم. من دانت له رقاب الفراعنة في أقطاره. وخضعت له رؤوس الأكابر في جميع أمصاره. ذي الأخلاق الرضية. والشمائل المرضية. المنظور بعين عناية الله المبين. والمنصور بسلطانه في كل حين. أخينا وعزيزنا الإمام ابن الإمام أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين. أدام الله له الإقبال. وبلغه بجاه جده خير الآمال. وبعد: فباعث تحريره وموجب تنميقه وتصديره، حمد الله سبحانه على نعمه وآلائه ومننه ونعمائه، والسؤال عن جنابكم والتفحص عن أخباركم. بإعلان الدعاء. وتبيان صدق الوفاء.

وثانيًا غير خافي جنابكم. أنه قبل هذا صدر منا إليكم كتاب بإخبار حوادث المشركين بمصر وصورة جميع ما ورد إلينا من الخطاب. المعلن بنصح مضمونه نهج الصواب. وله الحمد سبحانه على جزيل فضله. وعظيم امتنانه الذي أعان على الحق أعوانه. بنصر عباده المسلمين وتمام إحسانه. والذي نبديه إلى مسامعكم الزكية. أنه ورد إلينا يوم تاريخه نجاب. من جانب مصر ببشاير النصر وأهنأ الخطاب. وذلك أن أمير الجمهور الفرنساوي اللعين. جمع كافة أعيان رعايا مصر المسلمين. وضبط عليهم جميع البيوت والحارات. وحطَّ على كل بيت من المسلمين شيئًا من المبالغ والبليصات. بحيث لا طاقة لأهل الإسلام. على تسليم ما فرض عليهم من الجور العام. وقد حدد عليهم جمع تلك الأموال في نهارين. وواعد من لم ينجز وعده بالهلاك والشين. فخرج من عنده المسلمون في حيرة. واجتمعوا في أماكنهم لأجل التشاور والبصيرة. فألهم الله قلوبهم الإسلامية، ووفق حميد آرائهم الإيمانية. بالهجوم من كل جانب على المشركين. وبذلوا نفوسهم لمرضاة رب العالمين. فخرجت كافة رعايا المسلمين من منازلها. وهجمت على المشركين في أماكنها. وصار الجهاد خلال بيوتهم. والقتال في مجامع المشركين ودورهم. وابتهجت مصابيح وجوه الإسلام. وسطعت صوارم سيوفهم في أعناق الكفرة اللئام. وأيد الله جنود الرعايا المسلمين بعظمته الباهرة. وأهلك بسيوفهم

كافة المشركين بالقاهرة. وكان ذلك يوم حادي عشر جمادى الأولى. وله الحمد في الآخرة والأولى. فأرسلت الرعايا المنصورين نجاجيب الرعية لأمراء مصر المخدمين. وكان أقربهم بمسيرة يوم عن الجلاد محبنا الأمير مراد. ففزع بكافة من حوله من العشائر والأجناد. ودخل بلاد مصر يوم ثاني عشر شهر جماد. وظفر بقتل من بقي من الكفار. وانتظم شمل المسلمين بصفار الدار. فللّه مزيد الحمد والثناء. على تلك المسرة والهناء. فلقصد مسرتكم على الفور حررنا هذا الرقيم. لحصول الخبر على نصر المسلمين القويم. هذا ما عنّ لنا به إخباركم. لا زلتم في حفظ مولاكم. ودمتم سالمين ومهما تجدد عرِّفناكم، وما حدث تعرِّفونا به وتكون الأخبار بيننا غير منقطعة، هذا وصلىٰ الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم». قال حُرر في خامس شهرنا جماد سنة ١٢١٣ ثم قال عقيب هذا ما لفظه: «ولا يخفاكم من حال داواتنا المتعودة بالوفود إلى مراسي بنادركم، لا تزال دائمًا متأخرة في شحنتها إلى بندر جدة ونرجو الله بهمتكم، يستدرك الآمال، وينتظم مراجينا في كل حال، فالمرجو من حميد توجهات هممكم العالية، بروز أمركم لكافة من كان بالبنادر البحرية، من أمرائكم بأن تكون داواتنا مقدمة في التشحين قبل كل داو وغراب.

ويكون جارية تلك القاعدة بهمتكم في جميع مراسيكم كما هو المأمول من جنابكم، والمسؤول من مزايا أخلاقكم ونرجو الله أن رجانا غير مردود، وفضل الله غير محدود، هذا ما عنّ لنا التماسه، دمتم بالخير» انتهى. هذا الكتاب والذي قبله منقولان من الخط الذي عليه علامة الشريف غالب بن مساعد دامت معاليه.

وهذا جواب مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله وهو جواب عن مجموع كتابي الشريف. والمنشىء له على لسان مولانا الإمام هو الحقير مؤلف هذه التراجم التي اشتمل عليها هذا الكتاب عن أمر مولانا الإمام حفظه الله وهو على نمط ما قبله من كتابي الشريف في عدم انتخاب أعلى طبقات بلاغات الكتاب إذ المقام مقام مكالمة في رزية في الدين ومصيبة عمت المسلمين فمعظم المراد وغاية القصد هو الإفهام بلسان الأقلام لا التأنق في تحرير الكلام على أتم نظام. ولفظ جواب مولانا الإمام لا برح في حماية الملك العلام:

«﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ سلام تتضمخ أردان الأمصار بنوافح نشره. وتتعطر أكوان الأعصار بروائح بشره. وتتضاحك ثغور الأزهار لشميم شذاه. وتتمايل قدود الأبكار لنسيم رياه. وتطلع أنوار بدوره في سماء المعاهد الشريفة

المعظمة. وتسطع أشعة شموسه في فلك المشاهد المنيفة المفخمة يخص حضرة جناب سليل الهواشم. ويحل بساحة نبيل الدوحة المطهرة من أبناء الفواطم. مقيم شعار الجهاد. هادم أركان الفساد والعناد. أخينا الأكرم حبيبنا الطّاهر الشيم أمير الشرفاء شريف الأمراء كبير العظماء عظيم الكبراء الشريف الأوحد غالب بن مساعد. أدام الله إسعاده وثبّت من ملكه إطنابه وأوتاده وكثر أعداده وأجناده. وأباد حساده وأضداده. وتولىٰ بعون عنايته إصداره وإيراده. وبعد حمد واجب الوجود. وشكر مفيض الكرم والجود. والصلاة والسلام على حامل لواء شرايع الإسلام. القايم بأعباء الرسالة أنهض قيام. وعلى آله الناشرين لأعلام الدين. القامعين بسطواتهم رؤوس المعاندين. وعلى أصحابه القاصمين حبائل الكفران. الفاصمين عقد الشرك والطغيان. فإنه وصل من جنابكم العظيم ومقامكم الفخيم كتاب كريم. يحكي ما صنعت أيدي الكفر. بمصر صانها الله عن كل نكر. فيا له من حادث يبلبل الألباب. ويجلب من الأحزان ما لم يكن في حساب. فلقد أبكىٰ وأنكىٰ. وروع وأوجع وأقام وأقعد. وشتّت شمل كل أنس وبدد وواهًا له من خطب يصك مسامع الإسلام. ويخدد الخدود بفيض مدامع الأنام. لا سيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران. مقدسة عن أرجاس الطغيان. معمورة بالإيمان وعبادة الملك الديان. على مرور الأزمان منذ افتتحتها سيوف حزب الله. ومحت أردان كفرانها صوارم أصحاب رسول الله. فلقد أظلم الخطب وادلهم الكرب. وضاقت الصدور. وغلت من الأحزان قدور. ورغب إلى النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير. وتشوق إلى جهاد أعداء الله كلٰ جليل وخطير. وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالإسلام والمسلمين. وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين، لأنها في الدين، ومن بعدت عنه ديارها فقد أحرقت قلبه وقالبه نيارها. ولقد كنا على عزم شن الغارة. وإرسال طائفة من جنودنا المختارة. ليكونوا من الفائزين بجهاد الكافرين. والظافرين بثواب هذه الطاعة التي هي سنام الدين. كما صح ذلك عن سيد المرسلين. وأما الثغور في جهاتنا فهي بحمد الله محفوظة. وبعين العناية الربانية إن شاء الله ملحوظة فقد وكلنا بحفظها من الأجناد. من يقوم بهم الكفاية في الإصدار والإيراد وعند ذلك العزم المتين. وافى كتابكم الآخر المشير بالفتح المبين. الحاكي لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين. فأنشدنا لسان حال السرور. وحدىٰ بنا حادي الحبور. الذي عم الجمهور:

هنـاء مُحـيٍّ ذاكَ العـزا المتقـدمـا   فمـا عبسَ المحـزونُ حتـىٰ تبسَّمـا

فلقد انجابت ظلمات الهموم. وتقشعت غيوم الغموم. وابتلجت الخواطر، وقرت النواظر، وعند بلوغ تلك الأخبار، أشعرنا هذه المسار الكبار. بما شاع في جميع

الأقطار. وذاع بين البوادي والحضّار. فيا لها من مسرات شدت من عضد الدين. وفتت سواعد الملحدين وقصمت ظهور الكافرين. وقلقلت معاهد المعاندين، اللهم إنا نحمدك حمدًا لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من هذا الفتح والنصر. وما لمحت إليه أيها الجناب العظيم. والأخ الفخيم الكريم. من أمر الداوات فما زالت أوامرنا إلى نوابنا في الجهات برفع الظلامات. والأعمال بالنيات. وغير خافٍ على ذهنكم السليم وفكركم الراجح القويم. أنَّ من العدل الذي قامت به الأرض والسموات. أن يستوي القوي والضعيف والوضيع والشريف. في أنواع المكاسب والتجارات. كما حكم بذلك باري البريات ولا زلتم في حفظ الله محوطين بعين كلايته ورعايته وحمايته. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حرر يوم تاسع عشر من شهر رجب سنة ١٢١٣» انتهى جواب مولانا الإمام حفظه الله.

وقد وصلت من الشريف فيما يتعلق بهذه القضية كتب كثيرة بعد هذا إلى مولانا الإمام حفظه الله وأنشأ راقم الأحرف جواباتها عن أمر مولانا الإمام. والمقام لا يتسع لبسطها، وبعد الإرسال بهذا الجواب من حضرة الخلافة إلى حضرة الشريف جاءت الأخبار من أهل بنادر اليمن بأن الإفرنج أقماهم الله باقون بمصر والاسكندرية وسائر تلك الأعمال.

وقد صارت الدولة دولتهم هنالك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولم يبلغ ما فعله المقدمون من جهة السلطنة إلى حال تحرير هذه الأحرف في خواتم شهر شوال سنة ١٢١٣ ولعل وراء الغيب أمرًا يسرنا اللهم انصر الإسلام والمسلمين يا مجيب الداعين. وسيأتي في ترجمة يوسف باشا ذكر بعض ما جرى وما دار من المكاتبة ويأتي أيضًا هنالك أنه كان خروج الفرنج من مصر سنة ١٢١٦ فالحمد لله رب العالمين.

وأما الشّريف غالب فلما استولىٰ صاحب نجد على مكة والمدينة تابعه ودخل تحت أمره ونهيه واستمر نايبًا له منذ دخول جيوشه مكة وكان القادم بالجيوش سعود بن عَبد العزيز بن محمّد بن سعود ثم مات عبد العزيز وصار الأمر بعده إلى ولده سعود، وما زال يأتي للحج في كل عام إلى سنة ١٢١٨، فخرج باشة مصر الباشا محمد علي بجنود متكاثرة واستولى على مكة والمدينة عن مواطأة بينه وبين الشريف غالب.

ثم لما استقر بمكة قبض عليٰ الشريف غالب واستولى على جميع أملاكه وذخائره وهي كثيرة جدًا وأرسله في سفينة هو وخواص أهله إلى الروم. والله أعلم ما كان آخر

أمره فإنه لم يبلغنا إلى الآن خبرٌ صحيح مما كان من أمره بعد إخراجه من مكة وإدخاله إلى تلك الديار. والباشا محمد علي مستقر في مكة وجدة إلى الآن وهي سنة ١٢٢٩ والحرب بينه وبين أهل نجد مستمرة ومات في هذا العام أمير العرب صاحب نجد وهو سعود بن عبد العزيز وقام مقامه ولده عبد الله بن سعود وما زال يجهز الجند إلى مكة ومن بها والحرب بينهم سجال.

حرف الفاء

٣٥٧ ـ **الشَّريفَة فَاطِمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحيىٰ**: المتقدم ذكره هي مشهورة بالعلم ولها مع والدها مراجعات في مسائل كمسألة الخضاب بالعصفر. فإنه قال: إن فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام وهذه المقالة تدل على أنها كانت مبرزة في العلم فإن الإمام لا يقول مثل هذه المقالة إلا لمن هو حقيق بها.

وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه التلامذة في بحث دخل إليها فتفيده الصواب فيخرج بذلك إليهم فيقولون ليس هذا منك هو من خلف الحجاب وماتت قبل والدها رحمه الله وقد تقدم تاريخ موته.

٣٥٨ ـ **فاطمة**[١] **بنت القاضي كمال الدِّين محمُود بن شيريز**[٢] **الحنَفي المدعوة سُتَيتة**: ولدت سادس المحرم سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمان مائة بالقاهرة. ونشأت فتعلمت الكتابة وتزوجت الناصر محمد بن الطنبنا[٣] واستولدها أولادًا ثم مات عنها، فتزوّجها علي بن محمد بن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق، فاستولدها[٤] ولها نظم، وحسن فهم.

وحجت مرارًا وجاورت ومن نظمها قصيدة كتبتها إلى السخاوي مطلعها:

قفا واسمعا مني حديثَ أحبتي ... فأوصافُ معناهُم عنْ الحسنِ جلتْ

كتبت إلى قاضي مكة بقصيدة مطلعها:

يا بدرُ تمَّ أزالَ الشكَّ عن رايٍ ... انعمْ بقربِ حبيبٍ فيكَ عن رايٍ

(١) ترجمتها في النور السافر ص ١٨٥.

(٢) في النور السافر «سيرين».

(٣) في النور السافر ص ١٨٥ بن الطنبغا.

(٤) في النور السافر ص ١٨٥ فاستولدها بيبرس.

ولها مكاتبات إلى جماعة من الأدباء والأعيان والأكابر ومن ذلك أن الشِّهاب المنصوري كتب إلى الزين سالم ببيتين هما:

أيا سيداً قدْ أحسنَ الخالقُ اسمَهُ وجمّلـهُ واللّـهُ بـالخلـقِ عـالـمُ
أعـنْ بيـدٍ فيهـا أيـادٍ لسـائـلٍ ولا تخشَ حسّاداً فـإنكَ سـالـمُ

فقالت صاحبة الترجمة في هذا المعنى ارتجالاً:

أيـا سيـدُ أعـمَّ الخـلائـقَ بـرَّهُ وإحسـانُـه فـرضٌ تضاعـفَ لازمُ
أعنْ سائلاً يأتيكَ والدّمعُ سائلٌ ولا تخشَ منْ سوءٍ فإنّكَ سالمُ

وكان ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ففضلوا ما قالته على ما قال الشهاب واعترف الشهاب بذلك واستمرت على نظم الأدب ومدح أرباب الرتب حتى ماتت في سنة ٩٤١ إحدى وأربعين وتسعمائة بالقاهرة ودفنت بالقرافة.

٣٥٩ ـ فَرَجْ[١] **بن بَرْقُوق الجركسيِّ الملقَّب النَّاصِرْ**: ولد سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة، في أيام الفتنة التي وقعت لوالده حسبما تقدم في ترجمته، فسماه فرج[٢]. استقر في السلطنة بعهدٍ من أبيه إليه بعد موته في شهر[٣] شوال سنة ٨٠١. وسنهُ دون عشر سنين، واختلف مماليك أبيه عليه، وجرت له حروب مع المؤيد شيخ، فانهزم هذا وفرّ على الهجن إلى دمشق، فدخلها وتحصَّن بقلعتها فتبعه شيخ ومن معه فحاصروه إلى أن نزل إليهم بالأمان، فاعتقل وذلك في صفر سنة ٨١٥ واستفتوا العلماء، فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم، فقتل في ليلة السبت سابع[٤] عشر شهر صفر المذكور.

وكان سلطانًا مهيبًا، فارسًا كريمًا، فتاكًا ظالمًا، جبارًا منهمكًا على الخمر واللذات طامعًا في أموال الناس. وقد كان خلع في سنة ٨٠٨ بأخيه المنصور عبد العزيز نحو شهرين ثم أعيد في جمادى الآخرة منها، وأمسك أخاه فحبسه ثم قتله. والعجب أن هذا السلطان المشتمل على هذه الأوصاف هو المُحْدِث للمقامات في بيت الله الحرام التي كانت سببًا لتفريق الجماعات واختلاف القلوب، والتباين الكلي في أشرف بقاع الأرض، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٤ وفي الشذرات ٧/ ١١٢.
(٢) في الشذرات ٧/ ١١٢: وسماه أبوه بلفاق ثم سماه فرجًا.
(٣) في الشذرات ٧/ ١١٢: في يوم الجمعة نصف شوال سنة ٨٠١.
(٤) في الشذرات ٧/ ١١٢ والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٤٧ ليلة السبت ١٦ صفر سنة ٨١٥.

وليس العجب من صاحب الترجمة فإنها إحدى مساويه وجهالاته ولكن العجب من تقرير من بعده لذلك، وسكوت العلماء إلى الآن. وقد ذكر قطب الدين الحنفي في الإعلام ما يدل على أنه أنكر هذه المقامات علماء ذلك العصر. فقال في ترجمة السلطان سليم خان سلطان الروم ما لفظه إنَّ تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بإمام ما أجازه كثير من العلماء وأنكروه غاية الإنكار في ذلك العهد. ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة بأيدي الناس إلى الآن، وأن علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطَّأوا من قال بجواز ذلك. انتهى.

٣٦٠ ـ فَضل(١) الله بن عبد الله(٢) بن عَبْد الرزَّاق بن إبراهيم بن مُكَانِس المجدّ ابن الفخر المصري القبطي الحنفي المعروف بابن مكانس: ولد في شعبان(٣) سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة. ونشأ في عزٍّ ونعمة في كنف أبيه فتخرج وتأدَّب ومهر ونظم الشعر وهو صغير جدًا، فإن أباه كان صحب البدر البشتكي فانتدبه لتأديبه فخرّجه في أسرع مدة فنظم الشعر الفائق وباشر في حياة أبيه توقيع الدست بدمشق، وكان أبوه وزيرًا هنالك.

ثم قدم القاهرة فلما مات أبوه ساءت حاله ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبته فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية فامتدح المؤيد بقصائد فأحسن القاضي ابن البارزي السفارة له عنده بحيث أثابه ثوابًا حسنًا وشعره في الذروة العليا وهو أحد المجيدين من المتأخرين مع قلة بضاعته في العربية ولذلك يقع له اللحن نادرًا وقد جمع ديوان أبيه ورتبه. ولأبيه فيه موريًا باسمه:

أرى ولـدي قـدْ زادَهُ اللّـهُ بهجـةً ... وكمَّلهُ في الخَلْقِ والخُلُقِ مُذْ نَشَا
سـأشكـرُ ربـي حيـن أوتيـتُ مثلَـهُ ... وذلك فضلُ اللّهِ يؤتيهِ منْ يشَا

ومن نظم صاحب الترجمة مهنيًا لأبيه بعوده من سفر:

هنيـتَ يـا أبتـي بعـودِكَ سـالمـاً ... وبقيـتَ مـا طـردَ الظـلامَ نهـارُ
مُلِئتْ بطونُ الكتبِ فيكَ مدايحاً ... حقـاً لقـدْ عَظِمَـتْ بـكَ الأسفـارُ

ومن مقطعاته العذبة:

بحـقِّ اللّـهِ دعْ ظلـمَ المعنـى ... ومتّعـهُ كمـا يهـوى بـأنسـكَ
وكـفَّ الصـدِّ يـا مـولايَ عمّـنْ ... بيـومِـكَ رحـتَ تهجـرهُ وأمسِـكَ

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ١٥٦.
(٢) في الشذرات ٧/ ١٥٦ ابن القاضي فخر الدين عبد الرحمٰن.
(٣) في الشذرات ٧/ ١٥٦: ولد في سابع شعبان سنة ٧٦٧.

ومنها:

قـــالـــت وقـــدْ عشقتهـــمْ قـــامـــاتهـــم والأعينـــا
إنْ رمـــتَ تلقـــانـــا فلـــجْ بيـــنَ السّيـــوفِ والقَنـــا

ومنها:

ربِّ خـــذْ بـــالعـــدلِ قـــومـــاً أهـــلَ ظلـــمٍ متـــوالـــي
كلّفـــونـــي بيـــعَ خيلـــي بـــرخيـــصٍ وبغـــالـــي

وشعره كثير وكله غرر ومات بالطّاعون في يوم الأحد خامس وعشرين ربيع الآخر سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة.

٣٦١ ـ **فَضل الله بن غَالي الهَمَدَاني**: الوزير الملقب رشيد الدولة: كان أبوه عطارًا يهوديًا فأسلم ابنه هذا واتصل بغازان سلطان التتار المتقدم، فخدمه وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره، وكان يناصح المسلمين ويذب عنهم ويسعى في حقن دمائهم وله في تبريز آثار عظيمة من البِرِّ وكان شديدًا على من يعاديه أو ينتقصه لا يزال يسعى في هلاكه حتى يهلكه.

وكان متواضعاً سخيًا كثير البذل للعلماء والصلحاء وله تفسير للقرآن فسره على طريقة الفلاسفة فنسب إلى الإلحاد وقد احترقت تواليفه بعد قتله. واتفقت له محنة كان فيها هلاكه وذلك أنه لما ماتَ خربيدا ملك التتار طلبه السلطان جوابان على البريد. فقال له: أنت قتلت الخان؟ فقال: معاذ الله أنا كنت رجلاً عطارًا ضعيفًا بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفًا في الممالك فكيف أقتله! فأحضروا الطبيب ابن الحرّان اليهودي طبيب خربيدا فسألوه عن سبب موت خربيدا فقال: أصابته علة فوقع له إسهال بسببها نحو ثلاث مائة مجلس فطلبني بحضور رشيد الدولة وطلب الأطباء فاتفقنا على أن نعطيه أدوية قابضة حابسة فقال رشيد الدولة: هو الآن يحتاج إلى الاستفرَاغ فسقيناه مسهلاً فوقع له من ذلك نحو سبعين مجلسًا، فسقطت قوته فمات وصدقه رشيد الدولة على ذلك فقال: جوابان لرشيد الدولة فأنت قتلته.

وأمر بقتله فقتل وفصلوا أعضائه وبعثوا إلى كل بلد بعضو ويقال أنه وجد له بعد قتله ألف ألف مثقال. وكان قتله في سنة ٧١٦ ست عشر وسبعمائة. وعمره فوق ثمانين سنة. قال الذهبي: كان له رأي ودهاء ومروءة وكان الشيخ تاج الدين الأفضل يذمه ويرميه بدين الأوائل.

حرف القاف

٣٦٢ ـ السيّد القَاسِم بن إبراهيم بن الحَسَن بن يُوسف: ابن المهدي محمد بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ولد بعد أخيه إسماعيل بن إبراهيم المتقدم. تاريخ ولادته في ترجمته ونشأ بصنعاء وأخذ العلم عن جماعة من علمائها، ومنهم شيخنا أحمد بن محمد الحرازي المتقدم ذكره، والقاضي علي بن أحمد الحكمي وغيرهما.

وقرأ عليَّ في شرح غاية السؤل وفي شرحي على المنتقى وفي مؤلفي المسمى بالدرر وشرحه المسمى بالدراري وفي البخاري وأمالي الإمام أحمد بن عيسى وهو من فضلاء آل الإمام علمًا وعملاً وحسن أخلاق وله نظم حسن فمنه ما كتبه إليّ أيام قراءته عليّ:

إليـكَ وإلاّ لا يسـاقُ ركـابُ ... وعنـكَ وإلاّ لا يجـازُ كتـابُ

عليـكَ وإلاّ مـنْ عليـهِ معـوّلٌ ... ولـولاكَ مـا للمشكـلاتِ جـوابُ

وفيكَ وإلاّ ليسَ في الشّعرِ حكمةٌ ... ومنـكَ وإلا فـالشـرابُ سـرابُ

وأنتَ وإلاّ الشمسُ في الأرضِ مشرقٌ ... يـداكَ وإلا للسّخـاءِ سحـابُ

بـرزْتَ وإلا فـالتشخّـصُ للعـلا ... محـالٌ وأنّـى للعـزيـزِ طـلابُ

ومنْ ذا الذي قرّتْ وطابتْ وطولتْ ... عيـونٌ وأنفـاسٌ بـهِ ورقـابُ

سوى العلمُ البدرُ الذي صارَ مُنصفاً ... لـه فـي كمـالِ المكـرمـاتِ مـآبُ

هـو ابـنُ علـيٍّ مـنْ لـهُ الآنَ شـوكـةً ... يعـزُّ بهـا ديـنَ الهـدى ويهـابُ

فـلا زالَ مـرفـوعـاً بنصـبِ جـوازمٍ ... مِـنَ الأمـرِ فيهـا حكمـةٌ وصـوابُ

ولا زالَ شمسـاً للعلـومِ بـأسـرِهـا ... وعمـدةً هـذا انتقـاهُ كتـابُ

لمجموعِ أحكامِ الفنونِ ملخصٌ ومنتخبٌ غيثاً حواهُ عبابُ
سلامٌ عليه يحكي الروضُ عرفَه وقدْ باكرتْهُ نسمةٌ وسحابُ

وهو الآن حي يسعى في تحصيل العلوم ويجهد في طاعة الحي القيّوم مستمرًا على القراءة عليَّ بلغه الله الأمل.

٣٦٣ ـ السيّد القَاسِم بن إبراهيم الظَّفري: ولد في شعبان سنة ١١٧٩ تسع وسبعين ومائة وألف ونشأ بصنعاء فأخذ عن جماعة من علمائها كشيخنا العلاَّمة عبد الله بن الحسن بن علي والسيّد العلاَّمة علي بن عبد الله الجلال، والسيّد العلاَّمة إبراهيم بن عبد القادر ولعل له قراءة على شيخنا العلاَّمة السيّد عبد القَادِر بن أحمد، والقاضي العلاَّمة أحمد بن محمد قاطن.

واستقاد في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول، وله فهم قوي وذهن سوي، وحفظ الأدب وحسن المحاضرة، وقوة عارضة في المذاكرة وعزم من صنعاء إلى ذي جبلة متوليًا على أوقاف تلك الجهة، وهو الآن هنالك ولو تفرَّغ للاشتغال وسلم عن عوارض الإشغال لنال بفهمه السليم وفكره الكريم أعلى مراتب الكمال ووليَ ولايات وجَرَت له قصص وحروب ومات في شهر رجب سنة ١٢٢٧ سبع وعشرين ومائتين وألف.

٣٦٤ ـ السيّد القاسم[١] بن أحمد بن عبد الله بن القَاسِم بن أحمد بن لُقْمان بن أحْمد بن شمس الدِّين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيىٰ: وتمام نسبه قد تقدم في ترجمة الإمام المهدي ولد في سنة ١١٦٦ ست وستين ومائة وألف بموضع يقال له صُنْعة بضم الصاد المهملة وسكون الموحدة ثم مهملة، وهي قرية بقرب مدينة ذمَّار فيها جماعة من السادات آل لقمان، ثم انتقل صاحب الترجمة إلى مدينة ذمار فقرأ على جماعة من مشائخ الفقه، كالسيّد العلاَّمة أحمد بن علي بن سليمان، والفقيه العلاَّمة محسن ابن حسن الشويطر وغيرهما.

وبرعَ في علم الفروع وقرأ هنالك في علم النحو ثم ارتحل إلى صنعاء لسبب اقتضى ذلك فوصل إليها في سنة ١١٩٣ وقرأ في العربية والأصول على جماعة وأخذ عني في العربية وحضر في دروسي الحديثية وهو مفرط الذكاء سريع الفهم قوي الإدراك استفاد بدرايته أكثر مما استفاد بروايته، ونظم الشعر الفائق وطارح بشعره جماعة من الأدباء، واستقر بصنعاء وتزوج بها وأضرب عن العود إلى وطنه.

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٥.

وله همة علية وشهامة علوية ونفس أبية وسيادة هاشمية لا يخضع في مطلب من مطالب الدنيا، ولا يدنو لأربابها بل يكتفي منها بما يصل إليه من أموال له ورثها عن أبيه وقد ينوب في الأعمال الشرعية إذا عُوِّل عليه من يألف به من القضاة فيفصلها على أحسن أسلوب، مع عفة ونزاهة وهو أجل من كثير من قضاة العصر بل يصغر عن عظيم قدره القضاء. وتحريراته في القضايا الشرعية مقبولة عند الخاص والعام مرضية عند الصغير والكبير، يقنع بها المحكوم عليه كما يقنع بها المحكوم له.

وبيني وبينه مودة أكيدة ومحبةٍ قوية وهو لا يُمَلُّ جليسه ولا يُسْتَوحَشُ أنيسه لما جبل عليه من لطف الطبع وكمال الظرف وقد استمر الاتصال بيني وبينه زيادة على خمس عشرة سنة قلَّ أن يمضي يوم من الأيام لا نجتمع فيه ويجري بيننا مطارحات أدبية في كثير من الأوقات، ومراجعات علمية في عدة مسائل منها ما هو منظوم ومنها ما هو منثور. فمن ذلك هذا السؤال الذي اشتمل على نظم ونثر يأخذ بمجامع القلوب كتبه إلي في أيام سابقة ولفظه:

حرس الله سماء المفاخر. بحماية بدرها الزاهي الزاهر، وأتحف روضها الناظر، بكلاية غيثها الهامي الهامر، وأهدى إليه تحية عطرة، وبركة خضرة نضرة. ما مسحت أقلام الكتبة مفارق المحابر، ورتعت أنظار الطلبة في حدائق الدفاتر.

صدرت هذه الأبيات في غاية القصور، أقيلوا عثارها إنْ كانَ لكم عليها عثور، تستمنح منكم الفرائد، وتستمد منكم الفوائد، أوجب تحريرها أنه ذكر عند بعض الأماثل، جماعة المتصوفة فأثنى عليهم وأطنب، وأطرى وأطرب، واستشهدني فقلت بموجب قوله. مستثنيًا منهم الحلاج وابن عربي ومن يساويهما فأصرّ واستكبر وأبدا قولاً يستنكر، فجرىٰ بيننا خلاف مفرط فاحكمْ بيننا بالحق ولا تشطط.

أعـنِ العـذولَ يطيـقُ يكتـمُ مـا بـهِ ... والجفنُ يغرقُ في خليجِ سحابهِ
جـازتْ ركـايبَـهُ الحمـى فتعلّقـتْ ... أحشـاؤه بشعـابـهِ وهضـابـهِ
نفـدَ الـزّمـانُ ومـا نفـدنَ مسـائلي ... فـي الحـبِّ والتنفيـرِ عـنْ أربـابـهِ
فركضْتُ في ميدانهِ وكرعتُ منْ ... غـدرانـهِ وركعْـتُ فـي محـرابـهِ
وسألْتُ عن تحقيقهِ وبحثْتُ عنْ ... تـدقيقِـهِ وكشفْـتُ عـن أسبـابـهِ
فـوجـدتُ أخبـارَ الغـرامِ كـواذبـاً ... فـي أكثـرِ الفتيـانِ مـنْ طـلاّبـهِ
فيميـتُ مَـنْ شهـواتـهُ لحيـاتِـه ... ويـردُّ فضـلَ ذهـابـهِ لإيـابـهِ
ولقـلَّ مـا يلقـى امـرءاً متصـوفـاً ... ينحـو طـريـقَ الحـبِّ مـن أبـوابـهِ

يجــدُ الخطيئَــةَ كــالقــذاةِ لعينــهِ فرمى بها في الدّمعِ عن تِسْكابهِ
أخـذَ الطّريقـةَ بـالحقيقـةِ سـالكـاً نهـجَ النبـيِّ قـد اقتـدى بصـوابـهِ
تمضي بِهِ اللّحظاتُ وهو محاسبٌ للنفـسِ قبـلَ وقـوفـهِ لحسـابـهِ
هـذي الطّـريقـةُ للمـريـدِ مبلـغٌ مـخَ التصـوّفِ وهـي لـبُّ لبـابـهِ
وجمـاعـةٌ رقصـوا علـى أوتـارِهـم يتجـاذبـونَ الخمـرَ عـنْ أكـوابـهِ
يتـواجـدونَ لكـلِّ أحـوى أحـورٍ يتعلّلـونَ مـنَ الهـوى بـرضـابـهِ
ألـوحـدةِ جعلـوا المثـانـيَ مـونسـاً واللّحـنَ عنـد الـذكـرِ مـنْ إعـرابـهِ
أصحـابُ أحـوالٍ تعـدّوا طـورَهـم فتنكـروا فـي الحـالِ عـنْ أحـزابـهِ
زجـروا مطـايـاهـم إليـهِ وإنّمـا نكـصَ الغـرامُ بهـمْ علـى أعقـابـهِ
دعـواكَ معـرفـةُ العيـونِ سفـاهـةً والشّـرعُ قـاضٍ والنهـي بكـذابـهِ
فمنَ المحالِ ترى المهامةَ تنطوي لمشعبـذٍ مـنْ دونِ وخـدْ ركـابـهِ
وخـرافـةٌ بشـرٍ يـرى متشكـلاً متمكنـاً مـن لبـسِ غيـرِ إهـابـهِ
رجحتْ نهايَ فلا أصدّقُ ما سوى رسـلَ المليـكِ وتـرجمـانَ كتـابـهِ
فـدعِ التّصـوفَ واثقـاً بحقيقـةٍ واحـرصْ ولا يغـررْكَ لمـعَ سـرابـهِ
للقـومِ تعبيـرٌ بـهِ يسبـي النّهـى طـربـاً ويثنـي الصـبَّ عـن أحبـابـهِ
فيـرونَ حـقَّ الغيـرِ غيـرَ محـرّمٍ بـلْ يـزعمـونَ بـأنّهـمْ أولـى بـهِ
لبسـوا المـدارعَ واستـراحـوا جـرأةً عـنْ أمـرِ بـاريهـمْ وعـنْ إيجـابـهِ
خرجوا عنِ الإسلامِ ثمّ تمسّكوا بتصـوّفٍ فتستـروا بحجـابـهِ
فـأولئـكَ القـومُ الـذيـن جهـادُهـم فـرضٌ فـلا يعـدوكَ نيـلَ ثـوابـهِ
وإذا أرابَـك مـا أقـولُ فسـلْ بـهِ منْ عندَه في الحكمِ فصلَ خطابهِ
عـلامـةُ المعقـولُ والمنقـولِ مَـنْ حكمـتْ لـه العليـا علـى أتـرابـهِ
فـذُّ الـزّمـانِ وتـوأَمُ المجـدِ الـذي سـادَ الأكـابـرَ فـي أوانِ شبـابـهِ
بـدرَ الهـدى النّظـارِ سلْـهُ مقبـلاً كفّيـه ملتمسـاً لـردِّ جـوابـهِ
فمحمّـدُ بـنُ علـي ابـن محمـد منـي ومنـكَ محقـقُ أدرى بـهِ
سلـهُ زكـاةَ الاجتهـادِ فـإنّـهُ إنْ صـحَّ فقـركَ محـرزٌ لنصـابـهِ

فأجبت عن هذا السؤال برسالة في كراريس سميتها (الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد). وسأذكر ههنا ما أجبت به عن النظم فقط وهو:

هـذا العقيـقُ فقـفْ علـى أبـوابـهِ متمـايـلاً طـربـاً لـوصـلِ غـرابـهِ

يـا طـالمـا قـدْ جبـتُ كـلَّ تنـوفـةٍ مغبــرةٍ تــرجــو لقــا أربــابــهِ
وقطعـتُ أنسـاعَ الـرواحـلِ معلنـاً فــي كــلِّ حــيٍّ جئتــهُ بطــلابــهِ
حتـى غـدتْ غـدرانُ دمعكَ فيضـاً بالسّفحِ في ذا السّفحِ منْ تسكابهِ
والعمــرُ وهــوَ أجـلُّ مـا خـولتـهُ أنفقْتُـه فــي الــدورِ فــي أدرابــهِ
وعصيــتُ فيــهِ قــول كـل مفنـدٍ وسددتُ سمعاً عن سماعِ خطابهِ
بشــرايَ بعـدَ اليـأسِ وهـو خطيبُـه بتبـدّلـي سهـلَ الهـوى بصعـابـهِ
قــد أنجــحَ اللّــهُ الــذي أملتُــهُ وكـدحْـتُ فيـه لنيـلِ لـبِّ لبـابـهِ
وهجرتُ فيه ملاعبي ولقيتُ فيـ ـه متـاعبي ومنيـتُ مـنْ أوصـابـهِ
وشربتُ كاساتِ الفراقِ وقدْ غدتْ ممــزوجــةً بــزعــافِــه وبصــابــهِ
وبــذلــتُ للهـادي إليـهِ نفـائسـي ومنحتُــهُ منــي بمــلءِ وطــابِــه
فحططْتُ رحلي بين سكّانِ الحمى وأنختُـهُ فـي مخصبـاتِ شعـابـهِ
وشفيتُ نفسي بعدَ طولِ عنائِها في قطعِ حـزنِ فـلاتـهِ وهضـابـهِ
ووضعتُ عن عنقي عصى الترّحالِ لا أخشـى العـذولَ ولا قبيـحَ عتـابـهِ
فـأنـا ولا فخـرُ الخبيـرُ بـأرضـهِ وأنـا العـروفُ بشـامخـاتِ عقـابـهِ
وأنـا العليـمُ بكـلِّ مـا فـي شـرحـهِ وأنـا المتـرجـمُ عـن خفـيِّ جـوابـهِ
يا ابنَ الرسولِ وعالمَ المعقولِ والمنـ ـقــولِ أنــتَ بمثــلِ ذا أدرى بــهِ
لا تســألــنَّ عــنِ العقيــقِ فـإنّهـا قـد ذللـتْ لـكَ جـامحـاتُ ركـابـهِ
وكرعتَ في تلكَ المناهلِ برهةً وشـربـتَ صفـوَ الـوردِ مـنْ أربـابـهِ
وقعـدتَ فـي عـرصـاتِـه متمـايـلاً متبسمــاً نشــوانَ مــنْ إطــرابــهِ
واسلـمْ ودمْ أنـتَ المعـدُّ لمعضـلٍ أعنـا الـورى يـومـاً بكشـفِ نقـابـهِ
وخـذِ الجـوابَ فمـا بـهِ خطـلٌ ولا عصبيــةٌ قــدحــتْ بعيــنِ صــوابــهِ
سكّــانــهُ صنفَــانِ صنـفٌ قـد غـدا متجــرداً للحــبِّ بيــنَ صحــابــهِ
قـد طلـقَ الـدنيـا فليـسَ بضـارعٍ يــومــاً لنيــلِ طعــامِـه وشـرابـهِ
يمشي على سننِ الرّسولِ مفوضاً لــلأمــرِ لا يلــوي للمــعِ ســرابــهِ
يــرضــى بميســورٍ مــن الــدّنيـا ولا يغتــمّ عنــدَ نفــارِهــا عــنْ بــابــهِ
متقلــلاً منهــا تقلّــلَ مــوقــنٍ بــدروسِ رونَقِهـا وقـربَ ذهـابـهِ
متــزهــداً فيمــا يــزول مــزايــلاً إدراكَ مــا يبقــى عظيــمُ ثــوابــهِ
جعــلَ الشّعــارَ لــه محبــةَ ربِّــه وثنـى عنـانَ الحـبِّ عـنْ أحبـابـهِ

أكـرِمْ بهـذا الصّنـفِ مـن سكّـانِـه أحببْ بهـذا الجنسِ مـنْ أحـزابـهِ
فهمُ الذينَ أصابوا الغرضَ الذي هـو لامـرأ فـي الـدّيـنِ لـبَّ لبـابـهِ
ولكم مشى هذي الطريقةَ صاحبٌ لمحمـدٍ فمشـوا علـى أعقـابـهِ
فيهـا الغفـاري قـد أنـاخَ مطيـة ومشـى بهـا القـرنـي بسبـقِ ركـابـهِ
وبهـا فضيـلٌ والجنيـدُ تجـاذبـا كـأسَ الهـوى وتعلّـلا بـرضـابـهِ
وكـذاك بشـرٌ وابـنُ أدهـمَ أسـرعـا مشيـاً بـهِ والكينعـي مشـى بـهِ
أمّـا الـذيـنَ غـدوا علـى أوتـارهـمْ يتجـاذبـونَ الخمـرَ فـي أكـوابـهِ
ولـوحـدةٍ جعلـوا المثـانـيَ مـؤنسـاً واللّحـنَ عنـدَ الـذّكـرِ مـنْ إعـرابـهِ
ويـرونَ حـقَّ الغيـرِ غيـرَ محـرّمٍ بـلْ يـزعمـونَ بـأنّهـم أولـى بـهِ
فهـمُ الـذيـنَ تـلاعبـوا بيـن الـورى بـالـدّيـنِ وانتـدبـوا لقصـدِ خـرابـهِ
قـدْ نهـجَ الحـلاجُ طـرقَ ضـلالهـم وكـذاك محيـي الـديـنَ لا حيـا بـهِ
وكــذاك فــارضهــمْ بتــائيــاتِــه فـرضَ الضّـلالِ عليهـم ودعـا بـهِ
وكذا ابنُ سبعين المهينُ فقدْ عدا متطـوراً فـي جهلـهِ ولعـابـهِ
رامَ النبــوءةَ لا لعــاً لعثــورهِ رومَ الـذّبـابِ مصيـره كعقـابـهِ
وكـذلـك الجيلـي أجـالَ جـوادهُ فـي ذلـك الميـدان ثـم سعـى بـهِ
إنسـانُـه إنسـانُ عيـنِ الكفـرِ لا يـرتـابُ فيـه سـابـحٌ بعبـابـهِ
والتلمسـانـيُّ قـالَ قـد حلـتْ لـهُ كـلُّ الفـروجِ فخـذْ بـذا وكفـى بـهِ
نهقوا بوحدتهمْ على روسِ الملا ومـنَ المقـالِ أتـوا بعيـنِ كـذابـهِ
إن صـحَّ مـا نقـلَ الأئمـةُ عنهـم فـالكفـرُ ضـربـةُ لازبٍ لصحـابـهِ
لا كُفر في الدّنيا على كلِّ الورى إن كـانَ هـذا القـولُ دونَ نصـابـهِ
قـدْ ألـزمـونـا أن نـديـنَ بكفـرهـمْ والكفرُ شرُّ الخلْقِ منْ يرضى بهِ
فـدعِ التعسـفَ فـي التـأوّلِ لا تكـنْ كفتًـى يغطّـي جيفـةً بثيـابـهِ
قـدْ صـرّحـوا أنّ الـذي يبغـونَـه هـو ظـاهـرُ الأمـرِ الـذي قلنـا بـهِ
هـذي فتـوحـاتُ الشـؤمِ شـواهـدٌ أنّ المـرادَ لـه نصـوصُ كتـابـهِ

وقد أوضحت في تلك الرسالة حالَ كلّ واحدٍ من هؤلاء وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم.

وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب وأنا الآن أتوقّف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفًا لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها

كنهارها ولم يتعبّدني الله بتكفيرِ من صار في ظاهر آمره من أهل الإسلام. وهب أن المراد بما في كتبهم وما نقل عنهم من الكلمات المستنكرة المعنى الظاهر والمدلول العربي وأنه قاضي على قائله بالكفر البواح والضلال الصراح فمن أَين لنا أنَّ قائله لم يتب عنه؟ ونحن لو كنا في عصره بل في مصره بل في منزله الذي يعالج فيه سكرات الموت لم يكن لنا إلى القطع بعدم التوبة سبيل لأنها تقع من العبد بمجرد عقد القلب ما لم يغرغر بالموت فكيف وبيننا وبينهم من السنين عدة مئين.

ولا يصح الاعتراض على هذا بالكفار فيقال هذا التجويز ممكن في الكفّار على اختلاف أنواعهم لأنا نقول فرقٌ بين مَنْ أصله الإسلام ومَنْ أصله الكفر، فإن الحمل على الأصل مع اللبس هو الواجب، لا سيما والخروج من الكفر إلى الإسلام لا يكون إلا بأقوال وأفعال لا بمجرد عقد القلب والتوجه بالنية المشتملين على الندم والعزم على عدم المعاودة، فإن ذلك يكفي في التوبة ولا يكفي في مصير الكافر مسلمًا وأيضًا فرقٌ بين كفر التأويل وكفر التصريح، على أنّي لا أثبت كفر التأويل كما حققته في غير هذا الموطن، وفي هذه الإشارة كفاية لمن له هداية.

وفي ذنوبنا التي قد أثقلت ظهورنا لقلبنا أعظم شغلة وطوبى لمن شغلته عيوبه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فالراحلة التي قد حملت ما لا تكاد تنوء به، إذا وضع عليها زيادة عليه انقطع ظهرها وقعدت على الطريق قبل وصول المنزل وبلا شك أن التوثب على ثلب أعراض المشكوكِ في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإسلامهم جراءة غير محمودة، فربما كذب الظَّن وبَطُلَ الحديث وتقشعت سحائب الشكوك وتجلت ظلمات الظنون وطاحت الدقائق وحقت الحقائق وأن يومًا يفرُّ المرءُ من أبيه ويشح بما معه من الحسنات على أحبابه وذويه لحقيق بأن يحافظ فيه على الحسنات ولا يدعها يوم القيامة نهبًا بين قوم قد صاروا تحت أطباق الثرىٰ قبل أن يخرج إلى هذا العالم بدهور وهو غير محمود على ذلك ولا مأجور فهذا ما لا يفعله بنفسه العاقل. وأشد من ذلك أن ينثر جراب طاعاته وينثل كنانة حسناته على أعدائه غير مشكور بل مقهور وهكذا يفعل عند الحضور للحساب بين يدي الجبار بالمغتابين والنمّامين والهمّازين اللمّازين فإنه قد علم بالضرورة الدينية أن مظلمة العرض كمظلمة المالِ والدمِ ومجرَّد التفاوت في مقدار المظلمة لا يوجد عدم إنصاف ذلك الشيء المتفاوت أو بعضه، بكونه مظلمة فكل واحدة من هذه الثلاث مظلمة لآدمي، وكل مظلمة لآدمي لا تسقط إلا بعفوه، وما لم يعف عنه باق على فاعله يوافي عرصات القيامة.

فقل لي كيف يرجو من ظلم ميتًا بثلب عرضه أن يعفو عنه؟ ومَنْ ذاك الذي يعفو في

هذا الموقف وهو أحوج ما كان إلى ما يقيه عن النار وإذا التبس عليه هذا فانظر ما تجده من الطباع البشرية في هذه الدار فإنه لو ألقى الواحد من هذا النوع الإنساني إلى نار من نيار هذه الدنيا، وأمكنه أن يتّقيها بأبيه أو بأمه أو بابنه أو بحبيبه لفعل فكيف بنار الآخرة التي ليست نار هذه الدنيا بالنسبة إليها شيئًا.

ومن هذه الحيثية قال بعض من نظر بعين الحقيقة: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت أبي وأمي لأنهما أحق بحسناتي التي تؤخذ مني قسرًا وما أحسن هذا الكلام. ولا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرّها وأشرّها وأكثرها بلاءً وعقابًا ما بلغ منها إلى حد التكفير واللعن، فإنه قد صحَّ أن تكفير المؤمن كفر، ولعنه راجع على فاعله وسبابه فسقٌ، وهذه عقوبة من جهة الله سبحانه، وأما من وقع له التكفير واللعن والسب، فمظلمة باقية على ظهر المكفِّر واللاَّعن والسّباب، فانظر كيفَ صار المُكفِّر كافرًا واللاعن ملعونًا، والسباب فاسقًا، ولم يكن ذلك حد عقوبته بل غريمه ينتظر بعرصات المحشر ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك المظلمة ومع ذلك فلا بدَّ من شيء غير ذلك، وهو العقوبة على مخالفة النهي لأن الله قد نهىٰ في كتابه وعلى لسان رسوله عن الغيبة بجميع أقسامها. ومخالف النهي فاعل محرم وفاعل المحرم معاقب عليه.

وهذا عارض من القول جرى به القلم ثم أحجم عن الكلام سائلاً من الله حسن الختام راجعًا إلى كمال ترجمة ذلك السيّد الهمَّام. فنقول: صاحب الترجمة حال تحرير هذه الأحرف مستمرٌ على تلك الخصال الجميلة والمناقب الجليلة قانع بميسور من العيش مؤثر للخمول الذي هو الراحة والنعمة المجهولة زاده الله من أفضاله وأنجح له ما يرجوه من آماله. وتوفي رحمه الله في سنة...

٣٦٥ ـ القَاسِم ابن أمير المؤمنين المتوكِّل على الله أَحْمَد[١]: ابن أمير المؤمنين المنصور بالله علي ابن أمير المؤمنين المهدي العبَّاس بن أمير المؤمنين المنصور حسين ابن أمير المؤمنين المتوكّل القاسِم بن حسين بن أَحْمد بن أحسن بن الإمام القاسِمْ بن مُحمّد. ولد سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف.

ونشأ في حجر الخلافة نشوًا طاهرًا فلما قارب سن البلوغ قرأ (بلوغ المرام) على الشيخ العلاَّمة محمد عابد السندي عند وفوده إلى حضرة أبيه، ثم حفظه من أوله إلى آخره عن ظهر قلب ووصل إليَّ وأسمعه عليَّ من حفظه من أوله إلى آخره، والكتاب بيدي فسبحان الفاتح المانح، وهو الآن يسمع عليَّ صحيح البخاري ومسلم. يفد إلي في بعض

---

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٨.

أيام الأسبوع ويواظب على ذلك مواظبة عظيمة ويفهم فهمًا جيدًا ويحفظ حفظًا صالحًا مع اشتغاله بقراءة علم الآلة وإكبابه على مطالعة الكتب الحديثية وله بالسنّة المطهرة شغف عظيم ومحبة زائدة ويعمل بكل ما صح منها ولا يبالي أطارَ لوم مَنْ يلومه أم وقع، ولا يلتفت إلى من يريد صدّه عن ذلك، لأنه قد عرف أن هذا هو الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه.

ووالده مولانا الإمام حفظه الله يرغّبه في ذلك ويقوّي عزمه عليه، ويعجبه ما يرى منه والحمد للّه الذي أخرج من هذا البيت الشّريف مثل هذا الفاضل زاده الله علمًا وكمالاً وعملاً بالحق، وانقيادًا له وجعله من أنصار السنة المطهّرة. وعمرَهُ عند تحرير هذه الترجمة نحو سبع عشرة سنة.

٣٦٦ ـ السيّد القَاسِم بن الحَسَن بن مطّهر بن محمّد بن الحُسَينِ الجرْمُوزي[1]: الصّنعاني منشأً ووفاةً ولد ببندر المخافي أيام ولاية والده لها ثم انتقل إلى صنعاء وطلب العلم على جماعة من العلماء وقد ذكر جميع مسموعاته ومشائخه في ترجمته لنفسه في مصنَّفه الذي سماه (صفوة العاصر في آداب المعاصر). وهو كتاب حسن ذكر فيه جماعة من أهل عصره ومن قرابته وخصّص الشعراء وذكر من أشعارهم وما دار بينه وبينهم وما يتعلق بذلك. وولاّه المهدي صاحب المواهب أعمالاً ثم ولاّه آخرًا القضاء بصنعاء، فباشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة وديانة، وله مؤلف أسماه: (نزهة الفطن في من ملك اليمن) وله شعر حسن فمنه في تشبيه البرق:

كـأنّمـا البـرقُ إذا مـا اختفـى ... فـلاحَ فـي العـارضِ غـبُّ القصـارِ
وجنـــةُ عـــذرى رابّهـــا مبصـــرٌ ... فـاستتـرتْ مـن خـوفـهِ بـالخمـارِ

وله قصائد منسجمة وأبيات قليلة التكلف كقوله:

أغـــارُ عليـــكَ مـــن نظـــري ... وإن بلّغتنـــــي وطـــــري
وأحســـدُ خـــاطـــري مـــنْ أنْ ... تمـــرَّ عليـــهِ فـــي فكـــري
بنفســـي أنـــتَ مـــنْ قمـــرٍ ... عـــلا عـــنْ بهجـــةِ القمـــرِ
ومـــا قـــد حـــزتَ مـــنْ هيـــفٍ ... وقـــدٌّ كـــالقنـــا النضـــرِ
وطـــرفٍ مـــنْ لطـــافتـــهِ ... استعـــارتْ نسمـــةُ السحـــرِ

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٨٣٤.

ومن ذلك قوله:

لِـمَ لا تـرقّـوا سـادتـي ... وتـرحمـوا صبـابتـي
وتـذكـروا هجـري الـذي ... ذابـتْ لـه حشـاشتـي
وتـرحمـوا لـي حـالـةً ... قـد رقَّ منهـا شـامتـي
ويـلاهُ مـن بـدرِ دجّـى ... ضلّـتْ بـه هـدايتـي

وشعره غالبه على هذا الأسلوب ومات في سنة ١١٤٦ ست وأربعين ومائة وألف.

٣٦٧ ـ الإمام المتوكِّل على الله القَاسِم[١] بن الحُسَينِ بن أَحْمَد بن الحَسَن بن الإمام القَاسِم بن محمّد: ولد سنة[٢] ونشأ منشأ آبائه الأمثال ومارس كثيرًا من معارك القتال وصار مع عمه الإمام المهدي صاحب المواهب من أعظم الرؤساء، وكان يبعثه في المهمات فيدفعها ويقوم بحلِّها، وتارة كان يعتقله لما يرىٰ من ميل الناس إليه وعلو همته وترشيحه للخلافة. واتفق في أيام اعتقاله أنه عرض للمهدي مهمٌ عظيمٌ لا يقوم به إلا صاحب الترجمة، فأخرجه من الحبس وأرسله في طائفةٍ من الجيوش ثم ندم على ذلك، وعرف أنه قد أخطأ، فبعث إليه ليعود فما أسعد ومضى لذلك المهم فقضاه. ثم بعد ذلك رغب الناس إليه وأرادوا أن يبايعوه فامتنع معتذرًا بأنه لم يكن في العلم مستوفيًا للاجتهاد محيطًا بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد، بل أمرهم بأن يبايعوا الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة، وكان من مشاهير العلماء وبايعه صاحب الترجمة وتلقب بالمنصور بالله.

والحل والعقد بيد صاحب الترجمة وليس للحسين إلا الاسم ثم شرع في مناجزة المهدي فقاد إليه الجيوش وحاصره في المواهب وكان ابتداء ذلك في سنة ١١٢٦ ثم إنَّ المهدي خلع نفسه وبايع الحسين بن القَاسِم بن المؤيد وكان ذلك بعد محاصرة عظيمة وحروب شديدة ثم كثر الاضطراب منَ الحسين بن القاسم فخلعه صاحب الترجمة ومال الناس إليه فبايعوه في سنة ١١٢٨ فامتنع المهدي عن ذلك متعللاً بأنه إنما خلع نفسه بشرط أَنْ يكون الخليفة الحسين بن القَاسِم لا صاحب الترجمة، فأعاد صاحب الترجمة الحصار له وقاد إليه الجيوش فأذعن وبايع في سنة ١١٢٩ ولم يختلف بعد ذلك على المترجم له أحد من الناس، وصفت له اليمن وثبتت قدمه.

وكان يستقر غالب الأيام بصنعاء ويخرج في بعض الأوقات إلى حدة فيستقر فيها وله بها دار عظيمة عمَّرها ومسجدًا بجنبها، وقد صار الجميع حال تحرير هذه الأحرف

(١) ذكره صاحب التاج المكلل ص ٤٠٨.
(٢) بياض بالأصل.

خرابًا. وكان له من الشجاعة ما لم يكن لغيره فإنها اتفقت منه قضايا تدل على أنه في قوة القلب وثبات الجنان بمحل يقصر عنه غالب نوع الإنسان، ولو لم يكن من ذلك إلا ما وقع منه من القتل لرئيس حاشد وبكيل المعروف بابن حبيش فإنه قتله في بيته وبين قبيلته وليس معه مَنْ يقومَ بحربِ بعض البعض من أتباع ابن حبيش ثم تم ذلك الأمر وسلّمه الله. وصارت هذه القضية تضرب بها الأمثال ولا سيما في عصره، وما يقرب من عصره لاستعظامهم لمقدار ابن حبيش ولكثرة أتباعه. ولصاحب الترجمة من المحبة للفقراء، والإحسان إليهم وإنفاق بيوت الأموال عليهم ما لا يمكن القيام بوصفه، ومع هذا فله إلى آل الإمام من البر والبذل أمر عظيم، ولم يرعوا له ذلك بل خرجوا عليه وفرُّوا إلى بلاد القبلة واجتمع منهم جمع كثير ومن أعيانهم السيّد العلاَّمة محمّد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القَاسِم بن مُحمّد والسيّد محسن بن المؤيد وجماعة كثيرة، وكانَ سبب ذلك أَنَّ رجلاً يقال له الشجني كان يلي بعض أعمال صاحب الترجمة، فوقع منه إلى جناب جماعة من أعيان السادة ما لم تجرِ لهم به عادة من التسوية بين أموالهم وأموال سائر الرعايا ومع ذلك فما فازوا بشيء، ولا نالوا خيرًا ومات السيّد محمّد بن عبد الله في قرية يقال لها هاوم وهو كان كبيرهم الذي يرشحونه للخلافة فتفرقوا بعد ذلك وكان جميع ذلك في سنة ١١٣٦ ولصاحب الترجمة من المحاسن والحروب والفتكات ما لا يتسع له إلا سيرة مستقلة وقد جمع له سيرة السيّد محسن بن حسن بن أحمد بن القاسِم بن مُحمّد.

وكان موت صاحب الترجمة في ثاني شهر رمضان سنة ١١٣٩ تسع وثلاثين ومائة وألف ووليَ بعده ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم حسبما تقدَّم في ترجمته.

٣٦٨ ـ الفَقيه قَاسِم بن سَعْد بن لطف الله الجبلي: ولد تقريبًا في سنة الثمانين من المائة الثانية عشر أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، وقرأ في الآلات وفقه الشافعية، ورحل إلى زبيد فقرأ على مشايخها، وقرأ في علم الطب، فصار طبيبًا ماهرًا وقرأ عليَّ في أوائل الأمهات الست وأوائل المسندات ما يلتحق بها وقرأ عليَّ في شرح العمدة لابن دقيق العيد، وكانت قراءته عليَّ في مدينة ذي جبلة عند قدومي إليها مع مولانا الإمام المتوكل على الله، ولازمني ملازمة تامة، وهو فايق الذكاء جيد الفهم حسن الإدراك حسن المحاضرة له في الأدب يد حسنة.

وكان سماعه مني في سنة ١٢٢٦ في ذي جبلة وفي ذي السفال وأجزت له جميع مروياتي ثم سمع مني في صنعاء في الصحيحين وغيرهما. وصار الآن في صنعاء في الحضرة الإمامية وهو طبيب الخلافة وله معرفة تامة بالفقه والعلم والحديث وعلم الآلة.

٣٦٩ ـ السيّد القَاسِم[١] بن عبد الرب بن محمّد بن الحسين الكوكباني: ولد في ذي الحجة سنة ١١٧٣ ثلاث وسبعين ومائة وألف بكوكبان ونشأ بها فقرأ على السيّد العلاَّمة عيسى بن محمد المتقدم ذكره، وعلى غيره من أهل تلك الجهة وتعانىٰ النظم فجاء منه بما هو في الغاية القصوى بحيث سارت قصائده واشتهر نظمه وطارحه الأدباء من كثير من الجهات وفاق في هذا الشأن.

وقد ترجم له ابن عمّه السيّد العلاَّمة عبد الله بن عيسى بن محمد المتقدم ذكره في الحدائق ترجمة حافلة ومما أورده له قوله في القول بالموجب مع التورية وأجاد:

أفدي الذي قد قالَ لي مرةً وعاذلي يسمعُ مِنْ قربِ
ما القولُ بالموجبِ يا سيدي قلتُ مناجاتكَ بالقلبِ

وهو الآن بدر طالع بكوكبان قد حمل خافقة لواء الأدب وسلم له السبق أبناء هذا الشأن فلم يختلف في تقديمه على أهل بلده اثنان وله في العلم باع وساع واطلاع أي اطلاع. ثم مات رحمه الله فجأة في شهر محرم سنة ١٢١٦ ست عشرة ومائتين وألف.

٣٧٠ ـ قَاسِم[٢] بن قَطْلوبغا زين الدِّين السودني: المعروف بقَاسِم الحنفي. ولد في المحرم سنة ٨٠٢ اثنتين وثمان مائة بالقاهرة. ومات أبوه وهو صغير فنشأ يتيمًا وحفظ القرآن وكتبًا عرض بعضها علىٰ العزِّ بن جماعة، ثم أقبل على الاشتغال على جماعة من علماء عصره كالعلاء البخاري والشرف السبكي وابن الهمام وقرأ في غالب الفنون وتصدر للتدريس والافتاء قديمًا وأخذ عنه الفضلاء في فنون كثيرة وصار المشار إليه في الحنفية ولم يخلف بعده مثله وله مؤلفات منها شرح منظومة ابن الجزري في مجلدين. وحاشية شرح الألفية للعراقي. وشرح النخبة لابن حجر وخرج أحاديث عوارف المعارف للسهروردي. وأحاديث الاختيار شرح المختار في مجلدين. وكذلك خرج أحاديث البزدوي في أصول الفقه. وتفسير أبي الليث. ومنهاج العابدين. والأربعين في أصول الدين. وجواهر القرآن. وبداية الهداية. والشفاء. وإتحاف الأحياء بما فات من تخريج أحاديث الأحياء. ومنية الألمعي بما فات الزيلعي. وبغية الرائد في تخريج أحاديث شرح العقائد. ونزهة الرايض في أدلة الفرائض. ورتب مسند أبي حنيفة لابن المقري. وبوب مسند أبي حنيفة أيضًا للحارثي. والأمالي على مسند أبي حنيفة في مجلدين. والموطأ برواية محمد بن الحسن. ومسند عقبة بن عامر الصحابي وعوالي كل من أبي الليث والطحاوي. وتعليق مسند الفردوس. وأسئلة الحاكم للدارقطني ومن روى عن أبيه عن

(١) ترجمته في التاج المكلل ص ٤٠٨.
(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٨/٣٢٦.

جده في مجلد. والاهتمام الكلي بإصلاح ثقات العجلي في مجلد. وزوائد رجال كل من الموطأ. ومسند الشافعي. وسنن الدارقطني على الستة. والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة في أربع مجلدات وتقويم اللسان في الضعفاء في مجلدين. وفضول اللسان. وحاشية على كل من المشتبه والتقريب لابن حجر. والأجوبة على اعتراض ابن أبي شيبة على أبي حنيفة في الحديث. وتبصرة الناقد في كتب الحاسد في الدفع عن أبي حنيفة. وترصيع الجوهر النقي. كتب منه إلى أثناء التيمم وتلخيص سيرة مغلطاي. وتلخيص دولة الترك. وكتاب ترجم فيه لمن صنف من الحنفية وسماه (تاج التراجم). وكتاب ترجم فيه مشايخ مشايخه ومشايخ شيوخ العصر. ومعجم شيوخه. وشرح كتبًا من كتب فقه الحنفية كالقدوري والنقاية. ومختصر المنار. ودرر البحار. في المذاهب الأربعة وأجوبة على اعتراضات العز بن جماعة على أصول الحنفية. وتعليقة على الأندلسية في العروض. ومختصر تلخيص المفتاح. وشرح منار النظر في المنطق لابن سيناء وله مصنفات غير هذه وقد برع في عدة فنون ولم ينل ما يليق بجلاله من المناصب حتى التدريس في الأمكنة التي صار يدرس بها من هو دونه في جميع الأوصاف وله نظم كنظم العلماء فمنه رادًا على من قال:

إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدثتِني ... فعليكِ إثم أبي حنيفةَ أو زفرْ

الواثبينَ على القياسِ تمرداً ... والراغبينَ عن التمسّكِ بالأثرْ

فقال:

كذِبَ الذي نسبَ المآثمَ للذي ... قاسَ المسائل بالكتاب وبالأثرْ

إنَّ الكتابَ وسنةَ المختار قدْ ... دلا عليه فدعْ مقالة من فشرْ

وتوفي في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمان مائة.

٣٧١ ـ الإمام الأعظم المَنْصُور بالله القاسِم بن محمّد بن عليٍّ بن محمّد بن الرَشيْد[(١)]: قد تقدَّم تمام نسبه في ترجمة ولده الحسن، ولد ليلة الاثنين ثاني عشر شهر صفر سنة ٩٦٧ سبع وستين وتسعمائة. ثم اشتغل بطلب العلم على شيوخ ذلك العصر فبرع في الفنون الشرعية ومشايخه مشهورون مذكورون وأعيانهم قد اشتمل على تراجمهم هذا الكتاب، وله مصنفات جليلة نبيلة منها في الحديث (كتاب الاعتصام). جمع فيه بين كتب أئمة الآل وكتب المحدثين من الأمهات وغيرها. رجح في كل مسألة ما يقتضيه اجتهاده، ولكنها اخترمته المنية قبل تمامه فإنه لم يبلغ إلا إلى كتاب الصيام، وكان ذلك

(١) انظر هدية العارفين ٥/ ٨٣٣.

المقدار في مجلد ضخم. ومنها في أصول الدين (الأساس) في مجلد وقد شرحه جماعة، واعترضه الكردي صاحب الحرمين بكتاب سماه (النبراس) وأجاب عليه العبدي بكتاب سماه (الاحتراس)، كما تقدم في ترجمته وكذلك أجاب عليه السيّد زيد بن محمد بكتاب ولم يكمل حسبما تقدم في ترجمته وله (كتاب الإرشاد) في كراريس ذكر فيه فصولاً مفيدة نفيسة جيدة. وله رسائل ومسائل مشهورة معروفة، ولما فاق في العلوم وحقق منطوقها والمفهوم وكانت اليمن إذ ذاك تشتعل من الدولة التركية اشتعالاً لما جبلوا عليه من الجور والفساد الذي لا تحتمله طباع أهل هذه البلاد، دعا هذا الإمام الناس إلى مبايعته وكان ذلك في شهر محرم سنة ١٠٠٦ ست وألف في جبل قارة بالقاف والراء المهملة، فلما ظهرت دعوته اشتد طلب الأتراك له في كل مكان فصار يتنقل من مكان إلى مكان والحاصل أنها جرت له خطوب وحروب وكروب قد اشتمل عليها كتاب سيرته وكان تارة ينتصر فيفتح بعض البلاد اليمنية وتارة تتكاثر عليه جيوش الأتراك فيخرجونه عنها، فيذهب هو وجماعة من خلص أصحابه الذين يأخذون عنه العلم إلى فلاة من الأرض بحيث تنقطع أخبارهم عن الناس ولا يدرون أين هم، فتمضي أيام على ذلك فلا يشعر الأتراك إلا وهو في البلاد اليمنية قد استولى على مواضع وما زال هكذا مع إقدام وشجاعة وصبر لا يقدر عليه غيره حتى أنه كان في بعض الأوقات قد لا يجد هو ومن معه ما يأكلون عند اختفائهم فيأكلون من نبات الأرض. وقد يكابد من الشدائد ما يظن كل أحد أنه لا يعود بعد ذلك إلى مناجزة الأتراك فبينما هم على يأس من رجوعه إذ هو قد وثب على بعض الأقطار. وكان آخر الأمر أنه وقع الصلح بينه وبين الأتراك على أن تثبت يده على ما قد استولى عليه من البلاد، وهو غالب الجبال وكان الأمر كذلك حتى مات رحمه الله، فأخرج الأتراك من جميع الأقطار اليمنية أولاده وصفت لهم الديار اليمنية ولم يبقَ لهم فيها منازع وصارت الدولة القاسمية في الديار اليمنية ثابتة الأساس إلى عصرنا هذا والحمد لله رب العالمين. ولهذا الإمام كرامات قد اشتملت عليها المطولات وجهادات لا يتسع لها إلا مجلدات وإقدامات يحجم عنها الأبطال وله في إنكار المنكرات قبل دعوته يدٌ طولى. فمن ذلك ما حكاه صاحب نسمة السحر قال أخبرني شيخي الزاهد الصوفي الحسن بن الحسين حفيد صاحب الترجمة أنَّ صوفيًا بصنعاء كان شديد الخلاعة وكان يأكل الحشيش أكل الحمار ويستبيح المحرمات عامة فكمن له الإمام القاسم في بعض الأزقة كمون الأفعوان، حتى إذا مر به ضربه بعمود فأخرج دماغه من بين الآذان ثم خرج من المدينة خايفًا يترقب انتهى. وكان له قوة عظيمة وهو ربعة معتدل القامة إلى السمن أقرب، واسع الجبهة عظيم العنين، أشم الأنف، طويل اللحية. عظيمها عبل الذراعين أشعرهما، فصيح العبارة سريع الاستحضار للأدلة كثير الحلم يصبر على

المكاره، ويتحمل العظائم، ولا تفزعه القعاقع، ولا تحركه إلا هول العظايم، كان يقدم على الجيوش التي هي ألوف مؤلفة وهو في نفر يسير ولهذا كانت له العاقبة وقهر الأعداء وأزال ملك الدولة العظيمة ومهد لعقبه هذه الدولة الجليلة التي صارت من غرر الدهور ومحاسن العصور وفيهم من هو من أئمة العلم المصنفين ومن أئمة الجهاد المثاغرين ومن الشعراء المجيدين، ومن الخلفاء الراشدين، ومن الفرسان المعتبرين، ومن الشجعان الفائقين. وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم جماعة من أعيانهم هم طراز هذه التراجم وتاجها، وله نظم في المواعظ والعلوم والزجر والتهديد فمن ذلك:

يا ذا المريدُ لنفسهِ تثبيتاً ... ولدينهِ عند الإله ثبوتا
أسلكْ طريقةَ آل أحمدٍ واسألن ... سفنَ النجا إن يسألوا ياقوتا
لا تعدّلن بآلِ أحمدَ غيرهمْ ... وهل الحصىٰ يُشاكلُ الياقوتا

وله قصيدة يردُّ بها على السيّد محمّد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين مشهورة، وله إلى السيّد عبد الله بن علي المؤيدي وقت أن دعا إلى نفسه ورام معارضته:

إنْ كنتَ تبغي هدمَ دين محمدٍ ... فأنا المريدُ أقيمهُ بدعايمِ
أو كنتَ تخبطُ في غيابةِ باطلٍ ... فأنا المزيلُ ظلامها بعزائمِ
لولا اشتغالي بالحروب وأهلها ... لوجدتَ نفسكَ لقمةً للاّقمِ

وكان وفاته ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف بشهارة بعلة البرسام، وتولى بعده الخلافة ولده الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

٣٧٢ ـ القاسم(١) **بن محمّد بن يوسُف بن محمّد بن يوسُف البرزالي علم الدين بن بهاء الدين الدمشقي الحافظ**: ولد في جمادى الأولى سنة ٦٦٥ خمس وستين وست مائة، وأجاز له ابن عبد الدائم وابن علان وغيرهما، ثم أمعن في الطلب ودار على الشيوخ ورحل إلى حلب وبعلبك ومصر والحرمين وغيرهما، وأخذ عن حفاظ هذه الجهات وخرج لنفسه أربعين بلدية، وكان ابن تيمية يقول نقد البرزالي نقر في حجر. وولي تدريس الحديث بمواضع وألّف تاريخًا بدأ فيه من عام مولده وهي السنة التي مات فيها أبو شامة فجعله ذيلاً على تاريخ أبي شامة وجمع لنفسه ثبتًا في بضع وعشرين مجلدًا. قال الذهبي: إنه كان رأسًا في صدق اللهجة والأمانة صاحب سنّة واتباع ولزوم

(١) ترجمته في الشذرات ٦/ ١٣٢ وفي وفيات ابن رافع السلمي بالترجمة ١٦٩.

للفرائض، وأثنى عليه كثيرًا حتى قال: وهو الذي حبّب إليّ طلب الحديث فإنه رأى خطي فقال: خطك يشبه خط المحدثين فأثّر قوله فيّ وسمعت منه وتخرجت به. قال الصفدي كان يصحب الخصمين وكل منهما راضٍ لصحبته واثق به حتى كان كل واحد من ابن تيمية وابن الزملكاني يذيع سره في الآخر إليه وثوقًا به، وسعى في صلاح ذات بينهما ومدحه الذهبي فقال:

إنْ رمتَ تفتيشَ الخزائنَ كلّها وظهورَ أجزاءٍ بدتْ وعوالي
وتفوقُ أشياخَ الوجودِ وما رووا طالعَ أو أسمعُ معجمَ البرزالي

وتوفي ذاهبًا إلى مكة غريبًا في رابع ذي الحجة سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبعمائة.

٣٧٣ ـ السيّد القَاسِم بن محمّد بن عبد الله الكبسيّ: ولد سنة ١١٢١ إحدى وعشرين ومائة وألف، ثم طلب العلم فقرأ على مشايخ مدينة صنعاء وبرع في العلوم ولا سيما علم الحديث فإنه صار فيه إمامًا كبيرًا، وأخذ عنه الناس في صنعاء طبقة بعد طبقة، وانتفعوا به وكان يتولى في بعض الأوقات، فتولى وقف ثلا وبقي هنالك أيامًا، وعاد إلى صنعاء واستمر على نشر العلم، وطال عمره وضعف عن الحركة في آخر عمره وهو شيخ شيوخنا. ولو سمعت منه لكان ذلك ممكنًا وله رسائل وأجوبة مفيدة موجودة ومات سنة ١٢٠١ إحدى ومائتين وألف.

٣٧٤ ـ السيّد القَاسِم بن محمّد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير: ابن العلاَّمة الكبير البدر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى مولده سنة ست وستين بعد المائة والألف في سادس وعشرين شهر ربيع الأول منها بصنعاء، ونشأ بها فأخذ العلم عن جماعة من العلماء كأخيه السيّد العلاَّمة عبد الله بن محمد والعلاَّمة لطف الباري بن أحمد الورد. والعلاَّمة علي بن هادي عرهب ولازم الثالث وأخذ عنه في فنون عدة وانتفع به انتفاعًا تامًا، وهو الآن مكب على الأخذ عنه وقد استقر هو وشيخه المذكور في الروضة، وله ذهن دقيق وفكر عميق، وفهم صحيح وفطنة زائدة وقد برع في علوم الاجتهاد وعمل بالأدلة، وله صلاح تام وهدي حسن وعبادة وزهادة واشتغال بخاصة النفس ومحبة للخمول واستكثار من الطاعة، والحاصل أنه من حسنات الزمن في جميع خصاله، وهو الآن حي مكب على الاشتغال لا برح في حماية ذي الجلال.

٣٧٥ ـ القَاسِم بن يحيىٰ الخولاني: ثم الصَّنعاني شيخنا العلاَّمة الأكبر ولد في شهر رمضان سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء فأخذ عن جماعة من أكابر علمائها منهم العلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وشيخنا العلاَّمة السيّد

عبد القادر بن أحمد، وشيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، والخطيب العلاَّمة لطف الباري بن أحمد الورد وغير هؤلاء. وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون وأخذت عنه في أوائل الطلب ولازمته وانتفعت به فقرأت عليه الكافية في النحو، وشرحها للسيد المفتي جميعًا وشرحها للخبيصي جميعًا وحواشيها وشرح الرضي إلا شيئًا يسيرًا من أواخره، والشافية في الصرف وشرحها للشيخ لطف الله جميعًا، والتهذيب للسعد في المنطق وشرحه للشيرازي جميعًا وشرحه للبزدي جميعًا، وتلخيص الفتاح وشرحه المختصر للسعد وحاشيته للطف الله جميعًا، وفي الأصول غاية السؤل وشرحها وحاشيتها إلا فوتًا يسيرًا، والرسالة العضدية في آداب البحث وشرحها لملا حنفي وما عليها من الحواشي وفي علم الاصطلاح النخبة لابن حجر وشرحها له جميعًا وفي شروح الحديث بعض شرح العمدة لابن دقيق العيد ولعليّ. سمعت منه غير ما تقدم وكان رحمه الله يطارحني في البحث مطارحة المستفيد تواضعًا منه ثم ترافقنا في الطلب على شيخنا السيّد العلاَّمة عبد القادر بن أحمد، وعلى شيخنا العلاَّمة الحسن بن إسماعيل المغربي، وجرت بيني وبينه مباحثات في مسائل يشتمل عليها رسائل، ولم ترَ عيناي مثله في التواضع وعدم التلفت إلى مناصب الدنيا، مع قلة ذات يده وكثرة مكارمه وله في الزهد طريقة لا يلحقه فيها غيره، بحيث كان يكتفي بما يحصل له من أجرة تلاوة القرآن، وما يحصل له من أجرة ما ينسخه بخطه الحسن. وله من قوة الفهم وسرعة الإدراك وحل الدقائق ما يبهر من عرفه ولو طال عمره وأقبل عليَّ التصنيف لجاء بالعجاب، ومات رحمه الله في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٢٠٩ تسع ومائتين وألف.

٣٧٦ ـ السّلطان قانصوه[1] سلطان مصر: كان في أوائل الأمر أحد مماليك السلطان قايتباي، وكان أمياً لا يعرف شيئًا لأنه جلب من بلاده وهو كبير قد شرع فيه الشيب وصار السلطان قايتباي يرقيه لكونه أخًا لزوجته، وهي التي بذلت الأموال للجند ومكنته من الخزائن، حتى ملكوه بعد السلطان قايتباي، فاستمر سلطانًا سنة وسبعة أشهر، ثم خلعوه وكان قد تلقب بالأشرف وأخرجوه من المملكة سنة ٩٠٥، ووليَ بعده أميران ولم يثبت قدمهما في السلطنة ثم أجمع الأجناد على تولية السلطان قانصوه الغوري، وهو غير المتقدم ذكره وكان من أصغر الأمراء وأحقرهم، ولكن الأمراء الكبار تحاموا الإقدام على السلطنة خوفًا من بعضهم البعض، فولوا هذا فقبل بعد أن شرط عليهم أنهم لا يقتلونه إذا أرادوا خلعه، فقبلوا منه ذلك فولي السلطنة في سنة ٩٠٦. وكان عظيم الدهاء قوي

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٨/ ١١٣.

التدبير فثبت قدمه في السلطنة ثباتًا عظيمًا وما زال يقتل أكابر الأمراء حتى أفناهم، وصفت له المملكة ولم يبقَ له فيها منازع، ولكنّه مال إلى الظلم والعسف، وانتهب أموال الناس وانقطعت بسببه المواريث، فضج أهل مصر ومن تحت طاعته من أخذه لأموالهم فسلط الله عليه السلطان سليم سلطان الروم فإنه غزاه إلى دياره ووقع بينهما مصاف، فقتل صاحب الترجمة تحت سنابك الخيل واستولى السلطان سليم على مملكة مصر والشام، وصارت إلى أولاده من بعده إلى الآن وكان ذلك في سنة ٩٢٣[١] ثلاث وعشرين وتسعمائة.

٣٧٧ ـ السلطان قايتباي[٢] الجركسيّ المحمودي الأشرفي ثم الظَّاهري ملك الديار المصرية: ولد تقريبًا في بضع وعشرين وثمان مائة، وقدم به تاجر يقال له: محمود إلى ديار مصر في سنة تسع وثلاثين وثمان مائة، فاشتراه الأشرف برسباي ثم ملكه الظاهر جقمق، ثم ترقى في الخدم حتى صار أمير عشرة ثم أمير طبلخانة، ثم صار أتابكًا ثم صار سلطانًا في يوم الاثنين ثالث رجب سنة ٨٧٢. وثبت قدمه في السلطنة وتمكنت هيبته وصار مقبلاً على أفعال الخير مقربًا للعلماء والصلحاء محبًا للفقراء، كثير العدل كثير العبادة مائلاً إلى العلم كلية الميل، عفيفًا عن شهوات الملوك حسنة من حسنات الدهر لم يكن له نظير في ملوك الجراكسة، ولا فيمن قبلهم من ملوك الأتراك، وحج في أيام سلطنته وفعل من المحاسن ما لم يفعله غيره وأحسن إلى الخاص والعام. وله عمارات في كثير من أنواع القربات وقد طول السخاوي ترجمته في الضوء اللامع، وذكر كثيرًا من محاسنه التي لا يهتدي إليها غيره من الملوك، ولكنه كدر صفوها فجعل الترجمة من أولها إلى آخرها سجعًا باردًا جدًا ولم يفعل ذلك في ترجمة غيره، والسبب أنه كان معاصرًا له وقد ترجمه قطب الدين الحنفي في الأعلام ترجمة جيدة وفي سنة ٩٠١ أراد أن يعزل جماعة من الأمراء ويولي آخرين وكان مريضًا إذ ذاك وأنفق بهذا السبب نحو ستمائة ألف دينار واستمر تارة يزيد وعكه، وتارة ينقص ولكنه يظهر الجلد إلى أن عجز وزاد توعكه بحيث حجب الناس عنه والخلاف بين سائر عساكره متزايد وأعظم أمرائه قانصوه أخو زوجته، وهو الذي صار سلطانًا بعده كما تقدم ومات صاحب الترجمة يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ٩٠١ واحدة وتسعمائة.

٣٧٨ ـ قرا يوسف[٣] بن محمّد التركماني: كان في أول أمره من التركمان الرحالة،

---

(١) في الشذرات ٨/ ١١٤: قُتل في خامس عشري رجب في مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ. شمالي حلب.

(٢) ترجمته في النور السافر ص ١٥، وفي الشذرات ٨/٦.

(٣) ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ١٦٣.

فتنقلت به الأحوال إلى أن استولى بعد تيمورلنك على عراق العرب والعجم ثم ملك تبريز وبغداد، وماردين وأذربيجان وديار بكر وما والاها. واتسعت مملكته حتى كان يركب في أربعين ألف نفس، ثم ملك الموصل سنة ٧٩١ ثم وقع بينه وبين مرز بن بكر بن مرز بن تيمور حرب، فقتله صاحب الترجمة في سنة ٨١٣ واستمد بملك العراق وسلطن ابنه محمد شاه ببغداد وله وقايع مع جماعة من الملوك منهم شاه رخ بن تيمور وكان شديد الظلم قاسي القلب لا يتمسك بدين واشتهر عنه أنه كان تحته أربعون امرأة وكان شجاعًا سفاكًا للدماء حتى أنه غزا إلى بعض البلدان، فدمر أهلها قتلاً وسبيًا وبيع الصبي بدرهمين. ومات[1] في ذي القعدة سنة ٨٢٣ ثلاث وعشرين وثمان مائة.

٣٧٩ ـ **قطب الدين**[2] **بن عَلاء الدِّين النَهْرواني ثم المكِّي الحنفي**: العالم الكبير أحد المدرسين بالحرم الشريف في الفقه والتفسير والأصلين وسائر العلوم، وكان يكتب الإنشاء لأشراف مكة وله فصاحة عظيمة يعرف ذلك من اطلع على مؤلفه الذي سماه (البرق اليماني في الفتح العثماني). وهو مؤلف (الأعلام في أخبار بيت الله الحرام) وكان عظيم الجاه عند الأتراك لا يحج أحد من كبرائهم إلاّ وهو الذي يطوف به ولا يرتضون بغيره وكانوا يعطونه العطاء الواسع، وكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب ويبذلها لمن يحتاجها، واجتمع عنده منها ما لم يجتمع عند غيره وكان كثير التنزهات في البساتين، وكثيرًا ما يخرج إلى الطائف ويستصحب معه جماعة من العلماء والأدباء، ويقوم بكفاية الجميع ومات سنة ٩٨٨ ثمان وثمانين وتسعمائة.

هكذا أرّخ موته الضمدي في ذيل الغربال وقال العصامي في تاريخه: أنه توفي في يوم السبت السادس والعشرين من ربيع الثاني سنة ٩٩٠ تسعمائة وتسعين قال وأرّخ بعضهم موته فقال: (قد مات قطب الدين أجل علماء مكة)، ثم قال: وهو يزيد على تاريخ موته بواحد.

(١) في شذرات الذهب ٧/ ١٦٣: مات بتبريز في ذي القعدة سنة ٨٢٣ هـ وقام بعده ابنه الاسكندر.
(٢) ترجمته في النور السافر ص ٣٤٢ ـ ٣٤٧.

حرف الكاف

٣٨٠ ـ كتبغا[١] **المغلي المنصوري**: أسر من عسكر هلاكو ملك التتار سنة ٦٥٨، وكان أسمر قصيرًا صغير الوجه. وتنقلت به الأحوال وعظم في دولة الملك المنصور ثم ازداد في دولة الأشرف ثم وليَ النيابة في أيام الناصر، وغلب على أمور المملكة ثم استقل بالسلطنة ولقب العادل وذلك في حادي عشر المحرم سنة ٦٩٤. وتوجه إلى حمص ثم توجه إلى مصر فوثب عليه جماعة من أمرائه وأسروه وسجنوه بقلعة صرخد، ثم لما عاد الناصر إلى السلطنة جعله نائبًا بحماء وكان قليل الشر يؤثر أمور الديانة شجاعًا مقدامًا سليم الباطن عادلاً في الرعية. ووقع في سلطنته غلاء عظيم بمصر إلى أن بلغ سعر الأردب مائة وتسعين درهمًا ثم وقع بالقاهرة وباء عظيم حتى مات في يوم واحد ممن ضبط ميراثهم في ديوان بيت المال سبعة آلاف نفس فضلاً عن غيرهم ففرق صاحب الترجمة الفقراء على الأمراء، ولولا أنه فعل كذلك ماتوا جميعًا ومات[٢] في يوم النحر سنة ٧٠٢ اثنتين وسبعمائة.

تم الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني
وأوله: «حرف اللام»

---

(١) ترجمته وأخباره في الشذرات ٦/ ٥.

(٢) في الشذرات: مات بحماه يوم الجمعة يوم الأضحىٰ ونقل ودفن في تربته في سفح قاسيون.

فهرس المحتويات

حرف الألف

ذكر من اسمه أحمد

حرف الباء الموحدة

حرف التاء المثناة الفوقية

حرف الثاء المثلثة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف